رواية

المنوّم المغناطيسيّ

لارش كيبلير

ترجمة: حنان المسعودي

التنوير

#956

مكتبة

مكتبة | سُر مَن قرأ

لارش كيبلير

المنوّم المغناطيسيّ

#956

الكتاب: **المنوّم المغناطيسي**، رواية

تأليف: **لارش كيبلير**

ترجمة: **حنان المسعودي**

عدد الصفحات: **560 صفحة**

الترقيم الدولي: 978-614-472-193-3

الطبعة الأولى: 2021

نشر مشترك بين دار جامعة حمد بن خليفة للنشر ودار التنوير

الناشر

دار التنوير للطباعة والنشر

مصر: القاهرة 2- شارع السرايا الكبرى (فؤاد سراج الدين سابقا) - جاردن سيتي

هاتف: 002022795557

بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

تونس: 16 الهادي خفشة - عمارة شهرزاد - المنزه 1 - تونس

هاتف وفاكس: **0021670315690**

بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com

لبنان: بيروت - بئر حسن - بناية فارس قاسم (سارة بنما) - الطابق السفلي

هاتف: 009611843340

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

موقع إلكتروني: www.daraltanweer.com

لارش كيبلير

المنوّم المغناطيسيّ

رواية

ترجمة: حنان المسعودي

مكتبة | سُر مَن قرأ



«شيءٌ مثل النار، مثل النار فقط». تلك كانت الكلمات الأولى التي نطق بها المراهق المنوَّم مغناطيسيًّا، رغم تعرّضه لإصابات تهدّد حياته -مئات الجروح في وجهه وساقيه وجذعه وظهره وأخمص قدميه ورقبته ومؤخّرة رأسه- فقد تمّ إدخاله في حالة من النوم العميق على أمل أن يتمكّن من وصف ما شهده.

غمغم: «أنا أحاول أن أطرف بعيني، أنا ذاهب إلى المطبخ، ولكنّه ليس على ما يرام. هناك الكثير من الفوضى بين الكراسي ونارٌ حمراء متوهّجة تنتشر على الأرض».

رجل الشرطة الذي وجده بين الجثث الأخرى في المنزل، ظنّ بأنّه فارق الحياة. كان الفتى قد فقد الكثير من الدماء ودخل في حالة من الصدمة، لم يكن قد استعاد وعيه منذ سبع ساعات. إنّه الشاهد الحيّ الوحيد، وقد اعتقد المحقّق جونا لينا أنّه قد يتمكّن من إعطائهم وصفًا جيّدًا. أيًّا كان الشخص الذي هاجم العائلة، فقد كان ينوي قتلهم جميعًا، ربما لم يكن ليزعج نفسه بإخفاء وجهه.

لكن لو لم تكن الظروف استثنائيّة إلى هذه الدرجة، فلم يكن أحد ليفكّر باستدعاء منوّمٍ مغناطيسيّ.

في الأساطير الإغريقيّة كان الإله هيبنوس فتىً لديه أجنحة، يحمل بذور الخشخاش في يديه، اسمه يعني النوم، وهو الشقيق التوأم للموت، وابن الليل والظلمة.

ابتُكر المصطلح «تنويم» في عام *1843* من قبل جايمس برايد، وهو جرّاحٌ اسكتلنديّ، استخدمه لوصف حالة أشبه بالنوم يرافقها إدراك عميق واستجابة مفرطة.

واليوم تمّ الإثبات علميًّا بأنّ كلّ شخص ممكن أن ينوَّم، ولكنّ الآراء اختلفت بشأن استخدامات التنويم ودرجة أمانه. الافتقار إلى قواعد عالميّة للتنويم تأتّى ربّما من حقيقة إساءة استخدام التنويم المغناطيسيّ من قِبل المخادعين والهزليّين والجمعيّات السرّيّة عبر العالم أجمع.

وبتعابير عمليّة، من السّهولة إدخال شخص ما إلى حالة التنويم المغناطيسيّ. يكمن الجزء الصعب في السيطرة على هذه العمليّة، وتوجيه المريض وتحليل النتائج، يتطلّب الأمر خبرة عظيمة للدخول في عمليّة التنويم العميق. هناك عدد محدود -بعدد أصابع اليد من المؤهّلين طبّيًّا والخبراء الحقيقيّين من المنوّمين المغناطيسيّين في العالم.

1

فجر الثلاثاء، 8 ديسمبر

رنّ هاتف إريك. قال قبل أن يستيقظ تمامًا: «بالونات وأشرطة».

راح قلبه ينبض بسرعة بسبب استيقاظه المفاجئ، لم يكن إريك يعلم لماذا قال ذلك، لم يمتلك أدنى فكرة عمّا كان يحلم به.

كي لا يوقظ سيمونا، تسلّل إلى خارج غرفة النوم، وأغلق الباب قبل أن يجيب: «مرحبًا، هنا إريك ماريّا بارك».

أخبره محقّق اسمه جونا لينا بأنّه يحتاج إلى مساعدته. كان إريك نصف نائم وهو يصغي.

قال المحقّق: «سمعت بأنّك جيّد في التعامل مع الصدمات».

أجاب إريك ببساطة: «نعم».

تناول قرصًا من «التايلينول» وهو يستمع. أوضح المحقّق أنّه بحاجة إلى استجواب شخص ما، صبيٍّ في الخامسة عشرة شهد جريمة قتل مزدوجة، لكن المشكلة أنّ المراهق مصاب بشدّة وفي حالة غير مستقرّة، إنّه في حالة من الصدمة ولم يستعد وعيه بعد.

سأل إريك: «من الذي يشرف على علاجه؟».

«دانييلا ريتشاردز».

«إنّها جديرة للغاية، أنا واثق من أنّها قادرة على...».

قاطعه المحقّق: «الاتّصال بك كان فكرتها، نحن بحاجة إلى مساعدتك وربّما لا نمتلك الكثير من الوقت».

عاد إريك إلى غرفة النوم كي يأخذ ملابسه. ومض ضوءٌ في الشارع من بين الستائر، كانت سيمونا تستلقي على ظهرها وهي تراقبه بانطباع باهتٍ غريب.

قال برقّة: «حاولت ألّا أوقظك».

سألت: «من كان ذاك؟».

«ضابط شرطة... محقّق لا أتذكّر اسمه».

«ما الذي أراده؟».

«يتعيّن عليّ أن أذهب إلى ’كارولينسكا‘. إنّهم بحاجة إلى مساعدة مع أحد المراهقين».

«كم الوقت الآن؟».

نظرت إلى المنبّه ثمّ أغلقت عينيها. تمكّن من رؤية ثنيات الأغطية وهي تنسدل على كتفيها المغطّاتين بالنمش.

همس لها: «عودي إلى النوم سيمونا».

حمل إريك ملابسه إلى الرواق في الخارج، أضاء المصباح وارتدى ملابسه بسرعة. التمع نصلٌ من الفولاذ خلفه فجأة، استدار إريك ورأى أنّ ابنه علّق مزلاجَيّ الجليد على مقبض الباب الأماميّ كي لا ينساهما. ورغم أنّ إريك كان على عجلةٍ من أمره، فقد توجّه نحو الخزانة وأخرج الوسائد الواقية، وقام بتثبيتها على النصل الحادّ، ثمّ وضعها على السجّادة في الردهة وغادر.

إنّها الثالثة من فجر يوم الثلاثاء، الثامن من ديسمبر. الثلج يتساقط ببطء من السماء السوداء. لا أثر لأيّ رياح، ورقائق الجليد الثقيلة تحطّ بكسلٍ على الشارع المقفر. أدار مفتاح التشغيل، فانسابت موجة من الموسيقى داخل السيّارة: مايلز دايفيس، «كايند أوف بلو».

قاد لمسافة قصيرة عبر المدينة النائمة، نحو شارع «لونتماكار» وعبر «سي بوليڤارد» باتجاه «نورتول»، بدت مياه بحيرة «برونس» أشبه بمسطّح معتم شاسع تحت الجليد. قاد ببطء إلى المجمّع الطبّيّ. ثمّ بين مستشفى «أستريد ليندغرين للأطفال» –والذي يعاني دومًا من نقص في المستخدمين– وبين قسم التوليد، تجاوز قسم العلاج الشعاعيّ ووحدة الأمراض النفسيّة، وأوقف سيّارته في مكانه المعتاد أمام قسم الجراحة

العصبيّة. انعكس وهج مصابيح الشارع على نوافذ المجمّع الطبّيّ الكبير وعلى عدد محدود من السيّارات في الموقف. رفرفت الطيور السوداء في العتمة حول الأشجار، وصوت اصطفاق أجنحتها يمزّق السكون.

أخرج بطاقته وأدخل الرمز المكوّن من ستّة أرقام. دخل إلى صالة الاستقبال ثمّ استقلّ المصعد صعودًا إلى الطابق الخامس ومشى عبر الردهة، حيث انعكست مصابيح الفلوريسانت على الأرضيّة المشمّعة الزرقاء وجعلتها تبدو كالجليد. الآن، وبعد أن تلاشى المفعول الأوّليّ لتصاعد «الأدرينالين»، أخذ يشعر بالإرهاق. مرّ قرب قاعة العمليّات واجتاز بابًا نحو الحجيرة الكبيرة ذات الضغط المرتفع. ألقى التحيّة على ممرّضةٍ بينما كان يسترجع ما قاله له المحقّق على الهاتف: فتى مراهق يعاني من جروح في كلّ جسده، حاول رجال الشرطة التحدّث إليه ولكنّ وضعه تدهور بسرعة.

كان رجلا شرطة يرتديان الزيّ الرسميّ يقفان خارج الباب المؤدّي إلى الردهة 18. حين اقترب إريك تمكّن من رؤية مسحة من القلق تغطّي وجهيهما. ربّما هما متعَبان فقط، فكّر وهو يتوقّف بالقرب منهما ويريهما بطاقته التعريفيّة. تمعّنا بها ثمّ ضغط أحدهما على الزرّ فتأرجح الباب وفُتح.

دخل إريك وصافح دانييلا ريتشاردز، ملاحظًا التوتّر على وجهها والقلق البادي على حركاتها.

قالت: «تناول بعض القهوة».

سأل إريك: «هل نمتلك الوقت لذلك؟».

أجابت: «لقد تمكّنت من السيطرة على النزف في كبده».

كان رجل في منتصف الأربعينيّات يرتدي بنطال جينز وسترة سوداء، ينقر بأصابعه على ماكينة صنع القهوة. شعره الأشقر مشعث وشفتاه مزمومتان. سأل إريك نفسه إن كان ذلك هو ماينوس، زوج دانييلا. لم يلتقِ به من قبل، ولكنّه رأى صورة له على المكتب فقط.

سأل إريك وهو يشير نحو الرجل: «هل ذاك هو ماينوس؟».

بدت مسرورة ودهِشة: «ماذا؟».

«ظننت أنّ ماينوس قد أتى معك ربّما».

«لا»، قالت ضاحكة.

مازحها إريك: «هل أنت متأكّدة، ربّما يتعيّن عليّ أن أسأله»، وتوجّه نحو الرجل.

رنَّ هاتف دانييلا. كانت مستمرّة بالضحك حين قالت: «توقّف عن ذلك يا إريك». وضعت الهاتف على أذنها: «نعم، دانييلا معك».

أصغت، ولكنّها لم تسمع أيّ شيء.

«مرحبًا».

انتظرت لعدّة ثوان، ثمّ أنهت المكالمة بعبارة ساخرة: «أتمنّى لك يومًا جميلًا». أعادت الهاتف إلى جيبها وتبعت إريك.

كان قد توجّه إلى الرجل الأشقر، حيث آلة صنع القهوة تصدر قرقرة وأزيزًا.

قال الرجل وهو يحاول أن يقدّم كوبًا لإريك: «تناول بعض القهوة».

«لا، شكرًا».

تذوّق الرجل القهوة ثمّ ابتسم فظهرت غمّازتَيْن على وجنتيه.

«إنّها جيّدة»، قال وهو يحاول أن يقدّم الكوب لإريك ثانية.

«لا أرغب فيها».

رشف الرجل المزيد وهو ينظر إلى إريك. ثم سأله فجأة: «هل أستطيع استعارة هاتفك؟ لقد تركت هاتفي في السيّارة».

سأله إريك: «تريد استعارة هاتفي؟».

أومأ الرجل الأشقر بعينين شاحبتين رماديّتين كالغرانيت اللّامع.

قالت دانييلا: «تستطيع استعارة هاتفي أنا».

«شكرًا».

«لا مشكلة».

أخذ الرجل الأشقر هاتفها وقال: «أعدكِ أن أعيده إليكِ».
مازحته قائلة: «أنتَ الوحيد الذي يكلّمني عليه، على أيّ حال».
ضحك ثمّ ابتعد.
قال إريك: «لا بدّ من أنه زوجك».
قالت وهي تحدّق إلى الرجل الطويل القامة: «تستطيع الفتاة أن تحلم دومًا».
فركت دانييلا عينيها، فسال كحلها راسمًا خطّين على وجنتيها.
سأل إريك: «هل أستطيع إلقاء نظرةٍ على المريض؟».
أومأت: «بالتأكيد».
أضاف بسرعة: «بالنظر لكوني هنا».
«إريك، أرغب في سماع رأيك، لست واثقة من هذه الحالة».

2

فجر الثلاثاء، 8 ديسمبر

فتحت دانييلا الباب الثقيل الصامت، وتبعها هو إلى غرفةٍ دافئة جدًّا تلي قاعة العمليّات. هناك كان صبيّ نحيل يستلقي على الفراش، وإلى جواره ممرّضتان تعتنيان به. كان يعاني من جروح على كلّ جسده -أخمص قدميه، صدره، بطنه، مؤخّرة عنقه، فروة رأسه، وجهه، يديه- الممزّق بالكامل.

تصبّب عرقًا وأغلق عينيه بقوّة. نبضه سطحيّ وسريع للغاية، وشفتاه شاحبتان ورماديّتان. بدا أنفه وكأنّه قد كُسِر، ويعاني من نزفٍ تحت الجلد ينتشر مثل سحابة داكنة على رقبته وصدره.

لاحظ إريك أنّ وجه المراهق، وبالرغم من كلّ إصاباته، كان يبدو وسيمًا.

شرعت دانييلا فورًا بتقديم تقرير عن حالة الصبيّ حين أخرسها طرقٌ مفاجئ على الباب، إنّه الرجل الأشقر ثانية. لوّح لهما عبر نافذة في الباب.

تبادل إريك ودانييلا نظرة ثمّ غادرا الغرفة. وقف الرّجل الأشقر قرب آلة صنع القهوة اللاهثة ثانية، وقال لإريك: «كوبٌ كبير من الكابوتشينو. ربّما تحتاج إلى واحد قبل أن تلتقي بضابط الشرطة الذي عثر على الفتى».

الآن فقط، أدرك إريك بأنّ الرجل الأشقر هو الذي اتّصل به وأيقظه من نومه. لم تكن لكنته الفنلنديّة واضحة على الهاتف، أو ربّما كان إريك شديد النعاس كي يميّزها وقتذاك، تذكّر إريك أنّ اسمه جونا لينا. فسأله:

«لماذا قد أرغب بمقابلة ضابط الشرطة الذي وجده؟».

«كي تتفهّم لماذا أنا بحاجةٍ إلى استجواب...».

توقّف جونا عن الكلام حين رنّ هاتف دانييلا. أخرجه من جيب سترته متجاهلًا يدها الممتدّة نحوه ونظر إلى الشاشة. وقال: «المكالمة لي، نعم... لا أنا أريده هنا... لا آبه البتّة بشأن ذلك».

ابتسم المحقّق بينما كان يصغي إلى اعتراضات زميله، على الطرف الآخر من الخطّ.

أجاب جونا: «لكنّي وجدت شيئًا».

سُمع الشخص الآخر يصرخ بشيء ما.

بهدوء قال جونا: «سوف أفعل ذلك على طريقتي». ثمّ أنهى المكالمة وأعاد الهاتف إلى دانييلا وشكرها.

نظر إلى إريك، وقال بجدّيّة: «أحتاج إلى استجواب المريض».

قال إريك: «أخشى أنّ ذلك غير ممكن. أنا أتّفق مع الدكتورة ريتشاردز».

«متى سيتمكّن من التحدّث إليّ؟».

«ليس وهو تحت تأثير الصدمة».

بصوت منخفض، قال جونا: «عرفت أنّك ستقول ذلك».

أوضحت دانييلا: «وضعه ما زال حرجًا. لديه ثقب في غشاء الجنب وكذلك أمعائه الدقيقة، وكبده و...».

دخل رجل يرتدي زيّ شرطة داكنًا ويبدو عليه القلق.

توجّه جونا نحوه وصافحه. قال الشرطيّ لجونا شيئًا ما بهدوء، ثمّ مسح فمه ونظر إلى الطبيبين. طمأن المحقّق رجل الشرطة وقال إنّ بإمكانه أن يتكلّم، وبأنّه سيكون في هذه الظروف عونًا كبيرًا لهم.

قال رجل الشرطة بعد أن تنحنح: «حسنًا. لقد سمعنا عبر جهاز إرسال الشرطة بأنّ البوّاب وجد رجلًا ميّتًا في حمّامات ملعب كرة القدم في 'تومبا'. كنّا في السيّارة على طريق 'هودينْيه' فاستجبنا للنداء، توجّه شريكي يانٍّ إلى الداخل بينما مكثت لأتحدّث مع البوّاب. اعتقدنا في

بداية الأمر بأنّنا نتعامل مع حالة جرعة مخدّرات مفرطة، ولكنّي سرعان ما أدركت أنّ شيئًا آخر قد حدث. حين خرج يانٍّ من غرفة الخزائن كان وجهه شاحبًا حقًّا. لم يسمح لي بالدخول. 'إنّه جحيم من الدماء'، كرّر ذلك ثلاث مرّات ثمّ جلس على الدرج...».

تراجع رجل الشرطة. جلس على الكرسي وحدّق إلى الفراغ أمامه.

سأله جونا: «هل ترغب في المواصلة؟».

«نعم... ثمّ وصلت الإسعاف وتمّ التعرّف على هويّة القتيل، وكُلّفتُ بإخبار عائلته. كنّا نعاني من نقص في العناصر، لهذا توجّب عليّ أن أذهب وحدي. قالت رئيستي إنّها لا تريد إرسال يانٍّ وهو في تلك الحالة... مفهوم».

نظر إريك إلى ساعته.

قال جونا بلكنته الفنلنديّة الهادئة: «أرجو أن تصغي لهذا».

واصل رجل الشرطة وهو ينظر إلى الأرض: «القتيل مدرّس في ثانويّة 'تومبا'، يقطن في صفّ المنازل التي بُنيت على التلّ. ضغطت على الجرس لعدّة مرّات ولكن لم يأتِ أحد إلى الباب. تولّد لديّ شعور سيّئ، لذا ذهبت خلف المنزل، وأضأت مصباحي عبر إحدى النوافذ».

توقّف رجل الشرطة عن الكلام، كان فمه يرتعش وأخذ يخدش مسند الكرسيّ بظفر إبهامه. فقال جونا: «استمرّ رجاءً».

«هل أنا مضطرّ إلى هذا؟ لأنّني... أنا... عثرت على الفتى ذي الخمسة عشر عامًا ووالدته وشقيقته ذات الخمسة أعوام. الصبيّ هو الوحيد الذي بقي على قيد الحياة. رغم أنّني اعتقدت...».

توقّف عن الكلام وقد شحب وجهه تمامًا.

قال جونا: «شكرًا لقدومك يا آرلاند».

أومأ الشرطيّ ونهض مسرعًا. دعكَ يده بقوّة بسترته القذرة ثمّ غادر الغرفة.

قال جونا لإريك ودانييلا: «لقد تمّ تمزيقهم جميعًا. إصابات مريعة.

كان اعتداءً شرسًا. تمّ ركلهم، ضربهم، طعنهم، والفتاة الصغيرة تمّ قطعها إلى نصفين. ساقاها والجزء السفليّ من جسدها على الكنبة أمام التلفاز و...».

توقّف ونظر إلى إريك قبل أن يواصل: «بدا وكأنّ القاتل كان يعلم بأنّ الوالد سيكون في الملعب. كانت تجري مباراة لكرة القدم وكان هو الحكم. انتظر القاتل حتّى صار بمفرده ليقوم بقتله، ثمّ شوّه جثّته بصورة وحشيّة قبل أن يذهب إلى المنزل ويقتل عائلته».

تساءل إريك: «هل حصل الأمر بهذا الترتيب؟».

أجاب المحقّق: «كما فهمته، نعم».

شعر إريك بيده ترتعش وهو يمسح فمه. الأب، الأمّ، الابن، الابنة، فكّر ببطء مع نفسه ثمّ نظر إلى عينَي جونا.

استدرك إريك بصوتٍ متهدّج: «أراد القاتل أن يبيد العائلة برمّتها».

رفع جونا كتفيه، وقال:

«الابنة الكبرى ما زالت مفقودة. إنّها في الثالثة والعشرين. لم نتمكّن من العثور عليها. نحن نفترض أنّ القاتل يلاحقها الآن، لهذا أرغب بالتحدّث إلى الشاهد في أسرع وقت ممكن».

قال إريك: «سأجري فحوصات دقيقة وأرى الممكن».

أومأ جونا: «شكرًا».

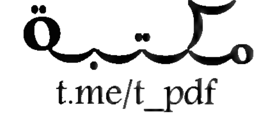
«ولكن، لا يمكننا المخاطرة بحياة المريض».

قال جونا: «أتفهّم ذلك. ولكن كلّما مرّ وقت أطول، كلّما توفّر للقاتل الوقت للبحث عن الابنة».

قالت دانييلا: «بإمكانك أن تقوم بتفحّص مواقع الجريمة خلال هذا الوقت، أليس كذلك؟».

أجاب: «أنا في طريقي لفعل ذلك. لكنّي لا أتوقّع العثور على أي شيء مفيد هناك».

«ماذا تقصد؟».



«سنجد مزيجًا من الحمض النووي لمئات الأشخاص في موقع الجريمة، خاصّة في الملعب».

قال إريك: «سأذهب لرؤية المريض فورًا».

نظر جونا إلى عينيه، أومأ ثمّ قال: «لو تمكّنتُ فقط من أن أسأله بعض الأسئلة، ربما يكون ذلك كلّ ما يتطلّبه الأمر كي ننقذ شقيقته».

3

فجر الثلاثاء، 8 ديسمبر

عاد إريك إلى غرفة المريض، وقف أمام السرير وهو ينظر إلى وجه الضحيّة الشاحب الممزّق. كان الصبيّ يتنفّس بشكلٍ سطحيّ، بدت شفتاه متجمّدتين. نطق إريك اسمه، فرأى وجهه يتقلّصُ قليلًا من الألم.

قال بنبرةٍ هادئة: «جوزيف، اسمي إريك ماريّا بارك، أنا طبيب، وسوف أقوم بفحصك، لا تتردّد بأن تومئ إذا فهمت ما أقوله».

ظلّ الفتى ساكنًا تمامًا. كانت معدته ترتفع وتنخفض ببطء مع كلّ نفس، ولكنّ إريك كان واثقًا من أنّ جوزيف فهم كلّ ما قاله.

حين غادر إريك الغرفة بعد نصف ساعة، كانت دانييلا مع المحقّق بانتظاره.

سأل جونا فورًا: «هل سيكون بخير؟».

«من المبكر قول ذلك ولكنّه...».

قاطعه جونا: «ذلك الصبيّ هو شاهدنا الوحيد. شخصٌ ما قتل والده ووالدته وشقيقته الصغرى، ونحن نعتقد بأنّ القاتل سيسعى لقتل شقيقته الكبرى أيضًا».

قالت دانييلا: «نحن نقدِّر ذلك. ولكن ألا يتوجّب على الشرطة القيام بالبحث عنها الآن عوضًا عن اعتراض طريقنا».

«نحن نبحث، ولكنّنا لم نتوصّل إلى شيء. نحتاج إلى التحدّث مع الصبيّ لأنّه ربما يتمكّن من إعطائنا وصفًا للقاتل».

قال إريك: «قد تمرّ أسابيع قبل أن تتمكّن من استجواب الفتى. عليك أن تنتظر حتّى يصحو».

قال جونا: «ولكن، تحت التنويم المغناطيسيّ...».

عمّ الصمت في الغرفة. فكّر إريك في الثلج الذي كان يتساقط على بحيرة «برونس» حين كان يقود سيّارته بالقرب منها، وكيف كان يتراكم بين الأشجار وفوق المياه الداكنة.

«لا»، همس لنفسه.

«ألن يفيد التنويم المغناطيسيّ؟».

أجاب إريك: «لا أعلم».

«لديّ ذاكرة جيّدة للوجوه. أنت منوّم مغناطيسيّ شهير بإمكانك أن...».

قاطعه إريك: «لقد كنتُ مخادعًا».

قال جونا: «ليس ذلك ما أعتقده. وهذه حالة طارئة».

احمرّت وجنتا دانييلا ونظرت إلى الأرض.

قال إريك: «لا أستطيع».

قالت دانييلا رافعة صوتها: «أنا المسؤولة عن سلامة المريض، ولست أوصي باستخدام التنويم المغناطيسيّ».

سأل جونا: «ماذا لو عرفتِ بأنّه لن يؤذي مريضك؟».

أدرك إريك بأنّ المحقّق كان ينظر للتنويم المغناطيسيّ كحلٍّ مفترض منذ البداية. ولم يكن هذا اقتراحًا مرتجَلًا، فقد طلب منه جونا القدوم إلى المشفى بنيّة إقناعه بأن ينوّم الفتى مغناطيسيًّا، وليس من أجل خبرته في معالجة حالات الصدمة والحوادث.

قال إريك: «عاهدت نفسي بعدم التورّط في موضوع التنويم المغناطيسيّ ثانية».

«حسنًا. سمعت بأنّك كنت الأفضل، ولكن يتعيّن عليّ احترام قرارك».

قال إريك: «أنا آسف».

نظر إلى المريض عبر النافذة، ثمّ استدار نحو دانييلا وسألها إن أعطته «ديزموبريسين».

أجابت: «لقد أرجأت ذلك لوقتٍ آخر».

«لماذا؟».

«بسبب الخوف من التعرّض للخثرة الدمويّة».

قال إريك: «سمعت عن ذلك الجدال، ولا أعتقد بأنّه أمر مهمّ، ما زلت أعطي 'ديزموبريسين' لابني».

مشى جونا بتثاقل. ثم التفت وقال: «سأكون ممتنًّا لو رشّحت لي منوّمًا مغناطيسيًّا آخر».

أجابت دانييلا: «نحن لا نعرف بعد حتّى إن كان المريض سيستعيد وعيه».

«أنا أفترض...».

أضافت وقد ارتعشت زاويتا فمها قليلًا: «هو يحتاج بالتأكيد إلى استعادة وعيه كي يمكن تنويمه مغناطيسيًّا».

قال جونا: «كان يستمع حين تحدّث إريك إليه».

تمتمَت: «لا أعتقد ذلك».

قال إريك: «نعم، لقد سمعني».

واصل جونا: «ما زال بإمكاننا أن ننقذ حياة شقيقته».

قال إريك بهدوء: «سأذهب إلى البيت الآن. أعطي المريض 'ديزموبريسين' وفكّري في احتمال استخدام الحجيرة المرتفعة الضغط».

غادر الغرفة. خلع معطفه الطبّيّ حين كان يجتاز الرواق واستقلّ المصعد. كان هناك الكثير من الأشخاص الآن في ردهة الاستقبال، لم تعد الأبواب مغلقة. حين خرجت سيّارته من موقف السيّارات، تناول علبة خشب صغيرة كان يحتفظ بها في دُرج القفّازات، من دون أن يحيد عينيه عن الطريق. فتح الغطاء الذي رُسم عليه ببّغاء ملوّنة، أخرج ثلاثة أقراص ثمّ ابتلعها بسرعة. عليه أن ينام على الأقلّ لساعتين، قبل أن يوقظ بنيامين ليعطيه حقنته.

4

مساء الاثنين، 7 ديسمبر

قبل سبع ساعاتٍ ونصف، كان وصل بوّاب اسمه كريم محمد إلى صالة «رودستُهاغِه» الرياضيّة. الساعة الثامنة وخمسين دقيقة مساء، وتنظيف غرفة الخزائن كان عمله الأخير لذلك اليوم.

ترك شاحنته الصغيرة في موقف السيّارات، في مكان غير بعيد عن التويوتا الحمراء. الأضواء الكاشفة حول ملعب كرة القدم مطفأة، ولكنّ المصابيح مضاءة في غرفة الخزائن.

حين وصل إلى المبنى الخشبيّ المنخفض، وحاول أن يدير المفتاح في باب غرفة الخزائن الخاصّة بالرجال، اكتشف أنّه غير مقفل أصلًا. طرقَ، ولكن لم يسمع أيّ جواب، لذا فتح الباب. ورأى الدماء على الأرض.

حين وصل رجلا الشرطة، يانّ إريكسون وآرلاند يوركاندر، ذهب الأوّل مباشرة إلى غرفة الخزائن، تاركًا يوركاندر ليستجوب البوّاب.

في البداية اعتقد إريكسون أنّه سمع صوتًا ما، اندفع للداخل وهو يعتقد أنّ الضحيّة قد يكون على قيد الحياة، وحين قلبَ الرجل، أدرك أنّ ذلك مستحيل. كان جسده مشوّهًا -وقد فُقدت ذراعه اليُمنى- كان صدره ممزّقًا بشدّة ممّا جعله يبدو كفوّهة بركان مليئة بالدماء. وصلت سيّارة الإسعاف، وبعد فترة قصيرة وصلت مفتّشة الشرطة، ليليمور بلوم. ساعدتهم المحفظة الملقاة في موقع الجريمة في التعرّف على هويّة الضحيّة أنديش إيك، أستاذ الكيمياء والفيزياء في «مدرسة تومبا الثانويّة». أوضحت السجلّات بأنّه كان متزوّجًا من كاتيا إيك، التي تعمل في «مكتبة هودينْيهْ العامّة». كان يسكن في صفّ المنازل في 8 شارع «ياردِس»، ولديه طفلان يعيشان معه في المنزل، ليسّا وجوزيف.

طلبت المفتّشة بلوم من يوركاندر الذهاب والتحدّث مع عائلة الضحيّة، بينما تتفحّص تقرير إريكسون وتشرف على تطويق مسرح الجريمة.

وصل يوركاندر إلى المنزل في «تومبا» ورنّ الجرس. حين لم يتلقّ جوابًا، توجّه إلى مؤخّرة المنزل، وأضاء مصباحه خلال النافذة. الشيء الأوّل الذي رآه كان بقعة كبيرة من الدم على السجّادة في غرفة المعيشة، ونظّارة طفل ملقاة في المدخل، وبدا كأنّه جُرجرَ شخص ما من غرفة المعيشة إلى خارج الباب الأماميّ. فتح يوركاندر الباب الخلفيّ ودلف وهو شاهر مسدّسه، فتّش المنزل ووجد الضحايا الثلاث. طلب دعمًا مباشرًا من الشرطة والمسعفين، لم يعرف أنّ الفتى ما زال على قيد الحياة.

«يا إلهي! لقد تمّ ذبحهم، لقد ذُبح الطفلان... لا أعرف ما الذي سأفعله، أنا لوحدي وقد قُتلوا جميعهم».

5

مساء الاثنين، 7 ديسمبر

الساعة العاشرة وعشر دقائق مساء. جلس جونا لينا في سيّارته في شارع «دروتينهولمس» حين سمع النداء عبر جهاز إرسال الشرطة. صرخ أحد أفراد الشرطة قائلًا إنّ الطفلين قُتلا، وإنّه وحده، وإنّ الأمّ ميّتة، والجميع موتى. بعد بضع دقائق، أوضح الرجل الذي كان يبثّ النداء من خارج المنزل -وبشكل أكثر هدوءً الآن- أنّ المحقّقة بلوم أرسلته إلى المنزل في شارع «ياردِس» وحده. توقّف يوركاندر فجأة وغمغم شيئًا عن استخدام التردّد الخاطئ ثمّ اختفى.

كانت مسّاحتا النافذة الأمامية للسيّارة تمسحان قطرات المطر عن الزجاج بينما يقود جونا سيّارته ببطء متجاوزًا «كريستينيباريْ». وجد نفسه يتذكّر كيف قُتل والده خلال تأديته للواجب حين فشل الدعم بالوصول إليه.

وقف جونا على جانب الطريق بالقرب من «مدرسة ستيفان»، وكان يشعر بانزعاج شديد من افتقارهم للقيادات الجديرة في «تومبا». لا يجب أن يذهب أيّ ضابط شرطة في مهمّة كتلك وحده. تنهَّد والتقط هاتفه واتصل طالبًا تحويله إلى ليليمور بلوم.

التحقت ليليمور بلوم بأكاديميّة الشرطة في الوقت نفسه مع جونا. بعد فترة التدريب، تزوّجت زميلًا لهم من قسم المراقبة اسمه يركير لوندفيست، رُزقا بعد سنتين بولد سمّياه دانييل. قرّر يركير ألّا يأخذ إجازة من العمل للاعتناء بالطفل، رغم أنّهم وافقوا له على ذلك. خياره ذاك كلّف العائلة خسارة في المال، وكان له تأثير سلبيّ على تقدّم ليليمور المهنيّ. ثم تركها يركير لأجل ضابطة صغيرة السنّ كانت قد

أنهت تدريبها للتوّ، وقد سمع جونا بأنّه كان يلتقي بولده كلّ أسبوعين فقط.

ذكر جونا اسمه حين ردّت ليليمور على الهاتف، فسارعت للمزاح معه. لكن عندما أخبرها بما سمعه عبر جهاز إرسال الشرطة.

أوضحت: «نحن نفتقد لرجال الشرطة جونا. وفي رأيي الخاصّ هناك...».

قاطعها: «ذلك لا يهمّ. رأيك الشخصيّ كان خاطئًا».

«أنت لا تريد الإصغاء».

«أريد ولكن...».

«إذًا اسمع...».

أكمل جونا: «لا يمكنكِ إرساله إلى موقع جريمة وحده».

«هل انتهيت؟».

بعد فترة قصيرة من الصمت، أوضحت ليليمور بأنّها أمرت يوركاندر بإخبار العائلة بخسارتها، وقد قرّر أن يدخل من الباب الخلفيّ بنفسه. بعد الشرح قال لها بأنّها قد فعلت الصواب، واعتذر لعدّة مرّاتٍ ثمّ سألها -على الأغلب بدافع التهذيب- ما الذي حصل بالفعل في «تومبا». أخبرته ليليمور بما قاله يوركاندر حول السكاكين وأدوات المائدة التي تستقرّ في بركة كبيرة من الدم وسط المطبخ، نظّارة الفتاة، آثار الدماء، طبعات الأيدي، مواقع الجثث، الأعضاء البشريّة في المنزل. ثمّ واصلت التوضيح بأنّ أنديش إيك كان تحت مراقبة هيئة الخدمات الاجتماعيّة بسبب إدمانه على القمار، كان يقترض النقود من أحد كبار المرابين في المنطقة، والآن قام قاتل ما بالانتقام من عائلته. وصفت ليليمور كيف عُثِر على جسد أنديش إيك في غرفة الخزائن، وسكّين الصيد والذراع المبتورة في حوض الاستحمام. أخبرت جونا أيضًا بما تعرفه عن العائلة في المنزل، وفي السياق كررت بأنّهم يعانون من نقص في العناصر، ممّا يعني أنّ تفحّص مواقع الجريمة سيتأخّر لبعض الوقت.

قال جونا: «سآتي حالًا».

سألت: «لأيّ شيء؟».
«أريد أن ألقي نظرة».
«الآن؟».
أجاب: «نعم من فضلك».
«عظيم»، قالت بطريقة جعلته يعتقد بأنّها تعنيها حقًّا.

6

مساء الاثنين، 7 ديسمبر

بعد أربع عشرة دقيقة، ظهر جونا في الملعب في «رودستُهاغهْ» في «تومبا». أوقف سيّارته على بُعد مسافة قصيرة من شاحنة البوّاب. كان الجوّ معتمًا، ورقائق الجليد تطير حوله في الهواء، وسيّارتان للشرطة وحافلة صغيرة قد توقّفت قبله في الموقع، وقد تمّ إحاطة المنطقة بأكملها بشريط بلاستيكيّ أزرق وأبيض.

غادر جونا سيّارته ومشى لعدّة خطوات، ثمّ توقّف في موقف السيّارات ونظر من بعيد إلى ملعب كرة القدم المهجور وغرفة الخزائن. لم يكن هناك رجال شرطة على مرمى البصر، ولكن كان هناك صوت أزيز كهربائيّ. سمع حركة ما وصوت خطوات متسارعة إلى يساره فاستدار. كان شخصان يمشيان على الحشائش الطويلة بمحاذاة السياج. تمكّن فقط من تمييز ظلّيْهما القاتمَيْن في الضوء المتسرّب نحوه من مصابيح الشارع البعيدة.

***

أضيئت غرفة الخزائن فجأة بوميض كاميرا فخطا جونا في ذلك الاتّجاه. عبرَ الملعب بخطوات سريعة وأكمل طريقه على الحشائش.

أخذ صوت الأزيز يتعالى، ثمّ تلاشى فجأة، وأُضيئت الكشّافات الكبيرة في ملعب كرة القدم. توهّجت المنطقة برمّتها بضوءٍ أشبه بضوء النهار، لكنّها كانت محاطة بظلمة شتويّة حالكة.

رأى جونا الآن أنّ الشخصين بمحاذاة السياج كانا شرطيّين. الأوّل مشى بسرعة، ثمّ توقّف فجأة، وأخذ يتقيّأ متّكئًا على الجدار. لحق به زميله ووضع يده على ظهره. توجّه جونا إلى غرفة الخزائن. كان الباب

مفتوحًا وعناصر مسرح الجريمة قد وضعوا حصيرةً على الأرض لحماية الأدلّة ومنعها من التلوّث.

راحت الكاميرات تومض مرارًا وتكرارًا.

وقف رجل شرطة كبير في السنّ أمام الباب. توجّه بتحيّة إلى جونا. كانت هناك نظرة إنهاك واضحة في عينيه.

قال لجونا: «لا تدخل إن كانت تنتابك الكوابيس».

«لم أعد أحلم»، أجاب جونا ودلف إلى الداخل.

تصاعدت في الجوّ رائحة عرق عفِن وبَول ودماء حديثة. كان عناصر موقع الجريمة يلتقطون صورًا لحوض الاستحمام، والأنوار المنبعثة من كاميراتهم تضيء غرفة الخزائن، والدم يقطر من السقف.

توقّف جونا وهو يصرّ على أسنانه. نظر إلى الجسد المشوّه المسجّى على الأرض بين المصاطب الخشبيّة والخزائن المعدنيّة المبعوجة. كان الضحيّة رجلًا في منتصف العمر، له شعر خفيف وشاربَيْن موشّحين باللون الرماديّ. وتناثرت الدماء في كلّ مكان: الأرض والأبواب والمصاطب وحتى السقف.

اتّجه جونا إلى أحواض الاستحمام. ألقى التحيّة على فريق مسرح الجريمة بهدوء. اصطدم وميض الكاميرات بالبلاط الأبيض وانعكس على سكّين الصيد الملقاة على الأرض.

كانت ممسحة مطّاطيّة ذات مقبض خشبيّ تتّكئ على الجدار، حافّتها المطّاطيّة تستقرّ في بركة كبيرة من المياه الدامية، مع خصلات من الشعر وأدوات استحمام قديمة وعلبة صابون استحمام فارغة. وقرب مصرف المياه على الأرض، استقرّت ذراع بشريّة كاملة. كان المفصل العاري محاطًا بالغضاريف والعضلات الممزّقة.

وقف جونا بسكون يتفحّص كلّ تفصيل بدقّة. قرأ كيف تناثرت الدماء، شكل واتّجاه قطرات الدم، وقدَّرَ أنّ الذراع المقطوعة قد تمّ ضربها لعدّة مرّاتٍ بالجدار قبل أن تُلقى على الأرض.

«أيّها المحقّق»، ناداه ضابط الشرطة الواقف عند الباب.

اتّجه جونا إلى الخارج وشاهد النظرة القلقة المرتسمة على وجه ضابط الشرطة وهو يتناول جهاز الإرسال. وقال: «نعم».

«هنا ليليمور بلوم، أريدك أن تأتي إلى المجمّع السكنيّ بأسرع وقت ممكن».

سأل جونا: «ماذا حصل؟».

«أحد الطفلين على قيد الحياة. اعتقدنا بأنّه ميّت، لكنّه ليس كذلك...».

7

ليل الاثنين، 7 ديسمبر

كان زملاء جونا لينا في وحدة الجريمة الوطنيّة يكنّون له مزيجًا من الإعجاب والحسد. معظمهم معجبين بجونا وبحسّ دعابته الغريب، لكن بعضهم وجد طبيعته المتحفّظة مزعجة نوعًا ما.

ساعد جونا في حلّ ألغاز جرائم أكثر من أيّ محقّق آخر في اسكندنافيا، وذلك لأنه لا يستسلم. وهذا هو السبب الرئيسيّ لحسد زملائه له. لم يكن ذلك مدعاة للحسد، لأنّ جذور عناد جونا تعود إلى إحساس ذاتيّ عميق بالذنب. ذلك الذنب هو ما يدفعه إلى الإصرار، فلا يحتمل ترك قضيّة من دون حلّ.

لم يكن جونا يتحدّث عمّا حصل، ولكنّ ذكريات ذلك اليوم المأساويّ الذي تحطّمت فيه حياته سترافقه إلى الأبد.

لم يكن يقود بسرعة -عرف ذلك، ولكنّها كانت تمطر والشمس تسطع على برك المياه في الشارع وكأنّها تشتعل من الأسفل. لو فكر في الهرب، فإنه في لحظات صدقه مع نفسه اعتقد بأنّه يستحقّ تلك المعاناة.

مرَّ في طريقه إلى المجمّع السكنيّ بمحاذاة سيّارة إسعاف تتّجه بسرعة إلى مستشفى «هودينيْهْ»، كانت مصابيحها الزرقاء تومض. ثم اختفت السيارة في الضواحي النائمة وتركته لصمتٍ موحش. انعطف باتّجاه شارع «يارِدِس»، أوقف سيّارته وترجّل منها.

كانت ليليمور تدخّن سيجارة تحت مصباح الشارع حين وصل جونا.

مصابيح الشارع أضاءت الفناء الصغير والنوافذ المظلمة. ازدادت قوّة الرياح وأخذت بعض ندف الثلج الجافّة تحطّ على وجهيهما. رفعت ليليمور يدها لتحيّته بفتور. حين اقترب جونا منها لاحظ أنّ وجهها

مغطّى بمسحة من الإرهاق، والكثير من مساحيق التجميل. لطالما رآها جونا جميلة، بأنفها المستقيم ووجنتيها المرتفعتين وعينيها المائلتين.

قالت برقّة: «جونا لينا».

سألها على الفور: «هل سيعيش الصبيّ؟».

قالت وهي تحدّق إلى الجزء في جمرة سيجارتها: «من الصعب التكهّن بذلك. إنّه لأمر مريع! لم أرَ مثل هذا من قبل، وأتمنّى ألّا أراه ثانية أبدًا»،

سألها: «هل بدأتِ التحقيق؟».

هزّت رأسها نافية، وزفرت نفحة من الدخان.

قال: «سوف أتولّى ذلك».

«في هذه الحالة سأعود إلى البيت وأحظى ببعض النوم».

قال مبتسمًا: «يبدو ذلك ممتعًا».

مازحته: «تعال معي إذًا».

«سوف أدخل وألقي نظرة، ثمّ سأرى إن كان بإمكاني التحدّث إلى الفتى».

«هل تريد أن أتّصل بالمختبر ليتواصلوا مع مستشفى 'هودينْيهْ'؟».

أجاب جونا: «ذلك سيكون جيّدًا».

رمت ليليمور عقب سيجارتها على الأرض ثمّ داسته بقدمها.

سألت: «ما الذي ستفعله هنا تحديدًا إذًا؟».

«بإمكانك طلب المساعدة من وحدة الجريمة الوطنيّة، ولكنّي أشكّ في أنّهم يمتلكون الوقت لهذا، لا أعتقد أنّهم سيكتشفون الذي حصل هنا على أيّة حال».

«ما الذي ستفعله إذًا؟».

تمتم جونا: «سنرى».

تجاوز الفناء الصغير. رأى درّاجة مع عجلات تدريب تتّكئ على صندوق للرمل. ورأى مشواة مخزونة في منزل اللعب خلال فصل الشتاء. ارتقى الدرج، وأضاء مصباحه الكاشف، ودخل من الباب.

حاول أن يسكّن روعه، ثمّ شرع في استكشاف مسرح الجريمة. كانت الغرف المظلمة مسرحًا لمشهد فظيع، وبعد بضع خطوات شرع «الأدرينالين» يتدفّق في جسده وأخذ قلبه يخفق بشدّة.

أجبر جونا نفسه على التركيز. انتبه لكلّ تفصيل مريع، حتّى شعر بأنّه لم يعد يحتمل المزيد. توقّف للحظات. أغلق عينيه. تذكّر خطيئته، وواصَل استكشاف المنزل.

في البقعة الضوئيّة الضيّقة والباردة التي كان يبثّها مصباحه الكاشف، شاهد جونا كيف جُرجرت الجثث على الأرض، وتناثر الدم على الجدران وموقد الغاز والتلفاز. رأى الأثاث المقلوب، والأدوات المعدنيّة على أرض المطبخ، والدم على الخزائن والفرن، وآثار الأرجل والأيدي الملطّخة بالدماء.

حين وقف أمام جسد الفتاة الصغيرة المقطّع انسابت الدموع على وجنتيه. لكنّه وقف بثبات وراقب كلّ شيء وهو يتخيّل الصراخ والعنف بأدقّ تفاصيله.

جرائم القتل تلك لم تكن بسبب تحصيل ديون قمار. ذلك لا يبدو منطقيًّا. كان جونا مقتنعًا بأنّ الأب قُتل أوّلًا. الأب أوّلًا ثمّ عائلته.

تنفّس جونا بثقل وهو يصرّ على أسنانه.

لم يكن متأكّدًا لماذا، لكنّه كان واثقًا من أنّ الأب هو الضحيّة الأولى. شخص ما أراد أن يبيد العائلة بأكملها، وربّما اعتقد بأنّه نجح في ذلك.

8

ليلة الاثنين، 7 ديسمبر

غادر جونا المنزل وخرج إلى الهواء البارد. تخطّى الشريط المطّاطيّ الأبيض والأزرق الذي كان يرتعش بفعل الرياح، وعاد إلى سيّارته.

يجب التحدّث مع الشاهد الوحيد الباقي على قيد الحياة، فكّر.

اتّصل بالمستشفى في «هودينْيهْ»، وعرف أن جوزيف إيك نُقل إلى قسم جراحة الأعصاب في مستشفى «كارولينسكا» الجامعي في «سولنا»، وأن الفريق الجنائيّ من «لينشوبينغ» قام بجمع الأدلّة عن جسد الفتى، ومنذ ذلك الوقت تدهور وضعه الصحّيّ.

وصل جونا إلى وحدة العناية المركّزة في «كارولينسكا» بعد الساعة الثانية صباحًا بقليل. وبعد خمس عشرة دقيقة من الانتظار ظهر الطبيب المناوب.

«لا بدّ من أنّك المحقّق لينا. آسفة على جعلك تنتظر. أنا الدكتورة دانييلا ريتشاردز».

«كيف حال الصبيّ أيّتها الطبيبة؟».

أجابت: «إنّه في حالة صدمة الدورة الدمويّة».

«ما الذي يعنيه ذلك؟».

«فقد الكثير من الدماء. قلبه يحاول أن يعوّض ذلك، لهذا فهو ينبض بسرعة...».

«هل تمكّنتِ من السيطرة على النزف؟».

«أعتقد. آمل ذلك. إنّه يتلقّى الآن المزيد من الدم، ولكنّ نقص الأوكسجين في جسده سيؤدّي إلى تراكم الفضلات، ما يجعل دمه حمضيًّا، وذلك قد يدمّر أعضاءه».

«هل استعاد وعيه؟».

«لا».

«أحتاج إلى مقابلته فور استعادته وعيه».
«أيّها المحقّق، إنّ مريضي يتشبّث بالحياة بأظافره، وحتّى لو تمكّن من تجاوز جروحه فلن تتمكّن من استجوابه إلّا بعد أسابيع».
قال جونا: «إنّه الشاهد الوحيد على جرائم قتلٍ متعدّدة. أليس بإمكانك فعل أيّ شيء؟».
«الشخص الوحيد الذي قد يتمكّن من تسريع عمليّة شفاء الصبيّ هو إريك ماريّا بارك».
سأل جونا: «المنوّم المغناطيسيّ؟».
ابتسمت واحمرّت وجنتاها قليلًا: «لا تناده بذلك الاسم لو رغبت في مساعدته. إنّه الخبير الأفضل لدينا في حالات الصدمات والحوادث».
«هل لديك أيّ اعتراض على فكرة استشارته؟».
أجابت: «لا أبدًا. كنتً أفكّر في ذلك بنفسي».
أدرك جونا أنّه ترك هاتفه في السيّارة. سأل لو بإمكانه استعارة هاتف دانييلا. بعد أن شرح الوضع لإريك ماريّا بارك، اتّصل بسوسان غرانات من قسم الخدمات الاجتماعيّة، وأوضح لها بأنّه يأمل أن يتمكّن من التحدّث مع جوزيف إيك قريبًا. أوضحت له سوسان بأنّ العائلة كانت على سجلّ الخدمات الاجتماعيّة لأنّ الأب عانى من مشاكل بسبب القمار، ثمّ أوضحت بأنّه كانت لديهم بعض المشاكل مع الابنة قبل ثلاثة أعوام.
سأل جونا: «مع الابنة؟».
أوضحت سوسان: «الابنة الكبرى».
سأل جونا على الفور: «إذًا هناك طفل آخر؟».
«نعم، اسمها إيڤلين».
أنهى جونا المكالمة ثمّ اتّصل مباشرة بزملائه في قسم المراقبة، وطلب منهم أن يحدّدوا مكان إيڤلين إيك موضحًا أنّ الموضوع طارئ للغاية، وأنها قد تكون معرَّضة لخطر القتل. لكنّه أضاف أنّه لا يمكنهم استبعاد احتمال أن تكون خطيرة، وربّما متورّطة في جريمة قتل ثلاثيّة.

9

صبيحة الثلاثاء، 8 ديسمبر

طلب جونا شطيرة كبيرة من اللحم المملّح مع جبنة البارميزان والطماطم المجفّفة من «كافيه إيل» في شارع «بيرغس». كان الوقت مبكرًا في الصباح والمقهى قد فتح لتوّه، ولم يتوفّر الوقت للفتاة التي سجّلت طلبه أن تحضر الخبز بعد.

في الليلة السابقة، قبل أن يتوجّه إلى المنزل ليحظى ببضع ساعات من الراحة، اتّصل بقسم المراقبة ثانية.

سأل: «هل وجدتم إيڤلين؟».

«لا».

قال جونا: «أنتم تعلمون أنّ علينا العثور عليها قبل القاتل».

«نحن نحاول ولكن...».

قاطعهم جونا: «حاولوا بجهدٍ أكبر»، ثمّ أضاف بصوت أكثر لطفًا، «قد نتمكّن من إنقاذ حياة الفتاة».

انتظر فطوره وهو يحدّق إلى بناية مجلس المدينة من خلال النافذة المغطّاة بالضباب. كان المطر المتجمّد يهطل بقوّة حين أسرع نحو شارع «بيرغس» حاملًا الكيس الذي يحوي شطيرته الساخنة في إحدى يديه، وحقيبته الرياضيّة مع مضرب الهوكي المتدلّي منها باليد الأخرى.

قال جونا لبيني روبن على الهاتف: «سوف نلعب مع فريق المراقبة هذه الليلة، وسوف نفوز بالتأكيد، كما في كلّ مرّة».

كان فريق «وحدة الجريمة الوطنيّة» يخسر دائمًا مع وحدات «شرطة الجوار»، شرطيي السير، الشرطة البحريّة، قسم «الاستجابة الوطنيّة»، قوّات مكافحة الشغب، «الشرطة الأمنيّة». لكنّ ذلك أعطاهم عذرًا جيّدًا كي يثملوا بعد الخسارة.

كان مبنى القيادة العامّة للشرطة نحاسيًّا داكنًا ولامعًا، يبدو وكأنّه تحت الماء. لم تكن هناك درّاجات مركونة على الحاجز الطويل المجاور لقسم استجواب المعتقلين، وتدلّت الأعلام رطبة من الصواري. هرول جونا بين الأعمدة المعدنيّة وتحت القبّة الزجاجيّة المغطّاة بالصقيع، حيث قام بتنظيف حذائه من الثلج قبل أن يدلف عبر مدخل «قيادة الشرطة الوطنيّة».

«وحدة الجريمة الوطنيّة» هي المسؤولة عن مكافحة الجرائم الخطيرة في داخل وخارج البلاد، وقد عمل جونا هناك لفترة تسع سنوات.

خلع قبّعته وهو يجتاز الردهة. حدّق إلى الملصقات على لوحة الإعلانات حين مرّ إلى جوارها: دروس اليوغا، شاحنة صغيرة معروضة للبيع، معلومات بخصوص النقابة وتغيير وقت التدريب في نادي الرماية. الأرضيّة التي نُظّفت في يوم الأربعاء بدت قذرة جدًّا.

كان باب مكتب بيني روبن نصف مفتوح. الرجل الستّينيّ ذو الشارب الأشيب الرماديّ والبشرة المتضرّرة من الشمس هو أحد أفراد الفريق الذي حقّق في قضيّة مقتل رئيس الوزراء أولوف بالمه، ولكنّه يعمل الآن في وحدة الاتّصالات المركزيّة، ويقوم بتحويل موجات الاتّصال إلى نظام جديد اسمه «ر.ا.ك.ي.ل». كان بيني يجلس إلى حاسوبه مع سيجارةٍ خلف أذنه، ويطبع ببطء موجع.

قال: «لديّ عينان في مؤخّرة رأسي».

مازحه جونا: «ربّما يفسّر هذا سبب طباعتك بصورة سيّئة».

رأى جونا أنّ آخر ما وضعه بيني من ملصقات هو إعلان عن الخطوط الجوّيّة «ساس»، وفيه صورة لشابّة مثيرة ترتدي ملابس سباحة وتحتسي عصير الفواكه بقشّة ماصّة. تضايق بيني كثيرًا حين مُنعت الروزنامات التي تحوي صور النساء الجميلات، والتي كان معظم الأشخاص يتوقّعون وجودها على لوح ملاحظاته، فكرّس نفسه لتنفيذ احتجاجه الصامت العنيد على ذلك. كان يقوم في اليوم الأوّل من كلّ شهر، ولعدّة سنوات، بتغيير مواقع الأثاث في مكتبه. لم يكن يخالف

اللوائح بتعليق إعلانات للخطوط الجوّيّة، أو صور أبطال التزلّج مع أرجلهم المتباعدة، أو ملصقات اليوغا، أو إعلانات الملابس الداخليّة من «إتش أند أم». تذكّر جونا ملصقًا للعدّاء غايل ديفيرز وهو يرتدي سروالًا قصيرًا، وإحدى لوحات إيغون شيل، التي تصوّر امرأة حمراء الشعر ترتدي سروالًا مزركشًا.

توقّف جونا لإلقاء التحيّة على مساعدته وزميلته آنيا لارشون. وجدها تجلس أمام حاسوبها وفمها نصف مفتوح، وقد غطّى وجهها المستدير تعبير يدلّ على التركيز العميق، فقرّر ألّا يزعجها. توجّه إلى مكتبه، وعلّق معطفه المبلّل خلف الباب. نظر إلى بريده الإلكترونيّ: مذكّرة بخصوص السياسة المكتبيّة، عرض لمصابيح تستهلك طاقة منخفضة، استدعاء من مكتب المدّعي العامّ، ودعوة لحضور عشاء عيد الميلاد في «سكانسِن» في متحف الهواء الطّلق.

غادر مكتبه وتوجّه إلى قاعة الاجتماعات. جلس في مكانه المعتاد وفتح شطيرته.

على اللوح الأبيض المعلّق على الجدار كانت الكلمات: ملابس، ملابس واقية، أسلحة، غاز مسيّل للدموع، أجهزة اتّصالات، مركبات الدعم التقنيّ، القنوات وقوّة الإشارة، صمت جهاز الإرسال، الرموز والاتّصالات.

كان بيتر ناسلوند، رئيس جونا، يقف في الرواق ويضحك مع نفسه. هو رجل أصلع في منتصف الثلاثينيّات يعتدّ بعضلاته المنتفخة. الجميع يعرف أنّ جونا أكثر كفاءة منه، لكنّه لم يكن يومًا مهتمًّا بالمنصب الإداريّ أو بالألقاب الرنّانة.

استمرّ بيتر ولعدّة سنوات بملاطفة ماغدالينا روناندير من دون أن يلتفت لانزعاجها ومحاولاتها الثابتة لتوجيه الحوار إلى مسائل أكثر مهنيّة. عملت ماغدالينا مفتّشة في قسم المراقبة للسنوات الأربع السابقة، وكانت تتمنّى أن تنهي كلّيّة الحقوق قبل أن تبلغ الثلاثين من العمر.

خفض بيتر صوته وسأل ماغدالينا عن خيارها المفضّل من أسلحة الخدمة، وكم مرّة قامت بتغيير الأسطوانة، لأنّ أخاديد سلاحها تبدو، كما قال، شبه مهترئة. أوضحت وهي تتظاهر بعدم فهمها لكلامه السمج، ذي المعاني المزدوجة، بأنّها تراقب دومًا عدد الطلقات المستخدمة، وتتصرّف وفقًا لذلك.

قال بيتر: «لكنّك تحبّين الأشياء القاسية، أليس كذلك؟».

أجابت: «لا، أبدًا. أنا متمّسكة بمسدّسي غلوك 17. ربّما بسبب ذخيرته التسعة ملليمتر التي تعود إلى الجيش».

«أنت لا تستخدمين السلاح التشيكيّ؟».

قالت: «بل أفعل، ولكنّي أفضّل أم 39 بي».

توجّه الاثنان إلى غرفة الاجتماعات ووجها تحيّة إلى جونا.

تابعت ماغدالينا: «كما أنّ مسدّس غلوك لديه فتحة لتسريب الغازات بالقرب من علامة التصويب. ذلك يشكّل فرقًا كبيرًا في سرعة ارتداد السلاح، ويمكّنك من إطلاق الرصاصة الثانية بصورة أسرع بكثير».

سأل بيتر: «ما الذي يعتقده مومينترول[1] الخاصّ بنا؟».

ابتسم جونا بلطف، وبدت عيناه الرماديّتان الشاحبتان صافيتين كالجليد. أجاب بلكنته الفنلنديّة: «إنّ طراز المسدّس غير مهمّ، هناك عوامل أخرى تحدّد الأداء النهائيّ».

ابتسم بيتر: «إذًا، أنت لست بحاجة إلى إطلاق الرصاص؟».

قالت ماغدالينا: «جونا جيّد في إصابة الهدف».

تنهّد بيتر: «إنّه جيّد في كلّ شيء».

تجاهلت ماغدالينا بيتر، واستدارت نحو جونا: «الميزة العظمى في سلاح غلوك هي عدم رؤية الغازات القادحة في الأسطوانة حين يكون المحيط مظلمًا».

(1) شخصيّة كرتونيّة سويديّة شهيرة تتّصف بأنّها مسالمة وطيّبة القلب.

قال جونا بهدوء: «هذا صحيح».

بدت سعيدة وهي تفتح حافظتها الجلديّة السوداء، وتفتّش بين أوراقها. حضر بيني وجلس. نظر نحو الجميع، ثمّ ضرب براحة يده بقوّة على الطاولة، كي يعمّ الهدوء في القاعة، ابتسم حين نظرت ماغدالينا نحوه باضطراب.

قال جونا: «لقد تولّيت القضيّة في 'تومبا'».

سأل بيتر: «أيّ قضيّة تلك؟».

أجابه: «عائلة كاملة قُتلت طعنًا».

قال بيتر: «ذلك ليس له علاقة بقسمنا».

«أعتقد أنّنا نتعامل مع قاتل متسلسل أو على الأقلّ...».

قاطعه بيني: «يا إلهي!». نظر إلى عينيّ جونا، وضرب بيده على الطاولة ثانية. ثمّ تابع: «هو أمر شخصيّ خرج عن السيطرة. إنّها مشكلة ديون قمار. من الآخر، القتيل شخص معروف في صالات 'سولڤالا' للقمار».

أكّد بيني: «مدمن على القمار».

استنتج بيتر: «اقترض النقود من عصابة إجرام محلّيّة ودفع الثمن».

عمّ الصمت. شرب جونا بعض الماء، وقضم من شطيرته. وقال:

«لديّ إحساس غريب بشأن هذه القضيّة».

قال بيتر مبتسمًا: «حسنًا ربّما يتعيّن عليك أن تطالب بنقلك إلى قسم آخر. هذه ليست قضيّة لوحدة الجرائم الوطنيّة».

«أعتقد أنّها كذلك».

قال بيتر: «قد تفكّر بالانضمام إلى قوّات الشرطة المحلّيّة في 'تومبا' إذا رغبت بتولّي تلك القضيّة»..

أصرّ جونا: «سأقوم بالتحقيق في تلك الجرائم».

قال بيتر: «هذا القرار يعود إليّ».

دخل إينيڤِه سڤينسون وجلس. شعره المزيّت مسرّح إلى الوراء،

ولديه هالتان زرقاوان مائلتان للرماديّ تحت عينيه، ويرتدي بزّته السوداء المجعّدة المعتادة.

قال بيني بسعادة: « إينيڤوي!».

كان إينيڤِه أحد أهمّ الخبراء في الجريمة المنظّمة، والمسؤول عن وحدة التحليلات، كما يشترك في العمل مع الإنتربول.

سأله بيتر: «ما الذي تعتقده حول 'تومبا'؟ كنت تتفحّص التقرير توًّا. أليس كذلك؟».

أجاب: «نعم، تبدو تلك كقضيّة محلّيّة. ذهب محصّل الديون إلى المنزل معتقدًا أنّ الأب سيكون هناك، لكنّ الأب كان قد كُلّف بالتحكيم في مبارة لكرة القدم. ربّما كان محصّل الديون تحت تأثير المخدّرات-'سبيد' أو 'روهيبنول' ربّما، أراهن على ذلك، ثمّ أغضبه شيء ما فهاجم العائلة بسكّين للقوّات الخاصّة كي يتمكّن من العثور على الشخص المطلوب، ربّما أخبروه بالذي كان يريد معرفته، ولكنّه فقد السيطرة على أعصابه وقتلهم قبل التوجّه إلى الصالة الرياضيّة».

ابتسم بيتر بغطرسة. شرب بعض الماء. تجشّأ واضعًا يده على فمه، ثمّ نظر إلى جونا قائلًا: «ما رأيك بهذا التحليل؟».

أجاب جونا: «سيكون جيّدًا جدًّا لو لم يكن خاطئًا تمامًا».

قال إينيڤِه مدافعًا عن نفسه: «ما الخطأ فيه؟».

ردّ جونا بهدوء: «قتل المجرم الرجل في الملعب أوّلًا. ثمّ ذهب إلى المنزل، وقتل البقيّة».

قالت ماغدالينا: «ما يعني بأنّ الأمر لا يتعلّق بسداد دين».

تمتم إينيڤِه: «حسنًا يتوجّب علينا أن نرى نتيجة التشريح».

أجاب جونا: «سيثبتون أني على صواب».

«عليك اللعنة!»، قال إينيڤِه متنهّدًا، وتناول حفنة من التبغ ودسّها تحت شفته العليا.

قال بيتر: «جونا لن أدعك تتولّى هذه القضيّة».

«أعرف ذلك»، تنهّد جونا ثمّ نهض عن الطاولة.

سأل بيتر: «أين ستذهب؟ لدينا اجتماع».

«أحتاج إلى التحدّث مع كارلوس».

«ليس عن هذا».

أجاب جونا: «بل عنه». ثمّ غادر الغرفة.

صرخ بيتر: «توقّف! وإلّا فسوف...».

لم يستمع جونا إلى التهديد. أغلق الباب خلفه بهدوء ثمّ ابتعد. وجّه تحيّة لآنيا حين حدّقت إليه بفضول من فوق شاشة حاسوبها.

«ألن تنضمّ إلى الاجتماع؟»، سألت.

«بلى»، أجاب وهو يتّجه نحو المصعد.

10

صباح الثلاثاء، 8 ديسمبر

يقع مكتب كارلوس إيليّاسون، رئيس وحدة الجرائم الوطنيّة في الطابق الخامس. بابه موارب وكالعادة، شبه مغلق أكثر من كونه مفتوحًا.

قال كارلوس وهو ينقر على حافّة حوض السمك: «تفضّل بالدخول. أنا بحاجة إلى إطعام صغاري فقط».

ابتسم حين سبحت الأسماك إلى السطح، ثمّ نثر بعض طعام السمك على سطح الماء. «وهناك المزيد لكِ أيضًا»، همس.

قاد كارلوس سمكة الجنّة الصغيرة إلى حافّة الحوض، وأسقط لها بعض الفتات، ثمّ استدار ليقول بنبرةٍ ودودة: «طلب قسم جرائم القتل أن تساعدهم في قضيّة القتل في 'دالارنا'».

«بإمكانهم حلّها بأنفسهم».

«يبدو أنّهم لا يعتقدون ذلك. كان تومي كوفود هنا وطلبك شخصيًّا».

قال جونا: «ليس لديّ الوقت لهذا».

جلس أمام كارلوس. كانت الغرفة تفوح برائحة الجلد والخشب المنعشة، وضوء الشمس ينعكس على حوض السمك ويتراقص على سطح المكتب.

قال جونا: «أودُّ أن أتولّى قضيّة 'تومبا'».

رمقه كارلوس بنظرة مضطربة. ثم قال بحذر:

«اتّصل بي بيتر ناسلوند قبل بضع دقائق، وهو على حقّ، تلك ليست قضيّة لوحدة الجريمة الوطنيّة».

أصرّ جونا: «بل أعتقد أنّها كذلك».

«لو كان جامعو الديون هؤلاء مرتبطين بمنظّمة إجراميّة عالميّة فقط جونا».

«الأمر لا يتعلّق بتحصيل ديون».
«لا؟».
قال جونا: «هاجم القاتل الرجل أوّلًا. ثمّ ذهب إلى المنزل كي يقضي على بقيّة العائلة. أراد أن يبيدهم جميعًا. وسيلجأ إلى ملاحقة الابنة الكبرى، وسيجد الصبيّ أيضًا لو تمكّن من النجاة».
قال كارلوس مشكّكًا، «حقًّا! وكيف لك أن تعلم هذا؟».
«آثار الخطوات في الدماء كانت قريبة إلى بعضها البعض في المنزل...».
«ما الذي تعنيه؟».
انحنى جونا للأمام: «كانت هناك آثار أقدام في كلّ مكان ولم أقم بقياسها، ولكنّي تفحّصت طبعات الأقدام في غرفة الخزائن، فبدت أكثر قوّة، بينما أظهرت الخطوات في المنزل بعض الإرهاق».
قال كارلوس ببرود، «ها قد بدأنا. أنت تعقّد الأمور مرّة أخرى».
أجاب جونا: «ولكنّي على حقّ».
هزَّ كارلوس رأسه: «لا أعتقد أنّك كذلك. ليس هذه المرّة».
«بل أنا كذلك».
استدار كارلوس نحو السمك، وقال كأنه يحدّثها:
«جونا لينا هذا هو أعند شخص قابلته في حياتي».
«ولكن كيف تتخلى عن أمر، بينما تعرف أنّك على حقّ؟».
أوضح كارلوس: «لا أستطيع أن أتجاوز بيتر وأسلّمك القضيّة لأنّ لديك إحساس بأمر ما».
«بل تستطيع ذلكً».
«يعتقد الجميع أنّها قضيّة تصفية حسابات بشأن ديون قمار».
سأل جونا: «أنت أيضًا؟».
«نعم، بالطبع أنا أيضًا».
أصرّ جونا: «آثار الأقدام في المنزل تدلّ على أنّ الرجل قُتل أوّلًا».

سأل كارلوس: «أنت لا تستسلم أبدًا، أليس كذلك؟».

هزّ جونا كتفيه وابتسم.

«سأتّصل بقسم الطبّ الشرعيّ»، تمتم كارلوس وهو يتناول الهاتف.

«سيؤكّدون بأنّي على حقّ»، قال جونا ناظرًا إلى الأرض.

يعرف جونا نفسه. إنّه رجل عنيد، ويعرف أنّ عليه الاستمرار بعناده إن كان على قناعة بما يدافع عنه. لا يمكنه الاستسلام.

قبل عدّة أعوام، خسر جونا والده.

ربّما كان ذلك هو الوقت الذي ابتدأ فيه كلّ شيء.

كان إيرجو لينا ضابطًا مسؤولًا عن العنف الأسريّ في قسم شرطة «مارستا». كان في الخارج في شارع «أوبسالا»، إلى الشمال من مستشفى «لوڤنسترومسكا»، حين ورده اتّصال، وتمّ إرساله إلى شارع «هاماربي» في «أوبلاندس ڤاسبي». اتّصل أحد الجيران بالشرطة قائلًا إنّ أطفال أولسون يتعرّضون للضرب ثانية. كانت السويد البلد الأوّل في العالم الذي منع العقاب الجسديّ للأطفال، وقد وُجِّهت الأوامر للشرطة من «أكاديميّة الشرطة الوطنيّة» بأن يتعاملوا مع هذا الأمر بشكل جادّ. قاد إيرجو سيّارته إلى الفناء الأمامي وأوقفها خارج الباب ثمّ انتظر زميله جوني انديرشين. بعد عدّة دقائق اتّصل به، فأخبره أنه يقف في صفّ لشراء النقانق. كان إيرجو رجلًا طيب القلب، ويعلم أنّ القوانين تقتضي تواجد شخصين في مواجهة كتلك، ولكنّه تجاوز الأمر. لم يقل أيّ شيء رغم علمه أنّ لديه الحقّ في طلب الدعم. صعد إيرجو الدرج إلى الطابق الثالث ورنّ الجرس. فتحت فتاة الباب. سألها أن تخرج إلى البهو، ولكنّها هزّت رأسها وركضت عائدة إلى الشقّة. تبعها إيرجو إلى غرفة المعيشة. طرقت الفتاة على الباب المؤدّي إلى الشرفة. اكتشف جونا أن هناك طفلًا يقف في الشرفة، ولا يرتدي شيئًا سوى حفّاظ. بدا في الثانية من العمر تقريبًا. ركض إيرجو عبر الغرفة كي يُدخل الطفل. كان الرجل الثمل يجلس بسكون تامّ على الأريكة خلف الباب. توجّب

على إيرجو استخدام كلتا يديه كي يفتح مزلاج الباب ويدير المقبض. توقّف فقط حين سمع طقطقة بندقيّة الصيد، ثمّ انطلقت الطلقات واخترقت ستّ وثلاثون كرة من الرصاص ظهره وقتلته فورًا.

كان على جونا ذي الأحد عشر عامًا ووالدته، ريتفا، أن ينتقلا من شقّتهما المضيئة والحسنة التهوية في وسط «مارستا» إلى شقّة خالته ذات الغرف الثلاث في «فريدهيل» في ستوكهولم. حين تخرّج من الثانويّة تقدّم إلى أكاديميّة الشرطة. ما زال يفكّر في زملائه في الأكاديميّة. في هدوء الأشهر الأولى، بدا أنّهم لا يفعلون أيّ شيء سوى الركض في المروج العشبيّة الواسعة. ثمّ في سنواته الأولى كضابط شرطة. قام جونا بدوره في الأعمال المكتبيّة كما خدم في قسم التخطيط وفي النقابة. قام بتنظيم المرور خلال «ماراثون ستوكهولم»، وكتب تقارير مئات حوادث السير. شعر بالإحراج ذات مرّة حين قام أحد مشجّعي كرة القدم الهمجيّين بمضايقة زميلاته بغناء بذيء: «ما الذي ستفعلينه بتلك العصا ليلًا يا عزيزتي؟ دخول وخروج، دخول وخروج». وجد العديد من مدمني «الهيروين» الموتى، حاول أن يتفهّم لصوص المتاجر الصغيرة، ساعد المسعفين مع الثملين المتقيّئين، تحدّث إلى العديد من العاهرات المذعورات وهنّ يرتجفن خلال الفترة الانسحابية من المخدّرات، ألقى القبض على مئات الرجال الذين يسيئون معاملة زوجاتهم وأطفالهم- كانت المشاكل متشابهة دومًا، ثمل ومتسلّط، تشغيل المذياع، الستائر مغلقة- أوقف سائقين يقودون وهم ثملون، صادر الأسلحة والمخدّرات والكحول المهرّبة. ذات مرّة شاهد رجلًا همجيًّا يمسك بشعر امرأة مسلمة خارج «مدرسة كلاستورب»، بالرغم من أنّه كان يعاني من ألم في ظهره، طارد ذلك الهمجيّ على ضفة النهر، وعبر المتنزه، حتّى جسر «ويسترن»، ثمّ عبر «لونغهولمُن» و«سوديرمالم»، قبل أن يقبض عليه أخيرًا عند الإشارة الضوئيّة في شارع «هوغاليدز».

من دون أيّ رغبة في التزلّف، ترقّى جونا إلى أعلى المراتب. لقد

أحبّ عمل التحرّيّ ولم يكن يستسلم أبدًا. لم يكن مهتمًّا أبدًا بأن يترأّس أحد، وقد رفض ترقيته إلى رئيس لوحدة جرائم القتل الوطنيّة بالرغم من كونه متميّزًا جدًّا في قضايا القتل المعقّدة.

أصبح شهيرًا خلال سنته الأولى كمحقّق، حين طارد وألقى القبض على القاتل المتسلسل يورِك والتر.

بالنسبة إلى جونا، كلّ تحقيق مهمّ. لم يكن ليتراجع مطلقًا، ولم يكن يحتمل أن ينظر زملاؤه إلى آلام الآخرين وخوفهم كشيء روتينيّ.

أصغى جونا إلى كارلوس إيليّاسون وهو يتحدّث مع البروفيسور نيلس أولِيان المعروف بالإبرة، وهو رئيس قسم علم الأمراض في ستوكهولم.

«لا، أحتاج إلى معرفة أيّ جريمة وقعت أوّلًا فقط»، قال كارلوس، ثمّ أصغى للحظات وأضاف: «أنا أتفهّم ذلك. نعم. بالتأكيد أتفهّم ذلك... لكن، بالاستناد إلى تقييمك الأوّليّ ماذا قد تقول؟».

استرخى جونا على كرسيّه. حكّ شعره الأشقر المبعثر. راقب وجه رئيسه وهو يزداد احمرارًا، بينما كان يصغي إلى صوت نيلس أولِيان الثابت. بعدئذ، عوضًا عن الردّ، أغلق الهاتف من دون أن يقول إلى اللقاء.

«إنّهم... إنّهم...».

قال جونا: «لقد قرّروا بأنّ الأب قُتل أوّلًا».

أومأ كارلوس: «يبدو ذلك».

ابتسم جونا: «هذا ما قلته؟».

نظر كارلوس إلى الأسفل ثمّ تنحنح. قال: «حسنًا أنت مسؤول عن التحقيق. إنّ قضيّة ’تومبا‘ لك».

«وماذا؟»، سأل جونا بنبرة جادّة.

«ماذا؟».

«من الذي كان على حقّ؟ من كان على حقّ؟ أنا أم أنت؟».

صرخ كارلوس: «أنت. لأجل الربّ جونا! كنت على حق والتحقيق لك».

كانت الابتسامة على شفتيه وهو ينهض. قال:

«لم تتمكّن وحدة المراقبة من تحديد مكان إيڤلين إيك. قد تكون في أيّ مكان. أنا حقًّا لا أعرف ما الذي سنفعله لو لم نحصل على الإذن للتحدّث مع الفتى. من دون مساعدته سوف يستغرق الأمر طويلاً وربّما سيكون قد فات الأوان».

«هل تودّ استجواب الفتى؟»، سأل كارلوس.

«هذا ضروري».

«هل تحدّثت مع المدّعي العامّ؟».

«لن أقوم بتسليم التحقيق قبل أن أحصل على مشتبَه به».

قال كارلوس: «لا. لم يكن ذلك ما قصدته، من الجيّد أن يكون المدّعي العامّ إلى جانبك لو كنت ستتحدّث إلى شخص مصاب بجروح بليغة كذلك الصبيّ».

«حسنًا. نصيحة جيّدة كالعادة. سوف أتّصل بينس»، قال جونا ثمّ خرج.

11

صباح الثلاثاء، 8 ديسمبر

كان إريك ماريّا بارك قد عاد لتوّه إلى المنزل بعد لقاء جونا لينا في المستشفى. أُعجب إريك بجونا نوعًا ما، رغم محاولته إقناع إريك أن يكسر وعده بألّا يمارس التنويم المغناطيسيّ ثانية. قد يكون اهتمام المحقّق الواضح بشقيقة الصبيّ الكبرى هو ما جعله ملحًّا إلى تلك الدرجة، ربّما القاتل يطاردها الآن.

دخل إريك إلى غرفة النوم. نظر إلى زوجته سيمونا في الفراش. إنّه متعبٌ للغاية الآن، وقد ابتدأ مفعول أقراص الدواء التي تناولها. كانت عيناه ثقيلتين ومحتقنتين. انقضى معظم الليل منذ أن غادر. استولت سيمونا على السرير بكامله. تمدّدت على بطنها، ودفعت الأغطية بعيدًا. غمغمت بشيء ما ثمّ التفتت وغفت.

«سوف أذهب لأستحمّ»، قال وهو يستلقي.

«ما كان اسم رجل الشرطة؟»، سألته بريبة.

لم يجب. وجد نفسه في المتنزه في «أوبزيرفاتوريلوندِن». كان يحفر في صندوق للرمال ووجد حصاة صفراء مستديرة كبيضة وكبيرة كثمرة يقطين. وبينما هو يحفر بيديه شاهد صفًّا من الأسنان الحادّة على أحد جوانب الحصاة، وحين قلب الصخرة الثقيلة أدرك بأنّها جمجمة ديناصور.

«اللعنة عليك»، صرخت سيمونا.

انتفض مستيقظًا وأدرك بأنّه غفا وابتدأ يحلم. كان تأثير الأقراص جعله ينام. حاول أن يبتسم ويواجه نظرة سيمونا الباردة.

«سيمونا ما الأمر؟».

«هل ابتدأت ثانية؟».

«ماذا؟».

«ماذا؟»، قلّدته بشكل ساخر، «من هي دانييلا؟».

«دانييلا؟».

«لقد وعدت. قدّمت لي وعدًا قاطعًا إريك»، قالت وهي منزعجة جدًّا، «لقد وثقت بك. كنت غبيّة حين وثقت...».

«ما الذي تتحدّثين عنه؟ دانييلا ريتشاردز هي طبيبة في 'كارولينسكا'. لم تسألين عنها؟».

«لا تكذب عليّ».

«هذا أمرٌ سخيف»، قال مبتسمًا.

«هل تعتقد أنّ هذا مضحك؟ أحيانًا أفكّر... أحيانًا أصدّق حقًّا بأنّني سأتمكّن من نسيان ما حصل».

كاد يغفو ثانية، لكن أيقظه صوتها:

«ربّما كان من الأفضل لو انفصلنا».

«ولكن لا شيء يحدث بيني وبين دانييلا».

قالت بسأم: «إنّ الأمر لا يهمّ حقًّا».

«لا يهمّ؟ أنت ترغبين بالانفصال بسبب شيء فعلته منذ عشرة أعوام؟».

«شيء؟».

«لقد كنت ثملًا...».

«لا أرغب في سماعك. أنا أعرف كل شيء بقلبي الآن. أنا... اللعنة! لا أرغب في لعب هذا الدور. أنا لست شخصًا غيورًا بطبعي، ولكنّي مخلصة، وأحتاج إلى أن أُقابَل بالإخلاص».

«لم أخنكِ مطلقًا منذ ذلك الوقت ولن أفعل...».

قاطعته: «إذن لمَ لا تتصرّف كما تقول؟ ذلك سيساعد».

«عليك أن تثقي بي».

«صحيح»، تنهّدت، ثمّ غادرت غرفة النوم حاملة معها وسادتها وغطاءها.

أخذ نفسًا عميقًا. كان يعلم أنّ عليه اللحاق بها وإعادتها إلى السرير، أو ربّما اللحاق بها فقط. لكن الآن... تغلّبت الرغبة بالنوم على أيّ شيء آخر. غاص في فراشه وهو يشعر بـ«الدوبامين» يغمر جسده تمامًا. استرخاء لذيذ انتشر على وجهه ثمّ وصل إلى أصابع قدميه وأصابع يديه. نومٌ كيمياويّ عميق احتضنه كغيمة.

12

صباح الثلاثاء، 8 ديسمبر

بعد ساعتين، فتح إريك عينيه ببط. مرّت بخياله صور ما حدث في ذلك الصباح، اتّهامات سيمونا، الفتى الغافي مع مئات الشطوب على جسده الشاحب، والجروح العميقة في رقبته وصدره.

فكّر إريك في المحقّق الذي بدا مقتنعًا تمامًا بأنّ القاتل كان ينوي إبادة العائلة برمّتها.

رنّ الهاتف على الطاولة المجاورة للسرير.

وقف إريك، لكنّه عوضًا عن الردّ جذب الستائر وفتحها. حدّق إلى البنايات على الجانب الآخر من الشارع وهو يحاول أن يستجمع أفكاره. كانت سيمونا قد غادرت إلى صالة العرض. لم يفهم لماذا عاملته بتلك الطريقة، لماذا أخذت تعنّفه بخصوص دانييلا. سأل نفسه إن كان الأمر متعلّقًا بشيء آخر، الأقراص ربّما. يعلم بأنّه يتناول الكثير، ولكن يتوجّب عليه النوم. كلّ تلك المناوبات الليليّة في المستشفى تسبّبت له بالأرق. سيضيع من دون تلك الأقراص المنوّمة. مدّ يده ليتناول المنبّه، لكنّه نجح فقط في إسقاطه أرضًا.

توقّف الهاتف عن الرنين. لكنه عاد ثانية. فأجاب:.

«نعم، إريك ماريّا بارك».

«مرحبًا، أنا دانييلا».

«هل ما تزالين في المستشفى؟ كم الوقت الآن؟».

قالت دانييلا: «إنها الثامنة وخمس عشرة دقيقة، عليك أن تعود. ذلك المحقّق في طريقه إلى هنا. يبدو أكثر قناعة بأنّ القاتل يطارد الأخت الكبرى. يصرّ أنّ عليه أن يتحدّث إلى الصبيّ».

شعر إريك بثقل يجثم خلف عينيه: «تلك ليست فكرة جيّدة حقًّا...».

قاطعته: «ولكن الشقيقة! أنا مقتنعة نوعًا ما بأنّ علينا التحدّث إلى جوزيف».

«أتعتقدين أنّ بإمكان المريض تحمّل ذلك؟».

«بالتأكيد لن يتمكّن من التحمّل. الأمر مبكر جدًّا. سيعرف ما حصل لعائلته من دون أيّ استعداد مسبق، ومن دون أن يتسنّى له الوقت لبناء أيّة أنظمة دفاعيّة. قد يصاب بانهيار كامل، قد...».

«القرار يعود لكِ»، قاطعها إريك.

«لا أرغب بالسماح للشرطة بالوصول إليه، ولكن من ناحية أخرى لا يمكنني أن أجلس وأنتظر فقط، ما من شكٍّ في أنّ شقيقته في خطر».

«ولكن ذلك...

قاطعته دانييلا رافعة صوتها: «قاتل يبحث عن شقيقة مريضي الكبرى»،

«أعرف».

قالت: «أنا آسفة. لا أعرف لم يؤثّر فيّ هذا الأمر كثيرًا. ربّما لأنّنا إن حاولنا قد نتمكّن من إنقاذ حياة الفتاة».

سأل إريك: «ما الذي تريدينه منّي تحديدًا؟».

«أظن عليك المجيء وفعل الأمر الذي تجيده».

«بإمكاني التحدّث مع الصبيّ عمّا حدث حالما تتحسّن حالته قليلًا».

قالت بنبرة حادّة: «بإمكانك تنويمه مغناطيسيًّا».

أجاب فورًا: «لا، لا يمكنني ذلك».

«إنّه الحلّ الوحيد».

«لا أستطيع».

«وحدك تستطيع. لا يوجد شخص جيّد مثلك».

«لا أمتلك تصريحًا لممارسة التنويم المغناطيسيّ في كارولينسكا».

«بإمكاني تدبّر ذلك قبل أن تصل إلى هنا».

«ولكنّي أقسمت ألّا أقوم بتنويم أيّ شخص ثانية».

«ألا يمكنك القدوم فقط؟».

ساد صمت قصير، ثمّ سألها إريك: «هل هو مستيقظ؟».

«تقريبًا».

سمعته يتنهَّد، فقالت:

«إذا رفضت تنويمه مغناطيسيًّا، فسأسمح للمحقّق برؤيته».

أقفلت الخطّ تاركة إريك واقفًا والهاتف يرتعش في يده.

تصاعد الضغط خلف عينيه، وتحوّل الآن إلى صداع. فتح درج الخزانة المجاورة للسرير، لكنّ العلبة الخشبيّة ذات صورة الببغاء لم تكن هناك. لا بدّ من أنّه تركها في السيّارة. كان الجو ما زال معتمًا حين ذهب وأيقظ بنيامين.

وجد الصبيّ نائمًا وفمه مفتوح، ووجهه شاحب، ويبدو مرهقًا بالرغم من نومه طوال الليل...

«بيني».

فتح بنيامين عينيه الرطبتين الناعستين، ونظر إلى والده وكأنه شخص غريب تمامًا، قبل أن يتهلّل وجهه لابتسامة والده.

«إنّه الثلاثاء. وحان وقت الاستيقاظ».

جلس بنيامين وتثاءب. حكّ شعره ثمّ نظر إلى الهاتف المعلّق حول رقبته. ذلك هو أوّل شيء يفعله كلّ صباح، التأكّد من أنّه لم يفوّت رسالة مهمّة خلال الليل. التقط إريك الحقيبة الصفراء، ماركة «بوما»، التي تحتوي على «ديزموبريسين»، «اسيتوتارتريت الأومونيوم»، حقن معقّمة، ضمّادات كحوليّة، شاش معقّم و«تايلينول».

«الآن أم بعد الفطور؟».

رفع بنيامين كتفيه لامباليًا: «لا فرق».

مسح إريك فورًا ذراع ابنه النحيلة، أدارها نحو الضوء، شعر برقّة العضلات، ثمّ نقر على حافّة الحقنة، وأدخلها تحت جلده. بينما كانت الحقنة تفرغ تدريجيًّا، جلس بنيامين وهو ينقر على هاتفه بيده الأخرى.

«اللعنة! إنّه ميّت تقريبًا»، قال ثمّ استلقى على ظهره، بينما إريك يضغط بالشاش المعقّم على ذراعه لمنع النزف. يتعيّن على بنيامين البقاء على هذا الوضع لبرهة، قبل أن يضع عليها الضماد المعقّم.

قام إريك ببسط وثني ساقي ابنه برفق، ثمّ مطّ أربطة ركبته النحيلة، ثمّ أنهى الأمر بتدليك قدميه وساقيه.

«كيف أشعرك ذلك؟»، قال وهو ينظر إلى وجه ابنه طوال الوقت.

قطّب بنيامين حاجبيه قائلًا: «كالعادة».

سأله إن كان يريد بعض «التايلينول». هزّ الابن رأسه نافيًا.

فكّر إريك بالشاهد الفاقد للوعي، ذلك الفتى مع كلّ جراح السكاكين تلك. وبشقيقته التي يبحث القاتل عنها في هذه اللحظة بالذات.

سأل بنيامين بلطف: «ما الأمر يا أبي؟».

التقت نظراتهما، وقال إريك: «بإمكاني أن أقلّك إلى المدرسة لو رغبت».

13

صباح الثلاثاء، 8 ديسمبر

تحرّك المرور ببطء شديد في ساعة الذروة. جلس بنيامين بجوار والده. حركة السيّارة بين المشي والتوقّف كانت تهدهده. تثاءب بقوّة. يستطيع أن يخمّن بأنّ والده على عجلة من أمره، وبالرغم من هذا فهو يجد الوقت كي يقلّه إلى المدرسة. ابتسم بنيامين في سرّه. لطالما كان الأمر كذلك، فكّر، فكلّما تعيّن على والده أن يتعامل مع شيء سيّئ في المستشفى يتضاعف قلقه بشأن ما قد يحصل لبنيامين.

قال إريك فجأة: «لقد نسينا مزلاجَيْك!».

«آه! نعم».

«سوف نعود أدراجنا»، قال إريك.

قال بنيامين: «لا. لا حاجة لذلك».

حاول إريك أن يغيّر مساره، ولكنّ سيّارة أخرى منعته. وحين حاول العودة إلى المسار الأوّل، أوشك على الاصطدام بشاحنة نفايات.

«لدينا الوقت الكافي للعودة و...».

«انسَ المزلاجين الغبيّين. أنا لا أهتمّ»، قال بنيامين رافعًا صوته.

رمقه إريك بدهشة: «اعتقدت بأنّك تحبّ التزلّج. ألا تحبّ التزلّج؟».

لم يعرف بنيامين ما الذي يقوله. هو يكره أن يتمّ استجوابه، ولا يريد أن يبدأ بالكذب.

غمغم: «لمَ عليّ أن أحبّ التزلّج؟».

«لكنّنا اشترينا للتوّ...».

«إنّه ليس ممتعًا حتّى»، قاطعه بنيامين بسأم.

«إذن أنت لا تريدني أن أعود إلى المنزل وأجلبهما لك؟».

ردّ بنيامين بتنهيدة.

قال إريك: «التزلّج مملّ، الشطرنج مملّ، وألعاب الحاسوب مملّة، ما الممتع إذن؟».

«لا أعرف».

«لا شيء يمتعك؟».

«بعض الأشياء».

«مشاهدة الأفلام؟».

«أحيانًا».

ابتسم إريك: «أحيانًا؟».

أجاب بنيامين: «نعم».

«من يقول هذا؟ الفتى الذي يستطيع مشاهدة ثلاثة أو أربعة أفلام في ليلة واحدة»، قال إريك مبتسمًا.

«إذن؟».

واصل إريك وهو يحتفظ بابتسامته، «آه! لا شيء. لا شيء على الإطلاق. بعض الأشخاص يتساءلون كم فيلمًا بإمكانك مشاهدتها خلال يوم واحد لو كنت تحبّ الأفلام، أقصد لو كنت تحبّ الأفلام فعلًا».

«توقّف...».

«ربّما تضع شاشتين، وهكذا تنقّل نظرك من واحدة لأخرى كي تشاهدهما معًا».

شعر بنيامين بأنه سيبدأ بالابتسام، بالطريقة التي يفعلها دائمًا حين يمازحه والده بهذا الشكل.

فجأة كانت هناك ضجّة مكتومة، وظهرت نجمة زرقاء شاحبة في السماء، ثمّ تلاشت أطرافها إلى دخان.

قال بنيامين: «غريب إطلاق الألعاب النارية في مثل هذا الوقت».

سأل والده: «ماذا؟».

قال بنيامين مشيرًا: «انظر».

كانت هناك نجمة من الدخان معلّقة في الهواء. رأى بنيامين فيها وجه آيدا. تقلّصت معدته وشعر بالحرارة.

حين أوقف إريك السيّارة عند باحة المدرسة، رأى بنيامين آيدا تنتظره على الجانب الآخر من السياج. يوم الجمعة الفائت جلسا بهدوء قريبين من بعضهما البعض على الأريكة في غرفة معيشة آيدا الضيّقة في «سونديباري»، وشاهدا فيلم «إليفانت»[1] بينما شقيقها الصغير يلعب بأوراق البوكيمون على الأرض ويتحدّث مع نفسه. لوّحت له حين رأته.

التقط بنيامين حقيبته وقال بسرعة: «إلى اللقاء أبي. شكرًا على التوصيلة».

«أحبك»، قال إريك بهدوء. وسأل: «هل ترغب في مشاهدة فيلم هذه الليلة؟».

«لا أعرف»، قال وهو ينظر إلى الأرض.

سأله والده: «هل تلك آيدا؟».

أجاب بنيامين بصوت غير مسموع: «نعم».

«أرغب في مقابلتها»، قال إريك وغادر السيّارة.

«لماذا؟».

لم يردّ وأكمل صوب آيدا. لم يستطع بنيامين النظر إليها. شعر وكأنّه طفل صغير، لم يرغب أن تعتقد أنّه بحاجة إلى موافقة والده. بدت آيدا متوتّرة الآن وهما يتّجهان نحوها. ظلّت عيناها تنتقلان بين إريك وبينه، قبل أن يفكّر بنيامين في تبرير ما، مدّ إريك يده وقال: «مرحبًا».

صافحته آيدا بتوجّس. لاحظ بنيامين صدمة والده حين رأى الصليب المعقوف وبجواره نجمة داوود موشومة على رقبتها. كانت تضع مساحيق تجميل داكنة جدًّا على عينيها، وقد رتّبت شعرها على شكل جديلتين طفوليّتين، وارتدت سترة جلد سوداء وتنوّرة من التول المهفهف الأسود.

قال إريك: «أنا إريك والد بنيامين».

---

(1) فيلم أميركي مستوحى من مجزرة حقيقية وقعت في إحدى المدارس.

«آيدا».

كان صوتها مرتفعًا ورقيقًا. تضرّجت وجنتا بنيامين بحمرة الخجل، ونظر بتوتّر نحو آيدا ثمّ إلى الأرض.

سأل إريك: «هل أنت نازيّة؟».

ردّت: «هل أنتَ كذلك؟».

«لا».

«كذلك أنا»، قالت ناظرة مباشرة إلى عينيه.

«لماذا رسمت إذن؟...».

قاطعته: «من دون سبب. أنا لست أيّ شيء، أنا فقط...».

تدخّل بنيامين وقد أخذ نبضه يتسارع من الحرج: «كانت متورّطة مع مجموعة سيّئة قبل عدّة أعوام، لكنّها تعتقد الآن أنّهم كانوا مجرّد حمقى و...».

«لست مجبرًا على تبرير ذلك له»، قالت آيدا بضيق.

لزم الصمت للحظات، ثمّ أضاف: «أنا... أعتقد فقط أنّه من الشجاعة أن تتقبّل أخطاءك».

قال إريك: «نعم، ولكن بالطريقة التي أراها فيها أنا، وكما أرى الأمر، إنّها تظهر افتقارها للحكمة بعدم إزالة ذلك الوشم و...».

«توقّف!»، صرخ بنيامين، «أنت لا تعرف عنها أيّ شيء».

استدارت آيدا وغادرت مبتعدة. وهرع بنيامين خلفها.

قال لاهثًا: «أنا آسف. والذي يسبّب لي الإحراج...».

سألته: «أنت لا تعتقد أنّه على صواب إذن؟».

«لا»، أجاب بنيامين.

«أعتقد أنه قد يكون كذلك. أنت تعرف»، قالت ثمّ ابتسمت بطريقة مقتضبة وأمسكت بيده.

14

صباح الثلاثاء، 8 ديسمبر

يقع قسم الطبّ الشرعيّ في بناية من الطوب الأحمر وسط «مجمّع كارولينسكا الطبّيّ». قاد جونا سيّارته إلى موقف الزوّار ثمّ ترجّل منها. تجاوز حقلًا من الحشائش المغطّاة بالجليد متّجهًا إلى المدخل الرئيسيّ.

قادته الفتاة من مكتب الاستقبال لرؤية نيلس أولِيان، المعروف باسم «الإبرة»، البروفيسور في الطبّ الجنائيّ.

كان مكتبه مؤثّثًا بطريقة عصريّة، مع مساحات شاسعة فارغة نظيفة من اللونين الأبيض والرماديّ الفاتح. بدا باهظ الثمن، وكأنّه استخدم مصمّمًا خاصًّا لتأثيثه. الكراسي القليلة مصنوعة من الفولاذ الصقيل مع مقاعد من الجلد الأبيض.

علّق على الجدار صورة فوتوغرافيّة باهتة الألوان تُظهره مع بعض زملائه من الأطبّاء الشرعيين، والكيميائيّين الجنائيّين، وعلماء الجينات، وخبراء الأسنان، جميعهم يرتدون المعاطف الطبّيّة البيضاء ويبدون سعداء، ويتحلّقون حول قطعة عظم سوداء على الطاولة. يقول التعليق تحت الصورة بأنّها أُخذت خلال عمليّة تنقيب في مقبرة تعود للقرن التاسع على جزيرة «يوركو».

أتى الضوء المسلّط على المكتب من مصباح كبير يتدلّى من قاعدة في السقف.

صافح «الإبرة» يد جونا من دون أن يقف. كان يرتدي قميص بولو أبيض. وجهه نحيل وذقنه حليقة مع تسريحة شعر عسكريّة كالمارينز.

قال: «صباح الخير».

قال جونا: «صورة جديدة أخرى».

قال «الإبرة» بمرارة: «كان عليّ أن ألصق الصورة على الجدار في مختبر الأمراض القديم. كان لديهم رسمة بقياس ثمانية عشر مترًا مربّعًا».

علّق جونا: «واو!».

«رُسمت من قِبل بيتر ويس».

«الكاتب؟».

أومأ «الإبرة»، بينما انعكس الضوء من سطح المكتب على نظّارته.

«نعم، رسم الهيئة بأكملها عام 1940، ستّة أشهر من العمل مقابل ستمائة كرونة فقط. كان والدي في تلك اللوحة مع مجموعة من علماء الأمراض الآخرين، يقف في الأخير إلى جوار بيرتيل فالكونر».

أحنى البروفيسور رأسه وعاد للنظر إلى حاسوبه: «نتائج التشريح لجرائم قتل 'تومبا' هنا أمامي».

«أها».

قطّب عالم الأمراض حاجبيه ناظرًا إلى جونا.

«اتّصل بي كارلوس وسألني بشأنها هذا الصباح».

ابتسم جونا قائلًا: «أعرف».

دفع «الإبرة» نظّارته إلى أنفه: «يبدو أنّ تحديد وقت الوفاة أمر مهمّ جدًّا».

«نعم، ضروري لمعرفة تسلسل الأحداث».

تفحّص «الإبرة» الشاشة، بينما كان يزمّ شفتيه: «إنّه تقرير مبدئيّ فقط، ولكن...».

سأل جونا: «الرجل مات أوّلًا، أليس كذلك؟».

قال مشيرًا إلى الشاشة: «بالضبط... بالاستناد إلى درجة حرارة الجسم. قال إريكسون إنّ الأماكن التي تواجدت فيها الجثث -غرفة الخزائن والمنزل فيها درجة الحرارة نفسها، لذلك فإنّني أستنتج بأنّ الرجل مات قبل أكثر من ساعة على موت الجثتَيْن الأخريين».

«وهل غيّرت رأيك بعدئذ؟».

هزّ «الإبرة» رأسه، ثمّ نهض وهو يتأوّه.

«فتق في عمودي الفقري»، قال ثمّ غادر مكتبه ومشى عبر الرواق.

تبعه جونا بينما كان يعرج متّجهًا إلى المختبر.

دخلا إلى غرفةٍ معتمة تحتوي على طاولة للتشريح من الفولاذ المقاوم للصدأ، بدت مشابهة للوح تصريف المياه على مغسلة المطبخ ولكنّ حافّتها مرتفعة من جميع الجوانب، دخلا إلى غرفة أكثر برودة حيث كانت الجثث مخزّنة في أدراجٍ مبرّدة. توقّف «الإبرة». تأكّد مرّتين من الرقم ثمّ سحب لوحًا معدنيًّا طويلًا. كان فارغًا: «اختفت». ابتسم، ثمّ شرع يمشي عبر الرواق. كانت الأرضيّة تحمل آثار سحب آلاف العجلات الصغيرة البلاستيكيّة السوداء. فتح بابًا آخر ثمّ تركه مفتوحًا لجونا.

وجدا نفسيهما في غرفة بيضاء مضاءة جيّدًا فيها حوض معدنيّ كبير مثبت إلى الجدار. كان الماء يقطر في مصرف على الأرض من خرطوم ماء أصفر اللون. على طاولة الفحص المستطيلة المغطّاة بالبلاستيك، مدّدت جثّة عارية عديمة اللون مغطّاة بمئات الجروح الداكنة.

قال جونا: «كاتيا إيك».

بدت راقدة بسلام. فمها نصف مفتوح وعيناها تحدّقان بثبات في الأفق، كأنها تستمع إلى مقطوعة موسيقية جميلة. منظر تنافر تمامًا مع جروح السكّين العميقة على جبهتها ووجنتيها. نظر جونا إلى الجثّة ورأى ظهور علامات التصلّب الرخاميّ على رقبتها.

«نأمل أن يتسنّى لنا الوقت لرؤية ما في الداخل هذا المساء».

تنهّد جونا: «اللعنة!».

فُتح الباب الآخر، ودخل شابّ تغطّي وجهه ابتسامة، وتملأ ثقوب وأقراط عديدة حاجبيه، وشعره الأسود المصبوغ يتدلّى فوق معطفه الطبّيّ عل شكل ذيل حصان. رفع «الإبرة» يده لتحيّته وهو يبتسم، ضامًّا قبضته، وتاركًا خنصره وسبّابته مرفوعتين، ثمّ حيّا الشابّ الذي قام بهذه الحركات نفسها.

قال «الإبرة»: «هذا جونا لينا، من وحدة الجريمة الوطنيّة. وهو يزورنا من وقت لآخر».

«فريبي»، قال الشاب وهو يصافح جونا.

أوضح «الإبرة»: «اختار أن يتخصّص في الطبّ الجنائيّ».

سحب فريبي زوجًا من القفّازات المطاطيّة. تبعه جونا إلى غرفة الفحص، ولاحظ مباشرةً الرائحة العفنة التي كانت تتصاعد من الجثّة.

قال «الإبرة»: «عانت درجات أقلّ من العنف. بالرغم من الطعنات والجروح المتعدّدة». نظر إلى المرأة الميّتة. وواصل: «وعلى عكس الاثنين الآخرين، لم يتمّ تمزيقها. السبب الرئيسيّ للموت لم يكن أحد الجروح في رقبتها، بل هذا –جرح اخترق قلبها مباشرة، حسب ما رأينا في صورة الأشعّة المقطعيّة».

أوضح فريبي: «من الصعب رؤية النزيف في الأشعّة».

قال البروفسور لجونا: «سنتأكّد من ذلك حين نقوم بفتحها».

قال جونا: «لقد دافعت عن نفسها».

قال «الإبرة»: «برأيي، لقد حاولت المقاومة في البداية. بالنظر إلى الجروح على راحتي يديها، لكنّها حاولت الهرب لاحقًا والدفاع عن نفسها بأقصى استطاعتها».

نظر الشابّ إلى زميله الأكبر سنًّا.

قال «الإبرة»: «انظر إلى الجروح على جانبيّ ذراعها».

غمغم جونا: «دفاع عن النفس».

«بالضبط».

انحنى جونا ونظر إلى العلامات الصفراء البنّيّة التي كانت واضحة في عيني المرأة المفتوحتين.

«أنت تنظر إلى الشموس».

«نعم».

قال «الإبرة»: «بإمكانك أن تراها لأوّل مرّة بعد ساعات قليلة على

الوفاة، بالرغم من أنّها في بعض الأحيان تستغرق عدّة أيّام لتظهر. ستتحوّل إلى اللون الأسود بعد فترة، سببها هو انخفاض الضغط داخل العين».

التقط مطرقة الاستجابات العصبيّة عن الرفّ، وسأل فريبي أن يتأكّد إن كانت ما تزال هناك بعض التقلّصات العضليّة الذاتيّة. ضرب الطبيب الشابّ على وسط العضلة ذات الرأسين وشعر بالعضلة تتقلّص.

قال لجونا: «قليل جدًّا».

أوضح «الإبرة»: «إنّها تتوقّف عادة بعد ثلاث عشرة ساعة على الوفاة».

«القتيلة ليست ميّتة تمامًا»، قال جونا. ضربها فريبي ثانية وارتعش جونا حين رأى حركة شبحيّة في ذراع كاتيا إيك.

قال «الإبرة»: «مورتي فيفوس دوسينت[1]-الموتى يعلّمون الأحياء». ابتسم، بينما قام هو وفريبي بقلب الجثّة على بطنها.

أشار نحو البقع الحمراء البنّيّة على مؤخّرتها وأسفل ظهرها وكتفيها وذراعيها.

«تكون علامات ركود الدم أقلّ وضوحًا حين تخسر الضحيّة الكثير من الدم».

«بالتأكيد»، قال جونا.

أوضح البروفيسور لفريبي: «إنّ الدم ثقيل بطبيعته، وحين تموت لا يعود هناك أيّ ضغط داخليّ في نظامك. الأمر واضح جدًّا. الدم يركد في الأجزاء السفلى من الجسد، ويكون أكثر وضوحًا في المناطق التي تكون فيها الجثّة على تماس مع السطح الذي تُمدَّد عليه».

ضغط على إحدى تلك البقع على ربلة ساق المرأة اليمنى حتّى اختفت تمامًا.

«هل ترى؟ بإمكانك أن تضغط عليها حتى تختفي خلال الأربع والعشرين ساعة الأولى بعد الوفاة».

---

(1) باللاتينيّة.

«لكن، أظنّ أنّي رأيت تلك البقع على صدرها وشفتيها»، قال جونا بريبة.

قال «الإبرة» وهو يبتسم من فرط المفاجأة: «ممتاز. لم أعتقد أنّك ستتمكّن من ملاحظة ذلك».

«إذن فقد كانت ترقد على بطنها حين ماتت، ثمّ تمّ قلبها لاحقًا»، قال جونا بلكنته الفنلنديّة.

«سأقول لساعتين».

قال جونا وهو يفكر بصوت مرتفع: «إذن فقد مكث القاتل لفترة ساعتين، إلّا إذا كان قد عاد إلى المكان وقلبها على ظهرها».

هزّ «الإبرة» كتفيه غير مبالٍ: «لم أفرغ من تفحّصها بعد».

«هل بإمكاني أن أسألك شيئًا؟ لاحظت أنّ أحد الجروح على بطنها يبدو أشبه بشقّ العمليّة القيصريّة الطارئة...».

قال «الإبرة» مبتسمًا: «عمليّة قيصريّة. لمَ لا؟ هل نلقي نظرة؟».

قلب الطبيبان الجثّة ثانية.

«هل تقصد هذا؟». أشار «الإبرة» نحو جرح بطول خمسة عشر سنتيمترًا، يمتدّ نزولًا من سرّة المرأة.

«نعم»، قال جونا.

قال «الإبرة»: «لم يتوفّر لنا الوقت بعد لتفحّص كلّ الجروح».

قال فريبي باللاتينيّة: «ڤولنيرا إنشيزا سيڤا شيسا[1]».

أوضح «الإبرة»: «إنّه يبدو فعلًا مثل شقٍّ عرضيّ».

قال جونا: «هو ليس طعنة سكّين».

«بالنظر إلى دقّة زوايا القطع، وبالنظر إلى أنّ الجلد فوقه غير متضرّر»، أدخل إصبعه داخل الجرح وانحنى فريبي لرؤية ذلك، ثمّ أضاف: «نعم».

واصل «الإبرة»: «إنّ حافّات الجرح، ليس هناك الكثير من الدم،

---

(1) جروح قطعيّة أو تمزّقات.

ولكن...». توقّف فجأة.

«ماذا؟»، سأل جونا.

نظر «الإبرة» إليه وقد علا وجهه تعبير من الدهشة، قال: «هذا الشقّ حصل بعد وفاتها».

خلع قفّازيه، وقال: «أحتاج إلى تفقّد صور الأشعّة المقطعيّة». ثمّ توجّه نحو الحاسوب بجوار الباب، وأخذ يبحث بين الصور الثلاثيّة الأبعاد، توقّف ثمّ غيّر زاوية البحث. وهمس: «يبدو الشقّ وكأنّه يخترق رحمها، كأنّه يتبع أثر جرحٍ قديم».

سأل جونا: «جرح قديم؟ ما الذي تقصده؟».

«لقد قلت ذلك بنفسك»، ابتسم «الإبرة» وعاد إلى الجثّة، «شقّ عمليّة قيصريّة طارئة».

أشار نحو الشقّ العموديّ. اقترب جونا ودقّق النظر، فرأى آثار جرح قديم شاحب ورديّ نتج من عمليّة قيصريّة قبل فترة طويلة.

سأله جونا: «لكنّها لم تكن حاملًا حين ماتت؟».

«لا».

«هل نتعامل هنا مع قاتل لديه خبرة جراحيّة طبّيّة؟».

هزّ البروفيسور رأسه نافيًا. فكّر جونا في الحقائق. قتل أحد ما كاتيا إيك بطريقة وحشيّة وبغضبٍ عارم، بعد ساعتين عاد وقلبها على ظهرها وفتح شقّ العمليّة القيصريّة القديمة.

«تأكّد من وجود أيّ شيء يشبه هذا على بقيّة الجثث. ابحث عن أيّ شيء خارج عن المألوف».

قال «الإبرة» بملل: «أنت تريد أن نرتّب لك الأحداث بالتسلسل الزمنيّ الصحيح، كالعادة».

«نعم»، قال جونا وغادر الغرفة.

حين عاد إلى سيّارته لاحظ كم كان يشعر بالبرد.

أدار المحرّك ثمّ اتّصل بالمدّعي العامّ ينس سفانِيالم.

«سڤانيالم».

«هنا جونا لينا».

«صباح الخير. تحدّثت لتوّي مع كارلوس، قال إنّك ستتواصل معي».

قال جونا: «من الصعب للغاية تفسير ما نواجهه هنا».

«أنت تقود؟».

«غادرت لتوّي قسم الطبّ الشرعيّ، وكنت أفكّر بالتوقّف عند المستشفى. أحتاج فعلًا إلى التحدّث مع الشاهد المتبقّي على قيد الحياة».

قال ينس: «لقد شرح لي كارلوس الوضع. نحن بحاجة إلى تسريع الإجراءات نوعًا ما. هل استعنت بأحد المختصّين بتحليل السلوك الإجراميّ ليعمل على القضيّة؟».

أجاب جونا: «تحليل سلوك المجرم لن يكون مفيدًا هنا».

«أعرف ذلك وأتّفق معك. لو تسنّت لنا أيّ فرصة لإنقاذ حياة شقيقة الصبيّ فإنّنا بحاجة إلى التحدّث معه، هذا واضح».

شاهد جونا فجأة ألعابًا ناريّة تنطلق في السماء، ونجمة زرقاء لامعة تتدلّى فوق سطوح منازل ستوكهولم.

واصل جونا: «كنت على اتّصال مع سوسان غرانات من مكتب الخدمات الاجتماعيّة، وكنت أفكّر في الاستعانة بأحد الأخصّائيّين النفسيّين، إريك ماريّا بارك، إنّه طبيب مختصّ بالصدمات والأضرار النفسيّة».

«تبدو تلك فكرة جيّدة»، قال ينس.

«حسنًا. سأتوجّه إلى قسم الجراحة العصبيّة حالًا».

15

صباح الثلاثاء، 8 ديسمبر

بعد أن غادر المدرسة ووصل إلى المستشفى، فكّر إريك كم كان من الغباء أن يعلّق على وشم رقبة آيدا. جلّ ما فعله هو إظهار نفسه كمتغطرس ومتزمّت.

سمح له الشرطيّان المرتديان الزيّ الرسميّ بالدخول إلى حيث يجلس جونا منتظرًا خارج غرفة جوزيف إيك. حين لمح إريك، ابتسم ولوّح له بالطريقة التي يفعل بها الأطفال ذلك، عن طريق فتح يده وإغلاقها.

دخل إريك ونظر إلى المريض من خلال نافذة الباب. كان كيس من الدم الداكن معلّقًا فوقه. استقرّ وضعه، ولكن بالإمكان أن يعود النزف في أيّة لحظة.

كان يستلقي على ظهره وقد انطبقت شفتاه بقوّة، وراحت معدته ترتفع وتنخفض بسرعة، وأصابعه تتفرّق أحيانًا، وقد ثُبّتت دعامة جديدة إلى كوعه، وكانت ممرّضة تقوم بتحضير المورفين الوريديّ له.

قال جونا: «كنتُ محقًّا حين قلت بأنّ القاتل هاجم الأب أوّلًا ثمّ عاد إلى المنزل وقتل الفتاة الصغيرة، وظنّ أنّه قد قتل الابن أيضًا ثمّ قتل الأمّ».

«هل أكّد الطبيب الشرعيّ ذلك؟».

«نعم».

«فهمت».

واصل جونا: «إذن، فلو كان ينوي إبادة العائلة بأكملها، فقد تبقّت إيڤلين فقط».

قال إريك: «هذا على افتراض أنّه لم يعرف بعد أنّ الصبيّ ما زال على قيد الحياة».

«نعم، ولكن على الأقلّ بإمكاننا حمايته».

«نعم».

قال جونا: «يتوجّب علينا أن نجد القاتل قبل أن يتأخّر الوقت. أحتاج إلى معرفة ما يعرفه الفتى».

«يجب أن أضع في حساباتي الأفضل بالنسبة لمريضي».

«ربّما يكون الأفضل له هو الإبقاء على حياة شقيقته».

قال إريك: «خطرت لي تلك الفكرة. سألقي نظرة أخرى عليه. لكنّي ما زلت متأكّدًا أنّ من المبكر جدًّا استجوابه الآن».

«حسنًا»، قال جونا.

دخلت دانييلا ترتدي معطفًا أحمر ضيّقًا، وقالت إنّه يتعيّن عليها أن تسرع لتسليم مجموعة من التقارير الطبّيّة نصف المكتملة.

قال إريك لجونا: «لا أعتقد أنّ الوقت سيطول، ربّما بضع ساعات قبل أن يستعيد وعيه. سوى ذلك، يجب عليك أن تفهم أنّ أمامنا رحلة علاج طويلة. أيّ استجواب رسميّ الآن قد يعرّض حالة الفتى النفسيّة للخطر...».

قاطعته دانييلا: «إريك، لا يهمّ ما نعتقده. النائب العام يرى أنّ هناك أسبابًا قويّة كافية كي يستجوَب».

استدار إريك ونظر إلى جونا بدهشة، سأله: «إذن أنت لست بحاجة إلى موافقتنا؟».

«لا»، أجاب جونا.

«إذًا، ما الذي تنتظره؟».

أجاب جونا: «أعتقد أنّ جوزيف قد عانى أكثر ممّا يظنّه أيّ شخص. لا أريد أن أعرّضه إلى أيّ شيء قد يؤذيه. ولكن، في الوقت نفسه عليّ أن أجد شقيقته قبل أن يجدها القاتل. إذا لم تساعدني في استجوابه فسوف أضطرّ إلى فعل ذلك بالطريقة التقليديّة، ولكنّي أحبّذ اختيار الطريقة الأفضل له».

«وأيّ طريقة تلك؟»، سأل إريك.
أجاب جونا: «التنويم المغناطيسيّ».
نظر إريك إليه ثمّ قال ببطء: «لا أمتلك الصلاحيّة للقيام بالتنويم المغناطيسيّ...».
قالت دانييلا: «تحدّثت إلى آنِكا».
سأل إريك: «ما الذي قالته؟».
«لم يكن التنويم المغناطيسيّ اقتراحًا مرحَّبًا به لمريض غير مستقرّ، ويصدف أنّه قاصر أيضًا، ولكن بالنظر لكوني مسؤولة عن المريض فقد تركت لي القرار النهائيّ».
قال إريك: «لا أرغب حقًّا في فعل هذا».
سأل جونا: «لماذا؟».
«لا أريد التحدّث بخصوص ذلك، ولكنّي وعدت بعدم تنويم أيّ شخص مغناطيسيًّا، وما زلت أرى ذلك قرارًا صائبًا».
سأل جونا: «هل هو صائب في هذه الظروف؟».
«لا أدري حقيقة».
قالت دانييلا: «لا بأس ببعض الاستثناءات».
تنهّد إريك وصمت.
قالت دانييلا: «أريدك أن تحاول ذلك، حين تعتقد أن المريض جاهز لهذا ولو قليلًا».
قال إريك: «أريدكِ أن تكوني معي».
قالت: «سأتّخذ القرار بشأن التنويم المغناطيسيّ، ولكن بعد تلك النقطة أنت مسؤول عن المريض».
«إذن فأنا وحدي في هذا الأمر؟».
نظرت دانييلا إليه بسأم قائلة: «عملتُ طوال الليل، أحتاج فعلًا للذهاب إلى المنزل والحصول على بعض الراحة. أنا لست مفيدة لأحد في حالتي هذه».

16

صباح الثلاثاء، 8 ديسمبر

راقب إريك دانييلا وهي تبتعد عبر الرواق، بينما يتأرجح معطفها الأحمر خلفها. ذهب إلى الحمّام، وغسل وجهه، ثمّ اتّصل بسيمونا، ولكنّها لم تردّ. حين أخبره الهاتف أن يترك رسالة صوتيّة شعر فجأة بأنّه عاجزٌ عن الكلام: «سيمونا أنا... اسمعي، لا أعرف ما الذي تفكّرين فيه، ولكن لم يحصل أيّ شيء، ربّما لا يهمّك الأمر، ولكنّي أقسم بأنّي سأجد طريقة كي أبرهن لك أنّني...».

توقّف إريك مدركًا أنّ كلماته كانت عديمة المعنى. لقد كذب عليها قبل عشرة أعوام، ولم يحاول أن يسترجع ثقتها بعد ذلك. أنهى المكالمة، وتوجّه نحو جونا، ونظر إلى غرفة المريض.

سأله المحقّق بعد برهة: «ما هو التنويم المغناطيسيّ بالضبط؟».

أجاب: «إنّه حالة من تغيير الوعي فقط، تنبع من الإيحاء والتأمّل».

قال جونا: «استمرّ من فضلك».

«حين نقول التنويم المغناطيسي نعني حقًّا التنويم المغناطيسيّ الثنائيّ، حين يقوم شخص ما بتنويم آخر لغرض محدّد».

«مثل ماذا؟».

«مثل إزالة المشاعر السلبيّة مؤقّتًا».

«مثل ماذا؟».

«أشهر استخدام له هو تثبيط الوعي لغرض انعدام الإحساس بالألم».

«ولكنّ الألم يبقى».

أجاب إريك: «ذلك يعتمد على الطريقة التي تعرّف بها الألم. المريض يستجيب جسديًّا بوضوح للمؤثّرات المؤلمة، ولكنّه لا يشعر

حقًّا بأيّ ألم فعليّ خلال ذلك. في الواقع، بالإمكان إجراء جراحة للمريض وهوَ في حالة التنويم المغناطيسيّ السريريّ».

كتب جونا شيئًا في مفكّرته.

واصل إريك: «وبتعابير عصبيّة فيزيائيّة: الدماغ يعمل بطريقة غريبة جدًّا خلال التنويم، تنشط عادة خلال ذلك أجزاء من الدماغ نادرًا ما نقوم باستخدامها، حين يتمّ تنويم شخص ما مغناطيسيًّا فسوف يبدو مسترخيًا أو نائم تقريبًا، ولكنّ تخطيط الدماغ سيُظهر أنّ دماغ المريض كان صاحيًا وقتئذٍ».

قال جونا وهو ينظر عبر نافذة المريض: «يفتح الفتى عينيه أحيانًا».

«نعم، لاحظت ذلك».

سأل: «ما الذي سيحدث الآن؟».

«مع المريض؟».

«نعم، حين تنوّمه مغناطيسيًّا».

«خلال التنويم المغناطيسيّ الفعّال، فإنّ المريض عادة ما ينقسم إلى شخصين، واحد يراقب والآخر يتفاعل».

«الأمر أشبه بمشاهدة نفسه على المسرح».

«نعم».

«ماذا ستقول له؟».

«أوّلًا وقبل كلّ شيء أحتاج إلى جعله يشعر بالأمان. لقد تعرّض إلى صدمة مروّعة، لذلك سوف أبدأ بعرض هدفي ونواياي، ثمّ أنتقل إلى مرحلة الاسترخاء. سأتحدّث إليه بهدوء عن أنّ جفنيه يشعران بالثقل، وعن رغبته في إغلاق عينيه، والتنفّس بعمق من أنفه، ثمّ سأنتقل إلى باقي جسده، وبعد ذلك سأفعل الشيء نفسه، ولكن باتجاه معاكس».

انتظر إريك حتى ينتهي جونا من الكتابة، ثمّ تابع: «ثمّ سننتقل بعدئذ إلى ما يُسمّى بالحثّ، حينذاك أساعد المريض على تخيّل أماكن معيّنة وأحداث بسيطة، ثمّ أقترح عليه أن يسرح بعيدًا بأفكاره حتّى تنتفي حاجته

للسيطرة على الوضع كلّيًا، الأمر أشبه بك حين تقرأ كتابًا ويصبح أكثر تشويقًا إلى درجة تجعلك في داخل الكتاب وتنسى أنك تجلس وتقرأ».

«فهمت».

أوضح إريك: «لو رفعت يد المريض بهذا الشكل ثمّ تركتها، يتوجّب على اليد أن تبقى مرفوعة. إنّه التخشّب، وحين يكتمل الحثّ، سوف أحصي الأرقام تنازليًا كي أعمّق حالة التنويم أكثر. أنا أقوده بالأرقام عادة، ولكنّ هناك أشخاصًا آخرين يخبرون مرضاهم بأن يتخيّلوا عدّاد التدرّج الرماديّ كي يطلقوا العنان لأفكارهم. إنّ ما يحصل مبدئيًا هو زوال الخوف أو الإحساس بالخطر الذي يكبح ذكريات معيّنة».

«هل ستتمكّن من تنويمه مغناطيسيًّا؟».

«إن لم يقاومني».

سأل جونا: «ما الذي سيحصل إن قاومك؟».

لم يُجب إريك في البداية. نظر إلى الصبيّ عبر الزجاج محاولًا أن يقرأ وجهه ويقيّم درجة استجابته.

أجاب: «من الصعب التكهّن بما سأقدر على إخراجه. ليست هناك طريقة لنتوقّع درجة دقّة المعلومات».

«أنا لا أبحث عن إفادة شاهد متكاملة. أحتاج فقط إلى الإمساك بطرف الخيط، وصف مثلًا، أيّ شيء».

«إذن كلّ ما تطلب منّي البحث عنه هو هويّة الشخص الذي فعل ذلك بهم؟».

«بالتأكيد، اسم أو مكان، أو أيّة صلة ترابط».

«لا أعرف إن كان ذلك ممكنًا. سنرى»، قال إريك، ثمّ أخذ نفسًا عميقًا.

17

صباح الثلاثاء، 8 ديسمبر

رافقه جونا إلى الداخل وجلس على كرسيّ في الزاوية. خلع حذاءه ثمّ استند إلى الخلف. خفّف إريك من إضاءة الغرفة. سحب كرسيًّا معدنيًّا صغيرًا وجلس قرب السرير. أوضح للصبيّ بحذر شديد أنّه يرغب في تنويمه مغناطيسيًّا كي يساعده في فهم ما حصل أمس.

قال إريك بهدوء: «جوزيف، سأكون جالسًا هنا طوال الوقت. ليس هناك أيّ شيء بالتأكيد لتخاف منه، أنت في أمانٍ كامل. أنا هنا لمساعدتك. أنت لست مضطرًّا إلى قول أيّ شيء لا ترغب فيه، وبإمكانك إنهاء التنويم متى رغبت».

الآن فقط، أدرك إريك كم يفتقد هذا.

كان من السهولة جعل الصبيّ يشعر بالاسترخاء، فجسده في حالة سكينة تامّة. حين فتح إريك فمه وابتدأ بالحثّ، شعر كأنّه لم يتوقّف يومًا عن التنويم المغناطيسيّ. كان صوته دقيقًا وهادئًا وثابتًا. انسابت منه الكلمات بيسر، مغمورة بالدفء وبنبرة مخدّرة.

تمكّن من الشعور بأنّ جوزيف يستجيب له كلّيًا. بدا كأنّ الصبيّ يتشبّث لا إراديًّا بالأمان الذي يبثّه فيه إريك. كان وجهه الممزّق يصبح أكثر خمولًا. ملامحه تستقرّ وقد ابتدأ الاسترخاء يتسرّب إلى فمه.

قال إريك: «جوزيف، إذا سمحت، تخيّل يومًا صيفيًّا. كلّ شيء رائع جميل. أنت تستلقي على ظهر قارب خشبيّ صغير يهتزّ برقّة. الماء يرتطم بلطف على الجوانب، وحين تنظر للأعلى ترى غيومًا صغيرة تتحرّك في السماء الزرقاء».

استجاب الصبيّ بشكل جيّد جدًّا للحثّ، حتّى أنّ إريك سأل نفسه

إن كان عليه إبطاء العمليّة قليلًا. كان يعلم أنّ التجارب المؤلمة تقوّي غالبًا استجابة الشخص للتنويم المغناطيسيّ.

«سوف أبدأ بالعدّ تنازليًّا الآن، ومع كلّ عدد فإنّك ستشعر بالاسترخاء أكثر. ستشعر بأنّك تمتلئ بالطمأنينة، وبأنّ كلّ شيء حولك جميل. بدأ الشعور بالاسترخاء في أصابع قدميك، كاحليك، ساقيك، لا شيء يزعجك الآن. كلّ شيء ساكن. الشيء الوحيد الذي تسمعه هو صوتي والأرقام التي أحصيها تنازليًّا. أنت مسترخ الآن أكثر. أنت تشعر بالإرهاق. ركبتاك وفخذاك مسترخيان. أنت تشعر بأنّك تغوص إلى الأعماق ببطء وبلطف ورقّة. كلّ شيء حولك هادئ وساكن ومرتخ».

وضع إريك إحدى يديه على كتف الصبيّ، راقب معدته، ومع كلّ نفس كان يقوم بعدّ رقم آخر تنازليًّا. بعض الأحيان كان يكسر التسلسل المنطقيّ للأعداد، لكنّه واصل العدّ تنازليًّا طوال الوقت. شعر إريك بسكينة أشبه بالحلم وبقوّة جسديّة. بينما هو يحصي رأى نفسه يغرق في بحر أزرق وخلال مياه صافية. كان قد نسي هذا الجزء تقريبًا. مع ابتسامة انزلق عن صخرة كبيرة، عن جرف قارّي يقود إلى أعماق سحيقة. كان الماء يلتمع بالفقاقيع الصغيرة وهو يشعر بالسعادة المطلقة، فقد انساب بخفّة بجوار الجرف الصخريّ.

أظهر الفتى علامات واضحة على الاسترخاء تحت تأثير التنويم، بدا فمه ووجنتاه مسترخيين وهادئين. طالما اعتقد إريك أنّ وجوه مرضاه تصبح أكثر انبساطًا وانشراحًا وأكثر صدقًا تحت تأثير التنويم المغناطيسيّ.

غاص إريك عميقًا. مدّ إحدى يديه كي يلمس الصخور وهي تمرّ بجواره. استحال الماء الرائق تدريجيًّا إلى اللون الورديّ.

قال إريك برقّة: «أنت مسترخ الآن تمامًا، وكلّ شيء جميل حولك».

التمعت عينا الفتى خلف جفنيه نصف المغلقين.

«جوزيف، حاول أن تتذكّر ما حصل أمس. ابتدأ اليوم كيوم اثنين اعتياديّ، ولكن في المساء زاركم شخص ما».

واصل الصبيّ صمته.

قال إريك: «الآن، أنت ستخبرني بما حصل».
أومأ الصبيّ بشكل غير ملحوظ.
«هل أنت جالس في غرفتك؟ هل هذا ما تفعله؟ هل تستمع إلى الموسيقى؟».
لم يجبه. تحرّك فمه بتوجّس وحذَر.
قال إريك: «كانت والدتك هناك حين عدت من المدرسة؟».
أومأ الصبيّ.
«لماذا؟ هل تعرف؟ هل السبب أنّ ليسّا لا تشعر بخير؟».
أومأ الصبيّ ولعق شفتيه.
«ما الذي فعلته حين عدت من المدرسة يا جوزيف؟».
همس الفتى بشيء ما.
قال إريك: «أنا لا أسمعك. أريدك أن تتكلّم كي أتمكّن من سماعك».
تحرّكت شفتا الصبيّ، فانحنى إريك نحوه.
تمتم جوزيف: «شيء أشبه بالنار، أشبه بالنار فقط. أنا أحاول أن أطرف بعيني. أنا ذاهب إلى المطبخ، لكنّه ليس على ما يرام. هناك الكثير من الفوضى بين الكراسي، ونار حمراء متوهّجة تنتشر على الأرض».
«من أين تأتي تلك النار؟»، سأل إريك.
«لا أتذكّر، شيء ما حصل قبل...».
عاد إلى الصمت مرةً أخرى.
قال إريك: «ارجع إلى الخلف قليلًا، كانت النار في المطبخ».
«شخص ما هنا»، قال الفتى، «أنا أسمع شخصًا يطرق على الباب».
«الباب الأماميّ؟».
«لا أدري».
توتّر وجه الصبيّ فجأة. أخذ ينشج من دون وعي، وكشّر مُظهرًا فكّه الأسفل.
قال إريك: «لست معرّضًا لأيّ خطر. ليس هناك أيّ خطر. جوزيف أنت بأمان هنا. أنت مسترخٍ ولا تشعر بالقلق مطلقًا. أنت تشاهد ما

حصل. أنت لست جزءًا منه، بل تراه فقط من بعيد، وهو ليس خطيرًا على بُعد تلك المسافة».

«أقدام زرقاء شاحبة»، همس.

«ما الذي تقوله؟».

غمغم الفتى: «هناك طرقٌ على الباب، فتحتُه ولكن لم يكن هناك من أحد. لا أستطيع رؤية المزيد، ولكنّ الطرق استمرّ. أدركت أنّ شخصًا ما يحاول خداعي».

تنفّس المريض بوتيرة أسرع. تحرّكت معدته بشكل غير منتظم.

«ما الذي يحدث الآن؟»، سأل إريك.

«ذهبت إلى المطبخ وأعددت شطيرة لنفسي».

«هل أكلت الشطيرة؟».

«لكنّ الطرق عاد ثانية. إنّه يأتي من غرفة ليسّا. كان بابها مفتوحًا قليلًا، وأستطيع رؤية مصباحها الذي يشبه الأميرة ما زال مضاءً. دفعت الباب بهدوء لأفتحه بالسكّين التي كانت بيدي، ثمّ نظرت إلى الداخل. كانت ليسّا تستلقي على فراشها وهي ترتدي نظّارتها، ولكنّ عينيها مغلقتان. كانت تلهث مختنقة. وجهها شاحب وقد تشنّجت رقبتها. أخذت تركل حافّة السرير السفلى بقدميها. أخبرتها أن تتوقّف عن ذلك، ولكنّها استمرّت بالركل بصورة أقوى. صرخت عليها. ابتدأت السكّين بالطعن الآن. ركضت أمّي إلى الداخل، وأمسكت بي. استدرت ثمّ واصلت السكّين عملها. اندفع ذلك خارجًا منّي. أحضرت المزيد من السكاكين. أنا خائف من التوقّف. عليّ أن أستمرّ. لا أستطيع التوقّف. زحفت أمّي إلى المطبخ. كانت الأرض كلّها حمراء. عليّ أن أجرّب السكاكين على كلّ شيء، على نفسي، على الأثاث، على الجدران. ضربت وطعنت ثمّ شعرت بالتعب بعدئذ، فاستلقيت قليلًا. لا أعرف ما الذي حصل. كان كلّ جسدي مصابًا وأنا أشعر بالعطش، لكنّني لا أستطيع الحراك».

شعر إريك بنفسه يغوص مع الفتى في ذلك البحر المتألّق. نظر إلى الأسفل، كان من دون نهاية. صار الماء أزرق مائلًا للرماديّ ثمّ أسود.

«هل ذهبت لرؤية...». سأل إريك وأصغى لمدى ارتجاف صوته، «هل ذهبت لرؤية والدك في وقت سابق من ذلك اليوم؟».

«نعم، في ملعب كرة القدم»، أجاب جوزيف. بدا تائهًا وحدّق بخمول إلى الأمام.

لاحظ إريك أنّ نبض جوزيف أخذ يتسارع، ما يعني أنّ ضغط دمه أخذ ينخفض.

قال إريك برفق: «أريدك أن تغوص أعمق. أنت تغوص وتشعر أكثر بالسكينة والسلام...».

«ليست أمّي؟»، سأل الفتى بصوت مثير للشفقة.

«جوزيف، أخبرني، هل ذهبت لرؤية شقيقتك الكبرى إيڤلين؟».

حدّق إريك إلى وجه جوزيف بتمعّن وهو يدرك أنّ تخمينه قد يسبّب المشاكل. إنّها ثغرة في عمليّة التنويم لو اتّضح فيما بعد بأنّه على خطأ. لكن توجّب عليه أن يغيّر طريقته بسرعة لأنّ الوقت كاد أن ينفد. توجّب عليه أن يوقف التنويم قريبًا. من الواضح أنّ حالة المريض تتدهور.

«ما الذي حصل حين ذهبت لرؤية إيڤلين؟».

«لم يكن عليّ أن أذهب لرؤيتها».

«هل كان ذلك بالأمس؟».

«كانت تختبئ في الكوخ»، قال الفتى مبتسمًا.

«أيّ كوخ».

«كوخ العمّة سونيا»، قال بإرهاق.

«أخبرني عمّا حدث في الكوخ».

«أنا أقف هناك فقط. إيڤلين ليست سعيدة. أعرف بم تفكّر، أنا لست أكثر من كلب بالنسبة إليها. عديم القيمة...».

انسابت الدموع على وجنتي جوزيف، وارتعش فمه.

«هل قالت لك إيڤلين ذلك؟».

«لا أرغب في ذلك. لا يتعيّن عليّ ذلك. لا أرغب في ذلك»، نشج جوزيف.

«ما الذي لا ترغب في فعله؟».
أخذت عيناه ترتعشان.
«ما الذي يحدث الآن يا جوزيف؟».
«قالت إنّه يتعيّن عليّ أن أعضّ وأعضّ حتّى أحصل على مكافأتي».
«ما الذي يتعيّن عليك عضّه؟».
«هناك صورة في الكوخ، صورة داخل إطار أشبه بفطر الغاريقون، أبي وأمّي وليسّا الصغيرة ولكن...».
تشنّج جسده فجأة. أخذت ساقاه ترتعشان باهتياج. إنّه في نقطة الانسلاخ من التنويم. وجّهه إريك نحو الطريق بهدوء وأعاده بضع مستويات إلى الأعلى. أغلق الأبواب على ذكرياته لذلك اليوم. لا يمكن أن يترك أيّ شيء مفتوحًا حين يبدأ عمليّة إعادة الفتى إلى الواقع ثانية.
حين تركه إريك، كان جوزيف مستلقيًا في فراشه وهو يبتسم.
نهض المحقّق عن كرسيّه في الزاوية، وغادر الغرفة مع إريك.
«هذا مؤثّر»، قال جونا وهو يُخرِج هاتفه.
سيطر على إريك شعور بالكآبَة. اعتقد أنّ خطأً حصل بصورة لا يمكن تصويبها.
قال إريك: «قبل أن تقوم بأيّة مكالمة أريد التأكيد على شيء واحد هو أنّ المرضى يقولون الحقيقة دومًا خلال التنويم، ولكن من الواضح أنّ تلك هي الحقيقة من وجهة نظرهم، ما يعني أنّه يقول ما يعتقد أنّه حصل. يصف ذكرياته الفعليّة وليس...».
قاطعه جونا: «أفهم».
واصل إريك: «قمت بتنويم أشخاص يعانون من انفصام في الشخصيّة في الماضي».
«ما الذي تحاول قوله؟».
«تحدّث جوزيف عن شقيقته...».
سأل جونا: «هل تقصد الجزء المتعلّق بطلبها منه أن يعضّ كالكلب؟».
أجرى مكالمة هاتفيّة.

أوضح إريك: «نحن لا نعرف إن كانت شقيقته قد طلبت منه أن يفعل ذلك».

«ولكن ذلك قد يكون ممكنًا»، قال جونا ثمّ رفع يده لإيقاف إريك عن الكلام، «آنيا، يا نور حياتي».

سُمع صوت رقيق من الهاتف.

«هل بإمكانك التأكّد من شيء ما لأجلي؟ نعم بالتحديد. لجوزيف إيك عمّة اسمها سونيا، ويبدو أنّها تمتلك منزلًا أو كوخًا صيفيًّا في مكان ما و... نعم... عظيم».

نظر جونا إلى إريك.

«آسف، كنتَ على وشك قول شيء ما».

«ليس من المؤكّد أن جوزيف قام بقتل عائلته».

«هل تعتقد أنّه قد افتعل كلّ تلك الجروح على جسده؟ هل بإمكانه أن يجرح نفسه بتلك الطريقة من وجهة نظرك؟».

«أفترض، وبصورة نظريّة، نعم»، أجاب إريك.

«في هذه الحالة أعتقد بأنّ قاتلنا يستلقي هناك في تلك الغرفة»، قال جونا.

«وأنا أيضًا».

«هل هو في حالة تسمح له بالهروب من المستشفى؟».

«لا»، قال إريك.

استعدَّ جونا للذهاب.

سأل إريك: «هل ستذهب إلى منزل العمّة؟».

«نعم».

«سوف آتي معك»، قال إريك وهو يسرع في إثره، «قد تكون إيڤلين جريحة أو في حالة صدمة».

18

صباح الثلاثاء، 8 ديسمبر

لسبب ما كانت سيمونا مستيقظة حين رنّ الهاتف الموضوع على الطاولة الصغيرة جنب فراش إريك.

غمغم شيئًا بخصوص بالونات وأشرطة. تناول الهاتف ثمّ غادر غرفة النوم مسرعًا.

فاجأها الصوت الذي سمعته عبر الباب إذ كان رقيقًا وحنونًا نوعًا ما. تسلّل بعد لحظات عائدًا إلى غرفة النوم، سألته من كان المتّصل.

«ضابط شرطة... محقّق ما لم ألتقط اسمه»، أجاب إريك، «قال إنّه يتعيّن عليّ الذهاب إلى مستشفى 'كارولينسكا'».

نظرت إلى المنبّه ثمّ أغلقت عينيها.

«عودي إلى النوم سيمونا»، همس قائلًا ثمّ غادر الغرفة.

كان رداء نومها قد التفّ حولها، ويضغط على جنبها الأيسر. عدّلت من وضعه، ثمّ انقلبت على جانبها، واستلقت بهدوء وهي تصغي إلى تحرّكات إريك.

ارتدى ملابسه ثمّ غادر الشقّة وأغلق الباب خلفه. بعد برهة، سمعت صوت إغلاق الباب المؤدّي إلى الشارع.

تمدّدت في السرير تحاول العودة إلى النوم، لكنّها فشلت. اعتقدت أنّ إريك لم يبد كمن يتحدّث إلى ضابط شرطة. لقد بدا مسترخيًا للغاية، رغم أنّ ذلك قد يكون بسبب الإرهاق فقط.

توجّهت إلى الحمّام، ثمّ صبّت لنفسها كأسًا من الماء، وعادت إلى السرير. راحت تفكّر في ما حدث قبل عشرة أعوام، وصار من المستحيل عليها أن تنام. بعد أن استلقت هناك لنصف ساعة نهضت وأشعلت

الضوء. التقطت الهاتف وبحثت عن تفاصيل المكالمة الأخيرة. كانت تعرف أنّ عليها أن تحظى ببعض النوم، ومع ذلك وجدت نفسها تتّصل بالرقم. رُنّ الهاتف لثلاث مرّات، ثمّ سمعت صوت طقطقة، وسمعت صوت امرأة تضحك بعيدًا عن الهاتف.

«توقّف إريك»، قالت بمرح، ثمّ تحدّثت في الهاتف: «نعم، دانييلا معك».

سمعت سيمونا المرأة تنتظر قليلًا، ثمّ قالت بصوت مرهق: «أتمنّى لك يومًا جميلًا»، وأنهت المكالمة. ظلّت سيمونا جالسة هناك والهاتف في يدها. حاولت أن تفهم لماذا قال إريك إنّ محقّق شرطة اتّصل به. حاولت أن تجد تفسيرًا عقلانيًّا لذلك. لكنّها لم تستطع أن تمنع خيالها من العودة إلى الوقت الذي اكتشفت فيه أنّ إريك على علاقة غراميّة، وأنّه يكذب عليها.

صادف ذلك يوم أعلن إريك أنّه لن يقوم بتنويم أيّ أحد مغناطيسيًّا بعد الآن.

تذكّرت بأنّه كان اليوم الوحيد الذي لم تذهب فيه إلى صالة العرض. ربّما لم يذهب بنيامين إلى المدرسة يومذاك. ربّما أخذت إجازة يومها؟ على أيّة حال، كانت تجلس إلى طاولة المطبخ في منزلهم في «يارفالا» وهي تتفقّد البريد. حين لاحظت مغلّفًا أزرق شاحبًا معنونًا لها. عرّف المرسل نفسه بالاسم الأوّل فقط: «مايا».

هناك لحظات في حياتك تدرك فيها كلّ ذرّة من جسدك بأنّ هناك شيئًا على غير ما يرام.

بأنامل مرتعشة فتحت مظروف مايا. تساقطت عشر صور على طاولة المطبخ، لم تكن قد التقطت بالتأكيد من قبل شخص محترف. لقطة مشوّشة قريبة لفم امرأة، فمها، عنق عار، سروال داخليّ أخضر، شعر مجعّد أسود. ظَهَر إريك في إحدى تلك الصور، بدا دهشًا وسعيدًا. وبدت مايا امرأة جميلة ويافعة للغاية، لها حاجبين حادَّيْن وفم واسع.

كانت تستلقي على سرير ضيّق، وشعرها الأسود يغطّي صدرها. بدت متحمّسة وخجلى نوعًا ما.

من الصعب على سيمونا أن تصف شعورها وقتذاك. لكنّها ما زالت تتذكّر بأنّ ردّ فعلها الأوّليّ كان المفاجأة. مفاجأة غبيّة استحوذت عليها لأنّها تعرّضت للخيانة بهذه الجدارة من قِبل شخص وثقت به تمامًا. بعد ذلك، ولفترة طويلة، لم يكن هناك سوى الحزن وشعور فارغ غريب في معدتها. سيطرت عليها حاجة ملحّة لتفادي الأفكار المؤلمة، ثمّ أتى الشعور بالعار، وتبعه إحساس بالنقص والغضب والعزلة.

استلقت سيمونا في الفراش حين كانت أفكارها تدور وتدور. تذكّرت كيف نظر إريك إلى عينيها وأقسم لها بأنّه لم يكن على علاقة مع مايا، حتّى أنّه لا يعرف أيّ شخص باسم مايا. سألته مرّتين بعد ذلك، وفي المرّتين كان يُقسم بأنّه لا يعرف مايا. أخرجت عندئذ الصور ورمتها في وجهه واحدة تلو الأخرى. منذ تلك اللحظة لم تعد قادرة على الوثوق به.

انقشعت الظلمة قليلًا عن سماء المدينة. استسلمت للنوم بضع دقائق قبل أن يعود إريك من المستشفى. حاول أن يكون هادئًا، لكنّها استيقظت حين جلس على السرير. قال إنّه سيستحمّ، وكان بإمكانها أن تخمّن بمجرّد النظر إليه أنّه تناول تلك الأقراص المنوّمة ثانية. سألته عن اسم رجل الشرطة الذي اتّصل به سابقًا ولكنّه لم يُجبها. أدركت بأنّه استسلم للنوم. أخبرته وهي غاضبة بأنّها قد طلبت الرقم ولم يكن رجل شرطة من أجاب بل امرأة ضاحكة اسمها دانييلا. لم يتمكّن إريك من البقاء صاحيًا. غفا مرّة أخرى. صرخت عليه. طلبت أن تعرف ما يجري، واتّهمته بتدمير كلّ شيء في الوقت الذي عادت فيه أخيرًا إلى الوثوق به.

جلست على السرير تنظر إليه. لم يظهر أنّه يتفهّم سبب تضايقها. لم تعد تتحمّل المزيد من الأكاذيب. قالت الكلمات التي فكّرت فيها لعدّة مرّات. لكنّها ما زالت تبدو بعيدة ومؤلمة وتدلّ حقيقة على الفشل.

«ربّما كان من الأفضل لو أنّنا افترقنا».

غادرت سيمونا غرفة النوم آخذةً وسادتها وغطاءها معها. سمعت صوت صرير السرير خلفها، وتمنّت لو يلحق بها، ويهدّئ من روعها، ويوضح لها ما حصل. لكنّه لم يفعل. حبست نفسها في غرفة الضيوف وبكت، ثمّ نظّفت أنفها واستلقت على الأريكة، وفكّرت بالحصول على بعض النوم. لن تتمكّن من مواجهة عائلتها هذا الصباح. لذلك فقد غسلت وجهها، ونظّفت أسنانها، وارتدت ملابسها، ووضعت بعض مساحيق التجميل. نظرت إلى بنيامين وهو نائم. تركت له ملاحظة على الطاولة، وغادرت الشقّة لتناول الفطور في مكان ما قبل التوجّه إلى صالة العرض.

جلست وقرأت لفترة طويلة في مقهى «كونغستادغاردِن»، وهي تحاول إنهاء الشطيرة التي اشترتها. راقبت عبر النوافذ الكبيرة مجموعة من حوالي اثني عشر شخصًا يستعدّون لاحتفال ما. هناك صوان مشيّد أمام خشبة مسرح خارجيّ. وضعت الحواجز حول المنطقة حيث سيقومون بإطلاق الألعاب الناريّة، وفجأة حصل خطأ ما. حدث انفجار وانطلقت إحدى المفرقعات الناريّة في السماء. تراجع الرجال وتعثّروا وهم يصرخون. انفجرت الشعلة ناثرة وهجًا أزرق شفّافًا على السماء الشاحبة لحظة تردّد صدى الانفجار عبر المباني المجاورة.

19

صباح الثلاثاء، 8 ديسمبر

جلست سيمونا في مكتبها في صالة العرض، وراحت تنظر إلى لوحة كبيرة لفنّان يرتدي ملابس أشبه بالنينجا ويحمل سيفًا فوق رأسه. رنَّ هاتفها في حقيبتها.

«صالة عرض سيمونا بارك»، أجابت وهي تحاول إخفاء الإرهاق البادي على صوتها.

«هنا سيڤ ستوريسون من مكتب إدارة المدرسة»، قالت امرأة على الخطّ.

«آها»، قالت سيمونا بريبة، «أهلًا».

«أتّصل فقط كي أسأل عن حال بنيامين».

«حاله؟».

أوضحت المرأة: «لم يأتِ إلى المدرسة اليوم. ولأنه لم يقدّم إجازة مرضيّة، نحن نتواصل مع الوالدين في حالات كهذه».

قالت سيمونا: «هل تعرفين؟ سأتّصل بالمنزل وأتأكّد. كان كلّ من بنيامين وإريك هناك حين غادرت هذا الصباح. سأعاود الاتّصال بك».

أنهت المكالمة ثمّ اتّصلت بالمنزل فورًا. لم يكن من طبيعة بنيامين أن يستغرق في النوم أو يتخطّى القواعد.

لم يرد عليها أحد. يجب أن يكون إريك في إجازة لهذا اليوم. تملّكها القلق قبل أن تفكّر في أنّ إريك قد يكون مستلقيًا هناك يشخر بسبب الأقراص المنوّمة، بينما يصغي بنيامين إلى موسيقى صاخبة. حاولت الاتّصال بهاتف بنيامين ولكن لا جواب. تركت له رسالة قصيرة ثمّ عاودت الاتّصال بهاتف إريك الخلويّ، لكنّه كان مغلقًا بالتأكيد.

نادت: «إيلڤا! عليّ الإسراع إلى المنزل. سأعود لاحقًا».

نظرت مساعدتها إليها مبتسمة، ثمّ قالت: «أفتقدك منذ الآن».

لم تكن سيمونا في مزاج لقول أيّ شيء مضحك. أخذت حقيبتها، ووضعت معطفها على كتفها، وأسرعت نحو محطّة قطار الأنفاق.

***

يخيّم صمتٌ استثنائيّ على أبواب المنازل الفارغة. عرفت سيمونا ألّا أحد في المنزل فور وضعت مفتاحها في قفل الباب.

كان مزلاجا بنيامين ما زالا على الأرض، ولكنّ حقيبة ظهره وحذاءه وسترته لم تكن هناك، كذلك معطف إريك الشتويّ. حقيبة بنيامين «البّوما» التي تحتوي على أدويته ما زالت في غرفته. أمِلت أنّ إريك تذكّر إعطاءه جرعة دوائه ذلك الصباح.

حين تفقّدت سيمونا غرفة بنيامين، شعرت بالحزن لأنّه أزال ملصق هاري بوتر ووضع كلّ ألعابه تقريبًا داخل الصناديق في المخزن. إنّه يستعجل النضوج منذ أن التقى آيدا. صار مزاجيًّا ومنعزلًا وكأنّه لا يريد أن يكون جزءًا من العائلة. حاولت أن تفسّر ذلك كتصرّف مراهقين طبيعيّ، لكنّ الأمر ازداد سوءًا في الشهرين الأخيرين. لم تستطع عدم لوم الفتاة. توقّفت سيمونا وتساءلت إن كان معها الآن، ربّما.

إنّ بنيامين في الرابعة عشرة فقط، وآيدا في السابعة عشرة. هو يقول إنّهما صديقان، ولكن يبدو أنّها حبيبته. تساءلت سيمونا إن أخبرها عن «الهيموفيليا». هل تعلم بأنّه لو لم يحصل على جرع منتظمة من دوائه فإنّ أقلّ إصابة قد تكلّفه حياته.

جلست وغطّت وجهها بيديها محاولةً أن تمنع نفسها من الإصابة بالانهيار العصبيّ.

لم تستطع سيمونا التوقّف عن القلق. رأت بنيامين في خيالها دائمًا وهو يُضرب بكرة السلّة على وجهه خلال حصّة الرياضة، أو يتعرّض إلى تخثّر دمويّ مفاجئ في رأسه -لؤلؤة داكنة تنتشر مثل نجمة وتتسكّع في دماغه.

شعرت بخزي كبير عندما تذكّرت كيف فقدت صبرها عليه حين لم يرغب في المشي. كان يبلغ عامين وما زال يحبو هنا وهناك. لم

يعرف والداه في ذلك الوقت أنّه يعاني من «الهيموفيليا»، وأنّ الأوعية الدمويّة في مفاصله كانت تنفجر في كلّ مرّة يقف فيها. صرخت عليه لأنّه يبدو مثل رضيع وهو يحبو هكذا. حاول بنيامين أن يمشي وخطا بضع خطوات، ولكنّ الألم المبرح أجبره على الجلوس ثانية وهو يبكي.

بعد أن شُخّصت إصابة بنيامين بمرض «فون ويلبرلند»، أخذ إريك على عاتقه مسؤوليّة علاجه، وليس سيمونا. كان إريك هو الذي يمطّ مفاصل بنيامين كلّ صباح بعد النوم كي يقلّل من خطر النزف الداخليّ. تولّى إريك الحقن، حيث يجب ألّا تخترق الإبرة العضلة، بل يتمّ إدخالها تحت الجلد فقط وهي طريقة أكثر إيلامًا من الحقنة العاديّة. خلال السنوات الأولى كان بنيامين يدفن رأسه في بطن والده وينتحب عند إدخال الإبرة، أمّا هذه الأيّام فهو يواصل تناول فطوره من دون أن ينظر حتّى، ويمدّ ذراعه كي يتمكّن إريك من تعقيمها وإعطائه الحقنة ثمّ وضع ضمادة الجروح عليها.

إنّ خلاصة العامل الدمويّ الذي سيساعد دم بنيامين على التخثّر يسمّى «هيمات». لم تستطع سيمونا عدم التفكير في أنّه يشبه اسم إلهة إغريقيّة مختصّة بالانتقام. إنّه دواء خطير وقد يزيد من احتمال تخثّر الدم. ظلّوا يأملون أن يتمّ اكتشاف شيء أفضل في المستقبل. رغم ذلك، بفضل مزيج من الهيمات وجرعات عالية من «الديزموبريسين» و«السايكلوكابرون» كبخّاخ للأنف -كي يوقف النزف من الأغشية المخاطيّة- فإنّ بنيامين آمن نوعًا ما.

ما زالت تتذكّر يوم استلما بطاقة الخطر الخاصّة به من العيادة في «مالمو»، والتي تحمل صورة لبنيامين في عيد مولده، بوجهه المبتسم ذي الأربعة أعوام مع الكلمات التالية: «أنا مصاب بمرض فون ويلبراند، إذا حدث لي أيّ شيء اتّصلوا بعيادة تخثّر الدم حالّا 040-331010».

منذ التقى آيدا، أخذ بنيامين يحتفظ بهاتفه الخلويّ مربوطًا حول رقبته طوال الوقت بشريط أسود عليه رسوم لجماجم. إنّهما يتراسلان

طويلًا خلال الليل. كان هاتف بنيامين الخلويّ حول رقبته حين استيقظ في اليوم التالي.

نظرت سيمونا بتمعّن إلى الأوراق والمجلّات الموضوعة على مكتب بنيامين. فتحت دُرجًا وحرّكت كتابًا بخصوص الحرب العالميّة الثانية، شاهدت ورقة كُتب عليها رقم هاتف بقلم أحمر الشفاه الأسود. هرعت إلى المطبخ وطلبت الرقم. سمعت صوتًا متحشرجًا ضعيفًا وتنفّسًا ثقيلًا.

قالت سيمونا: «مرحبًا. آسفة إن كان هذا وقتًا سيّئًا ولكن، اسمي هو سيمونا بارك وأنا والدة بنيامين. كنت أتساءل إن...».

همس الصوت الذي يبدو أنّه يعود لامرأة، بأنّها لا تعرف بنيامين، وأنّ سيمونا قد طلبت الرقم الخاطئ.

«انتظري أرجوك»، قالت سيمونا وهي تبذل قصارى جهدها كي تبدو هادئة، «آيدا وابني يمضيان الوقت معًا، وأنا أتساءل هل تعرفين أين من الممكن أن يكونا، لأنّي بحاجة إلى الاتّصال ببنيامين».

«تينـ... تينـ...».

«أنا لا أسمعك. آسفة حقًّا، ولكنّي لا أسمع ما تقولينه».

«تينـ... ستا».

«تينستا؟ هل آيدا في 'تينستا' تقصدين؟».

«نعم. ذلك. الوشم الغبيّ».

تخيّلت سيمونا أنّها سمعت صوت قناع أوكسجين، وصوت هسيس منتظم.

«ما الذي تحاولين قوله؟»، توسّلت سيمونا.

همهمت المرأة بشيء ما، ثمّ أنهت المكالمة. جلست سيمونا وحدّقت إلى هاتفها. فكّرت في معاودة الاتّصال، لكنّها أدركت ما سمعته جيّدًا. اتّصلت بسرعة بالاستعلامات وأخذت عنوان دار للوشوم في «تينستا».

سرَت رعشة باردة في عمود سيمونا الفقريّ وهي تتخيّل أنّ بنيامين قد خُدع كي يحصل على وشم، وأنّ الدم يتدفّق منه غير قادر على التخثّر.

20

منتصف نهار الثلاثاء، 8 ديسمبر

جلست سيمونا في قطار الأنفاق ونظرت من الشبّاك. ما زالت مرتاعة من إسراعها إلى الشقّة الفارغة ثمّ الركض إلى المحطّة.

انطلق القطار مسرعًا إلى المحطّة في «هوڤوستا».

قالت لنفسها إنّه كان عليها أن تستقلّ سيّارة أجرة عوضًا عن ذلك. حاولت إقناع نفسها أنّ شيئًا لم يحصل، وبأنّها تقلق دومًا أكثر من اللازم.

كان رجل جالس أمامها يقلّب أوراق صحيفته مصدرًا حفيفًا مميّزًا. من خلال انعكاس صورته على النافذة، أمكنها رؤيته وهو يواصل التحديق إليها.

«مرحبًا»، قال بصوت مزعج.

حاولت أن تتجاهله. نظرت إلى خارج النافذة وهي تتظاهر بالإصغاء إلى هاتفها.

«مرحبًاااااا»، قال الرجل.

أدركت بأنّه لن يستسلم.

قال الرجل: «ألا تسمعينني أتحدّث إليكِ؟».

استدارت سيمونا نحوه، وقالت بهدوء: «أستطيع سماعك».

سأل: «لماذا لم تجيبي إذن؟».

«أجبتك الآن».

رمش جفنيه لعدّة مرّات، ثمّ قال: «أنتِ امرأة، أليس كذلك؟».

«هل ذلك هو كلّ ما ترغب في معرفته؟»، سألت باقتضاب وهي تستدير نحو النافذة.

غيّر مكانه وجلس إلى جوارها.

«أصغي إلى هذا... كانت لديّ امرأة، كانت امرأتي، كانت امرأتي».
شعرت سيمونا ببضع قطرات من اللُّعاب تستقرّ على وجنتيها.
واصل: «كانت أشبه بإليزابيت تايلور، هل تعرفين من تكون؟».
قالت سيمونا بنفاد صبر: «نعم، بالطبع أعرف».
اتّكأ قائلًا: «لقد واصلت الاستحواذ على رجال مختلفين، كانت ترغب دومًا بالمزيد، خواتم ماسيّة، هدايا، عقود».
كان القطار يتباطأ، وأدركت سيمونا أنّ هذه محطّتها. نهضت، ولكنّ الرجل قطع عليها الطريق.
قال: «أعطني عناقًا صغيرًا، كلّ ما أرغب به هو عناق».
صرّت على أسنانها وحاولت تجاوزه، ثمّ شعرت بيد على كتفها، في تلك اللحظة توقّف القطار ففقد الرجل توازنه وارتمى على المقعد.
غادرت المحطّة. عبرت الجسر، ثمّ نزلت الأدراج. في الساحة المسقوفة وجدت لافتة كبيرة تشير إلى مواقع المتاجر في المجمع التجاريّ. تفحّصت القائمة حتّى وجدت المتجر الذي تنشده «تينستا للوشم». وفقًا للخريطة فإنّ المتجر في نهاية الطابق الأخير. هرعت إلى الدرج المتحرّك. لم تستطع منع نفسها من التفكير بأنّ بنيامين ينزف حتّى الموت.
استقلّت السلّم الكهربائيّ إلى الأعلى. حين وصلت إلى الطابق العلويّ لمحت شيئًا غريبًا يجري في منطقة معزولة منه. بدا وكأنّ شخصًا كان يتدلّى من الدرابزين. اتّجهت نحوه وحين اقتربت أدركت ما يحدث. كان صبيّان مراهقان يمسكان بفتاة ويعلّقانها على الدرابزين، وهناك شخص أضخم حجمًا يمشي خلفهما وهو يمسح يده على جسده بشكلٍ متكرّر، وكأنّه يعمد إلى تدفئة نفسه أمام النار. بدا وجها الولدين هادئين وهما يمسكان بالفتاة المذعورة على الحافّة.
«ما الذي تفعلانه؟»، صرخت سيمونا وهي تقترب.
لم تركض. خَشيَت أن يخافا ويتركا الفتاة تسقط. كان الارتفاع حوالي عشرة أمتار حتّى الساحة في الأسفل.

رآها الصبيّان وأنزلا الفتاة أكثر عن الحافّة. صرخت سيمونا، ولكنّهما تمسّكا بالفتاة. بعدئذ، وببطء شديد، أخذا يسحبانها إلى الخلف. قام أحدهما بإخراج إصبعه ساخرًا من سيمونا. تبقّى فقط الصبيّ الأضخم بعد هروبهما. جلست الفتاة متكوّرة بالقرب من الدرابزين. توقّفت سيمونا وانحنت قربها.

كان نبض سيمونا يتسارع، وسألتها: «هل أنتِ بخير؟».

هزّت الفتاة رأسها من دون أن تتحدّث.

«نحتاج إلى العثور على حرّاس الأمن»، قالت سيمونا.

هزّت الفتاة رأسها ثانية. كان جسدها يرتعش بأكمله، وتكوّرت على شكل كرة صغيرة بجوار الدرابزين. نظرت سيمونا إلى الصبيّ الأكبر الذي كان واقفًا هناك يراقبهما فقط. كان يرتدي سترة سوداء ونظّارات شمسيّة داكنة.

«من أنت؟»، سألته سيمونا.

عوضًا عن الإجابة، أخرج رزمة من أوراق اللعب من جيبه، وأخذ يخلطها.

«من أنت؟»، كرّرت سيمونا بصوت أعلى هذه المرّة، «هل أنت صديق هذين الصبيّين؟».

لم يتغيّر التعبير المرتسم على وجهه.

«لماذا لم تفعل أيّ شيء؟ كان بإمكانهما قتلها».

شعرت سيمونا بتدفّق «الأدرينالين» في جسدها، كان قلبها يخفق في صدرها.

«لقد سألتك لماذا لم تفعل شيئًا لمنعهما؟».

حدّقت إليه بغضب. فبقي صامتًا.

«مغفّل!»، صرخت.

أخذ الصبيّ يبتعد ببطء. هرعت خلفه كي تمنعه من المغادرة. لكنّه تعثّر وأسقط أوراق اللعب على الأرض. غمغم بشيء ما، ثمّ انسلّ

مبتعدًا نازلًا على السلّم الكهربائيّ. استدارت سيمونا كي تعتني بالفتاة لكنّها كانت قد اختفت.

عادت سيمونا عبر الممرّ بجوار واجهات المتاجر الفارغة المعتمة، لكنّها لم ترَ أثرًا للفتاة أو لأيّ من الصبيّين.

وجدت نفسها واقفة خارج متجر الوشوم. كان شبّاكه مغطّى بقطعة مجعّدة من البلاستيك الأسود وبرسمة كبيرة لذئب. فتحت الباب ودلفت. رغم أنّ الجدران كانت مغطاة بصور للوشوم فقد بدا المتجر فارغًا. أوشكت أن تغادر، ثمّ سمعت صوتًا مرتفعًا عصبيًّا يصرخ: «نيكي! أين أنت؟ قل شيئًا».

فُتحت ستارة سوداء وخرجت منها فتاة تضع هاتفًا خلويًّا على أذنها. كانت بضع قطرات من الدم تقطر على رقبتها، وتعلو وجهها نظرة من الاهتمام والقلق.

«نيكي»، قالت الفتاة في الهاتف، «ماذا حصل؟».

«هل بإمكاني أن أسألك شيئًا ما؟»، قالت سيمونا.

تناولت الفتاة سترة عن المشجب وارتدتها وغادرت المتجر راكضة، تبعتها سيمونا إلى الباب حين سمعت فجأة صوتًا خلفها.

«آيدا؟»، قال صبيّ بصوت قلق.

استدارت ووجدت بنيامين واقفًا هناك.

«أمّي ما الذي تفعلينه هنا؟ أين نيكي؟»، سأل.

«من؟».

«شقيق آيدا الأصغر. إنّه يعاني من صعوبة في التعلّم، هل رأيته في الخارج؟».

«لا، أنا...».

«إنّه ضخم نوعًا ما ويضع نظّارة شمسيّة داكنة».

عادت سيمونا ببطء إلى المتجر، وجلست على أحد الكراسي.

عادت آيدا مع شقيقها. وقف خارج الباب وهو يومئ برأسه لكلّ ما

تقوله له، ثمّ مسح أنفه. مرّت بجوار سيمونا وبنيامين من دون أن تنظر إليهما ثمّ اختفت خلف الستارة. شاهدت سيمونا أنّ رقبتها قد تورّمت. كان لديها وردة كبيرة داكنة وشمت بجوار نجمة داوود.

«ما الذي يجري هنا؟»، سأل بنيامين.

«رأيت ولدَيْن، كانا يمسكان بفتاة يدليانها عن الدرابزين. كان شقيق آيدا الأصغر يقف هناك وقد...».

«هل قلتِ لهم أيّ شيء؟».

«لقد توقّفا حين وصلت إلى هناك، وكانا يظنّان أنّه مجرّد أمر مضحك».

بدا بنيامين قلقًا وأخذت وجنتاه تحمرّان. أبعد عينيه عنها وكأنّه يهرب من مواجهتها.

«لا أحبّ أن أراك تتسكّع هنا»، قالت سيمونا.

«ذلك ليس من شأنك».

«أنت صغير جدًّا على...».

«لا يهمّ»، قاطعها بصوت هادئ.

«إذن... ماذا؟ هل كنت تفكّر بالحصول على وشم؟».

«لا».

«أعتقد أنّ الوشوم على وجوه ورقاب الناس تبدو مريعة...».

قاطعها: «أمّي».

«إنّها قبيحة».

«بإمكان آيدا سماع ما تقولينه».

«لكنّي أعتقد...».

قال بنيامين بحدّة: «هلّا تغادرين رجاءً؟».

نظرت إليه وهي تفكّر بأنّها لم تسمعه يتحدّث بهذه الطريقة من قبل. لكنّها كانت تعرف من أين تعلم ذلك، كانت تعرف أنّها وإريك لطالما كانا كذلك في الآونة الأخيرة.

قالت بحزم: «ستعود إلى المنزل معي».

«سأذهب إلى البيت إن خرجتِ أوّلًا».

غادرت سيمونا المتجر، ولاحظت أنّ نيكي كان يقف إلى جوار النافذة المعتمة، وقد أنزل يديه إلى جانبَي جسده. توجّهت نحوه وهي تحاول أن تبدو لطيفة، وأشارت نحو بطاقات البوكيمون خاصتّه.

قالت: «الجميع يحبّ بيكاتشو».

أومأ.

فواصلت: «ولكنّي أحبّ مياو أكثر».

«إنّ مياو تتعلّم الأشياء»، أجابها بحذر.

قالت: «أنا آسفة لأنّي صرخت عليك».

«لا يمكن لأحد أن ينتصر على ويلورد، لا يمكن لأحد أن يواجهه. إنّه الأضخم».

«هل هو أضخم الجميع؟».

أجاب الصبيّ بجدّيّة: «نعم».

تناولت البطاقة التي سقطت منه.

«من هذا؟».

ظهر بنيامين وقد بدت عيناه مبلّلتين.

«لنذهب»، قال بنيامين بصوت خافت.

قالت سيمونا مبتسمة: «إلى اللقاء»

قال نيكي: «إلى اللقاء. كوني حذرة».

مشى بنيامين إلى جوارها بصمت.

حين اقتربا من محطّة قطار الأنفاق، قالت: «سوف نستقلّ سيّارة أجرة، اكتفيت من القطار».

«حسنًا»، قال بنيامين.

فقالت: «انتظر دقيقة!».

رأت أحد الولدين اللذين كانا يضايقان الفتاة. كان يقف إلى جوار

الباب الدوّار في المحطّة، وكأنّه ينتظر شخصًا ما. حاول بنيامين أن يمنعها.

«ما الأمر؟»، سألته.

«لنذهب. قلتِ إنّنا سنستقلّ سيّارة أجرة».

«يتوجّب عليّ التحدّث إليه».

توسّل بنيامين: «أمّي اتركي الأمر».

كان وجهه شاحبًا وقلقًا. تراجع إلى الخلف حين اقتربت أمه من الصبيّ.

وضعت سيمونا يدها على كتف الفتى ثمّ أدارت وجهه نحوها. كان في الثالثة عشرة، وعوضًا عن أن يبدو دهشًا أو خائفًا فقد ضحك وكأنّه أوقعها في الفخّ.

«ستأتي معي إلى الشرطة»، قالت برباطة جأش.

«ما الذي تقولينه أيّتها العجوز؟».

«لقد رأيتك حين كنت...».

ثار الفتى: «اصمتي! اصمتي فقط، إلّا لو رغبتِ أن يتمّ اغتصابك».

فوجئت سيمونا للغاية، حتّى أنّها تسمّرت في مكانها. بصق الفتى على الأرض أمامها، ثمّ قفز فوق الحاجز الدوّار ومشى مبتعدًا ببطء.

كانت سيمونا ترتعش حين انضمّت إلى بنيامين.

سألها: «ما الذي قاله؟».

أجابت بحذر: «لا شيء».

توجّها نحو موقف سيّارات الأجرة، وجلسا في المقعد الخلفيّ لأوّل سيّارة.

حين غادرا «تينستا» أخبرته سيمونا أنّها تلقّت اتّصالًا هاتفيًّا من مدرسته.

«أرادت آيدا أن أرافقها لتقوم بإصلاح وشمها»، قال بنيامين بهدوء.

«كان ذلك لطيفًا منك».

عبرت السيارة شارع «يولستا» وهما صامتَيْن.

سأل بنيامين أمّه: «هل قلتِ لنيكي إنّه مغفّل؟».

«كنتُ على خطأ... أنا المغفّلة».

«كيف تمكّنتِ من فعل ذلك؟».

«أنا آسفة... لم أكن أعلم».

حين عبرا جسر «ترانيباريْ» نظرت سيمونا إلى الخارج عبر المياه إلى جزيرة «ستورا إِسِّينِين»، لم يكن الجليد قد تصلّب بعد. ببقيت بقع من المياه.

«يبدو أنّني ووالدك سننفصل».

«لماذا؟».

«الأمر لا يتعلّق بك أبدًا».

«سألتكِ لماذا؟».

قالت: «ليس لديّ جواب جيّد. إنّ والدك... كيف سأوضح هذا؟ إنّه حبّ حياتي، ولكن في بعض الأحيان تصل الأمور إلى النهاية. أنت لا تفكّر في ذلك في مرحلة التعارف، وحين تحظى بطفل... ولكن لو كانت هناك الكثير من الأكاذيب... أنا آسفة، لم يتوجّب عليّ التحدّث بهذا الشأن».

«لا أريد أن أكون جزءًا من هذا».

«أنا آسفة. أنا...».

«توقّفي إذن!»، صاح بغضب.

21

عصر الثلاثاء، 8 ديسمبر

حاول إريك أن ينام لكنّه ظلّ مستيقظًا طوال الوقت، رغم أنّ جونا كان يقود السيّارة بهدوء شديد عبر «ڤارمدو»، على الطريق السريع 274، نحو الكوخ الذي تسكنه إيڤلين إيك.

حين تجاوزا المنشرة القديمة، صار الحصى يتشظّى تحت عجلات السيّارة. حدّق إريك عبر زجاج النافذة الأماميّة إلى السيّارة، وسمع جونا يتحدّث بهدوء على جهاز إرسال الشرطة مع زملائه الذين يسلكون الطريق نفسه.

قال إريك: «فكّرت في شيء ما».

«ماذا؟».

«قلتُ إنّ جوزيف إيك لن يتمكّن من الهروب من المستشفى، لكنّي الآن لست متأكّدًا من ذلك. إن كان قادرًا على التسبّب بتلك الجروح لنفسه، من يعلم ما الذي يتمكّن من فعله أيضًا».

«فكّرت في الشيء نفسه»، قال جونا.

«حسنًا».

«تركتُ أحد رجالي خارج غرفته».

قال إريك: «ربّما كان ذلك غير ضروريّ».

توقّفت ثلاث سيّارات على جانب الطريق. أربعة من رجال الشرطة يتحدّثون وهم يرتدون ستراتهم الواقية من الرصاص ويشيرون نحو خريطة ما، وضوء الشمس ينعكس متلألئًا على زجاج دفيئة قديمة.

عاد جونا إلى السيّارة جالبًا معه نفحة من الهواء البارد. انتظر الآخرين وهو ينقر بيديه على عجلة القيادة. بثّ جهاز إرسال الشرطة

فجأة سلسلة من الأخبار. تلا ذلك صوت طقطقة ثمّ توقّفت فجأة. تأكّد جونا من استعدادهم الكامل. تبادل بعض الكلمات معهم قبل أن يشغّل السيّارة.

انطلقت السيّارة. عبرت حقلًا بنّيًا، ومجموعة من أشجار البتولا، وأحد المخازن الصدئة الكبيرة. طارت بعض الغربان.

قال جونا بهدوء: «ستبقى في السيّارة حين نصل إلى هناك».

أجاب إريك: «حسنًا».

سأل جونا: «ما هي الآثار السلبيّة للتنويم المغناطيسيّ؟».

«ما الذي تقصده؟».

«لقد كنت واحدًا من أفضلهم في العالم، ثمّ توقّفت».

أجاب إريك: «قد يمتلك الأشخاص أسبابًا جيّدة كثيرة للإبقاء على بعض الأشياء مخفيّة داخلهم».

«بالتأكيد ولكن...».

«تحت التنويم المغناطيسيّ تخسر الكثير من تحفّظك الذاتيّ».

رمقه جونا بنظرة مشكّكة.

«لماذا لا أصدّق أنّ ذلك هو سبب توقّفك؟».

قال إريك: «لا أريد التحدّث عن هذا».

صارت الغابة أكثر كثافة وعتمة كلّما توغّلا فيها، والحصى يُطحن تحت عجلات السيّارة. استدارا نحو طريق جانبيّ ضيّق عبر الغابة. مرّا قرب بعض الأكواخ الصيفيّة ثمّ توقّفا. تمكّن جونا خلال الأشجار المنتصبة أمامهما من رؤية منزل خشبيّ بنّيّ ينتصب وسط بقعة خالية.

قال لإريك: «ابق حيث أنت»، وترجّل من السيّارة.

حين توجّه جونا نحو المدخل حيث كان ينتظره باقي رجال الشرطة، فكّر ثانية في الكلمات التي كانت تنساب من فم جوزيف. كان الصبيّ يصف أفعاله الوحشيّة وكأنّه يراها من بعيد. لا ريب أنّ ذاكرته واضحة

للغاية أمامه: ألم معدة شقيقته، تصاعد غضبه، اختياره للسكاكين، النشوة التي انتابته حين تجاوز كلّ الحدود.

في نهاية الجلسة صار وصف جوزيف مشوّشًا ومن الصعب فهمه. هل كانت شقيقته إيفلين حقيقة هي من شجّعه على القيام بجرائم القتل تلك؟

جمع جونا بقيّة العناصر حوله وقال لهم: «أريد أن أؤكّد على توخّي الجميع الحذر الشديد كي لا نخيف الفتاة. قد تشعر بالذعر، وقد تكون مصابة، ولكن في الوقت نفسه لا أريدكم أن تنسوا للحظة أنّنا قد نكون أمام شخص خطير جدًّا».

تفحّصوا المنزل من الخارج لدقائق. كان الكوخ الخشبيّ بلون الشوكولاتة، نوافذه وإطارات أبوابه بيضاء، أمّا الباب الأماميّ فكان أسود، والنوافذ مغطّاة بستائر ورديّة اللون. لا دخان يتصاعد من المدخنة. مكنسة عند المدخل ودلو أصفر من البلاستيك ممتلئ بأكواز الصنوبر الجافّة.

أرسل جونا ثلاثة عناصر خلف المنزل، وأخبرهم بالاستعداد لاقتحام المنزل من الخلف.



22

عصر الثلاثاء، 8 ديسمبر

راقب جونا رجاله وهم ينتشرون حول المنزل وقد شهروا أسلحتهم. سمع صوت غصن يُكسر، ومن البعيد تمكّن من سماع صوت نقّار خشب. تابع جونا تحرّكات باقي العناصر بينما هو يقترب من المنزل ببطء، ويحاول أن يتلصّص من بين الستائر. أشار إلى إحدى الشرطيّات الشابّات، ذات الوجه المدبّب، أن تتوقّف عند المدخل. أومأت له من دون أن تحيد ببصرها عن الكوخ شاهرةً مسدّسها، وأخذت بضع خطوات إلى الجانب.

المنزل فارغ، فكّر جونا وهو يقترب من الدرج الأماميّ. كانت الألواح الخشبيّة تئزّ تحت وزنه. نظر إلى الستائر ليرى إن كانت ستتحرّك حين طرق الباب. انتظر جونا قليلًا ثمّ تخشّب حين ظنّ بأنّه سمع صوتًا ما. نظر إلى الغابة عبر الأشجار والأحراش. سحب مسدّسه من نوع «سميث وويسون» الثقيل، فتح زرّ الأمان. فجأة، سمع حفيفًا عند طرف الغابة، ثمّ وثب غزال من بين الأشجار. ابتسمت الشرطيّة بعصبيّة حين نظر جونا إليها. اتّجه ببطء نحو النوافذ، وحاول النظر إلى داخل الكوخ من خلال الفراغات بين الستائر.

تمكّن في العتمة من رؤية طاولة خيزران مجدول مغطّاة بالزجاج، وأريكة بنّيّة فاتحة، وزوجين من الملابس الداخليّة القطنيّة معلّقة على مسند الكرسيّ الخشبيّ كي تجفّ. في المطبخ، تمكّن من رؤية مجموعة من علب المعكرونا السريعة التحضير، وأوعية من البيستو، وبعض الخضروات المعلّبة وكيس من التفاح. التمعت بعض الأواني الفضّيّة على الأرض أمام الحوض وتحت طاولة المطبخ. عاد جونا إلى المدخل وأوضح للشرطة بأنّه ينوي الدخول. فتح الباب وأخذ بضع

خطوات إلى الداخل. حين أعطاه زملاؤه إشارة التقدّم، تفحّص المدخل ثمّ عبر عتبة الباب.

من مكانه في السيّارة، تمكّن إريك بالكاد من رؤية ما يجري بعيدًا. رأى جونا وشرطيًّا آخر يختفيان داخل الكوخ البنّيّ.

كانت عينا إريك جافّتين ومحتقنتين، وهذا من الأعراض الجانبيّة لمادّة «الكودايين». حدّق إلى المنزل البنّيّ والتحرّكات الحذرة لرجال الشرطة.

كلّ شيء هادئ.

الأشجار تنتصب عارية في برد شهر ديسمبر. كلّ تلك الأضواء والألوان جعلت إريك يعود بذاكرته إلى الرحلات المدرسيّة حين كان طفلًا. كانت والدته تعمل ممرّضة بدوام جزئيّ في «مدرسة سولينتونا الثانويّة»، وكانت مقتنعة بفكرة الهواء النقيّ. هي التي سمّته إريك ماريّا، فقد درست في ڤيينا، وتمكّنت من الذهاب إلى «مسرح النمسا الوطنيّ»، ومشاهدة مسرحية ستريندباريْ[1] «الأب»، من بطولة كلاوس ماريّا براندواور. تأثّرت كثيرًا بذلك العرض، حدّ إعطاء ولدها الوحيد الاسم الأوسط، ماريّا، بعد عدّة أعوام.

والد إريك، الذي عمل في «هيئة التأمين الوطنيّة»، امتلك شغفًا واحدًا في حياته. لقد كان ساحرًا هاويًا. اعتاد أن يرتدي عباءة مصنوعة منزليًّا ومعطفًا مستعملًا طويل الذيل، وقبّعة مميّزة قابلة للطيّ على رأسه، كان يسمّيها «شابو كلاك»[2]. كان إريك وأصدقاؤه يجلسون على مقاعد في المرآب، حيث بنى والده مسرحًا صغيرًا له أبواب وطاقات سرّيّة. وجد معظم خدعه في دليل مصوّر من «عرض برناردو السحريّ» في «برومِلّا»: مثل صولجان سحريّ كان يطول ويقصر بصورة آليّة، كرات بلياردو تبدو وكأنّها تتضاعف عددًا لأنّ لها غطاءً بلاستيكيًّا خفيفًا، حقيبة من المخمل

---

(1) أوغست ستراينداباريْ (بالإنجليزيّة ستريندبيرغ) مسرحي وكاتب سويدي شهير.
(2) عبارة فرنسية تعني قبّعة التصفيق.

مع جيوب سرّيّة ومقصلة يدويّة لامعة. الآن يتذكّر إريك والده بحبّ. يفكّر بالطريقة التي يستخدم فيها قدمه ليدير تسجيلًا صوتيًا لجان ميشيل جارّ، بينما يقوم هو بالحركات السحريّة فوق جمجمة طائرة. تمنّى من كلّ قلبه ألّا يكون والده قد لاحظ كم كان يشعر بالحرج منه حينذاك، وكيف كان يدير عينيه منزعجًا من وراء ظهر والده.

أدرك إريك أنّ بعض الأشخاص ينظرون للتنويم المغناطيسيّ بالطريقة عينها التي كان ينظر بها إلى حيل والده السحرية. ولكن، بالنسبة إليه، فإنّ التنويم المغناطسيّ كان علمًا له قواعد صارمة، وهو مفيد للمرضى المصابين بصدمة عصبيّة.

حين وضع إريك قدمه للمرّة الأولى في كلّيّة الطبّ في «مستشفى كارولينسكا» شعر بأنّه يذهب إلى دياره. اختار ممارسة الطبّ النفسيّ، وبعد أن عمل كطبيب متدرّب لمدّة ثمانية عشر شهرًا كي ينال رخصة الممارسة الطبّيّة، ذهب للعمل في منظّمة «أطبّاء بلا حدود». انتهى به الأمر في «كيسمايو» جنوب مقاديشو في الصومال. العمل في المستشفى الميدانيّ كان مهمّة شاقّة للغاية. التقى هناك للمرّة الأولى بأشخاص تعرّضوا إلى صدمات عصبيّة شديدة، أطفال نسوا كيف يلعبون، مراهقين يصفون بنبرة باردة كيف تمّ إجبارهم على القيام بأمور وحشيّة، نساء أسيئ إليهنّ لدرجة أفقدتهنّ القدرة على الكلام.

عاد إريك إلى دياره في ستوكهولم، واستأنف الدراسة. درس العلاج النفسيّ هذه المرّة. وحين ابتدأ يختصّ بموضوع الصدمات والكوارث النفسيّة تعرّف على التنويم المغناطيسيّ. ما جذبه إليه هو قدرة الطبيب النفسيّ على الوصول إلى جذور الصدمة بسرعة كبيرة. أدرك إريك أنّ هذه السرعة ضروريّة إذا أراد العمل مع ضحايا الحرب والكوارث الطبيعيّة.

صار بعد ثلاثة أعوام عضوًا في «جمعيّة التنويم المغناطيسيّ السريريّ والتجريبيّ»، و«الهيئة الأوروبيّة للتنويم المغناطيسيّ الطبّيّ»، و«المجمّع السويديّ للتنويم المغناطيسيّ السريريّ».

عمل إريك في «منظّمة الصليب الأحمر» في أوغندا لعلاج ضحايا

الصدمات. قضى معظم ذلك الوقت يقدّم لهم الخدمات الطبّيّة الأوّليّة. استعمل التنويم المغناطيسيّ لاثنتي عشرة مرة أو أكثر خلال تلك الفترة، وفي حالات محدّدة فقط -كبديل عن الأدوية المسكّنة للألم أو كإجراءٍ أوّليّ عند علاج الكسور والالتواءات، ولكنّه التقى في عامه الأخير في أوغندا بفتاة كانت محبوسة في غرفة وحدها، لأنّها لم تكن تتوقّف عن الصراخ. أخبرته الراهبة الكاثوليكيّة بأنّهم وجدوا الفتاة وهي تزحف على جانب الطريق بالقرب من أحد الأحياء الفقيرة إلى الشمال من «مبالي». اعتقدوا أنّها من أفراد قبيلة «باجيسو» لأنّها كانت تتحدّث لغة «اللوجيسو». لم تكن تنام. كانت تصرخ من دون توقّف قائلة إنّها شيطانة رهيبة ولديها نار في عينيها. سألهم إريك أن يفتحوا باب غرفة الفتاة، وحالما رآها أدرك أنّها كانت تعاني من جفاف حادّ. حين حاول أن يجعلها تشرب الماء، أخذت تصرخ وتتلوّى على الأرض وهي تعوي. قرّر أن يستخدم التنويم المغناطيسيّ. قامت إحدى الراهبات، الأخت ماريون، بترجمة ما يقوله لها إلى لغة «بوكوسو». وحين أصغت أخيرًا أصبح من السهولة تنويمها مغناطيسيًّا. تمكّنت الفتاة خلال ساعة واحدة من تذكّر الصدمة التي تعرّضت لها. خرجت شاحنة من الوقود عن الطريق العامّ إلى الشمال من الحيّ الفقير في «طريق مبالي-سوروتي»، انقلبت الشاحنة الثقيلة وتسرّب الوقود من فتحة في أسفلها. أسرعت الفتاة إلى المنزل وأخبرت عمّها عن الأمر. ركض عائدًا إلى هناك حاملًا صفيحتين فارغتين. حين لحقت الفتاة به، وجدت مجموعة من الأشخاص الذين تجمّعوا حول الشاحنة وهم يملأون دلاءهم بالوقود. كانت الشمس قويّة، والرائحة مريعة في تلك الحرارة القائظة. لوّح لها عمّها كي تأتي وتأخذ الصفيحة المليئة إلى المنزل. كانت ثقيلة للغاية. حين توقّفت كي تحملها على رأسها، رأت امرأة ترتدي شالًا أزرق تقف إلى جوار الشاحنة، وقد غمرها الوقود حتّى ركبتيها، وهي تحاول أن تملأ قنّينتين زجاجيّتين صغيرتين، وبعيدًا عن الطريق شاهدت الفتاة رجلًا يرتدي قميصًا أصفر اللون، يدخّن سيجارة ويتّجه نحوهم.

تذكّر إريك الحالة التي كانت تبدو عليها الفتاة وهي تتحدّث. كان صوتها خشنًا ومكتومًا والدموع تتدفّق على وجنتيها. اعتقدت أنّها هي من التقطت شعلة النار من السيجارة بعينيها، لأنّها حين عادت ببصرها إلى المرأة ذات الوشاح الأزرق اشتعلت النار بالمرأة، وانطلقت عاصفة من اللهيب حول الشاحنة. ركضت الفتاة وهي لا تسمع خلفها سوى صوت العويل.

تمكّن إريك والأخت ماريون بعد التنويم المغناطيسيّ من أن يوضحا للفتاة بأنّ أبخرة الوقود هي التي ابتدأت الحريق، وأنّ سيجارة الرجل قد أشعلت الأبخرة، ولم يكن للأمر أي علاقة بها.

حين عاد إريك إلى ستوكهولم، تقدّم للحصول على منحة من «هيئة البحوث الطبّيّة» كي يقوم بإجراء بحوث مفصّلة عن التنويم المغناطيسيّ في «كارولينسكا». كان قد التقى بسيمونا لتوّه في حفلة كبيرة في الجامعة، بدت مثل ملاك، بالنمش الذي يغطي وجهها وشعرها المجعّد الأحمر. ما زال بإمكانه أن يتذكّر ما كانت ترتديه في ذلك المساء: قميصًا أخضر من الحرير، بنطالًا أسود طويلًا وحذاءً ذا كعب عالٍ.

طرف إريك بعينيه وانحنى ليقترب من زجاج النافذة الأماميّة، لكنّه تمكّن فقط من رؤية تحرّكات قليلة خلال نوافذ الكوخ البنّيّ. لم يستطع سماع أيّ شيء. من الواضح أن إيڤلين ليست هناك. تأرجحت الستائر قليلًا، ثم فُتح الباب الأماميّ وخرج جونا إلى الشرفة. جاء ثلاثة من رجال الشرطة كانوا حول المنزل، وقفوا أمامه لينظروا إلى الخريطة، أشاروا نحو الطريق والمنازل الأخرى. بدا أنّ جونا يريد من أحدهم رؤية شيء ما داخل المنزل. تبعه الباقون بينما أغلق آخرهم الباب خلفهم.

رأى إريك شخصًا يمشي بين الأشجار في المنطقة التي تبدأ فيها الأرض بالانحدار نحو المستنقع -امرأة نحيلة تحمل بندقيّة صيد في يدها. كانت أسطوانة البندقيّة المزدوجة تلتمع بينما تسحبها خلفها متّجهة إلى الكوخ، وهي تتأرجح برقّة على أحراش التوت البرّيّ والطحالب.

لم يرَها رجال الشرطة ولم تلمحهم هي أيضًا. اتّصل إريك بهاتف جونا الخلويّ، لكنّ الهاتف أخذ يرنّ على مقعد السائق جواره.

كانت المرأة تتحرّك ببطء حاملة بندقيّة الصيد في يدها. أدرك إريك أنّه سيكون وضعًا خطرًا إن تمّت مباغتتها أو باغتت هي رجال الشرطة فجأة. ترجّل من السيّارة وركض إلى الطريق الجانبيّ ثمّ اقترب منها ببطء.

«مرحبًا»، ناداها.

توقّفت المرأة ونظرت إليه. «الجوّ بارد هذا اليوم»، قال بصوت منخفض.

«ماذا؟».

رفع صوته: «قلتُ إنّ الجوّ بارد حين لا تكونين في الشمس».

«أجل»، أجابته.

سألها وهو يواصل التقدّم نحوها: «هل أنتِ جديدة هنا؟».

«لا. أنا أستعير فقط كوخ عمّتي».

سألها: «آه! هل سونيا عمّتك؟».

ردّت مبتسمة: «نعم».

مشى إريك نحوها، وسأل: «ما الذي تصطادينه؟».

«الأرانب البرّيّة»، أجابت.

«هل تمانعين أن ألقي نظرة على سلاحك؟».

أفرغته من الذخيرة ثمّ سلّمته إليه. كان طرف أنفها أحمر، وبعض أوراق الصنوبر اليابسة عالقة في شعرها الرمليّ اللون.

قال بهدوء: «إيڤلين، هناك بعض رجال الشرطة يرغبون في التحدّث إليك».

بدا عليها القلق، ثمّ تراجعت إلى الوراء.

قال مبتسمًا: «إن توفّر لديك الوقت».

أومأت بوهن، ثمّ نادى إريك على من في المنزل. خرج جونا وقد اعتلت مسحة من القلق وجهه. وحين رأى المرأة تسمّر في مكانه.

«هذه إيڤلين»، قال إريك وهو يعطيه بندقيّة الصيد.

«مرحبًا»، قال جونا.

كان وجهها شاحبًا وكأنّها على وشك أن تفقد وعيها.
«أرغب في التحدّث إليكِ»، قال جونا بنبرة جادّة.
«لا»، همست.
«لندخل إلى الداخل».
«لا أريد ذلك».
استدارت إيڤلين نحو إريك: «هل يتوجّب عليّ ذلك؟»، سألت وفمها يرتعش.
أجابها: «لا، الأمر عائد لك».
قال جونا: «أرجوكِ تعالي معي».
بالرغم من أنّها كانت تهزّ رأسها، فقد تبعته إلى داخل الكوخ.
قال إريك: «سوف أنتظر في الخارج».
قفل عائدًا عبر الطريق الجانبيّ. كانت الأرض مغطّاة بإبر وأكواز الصنوبر البنّيّة. تناهت إلى سمعه صرخة إيڤلين عبر جدران الكوخ. صرخة واحدة وحيدة ويائسة، تعبير عن فقدان غير مبرَّر. يعرف تلك الصرخة جيّدًا من الوقت الذي قضاه في أوغندا.

***

جلست إيڤلين على الأريكة القطنيّة، وقد وضعت يديها بين فخذيها، وبدا وجهها أبيض كالرماد. كانوا قد أخبروها بما حصل لعائلتها. وُضعت صورة فوتوغرافية داخل إطار يشبه فطر الغاريقون على الأرض. في تلك الصورة كان والدها ووالدتها يجلسان على ما يبدو أرجوحة شبكيّة وبينهما شقيقتها الصغرى. والداها يغمضان عيونهما نصف إغماضة بسبب ضوء الشمس الساطع، وعينا شقيقتها الصغرى تلتمعان.
قال جونا برفق: «أنا آسف للغاية».
ارتعش ذقنها.
سألها: «هل تعتقدين أن بإمكانك مساعدتنا لنفهم ما حصل؟».
أزّ الكرسي تحت وزن جونا. انتظر لدقيقة قبل أن يواصل: «أين كنت يوم الاثنين السابع من ديسمبر؟ أي أمس»، أوضح لها.

«كنت هنا»، أجابت بصوت واهن.
«في هذا الكوخ؟».
نظرت إلى عينيه: «نعم».
«لم تخرجي طوال اليوم؟».
«لا».
«جلستِ هنا فقط؟».
أشارت نحو السرير وإلى كتب العلوم السياسيّة.
«كنت تدرسين؟».
«نعم».
«إذن أنتِ لم تغادري المنزل أمس؟».
«لا».
«هل هناك أيّ شخص بإمكانه تأكيد ذلك؟».
«ماذا؟».
«هل كان برفقتك شخص ما هنا؟».
«لا».
«هل لديكِ أيّة فكرة عمّن فعل هذا بعائلتك؟».
هزّت رأسها نافية.
«هل تلّيتم أيّ تهديد، من أيّ شخص؟».
بدت وكأنّها لا تسمعه.
«إيڤلين».
«ماذا؟ ماذا قلت؟».
كانت تعصر أصابعها بقوّة بين ساقيها.
«هل هدّد أحد ما عائلتكِ؟ هل لديكم أيّ أعداء؟ أيّ شخص يكرهكم؟».
«لا».
«هل تعرفين أنّ والدك كان غارقًا في الديون؟».
أومأت موافقة.

قال جونا: «لقد اقترض والدك المال من السوق السوداء».

«أها».

«هل بإمكان أيّ منهم...».

قاطعته: «لا».

«لمَ لا؟».

«أنت لا تفهم»، قالت رافعة صوتها.

«ما الذي لا أفهمه؟».

«أنت لا تفهم أيّ شيء».

«أخبرينا إذن».

صرخت: «لا أستطيع».

بدت متضايقة جدًّا واندفعت في البكاء بصوت مرتفع. احتضنتها إحدى الشرطيّات. بعد فترة استعادت هدوءها، وجلست ساكنة بين ذراعي الشرطيّة وظلت تنتحب بين حين وآخر.

استمرّت الشرطيّة في احتضان الشابّة والتمسيد على شعرها، ثمّ صرخت فجأة ودفعت إيڤلين أرضًا.

«اللعنة! لقد عضّتني! لقد عضّتني».

نظرت الشرطيّة بذهول إلى أصابعها المدمّاة. وتدفّق الدم من جرح في رقبتها.

جلست إيڤلين على الأرض، راحت تتنفّس بسرعة وابيضّت عيناها ثمّ انهارت فاقدةً وعيها.

23

مساء الثلاثاء، 8 ديسمبر

حبس بنيامين نفسه في غرفته. جلست سيمونا قرب طاولة المطبخ. أغلقت عينيها وهي تستمع إلى نقل حيّ لمقطوعة موسيقيّة من «صالة بيروالد». حاولت أن تتخيّل كيف ستكون حياتها كامرأة عازبة. «لن يكون الأمر مختلفًا جدًّا عن حياتي الآن»، فكّرت بسخرية، «سأتمكّن من الذهاب إلى العروض الموسيقيّة والمسرح وصالات العروض الفنّيّة، كما تفعل كلّ النسوة العازبات».

وجدت زجاجة شراب في الخزانة وصبّت لنفسها كأسًا. فُتح الباب الأماميّ لحظة انسابت نغمات باخ الدافئة وملأت المطبخ. كانت المقطوعة الموسيقيّة رقيقة ومفعَمة بالشجن. وقف إريك في المدخل ونظر إليها. كان وجهه رماديًّا من فرط الإنهاك.

قال: «يبدو ذلك جيّدًا».

صبّت له كأسًا. وقفا في مواجهة بعضهما، ثمّ تبادلا النخب بمهابة.

سألت بهدوء: «هل كان يومك سيّئًا؟».

أجابها مبتسمًا بوهن: «كان قاسيًا نوعًا ما».

بدا مشتّتًا. ووجهه مغطّى بطبقة رقيقة من الغبار.

سألها: «إلى ماذا تستمعين؟».

«هل أطفئها؟».

«لا، لا أقصد. إنّها جميلة».

أفرغ إريك كأسه وأعطاه لها ثانية، فأعادت ملأه.

سألها: «إذن لم يحصل بنيامين على وشم في نهاية الأمر».

«أرى أنّك قد تمكّنت من متابعة تلك الأحداث الدراميّة بواسطة بريدك الصوتيّ».

«استمعت إليها في طريق العودة إلى المنزل قبل قليل. لم يتوفّر لي الوقت قبل...».

«لا»، قالت وهي تفكّر في المرأة التي ردّت على الهاتف حين اتّصلت في الليلة الفائتة.

«شكرًا لأنّك أعدتِه إلى المنزل»، قال لها.

أومأت، ثمّ فكّرت كيف تختلط المشاعر معًا. لا يوجد شيء مميّز ومستقلّ، كلّ شيء يتأثّر بشيء آخر.

شربا المزيد، ثمّ تنبّهت فجأة أنّ إريك كان يقف هناك مبتسمًا لها. لطالما جعلت ابتسامته تلك مع أسنانه المقوّسة ساقيها ترتجفان.

قالت: «أشعر بأنّني لا أعرف أيّ شيء، أو ربّما أعرف بأنّي ما عدت أثق بك».

«لِمَ تقولين هذا؟».

«يبدو كأنّنا قد خسرنا كلّ شيء. كلّ ما تفعله هو النوم أو العمل. أرغب أن نقوم معًا ببعض الأشياء. نسافر، نقضي بعض الوقت معًا».

وضع كأسه جانبًا ومشى خطوة نحوها.

«ألم يعد يمكننا فعل ذلك؟».

«لا تقل هذا»، همست.

«لم لا؟».

ابتسم لها وداعب وجنتيها ثمّ أصبح أكثر جدّيّة.

«أبي! هل تعرف أين؟...».

توقّف بنيامين عن الكلام حين دخل إلى المطبخ ورآهما.

«أنتما مجنونان»، تنهّد ثمّ غادر.

«بنيامين»، نادته سيمونا.

عاد إلى المطبخ.

قالت له: «قلت بأنّك ستجلب لنا الطعام».

سأل بنيامين: «هل قمتِ بطلبه؟».

قالت وهي تعطيه محفظتها، «سيكون جاهزًا خلال خمس دقائق. أنت تعرف أين يقع المطعم التايلنديّ، أليس كذلك؟».

«نعم»، قال بنيامين متنهّدًا.

قالت بنبرةٍ عالية: «عُد إلى المنزل مباشرة».

«توقّفي...».

قاطعه إريك: «أصغ إلى والدتك».

«سوف أذهب لجلب الطعام من نهاية الشارع - لن يحدث أيّ شيء»، قال وهو يبتعد.

وجّهت سيمونا ابتسامة نحو إريك. أخرج إريك ثلاث كؤوس من الخزانة. أخذ يد سيمونا ووضعها على وجنته.

«إلى غرفة النوم؟»، سألت.

بدا سعيدًا ودهشًا في الوقت نفسه، ثمّ رنّ الهاتف فجأة.

«لا تجيبي»، قال.

«قد يكون بنيامين»، قالت وهي تلتقط الهاتف، «نعم، هنا سيمونا».

لم تستطع سماع أيّ شيء سوى صوت طقطقة.

«مرحبًا؟».

أعادت الهاتف إلى مكانه.

«ألا يوجد أحد؟»، سأل إريك.

لم تتمكّن سيمونا من عدم ملاحظة قلقه. ذهب إلى النافذة ونظر عبر الشارع. سمعت ثانية صوت المرأة وهي تجيب على الهاتف هذا الصباح «توقّف عن ذلك يا إريك»، قالت ضاحكة. وفكرت، يتوقّف عن ماذا؟

«اتّصلي ببنيامين»، قال إريك بإصرار.

«لماذا عليّ ذلك؟».

التقطت الهاتف حالما ابتدأ بالرنين.

«مرحبًا»، قالت.

لم يتكلّم أحد. أغلقت الهاتف ثمّ اتّصلت برقم بنيامين.

«مشغول».

«أنا لا أراه»، قال إريك.

«هل أذهب خلفه؟».

«ربّما علنا ذلك».

«سوف يغضب»، قالت.

«أنا سأذهب»، قال إريك وأسرع خارجًا إلى الردهة. حين كان يلتقط سترته عن المشجب، فُتح الباب ودخل بنيامين إلى المنزل. أعاد إريك تعليق سترته وتناول منه كيس الطعام التايلنديّ.

جلسوا أمام التلفاز ليشاهدوا فيلمًا وهم يأكلون من العلب الكارتونية مباشرة. ضحك بنيامين على إحدى العبارات. نظر الوالدان بسعادة إلى أحدهما الآخر، بالطريقة نفسها التي كانا ينظران بها حين كان صغيرًا ومعتادًا على القهقهة على برامج الأطفال. وضع إريك يده على ركبة سيمونا فوضعت يدها فوق يده واعتصرت أصابعه.

كان بروس ويليس مستلقيًا على ظهره يمسح الدم عن فمه، رنّ الهاتف مجدّدًا. وضع إريك طعامه جانبًا ونهض عن الأريكة. ذهب إلى الرواق وأجاب على الهاتف بأقصى هدوء استطاعه.

«إريك ماريّا بارك».

لا شيء مجرّد طقطقة بعيدة.

«حسنًا، هذا يكفي الآن»، قال بغضب.

«إريك؟».

كان ذلك صوت دانييلا.

«هل هذا أنت يا إريك؟»، سألت.

«نحن في منتصف العشاء».

سمع صوت تنفّسها السريع.

«ما الذي أراده؟»، سألت.

«من؟».

«جوزيف»، قالت.

«جوزيف إيك؟»، سأل إريك.

«هل قال أيّ شيء؟»، سألت دانييلا.

«متى؟».

«الآن فقط... على الهاتف».

نظر إريك خلال باب غرفة المعيشة، ورأى سيمونا وبنيامين يتابعان الفيلم. فكّر في العائلة هناك في «تومبا»، الفتاة الصغيرة، والدتها، والدها، والغضب المريع الكامن خلف الهجوم.

«ما الذي جعلك تعتقدين أنّه اتّصل بي؟»، سأل إريك.

تنحنحت دانييلا.

«لا بدّ من أنّه أقنع الممرّضة بإعطائه هاتفًا. لقد تحدّثت إلى عامل التحويل وأخبرني بأنّهم حوّلوا المكالمة إليك».

«هل أنت متأكّدة؟».

«كان جوزيف يصرخ حين دخلتُ. أزال جهاز المصل من ذراعه، أعطيته المزيد من عقار 'البرازولام'، لكنّه قال عنك أشياء مريعة قبل أن يغفو».

«ماذا قال؟».

سمع إريك دانييلا تبتلع ريقها بصعوبة. بدا صوتها مجهدًا حين أجابت: «قال بأنّك قد عبثت برأسه، وبأنّ عليك أن تترك شقيقته لحالها، إلّا لو رغبت بأن تُمحى من الوجود - لقد كرّر ذلك لعدّة مرّات، سوف تُمحى من الوجود».

24

مساء الثلاثاء، 8 ديسمبر

مرّت ثلاث ساعات على وصول جونا إلى سجن «كرونوڤاري» مع إيڤلين. وُضعت في زنزانة صغيرة ذات جدران عارية وقضبان أفقيّة على نافذة مغبّشة الزجاج. كان الحوض الفولاذيّ غير القابل للصدأ في الزاوية يفوح برائحة القيء. وقفت إيڤلين قرب السرير المثبت على الجدار والمغطّى بأغطية خضراء من الفينيل تنظر إليه بذهول.

لدى النائب العامّ اثنتا عشرة ساعة من ساعة القبض عليها كي يقرّر خلالها إن كانت ستُوضع في الحجز أو يُخلى سبيلها. إن تمّ احتجازها فلديهم حتّى بعد ظهر اليوم الثالث كي يوجّهوا لها التهم، أو يطالبوا بتجديد مدّة الحجز. إن لم يحدث أيّ من هذا فسوف يُفرَج عنها فورًا.

عاد جونا الآن إلى السجن. مشى على الردهة ذات البلاط الأبيض بمحاذاة صفّ من أبواب الزنزانات الخضراء. لمح صورته منعكسة على صفائح أقفال الأبواب المعدنيّة. هناك أباريق حافظة للحرارة، بيضاء اللون، على الأرض قرب كلّ باب وعلامة حمراء تشير إلى موضع مطافئ الحريق. تُركت عربة للتنظيف في بهو الاستقبال عليها كيس أبيض لوضع الملابس المتّسخة وكيس أخضر للقمامة.

انتظر يَنس سڤانِيالم -المدّعي العامّ الجديد لمقاطعة ستوكهولم، خارج إحدى غرف الاستجواب الخمس. لديه شيء طفوليّ في وجنتيه يجعله يبدو في العشرين، رغم أنّ عمره أربعون عامًا في حقيقة الأمر.

«إيڤلين إيك»، قال ينس ببطء، «إذن هل أجبرت شقيقها الأصغر على قتل بقيّة العائلة؟».

«ذلك ما أخبرنا به جوزيف حين كان...».

قاطعه ينس: «ولكن لا شيء ممّا قاله جوزيف تحت التنويم المغناطيسيّ بالإمكان استخدامه في المحكمة. ذلك سيُعدّ خرقًا لحقوقه بالبقاء صامتًا ولحقّه في عدم توجيه الاتّهام لنفسه».

«أفهم هذا، لكنّه لم يكن تحقيقًا رسميًّا، وهو لم يكن مشتبهًا به».

نظر ينس إلى هاتفه ثمّ واصل: «حين يكون الحوار متعلّقًا بموضوع التحرّيات الأوّليّة فهو يعدّ تحقيقًا رسميًّا».

«أعلم ذلك، ولكن كانت لديّ أولويّات أخرى وقتئذٍ»، قال جونا.

«ذلك ما اعتقدته، ولكن...».

توقّف ونظر إلى جونا وكأنّه يتوقّع أن يقول شيئًا ما.

«سأعرف ما حصل قريبًا»، قال جونا.

«يبدو ذلك جيّدًا. لقد أعطتني أنيتا نيبدِل نصيحة واحدة حين استلمت منها مهامها -حين يخبرك جونا لينا بأنّه سيتوصّل للحقيقة فهو سيفعل».

«كانت لنا صولات معًا».

«لقد أشارت لذلك»، وابتسم.

«هل تريد أن أخبر إيڤلين بأنّها مشتبه بها؟»، سأل جونا.

«ذلك يعود لك، ولكنّ الوقت يداهمنا».

طرق جونا على الباب ثمّ دخل غرفة الاستجواب الموحشة. كانت النافذة ذات القضبان مغطّاة بستارة صغيرة، وإيڤلين تجلس منحنية الكتفين على أحد الكراسي، ووجهها خالٍ من المشاعر وقد تقلّص فكّها. كانت تحدّق إلى الطاولة وقد شبكت ذراعيها على صدرها.

«مرحبًا إيڤلين».

نظرت نحوه مرتاعة. جلس أمامها. مثل أخيها، هي جميلة جدًّا. لم تكن ملامحها مميّزة بالخصوص، لكنّها كانت متناسقة. شعرها بنّيّ فاتح وعيناها ذكيّتان. رغم أنّ وجهها لم يكن يبدو مثيرًا للوهلة الأولى، لكنّه يراه أجمل كلّما أطال جونا النظر إليه.

قال: «فكّرت في أن نتحدّث قليلًا. ما رأيك؟».

رفعت كتفيها.
«متى كانت آخر مرّة رأيت فيها جوزيف؟».
«لا أتذكّر».
«هل كانت أمس؟».
«لا»، قالت وقد بدت عليها الدهشة.
«متى كان ذلك؟».
«ماذا؟».
«أريد أن أعرف، متى كانت آخر مرّة رأيت فيها جوزيف؟».
«أووه، كان ذلك منذ فترة».
«هل زارك في الكوخ؟».
«لا».
«أبدًا... ألم يرَ ذلك الكوخ أبدًا؟».
هزّت كتفيها بوهن: «لا».
«لكنّه يعرف بأمر الكوخ، أليس كذلك؟».
أومأت.ثم قالت وهي تنظر نحوه بعينيها البنّيّتين الرقيقتين:
«لقد ذهب إلى هناك حين كان طفلًا».
«متى كان ذلك؟».
«لا أعرف. أعتقد أنّني كنت في العاشرة حين استعرنا الكوخ، في ذلك الصيف الذي ذهبت فيه العمة سونيا إلى اليونان».
«وجوزيف لم يذهب إلى هناك منذ ذلك الحين؟».
حوّلت إيڤلين نظرها إلى الجدار خلف جونا وقالت: «لا أعتقد ذلك».
«منذ متى وأنت تمكثين في كوخ عمّتك؟».
«انتقلت إلى هناك في بداية الفصل الدراسيّ».
«في أغسطس؟».
«نعم».

«إذن كنت تعيشين هناك لفترة أربعة أشهر، في كوخ صغير هناك في 'ڤارمدو'، لماذا؟».

أشاحت بعينيها بعيدًا ثانية إلى نقطة فوق رأس جونا وقالت: «كي أتمكّن من الدراسة بهدوء».

«لأربعة أشهر؟».

تململت في مقعدها واضعة ساقًا فوق ساق. ثمّ حكّت جبهتها: «احتجت إلى الوحدة فقط».

«من كان يضايقك؟».

«لا أحد».

«إذن لمَ أنت بحاجة إلى أن تكوني وحيدة؟».

ابتسمت بحزن: «أنا أحبّ الغابة».

«ما الذي تدرسينه؟».

«العلوم السياسيّة».

«وأنت تعتاشين على المنحة الدراسيّة؟».

«نعم».

«من أين تشترين الطعام؟».

«أقود الدرّاجة إلى 'سالتارو'».

«أليست مسافة طويلة؟».

هزّت كتفيها لامبالية: «أعتقد ذلك».

«هل التقيت هناك بأشخاص تعرفينهم يومًا؟».

«لا».

نظر إلى جبهة إيڤلين اليافعة الرقيقة: «أنتِ لم تلتقِ بجوزيف هناك؟».

«لا».

«إيڤلين، أصغي إليّ»، قال جونا بنبرة مختلفة أكثر جدّيّة، «لقد أخبرَنا شقيقك جوزيف بأنّه من قتل والدك ووالدتك وشقيقتك الصغرى».

حدّقت إيڤلين إلى الطاولة وقد ارتعشت شفتاها. صار وجهها الشاحب أحمر.

وواصل جونا: «إنّه في الخامسة عشرة فقط».

نظر إلى يديها النحيفتين وشعرها اللامع المرتّب الذي ينساب على كتفيها الرقيقتين.

«لماذا في ظنّك قال إنّه قتل عائلتك؟».

سألته: «ما الذي تعنيه؟».

«يبدو أنّك تعتقدين أنّه يقول الحقيقة؟».

«هل هو كذلك؟».

«لم أشعر أنك تفاجأتِ حين أخبرتك بأنّه ارتكب تلك الجرائم»، قال لها، «هل تفاجأتِ؟».

«نعم».

جلست متسمّرة على كرسيّها. ظهر خطّ صغير من القلق بين حاجبيها. تحرّكت شفتاها وكأنّها تصلّي أو تهمس لنفسها.

قالت فجأة: «هل هو محتجَز؟».

«من؟».

لم تنظر إليه. رمت كلامها بعشوائيّة على الطاولة وأجابَت: «جوزيف. هل قمت باحتجازه؟».

«هل أنت خائفة منه؟».

«لا».

«اعتقدت أنّك تمتلكين بندقيّة صيد لأنّك تخافين منه».

«أنا أذهب للصيد»، أجابت واضعة عينيها في عينيه.

كان هناك شيء غريب بشأنها. شيء لم يتمكّن جونا من فهمه بعد. لم يكن واحدًا من الأشياء الاعتياديّة –الذنب، الغضب، الكراهيّة– بل شيء أشبه بنوع من المقاومة المنيعة التي لم يستطع فهمها. طريقة دفاعيّة أو حاجز وقائيّ لا يشبه شيئًا رآه من قبل.

« أصطاد أرانب بريّة؟».

«نعم».

«هل طعمها جيّد؟».

«ليس بشكل مميّز».

«كيف طعمها؟».

«حلوة».

فكّر جونا كيف كانت تقف في الهواء البارد أمام الكوخ. حاول أن يتذكّر تسلسل الأحداث وقتئذ.

أخذ إريك بندقيّة الصيد منها وحملها على ذراعه، كانت مفتوحة، وكانت إيڤلين نصف مغمضة عينيها وهي تنظر إليه في ضوء الشمس الساطع، طويلة ونحيلة وقد جمعت شعرها البنّيّ الرمليّ على شكل ذيل حصان، وارتدت سترة فضّيّة وجينزًا واطئ الخصر وحذاء رياضيًّا مبلّلًا، خلفها أشجار الصنوبر وعلى الأرض الطحالب وأغصان التوت البرّيّ الصغيرة والغاريقون المتحلّل.

فجأة وجد جونا تناقضًا في ما قالته إيڤلين. حين تحدّث إليها في كوخ عمّتها، كانت تجلس بسكون على الأريكة واضعة يديها بين فخذيها، على الأرض بالقرب من قدميها كانت توجد صورة داخل إطار يشبه فطر الغاريقون، كانت شقيقة إيڤلين الصغرى تظهر في الصورة وهي تجلس بين والدَيْها وشعاع الشمس ينعكس على نظّارتها الكبيرة.

بدت الشقيقة الصغرى في الرابعة من العمر، أو ربّما الخامسة في تلك الصورة، فكّر جونا. إذًا فعمر الصورة لا يمكن أن يكون أكثر من عام واحد.

ادّعت إيڤلين أنّ جوزيف لم يأتِ إلى الكوخ منذ عدّة أعوام، ولكنّ جوزيف وصف تلك الصورة حين كان منوَّمًا مغناطيسيًّا.

من الطبيعي أن تكون هناك نسخ أخرى من تلك الصورة في إطارات أخرى من الغاريقون، فكّر جونا، أو ربّما تكون تلك الصورة تحديدًا قد تنقّلت في أماكن مختلفة، أو ربّما كان جوزيف قد زار الكوخ من دون علم إيڤلين.

ولكن... ذلك قد يكون أيضًا ثغرة في حكاية إيڤلين.

قال جونا: «إيڤلين، أنا أتساءل حول شيء قلتِه قبل قليل».

سُمع طرقٌ على باب غرفة الاستجواب. بدت إيڤلين وكأنّها تزداد توتّرًا. نهض جونا وذهب إلى الباب. سأله ينس أن يأتي إلى الخارج.

قال ينس: «سوف أطلق سراحها. هذه تفاهة. نحن لا نمتلك ضدّها أيّ شيء مطلقًا. فقط استجواب غير معترف به لأخيها ذي الخمسة عشر عامًا، والذي ذكر فيه بأنّها...».

صمت ينس حين رأى الطريقة التي كان ينظر بها جونا إليه.

سأله ينس: «وجدت شيئًا، أليس كذلك؟».

أجاب جونا: «لا يهمّ».

«هل تكذب؟».

«لا أعرف... ربّما».

حكّ ينس ذقنه مفكّرًا.

قال أخيرًا: «أعطها شطيرة وكوبًا من الشاي، لديك بعدئذ ساعة واحدة قبل أن أقرّر احتجازها أم إطلاق سراحها».

«لا أستطيع تأكيد أن ذلك سيفضي إلى شيء ما».

«لكنّك سوف تحاول؟».

***

بعد أربع دقائق، وضع جونا كوبًا بلاستيكيًّا وشطيرة على صحن ورقيّ أمام إيڤلين، وجلس ثانية على كرسيّه. وقال:

«اعتقدت أنّك قد تكونين جائعة».

«أشكرك»، قالت ببهجة.

كانت يدها ترتعش وهي تأكل الشطيرة وتمسح الفتات عن الطاولة.

«إيڤلين، في كوخ عمّتك هناك صورة في إطار يشبه فطر الغاريقون».

أومأت إيڤلين: «اشترت عمّتي ذلك الإطار من 'مورا'، اعتقدت أنّه سيكون جميلًا في الكوخ و...».

توقّفت وأخذت تنفخ لتبرّد شايها.

«أنتِ لا تمتلكين أيّة إطارات أخرى مشابهة لذاك؟».
«لا»، ابتسمت.
«هل كانت تلك الصورة دائمًا في الكوخ؟».
«ما الذي تحاول قوله؟»، سألت بتردّد.
«لا شيء. ذكر جوزيف تلك الصورة. إذن فلا بدّ من أنّه قد رآها، وأنا أتساءل إن كنت قد نسيتِ شيئًا ما».
«لا».
«هذا كلّ شيء»، قال جونا ونهض.
«هل ستغادر؟».
قال جونا بنبرة جعلها جادّة:«إيڤلين، لقد وثقت بك».
«يبدو أنّ الجميع يعتقد أنّي متورّطة في الأمر».
«لكنّك لستِ متورّطة. أليس كذلك؟».
هزّت رأسها نافية.
«ليس بهذه الطريقة على أيّة حال»، قال جونا.
مسحت بسرعة بعض الدموع عن وجنتيها.
«جاء جوزيف إلى الكوخ مرّة واحدة. استقلّ سيّارة أجرة وأحضر معه قالب حلوى»، قالت بصوت مرتعش.
«في عيد ميلادك؟».
«لا في عيد ميلاده هو».
«متى كان ذلك؟»، سأل جونا.
«الأوّل من نوفمبر».
قال جونا: «قبل شهر تقريبًا. ما الذي حدث؟».
أجابت: «لا شيء. لقد أدهشني ذلك».
«لم يخبرك بقدومه؟».
«لم نكن على تواصل».
«لمّ لا؟».
«احتجت أن أبقى وحدي».

«من يعلم بأنّك تعيشين في الكوخ؟».

«لا أحد، عدا حبيبي سوراب... حسنًا، لقد انفصلنا وهو صديقي الآن. لكنّه كان يساعدني ويقول للجميع إنّني أسكن معه، يجيب على اتّصالات أمّي و...».

«لماذا؟».

«كنت بحاجة إلى أن أُترك وحدي».

«هل زارك جوزيف ثانية؟».

«لا».

«هذا مهمّ يا إيڤلين».

«لم يأتِ إلى هناك منذ ذلك الوقت»، أجابت.

«لماذا كذبت بخصوص ذلك؟».

«لا أعرف»، همست.

«ما الذي كذبتِ بشأنه أيضًا؟».

25

مساء الأربعاء، 9 ديسمبر

تجوّل إريك بين الرفوف المضاءة جيّدًا في قسم المجوهرات في متجر «إن كي». كانت امرأة ترتدي السواد تتحدّث بهدوء إلى أحد المتبضّعين. فتحت أحد الأدراج ووضعت مجموعة من المجوهرات على صينيّة من المخمل. وقف إريك أمام صندوق العرض، ونظر إلى القلادة الثمينة، كانت عبارة عن مجموعة من المثلّثات الرقيقة اللّامعة والتي ترتبط ببعضها لتكوّن سلسلة أشبه ببتلات الزهور. أعطت الفضّة الخالصة وهجًا رقيقًا أشبه بالبلاتين. فكّر إريك كم ستبدو تلك القلادة جميلة حول عنق سيمونا، وقرّر أن يشتريها لها كهديّة لعيد الميلاد.

بينما العاملة تلفّ القلادة بورقة حمراء داكنة، رنَّ هاتف إريك بجانب العلبة الخشبية. أخرج هاتفه وأجاب من دون أن ينظر إلى الشاشة.

«إريك ماريّا بارك».

أخذ الخطّ يتقطّع بينما سمع أغاني الميلاد على الطرف الآخر.

قال إريك: «مرحبًا». ثمّ سمع بعدئذ صوتًا ضعيفًا.

«هل هذا إريك؟».

أجاب: «نعم إنّه أنا».

«كنت أسأل نفسي».

سمع إريك صوت قهقهة في الخلف.

سأل إريك بحدّة: «إلى من أتحدّث؟».

«أريد أن أسألك عن شيء يا دكتور»، قال الصوت وقد بدا أكثر تهكّمًا.

كان إريك على وشك أن يُقفل الخطّ حين عاد الصوت على الطرف الآخر: «أريدك أن تنوّمني مغناطيسيًّا، أنا أرغب...».

أبعد إريك الهاتف عن أذنه. أنهى المكالمة، وحاول أن يرى من المتّصل، لكنّ الرقم كان محجوبًا.

أخبره صوت طنين آخر بأنّه استلم رسالة من رقم محجوب أيضًا: «حاول أن تنوّم جثّة تنويمًا مغناطيسيًّا».

كان مشوّشًا عندما غادر إريك متجر المجوهرات حاملًا هديّة عيد الميلاد. التقى نظره عند المدخل الرئيسيّ في شارع «هامن» بامرأة ترتدي معطفًا أسود واسعًا. كانت تقف تحت شجرة عيد ميلاد بارتفاع ثلاثة طوابق وتنظر إليه. لم يكن قد رآها من قبل، ولكن بدت النظرة في عينيها عدائيّة جدًّا.

فتح بيدٍ واحدة غطاء العلبة الخشبيّة الصغيرة في جيبه. أخرج قرص «كودبين»، وضعه في فمه وازدرده.

خرج إلى الهواء البارد. تجمهر الناس حول بضائع أعياد الميلاد في واجهات المتاجر. كان «ألفيس الصغير»[1] يرقص حول لوحة طبيعيّة مصنوعة من الحلوى، والأطفال في سنّ ما قبل المدرسة يرتدون سترات صفراء عاكسة للضوء فوق معاطفهم الشتويّة وهم يراقبون ما حولهم بدهشة.

رنّ هاتفه ثانية، ولكنّه هذه المرة تأكّد من الرقم، الذي يحمل رمز مقاطعة ستوكهولم، أجاب بوهن: «إريك ماريّا بارك».

«نعم، مرحبًا. اسمي برين سوندسترَم. أنا أعمل في 'منظّمة العفو الدوليّة'».

«أهلًا»، قال متسائلًا حول سبب هذه المكالمة.

«أريد معرفة إن كان مريضك في وضع يسمح له برفض التنويم المغناطيسيّ؟».

«ما الذي تقولينه؟»، سأل إريك وهو يراقب حلزونًا كبيرًا يسحب

---

(1) شخصيّة خياليّة تجسّد أحد الأقزام الذين يساعدون سانتا كلوز في إعداد هدايا الميلاد للأطفال.

مزلقة مليئة بهدايا الميلاد في واجهة أحد المتاجر. وأخذ قلبه ينبض بقوّة وشعر بسائل الصفراء يتصاعد في معدته.

«في كتيّب المخابرات الأمريكيّة، في الجزء المتعلّق بالتعذيب السرّيّ فإنّ التنويم المغناطيسيّ يقع ضمن...».

«إنّ الطبيب المسؤول عن علاج المريض قرّر أن...».

«إذن أنت لست مسؤولًا عن الأمر؟».

قال: «لا أعتقد أنّ عليّ الإجابة عن هذا السؤال».

«تمّ إبلاغ الشرطة عنك»، قالت باقتضاب.

«من الجيّد معرفة ذلك»، قال وهو ينهي المكالمة.

مشى ببطء نحو «مسرح مدينة ستوكهولم» بأعمدته الزجاجيّة اللامعة. حين اقترب من سوق الأعياد، رأى عازف بوق يعزف مقطوعة «ليلة ساكنة». توقّف عند أحد متاجر «7-إلِفِن» وقرأ عناوين الصحف المسائيّة:

خداع طفل كي يعترف بأنّه قتل كلّ عائلته
تحت التنويم المغناطيسيّ

و

فضيحة التنويم المغناطيسيّ
إريك ماريّا بارك يخاطر بحياة فتى

شعر إريك بالنبض يتصاعد في أذنيه وهو يحاول ألّا تلتقي عيناه بأحد. مرّ قرب مكان اغتيال رئيس الوزراء أولوف بالمي. هناك ثلاث ورود حمراء تستقرّ على حجر الشاهد المتّسخ. سمع إريك صوت شخص يناديه، فتسلّل إلى متجر للإلكترونيّات. شعر بأنّه قلق وتائه. كانت يداه ترتعشان حين وضع حبّة «كودبين» أخرى في فمه. قرصته معدته حين بدأ مفعول الدواء.

على المذياع كان يدور نقاش حول ضرورة منع استخدام التنويم المغناطيسيّ كنوع من العلاج. قال رجل إنّه قد تمّ تنويمه مغناطيسيًّا ذات مرّة كي يعتقد بأنّه بوب ديلان.

وقال متبجّحًا: «لقد علمت أنّ ذلك لم يكن صحيحًا، لكن بالرغم من هذا شعرت بأنّي مجبر على قول ما قلته. علمت أنّني كنت منوّمًا مغناطيسيًّا، ولكنّي واصلت اعتقادي بأني بوب ديلان. لم أتمكّن من منع ذلك. كان بإمكاني أن أعترف بأيّ شيء».

قال وزير العدل بلهجته السمولنديّة[1]: «إنّ استخدام التنويم المغناطيسيّ في تحقيق جنائيّ، يعدّ من دون أدنى شكّ انتهاكًا لحقوق الفرد».

سأله الصحافيّ بحماسة: «إذن فإنّ إريك ماريّا بارك قد خرق القانون؟».

«على مكتب المدّعي العامّ النظر في هذا الأمر...».

---

(1) سمولاند: مقاطعة جنوب السويد.

26

مساء الأربعاء، 9 ديسمبر

كان العرق ينساب على ظهر إريك وهو يقف عند الباب في شارع «73 لونتماكر». أدخل الرمز السرّيّ وفتح البوّابة. بحث عن مفاتيحه حين كان المصعد يأخذه للأعلى. حالما دخل أقفل الباب خلفه. تعثّر وهو يدخل إلى غرفة المعيشة. حاول أن يخلع حذاءه ومعطفه، لكنّه ترنّح على قدميه.

فتح التلفاز وشاهد رئيس «المجمع السويديّ للتنويم المغناطيسيّ السريريّ» -يعرفه إريك جيّدًا، وقد رأى العديد من زملائه يعانون من عجرفته وطموحه- وهو يقول:

«طردنا بارك قبل عشرة أعوام، ولا نرى سببًا يدعو لأن نعيد النظر في قرارنا ذاك»، وابتسم ابتسامة صغيرة.

«هل سيؤثّر هذا على سمعة التنويم المغناطيسيّ الجادّ؟».

أجاب متباهيًا: «جميع أعضاء جمعيّتنا ملتزمون بقواعد أخلاقيّة صارمة، ولدى السويد قوانين شديدة ضدّ سوء استخدامه».

خلع إريك معطفه أخيرًا، وجلس ليستريح على الأريكة. لكنّه فتح عينيه ثانية بسرعة وهو يسأل نفسه عمّا سيعتقده بنيامين حين يشاهد الأخبار.

أطفأ التلفاز وذهب إلى غرفة النوم وجلس على السرير. خلع بنطاله ووضع العلبة الخشبيّة ذات صورة الببغاء في أحد الأدراج قرب السرير.

حاول ألّا يفكّر بالحنين الذي اضطرم بداخله حين قام بتنويم جوزيف إيك مغناطيسيًّا، وحين سُحب إلى ذلك البحر الأزرق العميق. استلقى إريك على الفراش، ونظر إلى كأس الماء الذي كان يرغب به

على الطاولة المجاورة للسرير، لكنّه استسلم للنوم قبل أن يتمكّن من تحقيق رغبته.

***

استيقظ من نومه. وجد نفسه في حالته الخدرة تلك يفكّر في والده وهو يؤدّي دوره في حفلات الأطفال، مرتديًا سترته الطويلة الذيل والعرق يتصبّب على وجنتيه. كان يصنع حيوانات من البالونات، ويسحب الأزهار الملوّنة من عصا مجوّفة. حين أصبح أكبر سنًّا وسمع عن عمل إريك في مجال التنويم المغناطيسيّ العلاجيّ، أراد أن يعملا معًا في عرض ما. كانت فكرته أن يقوم هو بدور لصٍّ محترم بينما يكون إريك هو المنوّم المغناطيسيّ على المسرح وسيجعل الناس يغنّون مثل إلفيس أو زارا ليندر.

انتفض من أفكاره تلك وجلس ومعدته تؤلمه بشدّة. التقط هاتفه عن الطاولة المجاورة للسرير واتّصل بسيمونا.

أجابت: «هنا صالة عرض سيمونا بارك الفنّيّة».

قال إريك: «مرحبًا، إنّه أنا».

«انتظر لدقيقة».

سمع صوت خطواتها وهي تتحرّك على الأرضيّة الخشبيّة وتغلق باب المكتب خلفها.

«ما الذي يحدث؟ اتّصل بي بنيامين و...».

قاطعها: «هناك عاصفة إعلاميّة كبيرة».

«ما الذي فعلته؟»، سألته.

«سألني الطبيب المسؤول عن المريض أن أنوّمه مغناطيسيًّا».

«ولكنّ الاعتراف بجريمة تحت تأثير التنويم يعدّ...».

«أصغي إليّ، أرجوك. أصغي إليّ فقط».

«حسنًا».

«لم يكن ذلك تحقيقًا رسميًّا»، قال إريك.

«لا يهمّ ما تعتقده...». توقّفت عن الكلام. استطاع سماع صوت تنفّسها.

«لم يكن تحقيقًا رسميًا. احتاجت الشرطة إلى دليل ما، أيّ شيء في حقيقة الأمر، لأنّهم اعتقدوا أنّ حياة الفتاة في خطر. ورأى الطبيب المسؤول عن العلاج أنّ أيّ خطر قد ينجم عن التنويم المغناطيسيّ لن يكون خطيرًا».

«ولكن...».

«اعتقدنا أنّه ضحيّة، وكنّا نحاول إنقاذ حياة شقيقته».

سمع سيمونا تأخذ نفسًا عميقًا. وقالت بصوتٍ مرتعش:

«ما الذي فعلته؟ لقد وعدت بألّا تنوّم أيّ أحدٍ مغناطيسيًّا».

«ستكون الأمور على ما يرام. لا شيء لتقلقي بشأنه».

«ماذا؟ لا شيء أقلق بشأنه! لقد خالفت وعدك وتعتقد أنّ الأمر لا يستحقّ القلق. لا يمكن الوثوق بك حقًّا. أنت تواصل الكذب فقط». وأغلقت سيمونا الهاتف.

ظلّ إريك متسمّرًا في مكانه لفترة. ثم ذهب إلى المطبخ وذوّب قرص «ألكاسيلتزر» في الماء، ثمّ ابتلع «بريلوسيك» مع الشراب الفوّار الحلو.

27

مساء الخميس، 10 ديسمبر

نظر جونا حوله إلى المكتب المعتم الفارغ. الساعة الآن الثامنة مساءً تقريبًا وهو آخر الباقين في القسم. نجوم الميلاد والشموع الكهربائيّة تسطع برقّةٍ على كلّ النوافذ، وقد تضاعف ألقها بسبب انعكاسها على الزجاج. تركت آنيا صحنًا من حلوى الميلاد على مكتبه، وقد أكل الكثير منها بينما هو يكتب الملاحظات عن استجوابه لإيڤلين.

بعد إمساكه بإيڤلين متلبّسة بالكذب، قرّر المدّعي العام إبقاءها رهن الاحتجاز. لهذا فقد توفّرت لجونا ثلاثة أيّام للتحقيق قبل أن توجّه لها أيّة تهمة رسميّة. وإن لم يستطع العثور على دليلٍ كافٍ لإدانتها فسوف يتمّ إخلاء سبيلها. يعرف جونا جيّدًا أنّ أكاذيب إيڤلين لا تعني بالضرورة تورّطها في الجريمة. لكن على الأقلّ لديه ثلاثة أيّام كي يكتشف ما تخفيه ولماذا.

طبع التقرير ثمّ وضعه مع حزمة المستندات المقدّمة للمدّعي العامّ. أقفل على مسدّسه في خزانة الأسلحة ثمّ غادر قسم الشرطة.

بينما جونا يقود بالقرب من «فريدم بلازا»، رُنّ هاتفه، لكنّه لم يستطع إخراجه من معطفه. وبسبب الارتجاج انزلق الهاتف عبر فتحة في جيبه إلى بطانة السترة الداخليّة. أضاءت إشارة المرور الخضراء. قاد نحو محطّة لوقوف الحافلات خارج مطعم هنديّ. أخرج هاتفه ثمّ أعاد طلب الرقم.

«هنا جونا لينا. لقد اتّصلت بي لتوّك».

«نعم»، أجاب صوت رجل، «أنا الشرطيّ روني ألفريدسون، أنا وشريكي غير واثقَيْن ممّا علينا فعله الآن».

«هل تحدّثت مع حبيب إيڤلين السابق سوراب رمضاني؟».

«لم يجرِ الأمر بشكل جيّد».

«هل تفحّصت مكتبه؟».

قال روني: «ليس الأمر كذلك. إنّه هنا في شقّته ولكنّه يرفض أن يفتح الباب. لا يريد التحدّث إلينا. يصرخ باستمرار طالبًا منّا الرحيل. قال إنّنا نزعج جيرانه ونضايقه فقط لكونه مسلمًا».

«ما الذي قلته له؟».

«لا شيء. فقط أنّنا نحتاج إلى مساعدته في أمر ما. فعلنا ما أخبرتنا به فقط».

«فهمت»، قال جونا.

«هل نكسر الباب؟».

«أنا قادم إليكم. دعوه وشأنه حتّى أصل».

«هل ننتظرك في السيّارة خارجًا؟».

«نعم أرجوك».

انعطف جونا وشقّ طريقه بجوار ناطحة السحاب «دايغينز نياتِر» ونحو «ويسترن بريدج». في تلك العتمة، جعلت أضواء المدينة السماءَ تبدو وكأنّها سديم ضبابيّ غامض.

فكّر ثانية في مسرح الجريمة. كان هناك شيء غريب في تسلسل الأحداث. بدت بعض الظروف متناقضة. عندما أضاءت إشارة المرور الحمراء تناول جونا مظروفًا موضوعًا على المقعد المجاور. تفحّص بسرعة الصور من غرفة الخزائن، ثلاث مرشّات استحمام، لا يوجد حاجز بينها، وميض الكاميرا ينعكس على الجدار الأبيض. في إحدى الصور ظهرت المسّاحة ذات المقبض الخشبي متّكئة إلى الجدار، وطرفها المطاطيّ محاطًا ببركة من الدماء والأوساخ ولاصقات الجروح وقارورة من سائل الاستحمام.

استقرّت قرب مصرف المياه على الأرض ذراع بشريّة كاملة. المفصل

الكرويّ محاط بالغضروف والعضلات الممزّقة، وسكّين الصيد مع نصلها المكسور مستقرّة وسط حوض الاستحمام.

وجد «الإبرة» نهاية النصل مغروسًا في حوض أنديش إيك حين أجرى له الأشعّة المقطعيّة.

الجسد المشوّه استلقى على الأرض بين المصاطب الخشبيّة والخزائن المعدنيّة المبعوجة. سترة قصيرة حمراء معلّقة في خطّاف على الجدار، دماء في كلّ مكان، على الأرضيّة والأبواب والسقف والمصاطب.

نقر جونا على المقود بينما كان ينتظر تغيّر إشارة المرور. تمكّن الفريق الجنائيّ من التحفّظ على الكثير من الأدلّة. من بصمات أصابع وألياف مئات الأشخاص، ولكن لا شيء إلى حدّ الآن يدين جوزيف إيك. الكثير من الحمض النوويّ الذي تمّ العثور عليه كان متحلّلًا وعديم الفائدة.

قال لخبراء الأدلّة الجنائيّة إنّ عليهم التركيز على البحث عن آثار لدماء الأب على جوزيف إيك. الدم من مسرح الجريمة الثاني لا يعني أيّ شيء، كلّ الأشخاص في المنزل كانوا مغطّين بدم أحدهم الآخر. فحقيقة كون جوزيف يحمل آثارًا من دم شقيقته الصغرى لم يكن مثيرًا للشكوك، وكذلك لو كانت عليها هي آثار من دمائه، ولكن إن تمكّنوا من العثور على آثار من دماء الأب على جوزيف، أو آثار من جوزيف في غرفة الخزائن، فهذا سوف يربطه بمسرح الجريمتين. ولو تمكّنوا من إثبات وجوده في غرفة الخزائن فإنّ ذلك سيكون كافيًا لتوجيه التهم له. بينما كان جوزيف في «مستشفى هودينْيهْ»، تمّ توجيه أحد الأطبّاء من قبل الفريق الجنائيّ للتحفّظ على كلّ الأدلةّ الحيويّة من جسده.

اتّصل جونا بإريكسون، ضابط التحقيقات الجنائيّة المسؤول عن مسرح الجريمة في «تومبا». فأجابه صوت خشن: «ارحل عنّي».

مازحه جونا: «إريكسون، أعطني إشارة ما، أي شيء يثبت لي أنّك ما زلت على قيد الحياة».

«أنا نائم»، ردّ الرجل البدين بإنهاك.
«آسف».
«حسنًا، لستُ كذلك. أنا في طريقي إلى المنزل».
«هل وجدت أيّ شيء يثبت وجود جوزيف في غرفة الخزائن؟».
«لا».
«يجب أن تعثر على شيء ما».
«لا»، أجاب إريكسون.
«لا أعتقد أنّك تؤدّي عملك بشكل جيّد».
«أنت مخطئ»، أجاب إريكسون بهدوء.
«هل ضغطت على رفاقنا في لينشوبينغ[1]»، سأل جونا.
«أنا أضغط عليهم بكلّ ثقلي».
«وماذا؟»، سأل جونا.
«لم يجدوا أيّ حمض نوويّ من الأب على جوزيف».
قال جونا: «أنا لا أصدّقهم. لقد كان مغطّى بالدم»
«ولا قطرة واحدة»، قاطعه إريكسون.
«ذلك لا يبدو منطقيًّا».
«كانوا متأكّدين من ذلك حين أخبروني».
«لا شيء».
«لا. ولا قطرة صغيرة. لا شيء».
«حسنًا. لا يمكننا أن نكون أسوأ حظًّا».
«أعتقد أنّنا كذلك. ربّما يتعيّن عليك التخلّي عن هذه الفكرة».
قال جونا: «سنرى».
أنهيا المكالمة. وفكّر جونا كيف أنّ بعض الأشياء التي تبدو غامضة قد تكون محض مصادفة بحتة. إنّ طريقة القتل في مسرَحَيّ الجريمة

(1) مدينة سويديّة.

تبدو متماثلة، طعن عشوائيّ ومحاولات عنيفة لتقطيع الأجساد. إذن، من الغريب بمكان ألّا يجدوا أيًّا من دماء الأب على جوزيف. إن كان هو القاتل فيجب أن يكون مغطّى تمامًا بدم والده حين غادر غرفة الخزائن. حتّى أنّ أحدًا ما كان سيلاحظه، فكّر جونا، ثمّ اتّصل بإريكسون ثانية.

«نعم؟».

«فكّرت بشيء ما».

«لديك عشرين ثانية؟».

«هل تفقّدت غرفة الخزائن العائدة للنساء؟».

«لم يكن هناك أحد والباب مغلق».

«ربّما كان مع الضحيّة نسخة من المفاتيح».

«ولكن...».

«تأكّد من مصرف المياه في حوض الاستحمام العائد للنساء»، قال جونا.

28

مساء الخميس، 10 ديسمبر

قاد جونا سيّارته إلى «تانتولندُن» وأوقفها أمام الشقّة متجاهلًا موقف السيّارات وهو يسأل نفسه أين رُكنت سيّارة الشرطة. تأكّد من العنوان، وفكّر باحتمال أن يكون روني وشريكه قد طرقا الباب الخطأ. ابتسم، هذا سيفسّر لمَ رفض سوراب السماح لهما بالدخول، لأنّ ذلك ليس اسمه حتّى.

كان هواء المساء باردًا. حين مشى بسرعة نحو الباب الأماميّ فكّر كيف قام جوزيف بوصف تسلسل الأحداث في المنزل. لم يقم بأيّ محاولة لإخفاء الجرائم أو لحماية نفسه. لم يفكّر في أيّة تبعات محتملة، وترك نفسه ليغطّى تمامًا بالدماء.

ربّما كان جوزيف إيك يصف حالته العاطفيّة حين كان تحت تأثير التنويم المغناطيسيّ، لهذا فقد أظهر كلّ ذلك الغضب العارم والارتباك. لكنّ أفعاله قد تكون مدروسة للغاية في ذلك الوقت، على الأقلّ في البداية في ملعب كرة القدم. ربّما قام بارتداء معطف مطريّ يغطي كامل جسده ثم استحمّ في غرفة خزائن السيّدات قبل أن يعود إلى المنزل.

يحتاج إلى التحدّث مع دانييلا ريتشاردز ليعرف متى سيكون جوزيف في صحّة جيّدة كفاية كي يقوم باستجوابه رسميًّا.

دلف جونا داخلًا، ورأى انعكاس صورته على المربّعات العديدة التي تتألّف منها اللوحة التعريفيّة على جدار المبنى أمام المصعد. اتّصل بروني مرّة ثانية، لكنّه لم يحصل على جواب. ربّما سمح له سوراب بالدخول أخيرًا. صعد جونا إلى الطابق السادس، ورنّ جرس باب سوراب.

انتظر لبرهة ثمّ طرق الباب. انتظر لفترة أطول، ثمّ قام بفتح فتحة البريد، وقال: «سوراب! اسمي جونا لينا، أنا ضابط شرطة».

كان هناك صوت خلف الباب وكأنّ شخصًا ما يستند إليه، ثمّ تحرّك مبتعدًا.

قال جونا: «أنت الشخص الوحيد الذي كان يعرف مكان اختباء إيڤلين».

«لم أفعل أيّ شيء»، قال صوت رجاليّ عميق من داخل الشقّة.

«لكنّك قلت...».

صرخ: «أنا لا أعرف أيّ شيء».

قال جونا: «حسنًا. لكنّي أريدك أن تفتح لي الباب وتنظر إلى عينيّ، وتقول لي إنّك لا تعرف أيّ شيء».

«ابتعِد».

«افتح الباب».

«ما الأمر بحقّ الجحيم؟ ألا يمكنك فقط أن تتركني وشأني. ليس لي علاقة بهذا. لا أريد التورّط في الأمر».

بدا صوته يائسًا بالرغم من كونه أهدأ بكثير الآن. استطاع جونا سماعه يتنفّس ثمّ يضرب شيئًا ما بيده.

«إيڤلين بخير»، قال جونا. فاهتزّت فتحة البريد قليلًا.

«لقد اعتقدتُ...». توقّف عن الكلام ثانية.

«نحن نرغب فقط بالتحدّث إليك».

«هل هذا صحيح؟ ألم يحدث شيء لإيڤلين؟».

«افتح الباب».

«لا أريد فتحه. لقد أخبرتك».

«يجب أن تأتي معي».

حلّ صمت، ولم يقل أيّ منهما شيئًا لعدّة دقائق.

«هل جاء إلى هنا أكثر من مرّة؟»، سأل جونا.

«من؟».

«جوزيف».

«من هو جوزيف؟».

«شقيق إيڤلين».
«لم يأت إلى هنا إطلاقًا»، قال سوراب.
«إذن، من الذي أتى؟».
«لم أقل إنّ أيّ أحد كان هنا. أنت تريد خداعي».
«لا. لستُ كذلك».
عاد الصمت، ثمّ سُمع صوت نشيج مطوّل خلف الباب.
سأل سوراب: «هل ماتت؟ هل ماتت إيڤلين؟».
«لماذا تسأل؟».
«لا أريد التحدّث إليك».

سمع جونا صوت خطوات تبتعد، ثمّ صوت باب يُغلق، وموسيقى عالية راحت تنبعث من داخل الشقّة. حين نزل جونا على الدرج فكّر في أنّ شخصًا ما أخاف سوراب كي يخبره أين تختبئ إيڤلين.

خرج جونا إلى هواء الليل البارد. رأى رجلين يرتديان سترتين رياضيّتين يقفان قرب سيّارته. استدارا حين سمعا صوت خطواته تقترب. جلس أحدهما على غطاء المحرّك وهو يمسك بالهاتف على أذنه. تفحّصهما جونا بسرعة، كانا في الثلاثينيّات، الجالس على غطاء المحرّك حليق الشعر بينما للآخر تسريحة شعر تشبه السلطانيّة. خمّن جونا أنّ وزنه أكثر من مائتي باوند، ربّما يمارس الملاكمة أو الكاراتيه أو الكيك بوكسنغ، ربّما يتعاطى المنشّطات أيضًا. فكّر جونا، ربّما كان الشخص الآخر يحمل سكّينًا ولكنّه لا يمتلك مسدّسًا.

كانت طبقة خفيفة من الجليد تستقرّ على العشب. استدار جونا وكأنّه لم ينتبه لوجود الرجلين، واتّجه نحو الممرّ ذي الإضاءة الساطعة.
«مرحبًا أيّها الرجل العجوز»، ناداه أحدهما.
تظاهر جونا بأنّه لم يسمعه، ومشى نحو الدرج بجوار عمود الإضاءة.
«ألن تأخذ سيّارتك؟».

توقّف جونا وحدّق إلى البناية في الأعلى. استنتج أنّ الرجل على غطاء المحرّك يتحدّث مع سوراب على الهاتف، وأنّ سوراب يراقبهم

من نافذته، بينما اتّجه الشخص الآخر نحو جونا ببطء، فاستدار جونا كي يواجهه.

«أنا ضابط شرطة».

«وأنا قرد صغير لعين».

أخرج جونا هاتفه واتّصل بروني ثانية. أخذت نغمة «سويت هوم ألاباما» تُعزف في جيب الرجل الضخم. ابتسم مكشّرًا عن أسنانه وأخرج هاتف روني ثمّ أجاب.

«مرحبا هنا الشرطة».

قال جونا: «ما الذي يجري هنا؟».

«عليك أن تبقي بعيدًا عن سوراب، إنّه لا يريد الكلام».

«هل تعتقد حقًّا أنّك تساعده حين...».

«هذا إنذار»، قاطعه الرجل، «هذا إنذار. أنا لا آبه البتّة بمن تكون، عليك أن تبقى بعيدًا عن سوراب».

«أين زميلاي؟»، سأله جونا بثبات.

«ألم تسمعني؟ اترك سوراب وحده».

مرّر الرجل أمام جونا يده خلال شعره، ثمّ أخذ يتنفّس بشكل أسرع. اقترب منه رافعًا قدمه بضع سنتمترات عن الأرض.

قال جونا: «لقد كنت مدرّبًا في شبابي، إن هاجمتني سأدافع عن نفسي وأعتقلك».

«نحن نرتجف من الخوف»، قال الرجل الجالس على السيّارة.

لم يدع جونا الرجل الآخر يغيب عن ناظريه.

«أنت تفكّر في ركلي على ساقي، لأنّك تعلم جيّدًا أنّك أكثر كسلًا من أن تضربني في مكان أعلى».

«غبي»، تمتم الرجل.

تحرّك جونا نحو اليمين كي يمنح نفسه خيارات إضافيّة.

«لو قرّرت أن تركلني، فلن أتراجع كما تتوقّع بل سأتقدّم نحوك،

وأسدّد ضربتي لركبتك الأخرى، وحين تسقط على الأرض سأدقّ عنقك بكوعي هذا».

«يا إلهي. إنّه يتفوّه بالكثير من الهراء»، قال الرجل على السيّارة.

«نعم»، قال الرجل الآخر مكشّرًا.

قال جونا: «لو كان لسانك خارج فمك حين يحصل هذا فسوف تعضّه».

تأرجح الرجل ذو تسريحة السلطانيّة، وحين أتت الضربة أخيرًا كانت أبطأ بكثيرٍ من المتوقّع. اتّخذ جونا خطوته الأولى حالما ابتدأ الرجل بالتحرّك، وقبل أن يمدّ ساقه ليضرب الهدف، ضربه جونا على ركبة الساق الأخرى. فقد الرجل توازنه وسقط على ظهره حين التفّ حوله جونا واضعًا كوعه على رقبته.

29

صباح الجمعة، 11 ديسمبر

الساعة الخامسة والنصف صباحًا. هناك صوت ضجّة يأتي من مكان ما من الشقّة. سمعت سيمونا الصوت كجزء من حلم مشوَّش كانت تحلم به، كانت تلعب النسخة الصعبة من لعبة مقامرة، ورغم فهمها للقواعد فقد واصلت الإخفاق. هناك صبيّ يضرب على الطاولة ويشير إلى كونها تلعب بشكل سيّئ. فجأة استيقظت.

شيءٌ ما أو شخص ما يطرق على باب الشقّة. حاولت أن تستدلّ من أين يأتي الصوت في الظلمة. رقدت ساكنة وأصغت، لكنّ الطرق اختفى.

سمعت إريك يشخر بهدوء إلى جوارها.

اعتقدت سيمونا أنّ الصوت جاء من حلمها، لكنّ الطرق عاد ثانية. شخص ما داخل الشقّة. كان إريك قد تناول أقراصًا منوّمة ويغطّ في نوم عميق. حين وضعت يدها على ذراعه هدأ شخيره وانقلب مع زفير طويل في نومه. غادرت سيمونا الفراش بأقصى هدوء تستطيعه، وانسلّت عبر باب الغرفة نصف المفتوح. هناك ضوء في المطبخ. حين دخلت رأت أنّه يأتي من الثلّاجة. أبواب الثلّاجة والمجمّدة مفتوحتان، وقطرات من الماء تسقط من الطعام الذائب مصدرة صوت ضرب دقيق حين تحطّ على الأرضيّة البلاستيكيّة.

الجوّ بارد في المطبخ، وتفوح منه رائحة السجائر.

نظرت إلى المدخل الخارجيّ، ثمّ رأت الباب الأماميّ مفتوحًا.

هرعت إلى غرفة بنيامين، لكنّه كان يغطّ في نوم عميق. وقفت هناك لبضع دقائق تصغي إلى صوت غطيطه.

حين ذهبت لإغلاق الباب الأماميّ أوشك قلبها أن يتوقّف. شخص

يقف عند المدخل. أومأ لها برأسه ثم أعطاها شيئًا، تطلّب الأمر منها عدّة ثوانٍ كي تدرك أنّه كان موزّع الصحف يحمل إليها صحف الصباح. شكرته وأخذتها منه. لكن حين أغلقت الباب أخيرًا ثمّ أقفلته بالمفتاح كان جسدها بأكمله يرتجف.

أضاءت جميع المصابيح، وتفحّصت كلّ الشقّة. لم يُفقد شيء.

قرفصت سيمونا وأخذت تمسح الماء عن الأرض. حين دخل إريك قام بوضع منشفة على الأرض وراح يمسح الماء بقدميه.

قال: «لا بدّ من أنّه أنا... كنت أمشي في نومي».

«لا»، قالت سيمونا بإنهاك.

«إنّ الثلّاجة هدف كلاسيكيّ، ربّما كنت جائعًا».

«هذا ليس أمرًا مضحكًا، بالإضافة إلى أنّ نومي خفيف جدًّا وأنا أستيقظ في كلّ مرّة تتقلّب فيها على السرير أو تتوقّف عن الشخير. أنا أستيقظ حين يذهب بنيامين إلى الحمّام».

«إذن لا بدّ من أنّك أنتِ من تمشي في نومها».

«لماذا كان الباب الأماميّ مفتوحًا إذن... لماذا؟»، توقّفت، ولم تعرف إن كان يتعيّن عليها إخباره بذلك أم لا.

«كما أنّي شممت رائحة سجائر في المطبخ»، قالت أخيرًا.

قهقه إريك بينما تضرّجت وجنتا سيمونا بحمرة الغضب.

سألت بتوتّر: «هل من الصعب جدًّا تصديق وجود أحد غريب هنا؟ بعد كلّ ذلك الهراء الذي تكتبه الصحف عنك، سيكون مفاجئًا جدًّا لو تصوّرنا أن يقتحم شقّتنا أحد المختلّين!».

«توقّفي عن ذلك، هذا غير منطقيّ سيمونا. من سيقتحم شقّتنا ويفتح الثلّاجة ويدخّن سيجارة ثمّ يغادر فقط؟».

رمت سيمونا المنشفة على الأرض ثانية: «لا أعرف إريك. لا أعرف. لكن ذلك ما حصل فعلًا».

«اهدئي»، قال إريك.

«كيف بإمكاني أن أهدأ؟».

«هل أخبرك بما أظنّه... أعني أنّ القليل من دخان السجائر ليس بالأمر الغريب، ربّما دخّن أحد الجيران سيجارة بالقرب من فتحة التهوية لأن البناية بأكملها تشترك بنظام التهوية، أو قام مغفّل ما برمي سيجارته في بهو السلّم من دون تفكير».

«ليس عليك أن تتظاهر بمساندتي»، قالت سيمونا بمرارة.

«بالله عليك يا سيمونا! الأمر لا يستحقّ أن نتشاجر بشأنه. أنا لا أعتقد أنّه أمر يدعو للقلق. أنا واثق من وجود تفسير عقلانيّ لكلّ شيء».

قالت: «أنا متأكّدة من أنّ شخصًا ما كان في الشقّة حين استيقظت».

تنهّد ثمّ غادر المطبخ تاركًا سيمونا وحدها، وهي تنظر إلى المنشفة المتّسخة التي كانا ينظّفان بها الأرض.

جاء بنيامين وجلس إلى طاولة المطبخ في مقعده المعتاد.

«صباح الخير»، قالت.

تنهّد ثمّ أسند رأسه على يديه: «لماذا أنت وأبي تكذبان دومًا بخصوص كلّ شيء».

«نحن لا نفعل».

قال: «بل طبعًا تكذبان».

«هل تفكّر بما قلته لك في سيّارة الأجرة؟».

«أنا أفكّر في الكثير من الأشياء»، صرخ.

«ليس هناك من داع لأن ترفع صوتك».

«انسي أنّي قلت أيّ شيء»، قال متنهّدًا.

«لا أعرف ما الذي سيحصل بيني وبين والدك. ليس الأمر بتلك السهولة. أنت على حقّ ربّما ونحن نخدع نفسَيْنا فقط، ولكنّ ذلك ليس مثل الكذب».

«حسنًا».

«هل تفكّر في أمر آخر؟».
«لا توجد لي أيّ صور حين كنت طفلاً».
«بل لديك»، أجابت مبتسمة.
«كطفلٍ رضيعٍ»، قال.
«أنت تعلم أنّي عانيت من إجهاضات متكرّرة في الماضي، وكنّا سعيدَيْن جدًّا حين ولدت، حتّى أنّنا نسينا التقاط الصور. أتذكّر تمامًا كيف كنت تبدو حين ولدت مع أذنيك الصغيرتين المجعَّدتَيْن».
«توقّفي عن ذلك»، صرخ بنيامين وذهب إلى غرفته.
جاء إريك إلى المطبخ، وذوّب قرص «ألكاسيلتزر» في قدح من الماء.
«ما الأمر مع بنيامين؟»، سأل.
«لا أعرف»، همست.
أفرغ إريك قدحه وهو يقف عند الحوض.
«هو يعتقد أنّنا نكذب بخصوص كلّ شيء»، قالت.
«كلّ المراهقين لديهم هذا الشعور».
تجشّأ إريك بصمت.
قالت: «أخبرته عرَضًا باحتمال انفصالنا أنا وأنت».
«ماذا؟ كيف تمكّنت من قول شيء كهذا؟»، قال بغضب.
«قلت ما شعرت به في ذلك الوقت فقط».
«يا إلهي... لا يمكنك التفكير في نفسك فقط هنا».
«لست أنا من يفعل ذلك، لست أنا...».
«اصمتي!»، صرخ مقاطعًا.
«لست أنا من يتناول الأقراص كلّ يوم».
«ليست لديك فكرة عن أيّ شيء».
«أعرف بأنّك تتناول مسكّنات الألم».
«ما شأنك أنتِ بهذا».
«ما الذي يؤلمك إريك... أخبرني».

«أنا طبيب. وأعتقد أنّ حُكمي على الأمور سيكون أفضل من...».
«أنت لن تخدعني»، ثارت ثائرتها.
«ما الذي يعنيه ذلك؟»، قال ضاحكًا.
«أنت مدمن إريك. نحن لم نعد زوجَيْن لأنّك تتناول تلك الأقراص التي...».
قاطعها: «ربما لا أرغب في ذلك معك. لماذا قد أرغب في ذلك وأنتِ بائسة طوال الوقت».
«حسنا سننفصل إذن»، قالت.
«حسنًا»، أجابها.
لم تستطع النظر إليه. غادرت المطبخ ببطء وهي تشعر بحنجرتها تعتصر وبالدموع تتجمّع في عينيها.
أغلق بنيامين على نفسه باب غرفته، وراح يستمع إلى الموسيقى بصوت مرتفع جدًّا جعل الجدران والأبواب تهتزّ. حبست سيمونا نفسها في الحمّام، أطفأت الضوء وبكت.
«اللعنة»، سمعت إريك يصرخ قبل أن يفتح الباب الأماميّ ثمّ يصفقه خلفه بقوّة.

30

صباح الجمعة، 11 ديسمبر

اتّصلت الدكتورة ريتشاردز بجونا قبل السابعة صباحًا بقليل. قالت إنّها تعتقد أن جوزيف قويّ الآن بما يكفي لإجراء استجواب سريع.

شعر جونا بألم في كوعه حين استقلّ السيّارة متّجهًا إلى المستشفى. فكّر في الليلة السابقة، والطريقة التي انعكست بها مصابيح سيّارات الشرطة الزرقاء على واجهة المبنى في «تانتولندُن» حيث يعيش سوراب رمضاني. بصق الرجل الضخم ذو تسريحة الشعر الشبيهة بالسلطانيّة دمًا، وغمغم بشيء ما عن لسانه حين اصطحبته قوّات الشرطة بعيدًا. وُجد روني ألفريدسون وشريكه بيتر جيسك في ملجأ للقنابل في قبو البناية. كان الرجلان قد هدّداهما بالسكاكين واحتجزاهما هناك، ثمّ قادا سيّارة الدورية إلى المبنى المجاور وتركاها في موقف السيّارات هناك.

ذهب جونا إلى شقّة سوراب وأخبره باعتقال حارسيه الشخصيّين، وأنّ باب الشقّة سوف يُكسر إن لم يفتحه حالًا، فسمح له سوراب بالدخول. سأله أن يجلس على الأريكة الجلديّة الزرقاء. عرض على جونا شاي البابونج، ثمّ اعتذر منه على تصرّفات أصدقائه.

كان رجلًا شاحب الوجه، ذا شعر على شكل ذيل حصان، ويبدو عليه القلق بوضوح وهو يتلفّت حوله طوال الوقت. اعتذر عمّا حصل، وواصل الإيضاح بأنّ لديه الكثير من المشاكل المريعة حاليًّا، «لذلك فكّرت بالحصول على بعض الحماية»، قال بهدوء.

«أيّ نوع من المشاكل؟»، سأل جونا وهو يرتشف الشاي الساخن.

قال: «شخص ما يطاردني». ونهض سوراب ونظر عبر النافذة.

«من؟»، سأله جونا.

مديرًا ظهره إليه، قال سوراب إنّه لا يريد التحدّث عن الأمر. وسأل:

«هل أنا مجبرٌ على الحديث؟ أليس لديّ الحقّ بالبقاء صامتًا؟».
«لديك الحقّ بأن تبقى صامتًا»، قال جونا.
رفع سوراب كتفيه لامباليًا: «حسنًا إذن».
واصل جونا: «ولكنّي أريدك أن تتحدّث إليّ. قد أتمكّن من مساعدتك. هل فكّرت في هذا؟».
«خالص الشكر»، قال سوراب وهو ما زال يواجه النافذة.
«هل شقيق إيڤلين هو من...».
«لا!»، ردّ غاضبًا.
«إذن لم يأتِ جوزيف إيك إلى هنا؟».
«هو ليس شقيقها».
«من هو إذن؟».
«كيف لي أن أعرف. لكنّه ليس شقيقها، إنّه شيء آخر».
مع هذه الكلمات عاد سوراب عصبيًّا مرّة أخرى. غيّر الموضوع وأخذ يتحدّث عن كرة القدم والاتّحاد الألمانيّ، ولم يُجب عن أيّ سؤال آخر. سأل جونا نفسه عمّا قاله جوزيف لسوراب، ماذا فعل له، كيف تمكّن من إخافته ليخبره عن مكان إيڤلين.
انعطف جونا، وأوقف سيّارته أمام قسم الجراحة العصبيّة. قدّم التحيّة للشرطيّ الواقف خارج غرفة جوزيف، ثمّ دخل إلى الغرفة. نهضت امرأة عن الكرسيّ المجاور للسرير، وقدّمت نفسها: «ليزبِت كارلين، أنا عاملة اجتماعيّة، سوف أدعم جوزيف في أيّ استجواب مستقبليّ».
«جيّد»، قال جونا وهو يصافحها.
نظرت إليه بطريقة وجدها متعاطفة على نحو غريب: «هل أنت من سيقود التحقيق؟»، سألت وقد بدت مهتمّة بشكل صادق.
«نعم، للأسف. اسمي هو جونا لينا من وحدة الجريمة الوطنيّة، لقد تحدّثنا على الهاتف».
كان جهاز سحب المياه من الصدر يُصدر صوت قرقرة منتظمة، بينما يسحب السوائل من رئة جوزيف المثقوبة.

قالت ليزبِت كارلين إنّ الطبيب طلب أن يستلقي جوزيف بصورة مستقيمة، كي يقلّل من خطورة تعرّضه لنزف آخر في الكبد.

«لست هنا كي أعرّض حياته للخطر»، قال جونا وهو يضع جهاز التسجيل على الطاولة بالقرب من رأس جوزيف.

أشار نحو ليزبِت بإيماءة تساؤل، فأشارت موافقة. أدار جهاز التسجيل وأخذ يصف الظروف التي يجري فيها الاستجواب: نستجوب جوزيف إيك كي يساعد الشرطة في تحقيقاتها، إنّه يوم الجمعة الحادي عشر من ديسمبر، الساعة الثامنة والربع صباحًا، ثمّ ذكر أسماء الأشخاص في الغرفة.

قال جونا: «مرحبًا».

نظر جوزيف إليه بعينين ثقيلتين.

«اسمي هو جونا... أنا محقّق».

أغلق جوزيف عينيه.

«كيف تشعر الآن؟».

نظرت العاملة الاجتماعيّة من النافذة.

سأله: «هل تتمكّن من النوم جيّدًا بوجود هذا الجهاز الذي يقرقر إلى جوارك؟».

أومأ جوزيف ببطء.

«هل تعرف لماذا أنا هنا؟».

فتح جوزيف عينيه ثمّ هزّ رأسه نافيًا. انتظر جونا وهو يراقب وجهه.

قال جوزيف: «لقد حصلت حادثة. حادثة حصلت لعائلتي كلها».

«هل أخبرك أيّ شخص بما حصل؟»، سأله جونا.

«القليل ربّما»، قال بوهن.

«رفض الاستعانة بأيّ طبيب نفسيّ أو استشاريّ»، قالت العاملة الاجتماعيّة.

دُهش جونا بمدى اختلاف صوت جوزيف في الحقيقة عن صوته

تحت التنويم المغناطيسيّ. إنّه هشٌ الآن، ولا يُسمع تقريبًا، وغير واثق من نفسه.

«أعتقد أنّك تعرف ما حصل».

«ليس عليك أن تجيب»، قالت ليزبِت كارلين بسرعة.

«أنت في الخامسة عشرة؟»، واصلَ جونا.

«نعم».

«ما الذي فعلته في يوم عيد ميلادك؟».

«لا أتذكّر»، أجاب جوزيف.

«هل حصلت على أيّة هدايا؟».

أجاب جوزيف: «شاهدت التلفاز».

«هل ذهبت لرؤية إيڤلين؟»، سأله جونا بصوت معتدل.

«نعم».

«في شقّتها».

«نعم».

«هل كانت هناك؟».

«نعم».

صمت.

«لا، لم تكن هناك»، قال جوزيف متردّدًا وهو يصوّب كلامه.

«أين كانت إذن؟».

«في الكوخ»، أجاب.

«هل هو كوخ فخم؟».

«ليس فخمًا، ولكنّه مريح».

«هل كانت مسرورة؟».

«من؟».

«إيڤلين».

صمت.

«هل أخذت معك أيّ شيء؟».
«قالب حلوى».
«قالب حلوى... هل كان لذيذًا؟».
أومأ.
«هل أحبّته إيڤلين؟»، واصل جونا.
«قالت إنّه أفضل شيء تذوَّقَته يومًا».
«هل قدّمت لك هديّة؟».
«لا».
«هل غنّت ربّما؟».
«لم ترغب أن تعطيني هديّتي»، قال بصوت مليء بالألم.
«هل قالت ذلك؟».
«نعم فعلت»، أجاب بسرعة.
«لِمَ لا؟».
صمت.
«هل كانت غاضبة منك؟»، سأل جونا.
أومأ برأسه.
«هل أرادت منك أن تفعل شيئًا لم تستطع فعله؟»، قال جونا بثبات.
«لا... إنّها». وراح جوزيف يهمس.
«لا أسمعك جوزيف».
استمرّ بالهمس. انحنى جونا نحوه محاولًا أن يسمع ما يقوله.
«ذلك الوغد!»، صرخ جوزيف في أذنه.
قفز جونا مبتعدًا عن السرير، وهو يفرك أذنه، ويحاول أن يبتسم. كان وجه جوزيف شاحبًا كالرماد حين همس: «سوف أجد ذلك المنوّم المغناطيسيّ اللعين، وسوف أمزّق حنجرته بأسناني، سوف ألاحقه و...».
أسرعت العاملة الاجتماعيّة نحو السرير وحاولت أن تطفئ جهاز التسجيل.

«جوزيف، لديك الحقّ أن تبقى صامتًا إن...».
«ابقي بعيدة عن هذا»، قاطعها جونا.
نظرت إليه بغضب: «قبل أن تسأله عليك إخباره أنّ...».
قال جونا بصوت مرتفع: «لا، أنت مخطئة. لا يوجد قانون يمنعني، لديه الحقّ بالبقاء صامتًا صحيح، ولكنّي غير ملزم الآن بإخباره بشيء».
«آسفة».
«لا عليك»، غمغم جونا ثمّ استدار نحو جوزيف.
«لماذا أنت غاضب من المنوّم المغناطيسيّ؟».
«لستُ مجبرًا على الإجابة عن سؤالك»، قال جوزيف، وحاول أن يشير نحو العاملة الاجتماعيّة.

31

صباح الجمعة، 11 ديسمبر

ركض إريك نازلًا على الدرج، وخرج إلى الشارع. حين توقّف في «سِڤيّا بوليڤارد» شعر بالعرق على ظهره يزداد برودة. شعر بالغثيان والندم ولم يصدّق كيف استطاع أن يكون بهذا الغباء وأن يُبعد سيمونا عنه فقط لأنه يشعر بأنّه مجروح الخاطر. جلس على مقعد خارج المكتبة. هناك رعشة برودة في الهواء. شاهد رجلًا ينام بالقرب منه تحت كومة ثقيلة من الأغطية.

نهض إريك ومشى نحو المنزل. اشترى بعض الخبز من الفرن وقهوة بالحليب لسيمونا. ركض عائدًا وتسلّق الدرج بخطى واسعة. كان الباب مقفلًا، فأخرج مفاتيحه وفتح الباب، فوجد الشقّة فارغة. قرّر إريك أن يثبت لسيمونا بأنّه جدير بالثقة، مهما استغرق من الوقت لإقناعها بذلك. وقف قرب طاولة المطبخ، ثمّ احتسى القهوة. شعر بالغثيان، فتناول قرص «ألكاسيلتزر».

الساعة التاسعة صباحًا. لن تبدأ مناوبته في المستشفى إلّا بعد عدّة ساعات. أخذ معه كتابًا وعاد للاستلقاء في السرير. ولكن عوضًا عن القراءة أخذ يفكّر في جوزيف إيك. سأل نفسه إن كان جونا قد تمكّن من حمله على الكلام.

الشقّة صامتة ومقفرة.

انتشر في جسده سكونٌ مريح، ابتدأ من معدته حين أخذ يظهر مفعول الدواء.

لا شيء ممّا قيل تحت تأثير التنويم المغناطيسيّ يمكن أن يؤخذ كدليل، ولكن كان إريك يعلم بأنّ جوزيف يقول الحقيقة. هو الشخص

الذي قتل عائلته، حتّى لو كان دافعه غير واضح، ورغم جهلهم بمدى تحكّم شقيقته به.

أغلق إريك عينيه، وحاول أن يتصوّر العائلة في منزلها الصغير. ربّما كانت إيڤلين تعلم أنّ أخاها كان خطِرًا، فكّر. على مرّ السنوات لا بدّ من أنّها تعلّمت كيف تتعايش مع عدم قدرته على التحكّم بغضبه. كانت تمشي دائمًا على البيض. تحاول أن تمنع انفجار غضبه. لا بدّ من أنّ جوزيف كان فتى ينخرط دومًا في العراك، يصرخون عليه ولكنّه يواصل الدخول في معارك إضافيّة. بصفتها شقيقته الكبرى، لم تكن تتمتّع بأيّة حماية مباشرة. وكلّما كبر جوزيف حجمًا وازداد قوّة كانت الأمور تصير أكثر خطورة بالنسبة إليها. كان على العائلة أن تتعلّم التعامل مع انفعالات جوزيف يومًا بعد يوم. يحاولون التعايش معها، وهم لا يتوقّفون عن إدراك مدى جدّيّة الوضع. ربّما اعتقد والداه سلوكه الشرس جزءًا من كونه صبيًّا. ربّما لاما نفسيهما على السماح له بلعب ألعاب الحاسوب العنيفة ومشاهدة أفلام الرعب.

غادرت إيڤلين المنزل حالما تمكّنت من الحصول على عمل وشقّة، ولكنّ شيئًا ما جعلها تدرك مدى خطورة الوضع. شعرت بالذعر فجأة، وذهبت للاختباء في كوخ عمّتها حاملة بندقيّة صيد معها كي تدافع عن نفسها.

هل هدّدها جوزيف؟

حاول إريك أن يتخيّل كم ستكون إيڤلين خائفة في الكوخ عند حلول الليل، في الظلمة، مع وجود بندقيّة محشوّة قرب سريرها.

فكّر ثانية في مكالمة جونا الهاتفيّة بعد أن أنهى استجوابه لها. ما الذي حصل بعد ظهور جوزيف مع قالب الحلوى. ماذا قال لها؟ هل كان ذلك هو الوقت الذي حصلت فيه على بندقيّة؟ هل خشيت منذ ذلك الوقت أن يقوم بقتلها؟

تخيّل إريك مظهرها خارج الكوخ. امرأة شابّة ترتدي سترة فضّيّة، كنزة صوفيّة رماديّة، بنطال جينز قديمًا، وحذاء رياضيًّا. كانت تمشي ببطء بين الأشجار، وشعرها الذي على شكل ذيل الحصان يتأرجح.

وجهها بشوش وطفوليّ، وتمسك البندقيّة باسترخاء في يدها، تجرّها على الأرض فوق أحراش التوت البرّي والطحالب. كانت الشمس تسطع عبر أغصان أشجار الصنوبر.

فجأة، أدرك إريك شيئًا مهمًّا، إن كانت إيڤلين خائفة، وإن كانت تحمل البندقيّة لتحمي نفسها من جوزيف فإنّها كانت ستحملها بطريقة مختلفة، ولن تجرّها خلفها حين كانت تقترب من الكوخ.

تذكّر إريك أنّ ركبتيها كانتا رطبتين، ولديها بقع من الطين على بنطالها الجينز. لقد ذهبت إلى الغابة مع البندقيّة كي تقتل نفسها، فكّر.

جثمت فوق الطحالب واضعة فوّهة السلاح في فمها، ثمّ غيّرت رأيها. لم تستطع استجماع شجاعتها.

حين رآها عند حافّة الغابة وهي تسحب السلاح خلفها، كانت في طريقها للعودة إلى الكوخ، عائدة إلى الشيء الذي كانت تحاول الهروب منه.

التقط إريك هاتفه واتّصل بجونا.

«جونا لينا».

«مرحبًا، أنا إريك ماريّا بارك».

«إريك، كنت أفكّر في الاتّصال بك، ولكن كان لديّ الكثير من...».

قال إريك: «لا عليك. أنا...».

قاطعه جونا: «أصغ إليّ. أنا آسف حقًّا بشأن الحرب الإعلاميّة ضدّك. أعدك بأنّي سألجأ إلى معرفة مصدر تسريب الخبر حالما تهدأ الأمور قليلًا».

«ذلك لا يهمّ».

«أشعر أنّي مسؤول عن الأمر، لأنّي أقنعتك بـ...».

«نعم، لكنّي من اتّخذ القرار. لا يمكنني لوم أيّ شخص آخر».

«لنتحدّث بصراحة، وهو الأمر الذي لا يفترض بي فعله هذه الأيّام، ما زلت أعتقد أنّ تنويم جوزيف مغناطيسيًّا كان الأمر الصائب. ما زلنا لا نعرف أيّ شيء حتّى الآن، وقد أنقذ ذلك حياة إيڤلين».

«لهذا السبب أنا أتّصل»، قال إريك.

«ماذا لديك».

«عندي فكرة. هل لديك بعض الوقت؟».

سمع إريك جونا يحرّك شيئًا ما. بدا وكأنّه يسحب كرسيًّا ويجلس عليه.

قال: «نعم. عندي وقت».

قال إريك: «الأمر يتعلّق بيوم وجودنا في كوخ العمّة. كنت أجلس في السيّارة، ورأيت امرأة بين الأشجار. كانت تمسك بندقيّة صيد في إحدى يديها. أدركت بطريقة ما أنّها إيڤلين، وتصوّرت أن تتحوّل الأمور لمنحى خطير لو تمّت مفاجأتها بوجود الشرطة».

قال جونا: «نعم، ربما كانت ستطلق النار على النافذة لو اعتقدت بأنّك جوزيف».

واصل إريك: «كنت أفكّر في الأمر. حين رأيتها كانت تمشي ببطء عائدة إلى الكوخ، والبندقيّة في يدها بينما تسحب فوّهتها على الأرض خلفها».

«حسنًا».

«هل هذه هي الطريقة التي يحمل بها شخص خائف من القتل السلاح؟».

«لا»، أجاب جونا.

قال إريك: «أعتقد أنّها ذهبت إلى الغابة كي تنتحر. كانت ركبتا البنطال مبلّلتين. ربّما كانت تستند على منطقة طحالب رطبة وقد وجّهت الفوّهة نحو رأسها أو صدرها ثمّ غيّرت رأيها. فقدت جرأتها كما أعتقد».

صمت إريك. أمكنه سماع جونا يتنفّس على الهاتف، انطلق جهاز إنذار سيّارة في الشارع.

قال جونا: «أشكرك. سأذهب للتحدّث إليها».

32

بعد ظهر الجمعة، 11 ديسمبر

حُدّدت مقابلة جونا مع إيڤلين في أحد مكاتب وحدة الاحتجاز. كي تصير الغرفة الموحشة أكثر بهجة، وضع أحد ما علبة من بسكويت الزنجبيل على الطاولة وبعض أضواء الميلاد على الشبابيك. كانت إيڤلين ومحاميها العامّ ينتظران حين حضر جونا وابتدأ بالتسجيل.

«أعرف أنّ أسئلتي قد تكون مزعجة نوعًا ما يا إيڤلين»، قال برقّة ناظرًا إليها بسرعة، «ولكنّي سأكون ممتنًّا جدًّا إن حاولت الإجابة عنها، بأفضل ما تستطيعين».

حدّقت إيڤلين إلى حجرها صامتة.

«لا أعتقد أنّ قرارك بالبقاء صامتة سوف يساعدك في أيّ شيء»، قال بلهجة تعاطف.

لم تُظهر أيّة ردّة فعل. واصلت التحديق في حجرها. نظر المحامي، وهو رجل في منتصف العمر ذو لحية قصيرة، إلى جونا بجمود.

«هل أبدأ يا إيڤلين؟».

هزّت رأسها موافقة. بعد لحظات قليلة، رفعت رأسها ونظرت إليه.

قال: «لقد ذهبتِ إلى الغابة كي تنتحري، أليس كذلك؟».

«نعم»، همست.

«وأنا سعيد لأنّك لم تفعلي».

«أنا لست كذلك».

«هل حاولتِ فعل ذلك سابقًا؟».

«نعم».

«ولكن ليس قبل أن يأتي جوزيف إليك مع قالب الحلوى؟».

«لا».

«ما الذي قاله؟».

«لا أريد التفكير في ذلك».

«في أي شيء؟ في ما قاله؟».

اعتدلت إيڤلين في جلستها ثمّ زمّت شفتيها.

«لا أتذكّر»، قالت بنبرة أقرب للصمت، «لم يكن شيئًا مهمًّا ربّما».

«لقد كنت تخطّطين لقتل نفسك يا إيڤلين»، ذكّرها جونا.

وقفت وذهبت نحو النافذة. أطفأت أضواء الميلاد ثمّ أعادت فتحها، قبل أن تعود إلى كرسيّها وتجلس عاقدة ذراعيها على صدرها.

«لماذا لا يستطيع الجميع تركي لوحدي؟».

«هل ذلك ما ترغبين فيه حقًّا؟».

أومأت من دون أن تنظر نحوه.

«هل أنت بحاجة إلى استراحة؟»، سألها محاميها.

قالت إيڤلين بصوت منخفض: «لا أعرف ما الأمر مع جوزيف، هناك شيء خاطئ في رأسه. لطالما كان كذلك. اعتاد حين كان صغيرًا على العراك بقوّة وبقسوة. لقد كسر كلّ أغراضي. لم يكن يسمح لي بالحصول على أيّ شيء».

ارتعش فمها.

«سألني حين كان في الثامنة إن كان يستطيع أن يصبح حبيبي. لم يبدُ ذلك سيّئًا جدًّا. لكنّي كنت مذعورة، كنت خائفة منه. كان معتادًا على القيام بأمور غريبة، يزحف نحوي في الليل ويعضّني بقوّة تتسبّب بالنزف. صرت أدافع عن نفسي، كنت ما أزال أقوى بُنية منه».

مسحت الدموع عن وجنتيها.

«ثمّ أخذ يضرب كلبي باستر إن لم أفعل ما يطلبه. صارت الأمور أسوأ. ثم قتل باستر ورماه عن الجسر».

وقفت ومشت بتوتّر نحو النافذة.

«كان جوزيف في الثانية عشرة حين...».

تهدّج صوتها ثمّ نشجت بصمت مع نفسها، قبل أن تواصل: «سألني إن كنت أريد القيام بأمور غير لائقة. أخبرته بأنّه مقرف، فغادر كي يضرب ليسّا، التي كانت في الثانية من العمر فقط».

تمكّنت إيڤلين من تهدئة نفسها. لكنّ دموعها استمرّت بالانهمار.

«بدأ يخطّط لزواجنا مؤكدًا لي أني لست أخته وأنه متأكّد من أنني لقيطة. كان يهدّدني كلّ يوم، لكنّي توصّلت إلى حلّ، أخبرته بأنّه قاصر وبأنّ ذلك غير قانونيّ».

مسحت وجنتيها.

«اعتقدت أنّه سينسى الأمر حين أرحل. مرّت سنة كاملة، ثمّ أخذ يتّصل بي ليخبرني بأنّه سيبلغ الخامسة عشرة قريبًا. حينذاك لجأت إلى الاختباء. لا أعرف كيف تمكن من معرفة إقامتي في الكوخ، أنا...».

شرعت تنتحب من دون توقّف.

«يا إلهي».

قال جونا: «إذن فقد قام بتهديدك؟ لقد هدّدك بقتل كلّ عائلتك إن لم...».

صرخت: «لم يقل ذلك. قال إنّه سيبدأ من أبي. ذلك كلّه كان خطئي أنا. كلّ ذلك خطئي، أنا أرغب بالموت فقط...».

تهاوت بالقرب من الجدار على الأرض، ثمّ تكوّرت على نفسها.

33

بعد ظهر الجمعة، 11 ديسمبر

جلس جونا في مكتبه ينظر بشرود إلى يديه، بينما ما زال يحمل الهاتف. حين أخبر ينس سڤانيالم كيف غيّرت إيڤلين أقوالها فجأة، أصغى له ينس بصمت، ثمّ تنهّد حين أوضح له جونا الدافع المريع الكامن خلف الجرائم.

قال حين انتهى جونا: «بصراحة، أخشى أنّ ذلك ما زال دليلًا ضعيفًا، واضعين في اعتبارنا أنّ الشقيقة قد اتُّهِمت بالمقابل من قبل جوزيف إيك. ما نحتاج إليه حقًّا هو اعتراف أو دليل جنائيّ واضح».

نظر جونا إلى الغرفة حوله. حكّ وجهه ثمّ اتّصل بطبيبة جوزيف، دانييلا ريتشاردز، كي يحدّد معها موعدًا جديدًا لاستجواب جوزيف، ومن المفضّل ألّا يكون جوزيف تحت تأثير المسكّنات: «أحتاج إلى أن يكون متيقّظ الذهن».

«بإمكانك القدوم في الساعة الخامسة»، قالت دانييلا.

«هذا المساء؟».

«نعم، لا نعطيه جرعته من المورفين قبل الساعة السادسة، نحن نخفض المستوى حين يتناول طعامه».

نظر جونا إلى الساعة، كانت في الثانية والنصف.

«ذلك مناسب لي»، قال.

أقفل الهاتف ثمّ اتّصل بليزبِت كارلين، العاملة الاجتماعيّة كي يخبرها.

ذهب إلى غرفة الموظّفين كي يحصل على تفّاحة، وحين عاد كان إريكسون جالسًا في غرفته، ويريح وزنه الثقيل على مكتب جونا،

ووجهه أحمر. رفع يده بالتحيّة ثمّ قال: «احشر هذه التفاحة في فمي وسوف تحصل على خنزير العيد».

«لا سبيل لذلك»، قال جونا وهو يتناول قضمة.

قال إريكسون: «أنا أستحقّها. منذ افتتاح ذلك المطعم التايلنديّ عند الزاوية ازداد وزني أحد عشر كيلوغرامًا».

«لديهم طعام جيّد».

«أكرههم».

«ما الذي حصل في غرفة خزائن النساء؟»، سأل جونا.

رفع إريكسون يده البدينة كي يوقفه: «لا تقل بأنّني أخبرتك بذلك، ولكن...».

ضحك جونا ملء شدقيه وقال بدبلوماسيّة: «سوف نرى».

تنهّد إريكسون ومسح العرق عن وجنتيه: «حسنًا. وجدنا خصلات شعر تعود إلى جوزيف إيك في مصرف المياه، وكان هناك دم يعود للأب أنديش إيك في الشقوق على الأرضيّة».

«أخبرتك بذلك»، قال جونا مشيرًا نحوه بإصبعه.

ضحك إريكسون.

اتّصل جونا بينس ثانية، أثناء طلبه المصعد مغادرًا المبنى.

قال ينس: «أنا سعيد باتّصالك. لقد اتّصلوا بي حول موضوع التنويم المغناطيسيّ ذاك. إنّهم يعتقدون أنّ بإمكاننا إسقاط جميع التهم عن جوزيف، وهم يفترضون أنّ ذلك سيكلّفنا الكثير من النفقات و...».

«انتظر للحظة»، قاطعه جونا.

«لقد قررتُ...».

«ينس...».

«نعم»، أجاب.

قال جونا بنبرة جادّة: «حصلنا على دليل جنائيّ. لقد تمكّنّا من ربط جوزيف إيك بمسرح الجريمة الأوّل».

أخذ ينس نفسًا عميقًا ثمّ قال بهدوء: «جونا، لقد سيطرت على الموقف في اللحظة الأخيرة».

أجاب: «هذا جيّد كفاية، أليس كذلك؟».

«نعم».

حين كانا على وشك إنهاء المكالمة، قال جونا: «ألم أقل لك بأنّني كنت على صواب؟».

«ماذا؟».

«لقد كنت على صواب، أليس كذلك؟».

ساد صمت على الخطّ، ثمّ قال ينس بهدوء واضح: «نعم جونا، أنت كذلك».

حين أغلقا الهاتف تلاشت الابتسامة عن وجه جونا. تجاوز الجدار الزجاجيّ متّجهًا إلى المخرج وتأكّد من الوقت ثانية. تعيّن عليه أن يكون في «متحف نوردك» في «يورغوردَن» خلال نصف ساعة.



34

بعد ظهر الجمعة، 11 ديسمبر

ارتقى جونا الدرج المؤدّي إلى المتحف. مرّ بمئات صناديق العرض المضاءة من دون أن يهبها سوى نظرة عابرة، لم ينتبه للأدوات، الكنوز، المنحوتات اليدويّة، لم يشاهد المقتنيات المميّزة، أو أزياء الشعوب، أو الصور الفوتوغرافيّة الضخمة.

وضع الحارس كرسيًّا أمام صندوق عرض ذي إضاءة فقيرة. جلس جونا من دون قول أيّ شيء، كما يفعل دائمًا، ونظر إلى «تاج الزفاف السابمي[1]». كان رقيقًا وهشًّا ويلتفّ مكوّنًا دائرة كاملة، كانت زواياه تماثل بتلات الزهور أو أشبه بزوج من الأيدي التي تعانق إحداها الأخرى وتتشابك أصابعها. حرّك جونا رأسه ببطء كي يتسنّى له رؤيته بإنارة مختلفة. كان التاج مزجّجًا باليد عند قاعدته، والمواد الخام المستعملة في صنعه تلتمع كالذهب.

رحلت اللحظة. لكنّ الذاكرة لا ترحم.

توقّف المطر وهو يقود سيّارة، ولكنّ البرك كانت تشعّ كالنار في شمس المساء - كل شيء كان جميلًا بشكل لا يُصدّق وقد ضاع الآن إلى الأبد.

هذه المرّة جلس جونا أمام صندوق العرض لفترة ساعة واحدة فقط، قبل أن ينهض ويقدّم التحية للحارس ويغادر المتحف ببطء. كانت الأرض مبقّعة باللون الأسود بسبب الثلج الآخذ بالذوبان. حمل الهواء رائحة الديزل بسبب مرور قارب تحت الجسر. رنّ هاتفه حين كان يمشي ببطء نحو شارع «ستراند»، إنّه «الإبرة».

---

(1) الشعب السابمي أو شعب سامي ويعرفون باللابيين أيضًا، سكنوا تاريخيًا دول الشمال الأوروبي.

«أنا سعيد لأنّني وجدتك»، قال حين فتح جونا الخطّ.

«هل انتهى التشريح؟».

«تقريبًا».

راقب جونا والدًا شابًا أمامه على الرصيف، يحرّك عربة طفل للأمام والخلف، كي يجعل طفله يضحك. وقفت امرأة عند النافذة تحدّق إلى الشارع فقط، تراجعت بسرعة إلى شقّتها حين التقت أعينهما.

«هل هناك شيء غير طبيعيّ؟»، سأل جونا «الإبرة».

«حسنًا، لا أعرف بعد...».

«ولكن؟...».

«إنّه ذلك الجرح على بطنها بالطبع».

«حسنًا؟».

أخذ «الإبرة» نفسًا عميقًا، بينما أصدر شيء ما ضجة في الخلف: «لقد أسقطتُ قلمي»، همس حين أخذ الخطّ يتقطّع، «تعرّضت تلك الجثث إلى درجة مهولة من العنف»، واصل حين عاد للكلام، «خاصّة الطفلة الصغيرة».

«علمت ذلك»، قال جونا.

«معظم الإصابات كانت غير ضروريّة إطلاقًا. بدا أنّها وُجّهت لهم على سبيل التسلية فقط».

«نعم»، قال جونا وهو يفكّر كيف بدا موقع الجريمة حين ذهب إلى هناك، رجال الشرطة المصدومين والمشاعر الفوضويّة التي سيطرت على الأجواء، بسبب الجثث الممزّقة في الداخل. تذكّر وجنتي ليليمور بلوم الشاحبتين حين كانت تقف وتدخّن ويداها ترتعشان. تذكّر الطريقة التي تناثر بها الدم على النوافذ، وكيف لطّخ زجاج باب الفناء خلف المنزل.

«إذن، بالعودة إلى الجرح على بطن المرأة».

تنهّد «الإبرة» وقال: «حسنًا، إنّه كما توقّعنا، حصل ذلك الجرح بعد

ساعتين على الوفاة تقريبًا. قلبها شخص ما ثمّ استخدم سكّينًا حادّة جدًّا كي يفتح جرح عمليّتها القيصريّة».

استطاع جونا سماعه يقلّب في أوراقه.

«قاتِلنا -يبدو أنّه لا يعرف الكثير عن العمليّات القيصريّة. أجرت كاتيا إيك عمليّة قيصريّة طارئة، بما يعني أنّ الجرح كان يمتدّ طوليًّا من سرّتها».

«إذن؟...».

تنهّد الإبرة ثانية بعمق: «الرحم يُفتح دائمًا بالعرض، حتّى لو كان الشقّ على الجلد عموديًّا».

«لكن جوزيف لم يكن يعرف ذلك؟»، سأل جونا.

«لا، لقد فتح الجلد فقط من دون أن يدرك أنّ العمليّة القيصريّة تتكوّن من قسمين، شقّ في الجلد وآخر في الرحم».

«هل هناك أيّ شيء آخر يجدر بي معرفته؟».

«لقد استغرق وقتًا طويلًا للغاية. لم يتوقّف أبدًا حتّى حين زاد شعوره بالإرهاق. يبدو أنّ غضبه كان لا ينضب».

صمت كلاهما. وحين مشى جونا عبر شارع «ستراند»، كان يفكّر في حواره الأخير مع إيڤلين.

قال «الإبرة» بعد قليل: «أريد أن أتأكّد فقط ممّا كنّا نعتقده، الشقّ حصل تقريبًا بعد ساعتين على الوفاة».

«أشكرك».

«ستستلم تقرير التشريح الكامل غدًا».

حين أنهى جونا المكالمة، فكّر كم كان من المريع أن يترعرع أحد مع جوزيف إيك. بالتأكيد، شعرت إيڤلين بأنّها عرضة لخطر دائم، ولم يستطع تخيّل كم كانت ليسا، الأخت الصغرى، خائفة.

حاول أن يتذكّر ما قالته إيڤلين بخصوص ولادة شقيقها.

كانت إيڤلين تجلس متكوّرة على الأرض، تستند إلى جدار غرفة الاستجواب، حين أخبرته بخصوص غيرة جوزيف المرَضيّة من شقيقتهما الصغرى.

«كان هناك خطأ ما في رأسه»، همست، «لطالما كان كذلك. أتذكّر يوم ولادته. كانت أمّي مريضة جدًّا. لم أفهم ما الأمر، ولكن توجّب عليهم إجراء عمليّة قيصريّة طارئة».

هزّت إيڤلين رأسها، ثمّ عضّت شفتيها قبل أن تواصل: «هل تعرف معنى ذلك؟».

«نعم، نوعًا ما»، أجاب جونا.

«أحيانًا... أحيانًا هناك مضاعفات تحصل حين تتمّ الولادة بهذه الطريقة».

نظرت إيڤلين إليه بخجل.

«تقصدين نقص الأوكسجين وتلك الأمور؟»، سأل جونا.

هزّت رأسها نافية، ثمّ مسحت الدموع عن وجنتيها.

«أعني مشاكل نفسيّة للأمّ. الأمّ التي تعاني من ولادة متعسّرة، ثمّ فجأةً يتمّ تخديرها لإجراء عمليّة قيصريّة، تحصل عندئذ مشاكل في الارتباط بطفلها».

«هل عانت والدتك من اكتئاب ما بعد الولادة؟».

«ليس بالتحديد»، قالت إيڤلين بصوت مبحوح، «لقد أصيبت والدتي بالذهان بعد إنجاب جوزيف. لم ينتبهوا لذلك في مستشفى الولادة، لذا، فقد سمحوا لها بأخذه إلى المنزل. تمكّنتُ من معرفة ذلك فورًا. شيء ما لم يكن على ما يرام. انتهى الأمر بي أنا أن أعتني بجوزيف. كنت في الثامنة فقط، لكنّها لم تهتمّ به مطلقًا، لم تلمسه، كان يقبع في مهده فقط وهو يبكي ويبكي».

نظرت إيڤلين إلى جونا وهمست: «قالت والدتي إنّه ليس طفلها، وإنّ طفلها مات. وفي نهاية الأمر توجّب إدخالها إلى المستشفى».

توقّفت.

«عادت أمّي إلينا بعد سنة تقريبًا. حاولت أن تتظاهر بأنّ كلّ شيء كان على ما يرام، ولكنّها استمرّت في تجنّبه».

«إذن أنت لا تعتقدين أنّ والدتك قد تحسّنت في حقيقة الأمر؟»، سألها جونا بتعاطف.

«تحسّنت. حين أنجبت ليسّا صار كلّ شيء مختلفًا تمامًا، صارت أمّي سعيدة للغاية».

«وكان عليك الاعتناء بجوزيف».

«صار يقول بأنّه تعيّن على أمّي أن تلده بصورة صحيحة. بالنسبة له، السبب وراء معاملتهم الجيّدة لليسّا هو كونها ولدت عبر المهبل، على عكسه. استمرّ بالقول إنّه كان على أمّي أن تلده بشكل طبيعيّ وليس...».

تهدّج صوت إيڤلين. أدارت رأسها بعيدًا، وتمكّن جونا فقط من رؤية كتفيها المنحنيتين المتوتّرتين.

35

مساء الجمعة، 11 ديسمبر

دخل جونا إلى وحدة العناية المركّزة، وللمرّة الأولى لم تكن هادئة كالمعتاد. عبقت برائحة الطعام، وكانت هناك عربة تقف خارج الكافيتريا مليئة بالأواني المعدنيّة غير القابلة للصدأ، الصحون والأقداح والأدوات الفضّيّة. شغّل شخص ما التلفاز، وتمكّن جونا من سماع صوت تحريك الصحون في المطبخ.

كان يفكّر كيف فتح جوزيف جرح العمليّة القيصريّة في بطن والدته. أعاد فتح الباب الذي خرج منه للدنيا، لكنّه في الوقت نفسه كان الباب الذي حكم عليه بحياة خالية من الأمومة.

منذ نعومة أظفاره شعر جوزيف بأنّه ليس مثل باقي الأطفال، وبأنّه وحيد. كانت إيڤلين هي الشخص الوحيد الذي منحه الحبّ والحنان. لم يحتمل أن يُرفَض من قبلها. أيّ إشارة ضئيلة على تجنّبها له تتركه يائسًا وغاضبًا، وذلك الغضب توجّه دومًا نحو شقيقته الصغرى، والتي تعشقها والدتهما.

أومأ جونا للشرطيّ سونُسون، الذي كان واقفًا خارج غرفة جوزيف إيك، ثمّ نظر إلى الفتى. رأى كيس البَول مليئًا إلى نصفه، ومحقنًا وريديًّا كبيرًا قرب سريره يزوّده بالسوائل وبمحلول بلازما الدم. ظهرت قدما الصبيّ من تحت البطّانيّة الزرقاء، وظهر أسفل قدميه قذرًا. رأى الشعر والتراب ملتصقين بالضماد الجراحيّ الذي يغطّي غرزه. لم يبدُ مهتمًّا بالتلفاز المفتوح.

وصلت ليزبت كارلين إلى الغرفة قبله. لم تنتبه لوصول جونا وهي تقف قرب النافذة وتعيد ترتيب مشبك شعرها.

أخذ أحد جروح جوزيف ينزف ثانية. سال الدم من ذراعه ثمّ قطر على الأرض. انحنت نحوه ممرّضة مسنّة. فتحت الضماد، وأعادت الضغط عليه، وألصقت حافّات الجرح ثانية. غسلت الدم عنه، ثمّ غادرت الغرفة.

«من فضلك»، قال جونا لتلك الممرضة في الرواق.

«نعم».

«كيف حاله؟ كيف حال جوزيف إيك؟».

«عليك أن تتحدّث إلى طبيبه»، أجابت المرأة ثمّ غادرت.

«سأفعل»، قال جونا ثمّ أسرع خلفها، «ولكنّي أريد أن أريه شيئًا ما... هل يمكن اصطحابه إلى هناك، أعني على الكرسي المدولب؟».

هزّت الممرّضة رأسها نافية، ثمّ توقّفت فجأة، وقالت بحسم: «لا يمكن تحريك المريض تحت أيّة ظروف. إنّه يعاني الكثير من الألم. لا يمكنه الحركة. قد يعود إليه النزف لو حاول الجلوس في الفراش فقط».

عاد جونا إلى غرفة جوزيف. دخل من دون أن يطرق الباب. التقط جهاز التحكّم عن بعد وأطفأ التلفاز وشغّل جهاز التسجيل. ذكر التأريخ والوقت وأسماء الأشخاص الحاضرين في الغرفة، ثمّ جلس على كرسيّ الزوّار. فتح جوزيف جفنيه الثقيلين، ونظر نحوه من دون اهتمام. كان الجهاز الذي يساعد على استعادة الضغط الطبيعيّ في رئته المثقوبة يُصدر صوت قرقرة هادئة.

«سوف تخرج من المستشفى قريبًا»، قال جونا.

«سيكون ذلك جيّدًا»، قال جوزيف بوهن.

«ولكن سيتمّ ترحيلك إلى السجن».

«لقد أخبرتني ليزبِت بأنّ المدّعي العامّ لن يسمح بذلك»، قال وهو ينظر إلى العاملة الاجتماعيّة.

«كان ذلك قبل أن نحصل على شاهد».

أغلق جوزيف عينيه بهدوء.

«من؟...».

قال جونا: «سبق أن تحدّثنا أنا وأنت، لكن أتساءل إن كنت ترغب في تغيير أيّ شيء ممّا قلته لي؟ أو إضافة أيّ شيء إلى ما ذكرت».

«إيڤلين»، همس.

«لن تخرج لفترة طويلة جدًّا».

«أنت تكذب».

«لا يا جوزيف. أنا أخبرك بالحقيقة. صدّقني سوف يتمّ احتجازك. أنت تمتلك الحقّ الآن في الحصول على ممثّل قانونيّ».

حاول جوزيف أن يرفع يده، لكنّه لم يمتلك القوّة لذلك.

«قمت بتنويمها مغناطيسيًّا»، قال مبتسمًا.

«لا».

«كلمتي مقابل كلمتها»، قال.

كان جونا ينظر إلى وجه الفتى النظيف الشاحب، وقال: «كلا، ليس الأمر كذلك، لدينا أيضًا أدلّة جنائيّة».

ضغط جوزيف على فكّه بقوّة.

فقال جونا: «لا أملك الوقت للجلوس هنا طويلًا. لكن، لو رغبت في إخباري بأيّ شيء فسوف أبقى لفترة أطول».

انتظر مرور ثلاثين ثانية. نقر على مسند كرسيّه ثمّ نهض. التقط جهاز التسجيل. أومأ بتهذيب للعاملة الاجتماعيّة وغادر الغرفة.

فكّر جونا وهو في سيّارته خارج المستشفى بأنّ عليه مواجهة جوزيف بما قالته إيڤلين، لرؤية ردّ فعل الفتى فقط. كان لدى جوزيف إيك غضب وغرور قد يدفعانه إلى الاعتراف لو تمّت استثارته.

للحظة، فكّر في العودة إلى المستشفى. لكنّه عدل عن هذا كي لا يتأخّر على العشاء مع ديسا.

36

مساء الجمعة، 11 ديسمبر

كان الجوّ مظلمًا وضبابيًا حين أوقف جونا سيّارته أمام المبنى الفاره في شارع «لوتسِن». قرصه البرد في أثناء توجّهه إلى الباب ناظرًا إلى الحشائش المتجمّدة والأغصان السوداء العارية للأشجار في «كارلا بلازا».

حاول أن يتذكّر كيف بدا جوزيف وهو مستلقٍ في سريره. لكنّ الشيء الوحيد الذي تمكّن من تذكّره كان قرقرة وأزيز جهاز التصريف. تملّكه شعور بأنّه رأى شيئًا خاطئًا ما، لكنّه عجز عن إدراكه.

ضايقه ذلك الشعور وهو يتوجّه نحو شقّة ديسا، ويدقّ جرس الباب. لا جواب. تمكّن جونا من سماع شخص ما يتنهّد ويبكي بهدوء في الطابق الثاني فوقه.

فتحت ديسا الباب وقد اعتلت وجهها مسحة من القلق.

«كنت أتوقّع أن تتأخّر»، أوضحت.

«لذلك أتيت مبكرًا»، قال جونا وهو يقبّلها بهدوء على وجنتيها.

«ادخل واغلق الباب قبل أن يراني جميع الجيران».

عبقت شِقّتها المريحة برائحة الطعام. ارتطم رأس جونا بمصباح ورديّ متدلٍّ من السقف.

قالت: «طهوت سمك موسى مع البطاطس».

«والزبدة الذائبة؟».

«والفطر والبقدونس ومرقة لحم العجل».

«ممتاز».

تتألّف الشقّة من غرفتين ومطبخ، لكنّ سقفها مرتفع. تطلّ النوافذ الكبيرة على «كارلا بلازا»، وقد صُنعت عتبة النوافذ من خشب الساج، وزُيّنت السقوف بألواح من الخشب. كانت الأرضيّة بيضاء لامعة.

جلس على الكرسيّ ذي المساند وانتظر حتى تُنهي ديسا ارتداء ثيابها. من دون أن تقول كلمة اقتربت وأعطته ظهرها، وتركته يغلق لها سحّاب الفستان الضيّق البسيط.

نظر جونا إلى أحد الكتب المفتوحة وشاهد صورة فوتوغرافيّة كبيرة بالأبيض والأسود لمدفن، ومجموعة من علماء الآثار يرتدون ملابس ذات طراز يعود إلى الأربعينيّات، ويقفون على مقربة من المدفن وهم ينظرون إلى الكاميرا. بدا أنّهم ابتدأوا التنقيب، وثبّتوا مجموعة أعلام على الأرض، حوالى خمسين علمًا.

قالت بهدوء: «إنّها قبور. الأعلام تشير إلى أماكن الدفن. الرجل الذي نقّب في هذا الموقع يُدعى هانز موليير. توفّي قبل عدّة أعوام، لكنّه ربّما كان قد تجاوز المائة عام من العمر وقتذاك. كان متواجدًا في المركز دومًا، بدا أشبه بسلحفاة عجوز طيّبة...».

وقفت أمام المرآة الطويلة. ضفرت شعرها ضفيرتين رفيعتين، ثمّ استدارت نحوه.

«ما رأيك؟».

قال جونا: «تبدين جميلة».

قالت بحزن: «شكرًا. كيف حال والدتك؟».

همس: «جيّدة، ترسل لك حبّها».

«ذلك جميل. ما الذي قالته لك؟».

«إنّكِ يجب أن تتوقّفي عن الاعتناء بي».

قالت بتعاسة: «حسنًا. هي على صواب بالتأكيد». مرّرت أصابعها في شعره الكثيف المشعث ثمّ ابتسمت له.

«هل تعلم أنّه وفقًا لقانون ما قبل المسيحيّة لم يكن الأطفال يُعتبرون أشخاصًا حقيقيّين حتّى يبدأوا بالرضاعة؟ كان من الممكن قانونيًا أن يُتركوا في الغابة خلال الفترة ما بين الولادة والرضاعة».

«إنّ الناس يصبحون ناسًا فقط وفقًا لاختيارات الآخرين»، قال جونا بهدوء.

«ألم يكن الأمر هكذا دائمًا؟».

فتحت خزانتها والتقطت علبة أحذية، ثمّ أخرجت زوجًا من الصنادل البنّيّة الغامقة ذات الأشرطة الرقيقة وكعب عال من الخشب.

سأل جونا: «جديد؟».

«ماركة سيرجيو روسّي. اشتريته كمكافأة لنفسي لأنّ عملي بعيد كلّ البعد عن الروعة. أنا أقضي يومي كلّه وأنا أزحف حول بقعة من الوحل».

«هل أنت في 'سيغتونا' الآن؟».

«نعم».

«ما الذي وجدتِه؟».

«سأخبرك ونحن نأكل».

أشار نحو الصندل. «جميل جدًّا»، قال وهو ينهض عن الكرسيّ.

استدارت ديسا مع ابتسامة واسعة.

التفتت له جانبيًّا، وقالت: «آسفة جونا. لا أعتقد أنّ مقاس قدمك متوفّر».

تسمّر في مكانه. وقال وهو يتّكئ على الجدار المجاور: «انتظري!».

«كانت مجرّد مزحة»، قالت.

تجاوزها جونا راكضًا إلى المدخل. أخرج هاتفه من جيب سترته. اتّصل بقسم الإرسال وترك برقية مفادها أنّ سونُسون يحتاج إلى المزيد من الدعم في المستشفى.

«ما الذي حدث؟»، سألت ديسا.

قال جونا: «كانت قدماه قذرتين! قالوا إنّه لا يستطيع الحركة، لكنّه استطاع مغادرة السرير. كان يتجوّل في الأرجاء».

طلب جونا رقم سونُسون. ولمّا لم يجد جوابًا التقط سترته، وهمس: «آسف»، وغادر الشقّة ونزل ركضًا على الدرج.

37

مساء الجمعة، 11 ديسمبر

في الوقت نفسه تقريبًا الذي رنّ فيه جونا جرس باب ديسا، جلس جوزيف إيك في فراش غرفته في المستشفى.

حاول في الليلة السابقة أن ينهض. جعل قدميه تنزلقان على الأرض. ولكن كان عليه أن يتمسّك بحافّة السرير لفترة طويلة. غمره ألم مبرح من كلّ جروحه، مشابه للسعات بالزيت الحارّ. إحساس الوخز النابع من كبده المجروح جعل بصره يتشوّش، لكنّه تمكّن من المشي وهو يسحب معه الأنبوب المؤدّي إلى المحقن الوريديّ وأنبوب الارتشاح الصدريّ بأقصى مدى يستطيعه. تفقّد الموجودات في خزانة المعدّات الطبّيّة ثمّ عاد إلى سريره.

مضت ثلاثون دقيقة منذ مرّ موظّفو الدفعة المسائيّة لإلقاء التحيّة. سحب جوزيف بدقّة متناهية الأنبوب من رسغه فسقطت قطرة صغيرة من الدم في حجره. لم يتألّم كثيرًا هذه المرّة حين غادر الفراش. شقّ طريقه نحو الخزانة، وجد كمّادات ومشارط طبّيّة ومحاقن بلاستيكيّة ولفائف من الشاش. وضع بعض المحاقن في جيب رداء المستشفى الواسع، وبيد ترتعش فضّ غلاف أحد المشارط الطبّيّة وقطع به الأنبوب المؤدّي إلى جهاز الارتشاح الصدريّ، تجمّعت في القنّينة قطرات من الدم اللزجة. شعر بالألم تحت لوح كتفه حين أخذت رئته اليسرى تنكمش ببطء، وأخذ يسعل بوهن، لكنّه لم يلاحظ تغييرًا ملموسًا في تنفّسه.

سمع صوت خطوات أحذية مطّاطيّة على أرض الرواق المغطّاة بالمشمّع. انتظر جوزيف والمشرط بيده قرب الباب وهو يحدّق عبر النافذة.

توقّفت الممرّضة وتحدّثت مع رجل الشرطة الواقف عند الباب. سمعهما جوزيف يضحكان بخصوص شيء ما.

قالت: «أقلعتُ عن التدخين».

قال الشرطي: «لو توفّرت لديك رقعة 'نيكوتين' إضافيّة فلن أقول لا».

قالت: «توقّفت عن استخدامها أيضًا. تسلّل إلى الباحة، سأمكث هنا لبعض الوقت على أيّة حال».

قال رجل الشرطة بلهفة: «خمس دقائق».

بعدما غادر الشرطيّ متبوعًا بصليل مفاتيحه، تفحّصت الممرّضة ملاحظاتها، ودخلت الغرفة. دُهشت وصارت خطوط الضحك الدقيقة عند زاوية عينيها أكثر وضوحًا حين اندفع المشرط إلى رقبتها. كان جوزيف أكثر ضعفًا ممّا تخيّل. توجّب عليه أن يطعنها عدّة مرّات. تألّم جسده واحترق من التعب ومن الحركة المفاجئة. حاولت الممرّضة أن تتشبّث به فانزلقا على الأرض معًا. كان جسدها ساخنًا ومتعرّقا. حاول الوقوف، لكنّه تعثّر بشعرها الذي انفلت على الأرض. حين أخرج المشرط من رقبتها بدر منها صوت قصير أشبه بالزقزقة، أخذت ساقاها ترتعشان، ارتفع ثوبها وتمكّن من رؤية سروالها الداخليّ الورديّ اللون تحت جاربيها الطويلين. اتّجه إلى الردهة. آلمه كبده بشدّة الآن. رأى حين انعطف يمينًا بعض الملابس النظيفة الموضوعة على عربة، فاستبدل ملابسه. كانت هناك امرأة قصيرة القامة تمسح الأرضيّة وتضع سمّاعة موسيقى. اقترب جوزيف منها، توقّف خلفها وأخرج إحدى تلك الحقن الطبّيّة. طعن الهواء خلفها لعدّة مرّات لكنّه توقّف في كلّ مرّة قبل أن يمسّها المحقن. لم تلاحظ هي أيّ شيء. وضع الحقنة ثانية في جيبه، دفع المرأة عن الطريق بيده ثمّ تجاوزها بسرعة. كادت أن تسقط، فلعنته باللغة الإسبانيّة.

توقّف جوزيف فجأة واستدار نحوها.

«ما الذي قلته؟»، سأل.

خلعت سمّاعتها ونظرت إليه بتهكّم.

«هل قلت شيئًا ما؟»، سأل.

هزّت رأسها نافية بسرعة وعادت إلى التنظيف. توجّه نحو المصعد. ضغط على الزرّ ثمّ انتظر.

38

مساء الجمعة، 11 ديسمبر

قاد جونا سيّارته بسرعة عبر «ڤالهالا بوليڤارد». غيّر مساره وتجاوز سيّارة مرسيدس من جانب السائق. لمح الطابوق الأحمر للمستشفى وهو يقود إلى جوار الأشجار. هدرت عجلات السيّارة حين عبر فوق إحدى الدعامات المعدنيّة. زاد من سرعته كي يتجاوز حافلة زرقاء اللون كانت تنطلق لتوّها من موقف الحافلات، فضغط السائق على بوق سيّارته بغضب.

تجاوز جونا إحدى الإشارات الحمراء في «نورتول»، ثمّ عبر «ستولمسترِغاردين»، تمكّن من الوصول إلى سرعة 180 كيلومترًا في الساعة حينَ قطع المسافة القصيرة نحو طريق «أوبسالا» قبل أن يقوده منحدر الخروج من تحت الطريق السريع إلى المستشفى.

حين أوقف سيّارته أمام المدخل الرئيسيّ، رأى مجموعة من سيّارات الشرطة التي تواصل مصابيحها الزرقاء الوميض، فتنعكس على الطابوق البنّيّ لبناية المستشفى. أحاطت مجموعة من الصحفيّين بلفيف من الممرّضات اللاتي كنّ يرتجفن في الخارج أمام المدخل، وكان بعضهنّ ينتحبن أمام الكاميرات.

حاول جونا الولوج إلى الداخل، ولكن تمّ إيقافه من قبل شرطيّ شابّ.

«أغرب عن وجهي»، قال الشرطيّ وهو يدفعه.

نظر جونا إلى عينيه الزرقاوين الغبيّتين. أبعد يد الشرطيّ عنه وقال بهدوء: «مكتب الجريمة الوطنيّة».

علت وجه الشرطيّ نظرة شكّ: «بطاقتك إذا سمحت».

«بسرعة يا جونا نحن هنا».

كان كارلوس إيليّاسون يلوّح له من مكان في صالة الاستقبال. عبر النافذة تمكّن جونا من رؤية سونُسون جالسًا على المقعد وهو يبكي، وشرطيّ شابّ يجلس بجواره واضعًا ذراعه على كتفه.

أخرج جونا بطاقته التعريفيّة، فتنحّى الشرطيّ جانبًا على مضض. كانت أقسام واسعة من البهو قد تمّت إحاطتها بالشريط الأبيض والأزرق. استمرّت كاميرات المراسلين بالوميض خارج الجدران الزجاجيّة. داخل المستشفى كان محقّقو مسرح الجريمة يقومون بالتقاط الصور.

قاد كارلوس العمليّة. أعطى بعض الأوامر لعامل الإرسال، ثمّ استدار نحو جونا.

«هل قبضت عليه؟»، سأله جونا.

قال كارلوس وهو يبدو متوتّرًا: «قال أحد الشهود إنّه خرج عبر البهو بمساعدة عكّاز المشي. تمّ العثور على العكّاز عند موقف الحافلات».

نظر إلى ملاحظاته.

«غادرت المنطقة حافلتان مع سبع سيّارات أجرة وعربات طبّيّة، سيّارة إسعاف وحوالي دزّينة من السيّارات الخاصّة».

«هل أغلقت المنافذ؟».

«أمسى الوقت متأخّرًا لفعل ذلك».

أشار لأحد الشرطيين بالزيّ الرسميّ، والذي كان ينتظر أن يتحدّث إليه.

قال: «تتبّعنا الحافلات. لا شيء».

سأل كارلوس: «وسيّارات الأجرة؟».

«تفقّدنا سيّارات أجرة ستوكهولم وكورير ولكن...». لوّح الشرطيّ بيده في الهواء وكأنّه نسي ما كان يريد قوله.

سأل جونا: «هل اتّصلت بإريك ماريّا بارك؟».

«اتّصلت به فورًا. لم يُجِب. لكنّنا نحاول الوصول إليه».

«إنّه بحاجة إلى الحماية».

نادى كارلوس: «رولي. هل تواصلت مع إريك؟».

«ما زلت أحاول الاتّصال به»، أجاب رولاند سفينسون.

قال جونا: «اتّصل به ثانية».

«أحتاج إلى التحدّث مع عُمر في قسم الإرسال».

قال كارلوس وهو ينظر حوله: «سوف نعلن إنذارًا وطنيًّا».

«ما الذي تريد منّي فعله؟».

«ابقَ هنا. انظر إن كنت قد نسيت أيّ شيء»، قال كارلوس ثمّ نادى على أحد الضبّاط الجنائيّين من قسم جرائم القتل.

«خذ المحقّق لينا إلى الأعلى كي يكمل عملكم بسرعة»، أمر كارلوس.

نظر الضابط ڤَرنر إلى جونا ببلاهة، ثمّ قال بصوت يخرج من أنفه: «قتل ممرّضة... العديد من الشهود رأوا المتّهم وهو يغادر بواسطة عكّاز المشي».

قال جونا: «أرني ذلك».

ارتقيا الدرج، لأنّ بهو المصعد لم يكن قد تمّ تفتيشه بعد.

نظر جونا إلى آثار الأقدام الحمراء العارية التي تركها جوزيف إيك وهو في طريقه إلى الخارج. فاح الهواء برائحة الكهرباء والموت.

أشار أثر كفٍّ مدمّاة على الجدار إلى أنّه قد تعثّر، أو كان مجبرًا على التشبّث بما يسنده. على الباب المعدنيّ للمصعد، شاهد جونا دمًا وشيئًا بدا كأنّه أثر زيتيّ لجبهة وحافّة أنف.

مشيا عبر الردهة. وقفا عند باب الغرفة التي استجوب فيها جوزيف قبل ساعة أو ما يقاربها. كانت هناك بركة من الدماء السوداء تنتشر من الجسد المسجّى على الأرض.

قال ڤَرنر بصوت ثابت: «كانت ممرّضة. آن-كاترين إريكسون».

نظر جونا إلى شعر المرأة الميّتة الأشقر القاتم وعينيها الخاليتين من

الحياة. انحسر زيّ الممرّضات الذي ترتديه عند وركيها، كأنّ القاتل حاول أن يخلع عنها ملابسها، فكّر.

«سلاح الجريمة هو مشرط طبّي ربّما»، قال ڤَرنر بصوت جافّ.

أخرج جونا هاتفه ثمّ اتّصل بسجن «كرونوڤاري».

ردَّ عليه صوت منهك لرجل، قال شيئًا لم يفهمه جونا.

قال: «هنا جونا لينا، أريد معرفة إن كانت إيڤلين إيك ما زالت معكم».

«ماذا؟».

«هل ما زالت إيڤلين إيك في الحجز؟».

«عليك أن تسأل الضابط المناوب»، قال الصوت بجفاء.

«هل بإمكانك مناداته، أرجوك؟».

«انتظر»، قال الرجل وهو يضع الهاتف جانبًا.

سمع جونا كلامًا تبعته أصوات مرتفعة أخرى. نظر إلى الوقت. مضى على وجوده في المستشفى عشر دقائق.

توجّه جونا نحو المدخل الرئيسيّ وهاتفه على أذنه.

«هنا يان بيرسون»، قال صوت أكثر ودًّا.

«جونا لينا، الجريمة الوطنيّة. أريد معرفة إن كانت إيڤلين إيك ما زالت هنا».

«إيڤلين إيك»، كرّر يان بيرسون، «سمحنا لها بالذهاب، لم يكن أمرًا سهلًا. رفضت أن تغادر. أرادت أن تبقى محتجزة».

«هل أجبرتها على الخروج بعد أن طالبت بالحماية؟».

«لا. انتظر. كان المدّعي العامّ هنا أيضا. إنّها...». سمع جونا يان بيرسون وهو يبحث في ملفّ ما.

«إنّها في واحدة من الشقق المؤمَّنة».

«حسنًا. ضع شرطيًّا خارج بابها، هل فهمت ذلك؟».

«نحن لسنا أغبياء»، قال يان بيرسون بضيق.

أنهى جونا المكالمة وذهب إلى كارلوس الذي كان ينظر إلى حاسوبه. كانت هناك امرأة جالسة إلى جواره وهي تشير نحو الشاشة.

ردّد عُمَر من قسم الإرسال كلمة «إيكو»، وهي الرمز المخصّص لوحدات الكلاب في جهاز اتّصاله. خمّن جونا بأنّهم تمكّنوا الآن من تتبّع معظم المركبات التي غادرت المستشفى ولكنّهم لم يجدوا جوزيف.

لوّح جونا لكارلوس ولكنّه فشل في أن يحظى بانتباهه. لذلك فقد استسلم ثمّ غادر من إحدى البوّابات الزجاجيّة الصغيرة. كان المحيط مظلمًا والهواء باردًا. تُرِك العكّاز عند موقف الحافلات الفارغ.

نظر جونا خلال الأشخاص الذين كانوا يراقبون المشهد على الجانب الآخر من الحاجز. تجاوز مصابيح سيّارات الشرطة الوامضة الزرقاء وحركة رجال الشرطة المتوتّرين. تجاوز الأضواء الوامضة لكاميرات الصحفيّين. ترك عينيه تجولان عبر موقف السيّارات والواجهة المعتمة للمباني في المجمع الطبّي.

أخذ يحثّ الخطى. قفز فوق الشريط البلاستيكيّ الذي كان يحيط بالمنطقة. شقّ طريقه عبر مجموعة من المتفرّجين، متّجها نحو المقبرة الشماليّة. توجّه إلى شارع «سولنا كيركو» ومشى بمحاذاة السياج باحثًا عن أيّ شيء غير اعتياديّ. كانت هناك شبكة من الطرق المعتمة تنتشر بين أشباح الأشجار وشواهد القبور المظلمة خلال الستين هكتارًا التي تحتوي على ثلاثين ألف قبر.

39

مساء الجمعة، 11 ديسمبر

خيّم الصمت على جونا. لم يعد يتمكّن من سماع الأصوات حول مدخل المستشفى. تحركت أغصان الأشجار بينما تردّد صدى خطواته بتؤدة بين شواهد القبور. هدرت شاحنة كبيرة على الطريق السريع. خشخشت أوراق أشجار جافّة. كانت الشموع التذكاريّة تشتعل في فوانيسها الزجاجيّة المغطّاة بالضباب على الشواهد.

مشى جونا نحو الطرف الشرقيّ من المقبرة، وهو الجزء الذي يواجه الطريق السريع. رأى فجأة شخصًا يمشي في العتمة بين شواهد القبور، وقرب مبنى المكاتب على بُعد أربعمائة متر. توقّف كي يدقّق النظر. كان الخيال يعرج ويبدو منحنيًا للأمام. راح جونا يركض بين القبور. رأى الخيال وهو يسرع عابرًا مرج الحشائش المتجمّدة بين الأشجار، بينما ثيابه البيضاء تتطاير حوله.

صرخ جونا: «جوزيف! توقّف!».

استمرّ الصبيّ يعرج مبتعدًا خلف مدفن عائليّ محاطٍ بسياج حديديّ مزخرف. سحب جونا مسدّسه وركض خلفه. لمح الفتى ثانيًة. صرخ عليه كي يتوقّف ثمّ صوّب هدفه نحو وركه الأيمن. فجأة، ظهرت امرأة مسنّة في مرمى نار جونا. كانت مقرفصة بجوار قبر ووقفت حين سمعت جونا يصرخ. شعر جونا بقلق يغمره حين فقد أثر جوزيف خلف حاجز من شجيرات الصنوبر. أنزل مسدّسه وركض خلفه. سمع المرأة تغمغم بأنّ كلّ ما رغبت به هو إضاءة شمعة عند قبر انغريد بيرغمان[1].

نظر حوله في العتمة. اختفى جوزيف بين الأشجار وشواهد القبور.

---

(1) ممثلة سويدية شهيرة.

كانت عواميد النور تنير مساحات ضيّقة فقط -مقعدًا أخضر أو بضعة أمتار من الطريق. اتّصل جونا بعامل الإرسال وطلب دعمًا مباشرًا. الوضع خطير. إنّه بحاجة إلى وحدة كاملة على الأقلّ، خمس فرق ومروحيّة. صعد على إحدى التلال. قفز فوق حاجز منخفض ثمّ توقّف. أمكنه سماع نباح كلاب عن بُعد، ثمّ سمع صوت طقطقة على الممشى المعبّد بالحصى على مبعدة مسافة قصيرة منه. سلك جونا ذلك الاتّجاه. رأى شخصًا يجثو بين شواهد القبور. أبقى عينيه مسمّرتين عليه وهو يحاول الاقتراب منه كي يسدّد ضربته. طارت بعض الطيور السوداء في السماء. انقلبت علبة قمامة في مكان ما. رأى جوزيف وهو يحاول الهروب خلف السياج البنّيّ المغطّى بالصقيع. فقد جونا توازنه وانزلق على المنحدر. حين وقف ثانية لم يعد يتمكّن من رؤية جوزيف. كان نبضه يتسارع وشعر بأنّه قد جرح ظهره. كانت يداه باردتين وخَدِرتَيْن. عبر الممشى المغطّى بالحصى ونظر حوله. شاهد من بعيد سيّارة تحمل علامة مجلس مدينة ستوكهولم عند الباب خلف مبنى المكاتب. وقف ببطء بينما تأرجح وميض مصابيح السيّارة عبر الأشجار مسلّطًا الضوء على جوزيف. وقف ملوّحًا عند الطريق الضيّق. رأسه مائل للأمام. تقدّم بضع خطوات مترنّحة. ركض جونا بأسرع ما يمكنه. توقّفت السيّارة، وفُتح الباب الأماميّ، وخرج منها رجل ملتحٍ.

«الشرطة»، صرخ جونا.

لكنّ الرجل لم يسمعه.

أطلق رصاصة في الهواء، فنظر الرجل ذو اللحية نحوه. اقترب جوزيف من الرجل حاملًا المشرط بيده. كانت لدى جونا بضع ثوان فقط. من المستحيل أن يصل إلى هناك في التوقيت المطلوب. ثبّت ذراعه على أحد الشواهد، ولكنّ المسافة كانت أكثر من ثلاثمائة متر. أكثر بكثير من مدى الإطلاق. رغم أنّ المنظر من بعيد كان يبدو مشوّشًا، لكنّ جونا بذل قصارى جهده لينظر بوضوح. حاول أن يركّز بصره عليه.

أصبح الشكل الرماديّ الأبيض أكثر نحولًا وعتمة -كان غصن شجرة يعترض رؤيته. استدار الرجل الملتحي ليواجه جوزيف ثانية، وتراجع خطوة إلى الخلف. حاول جونا أن يسيطر على مدى الإطلاق ثمّ ضغط على الزناد. انطلقت الرصاصة مسبّبة اهتزازًا عنيفًا في كوعه وكتفه. تجمّع غبار البارود على يده الباردة، لكنّ الرصاصة اختفت بين الأشجار وتلاشى صدى صوتها.

حين عادت الصورة لتتّضح أمام جونا، رأى جوزيف وهو يطعن الرجل الملتحي بالمشرط في بطنه. أطلق جونا النار ثانية. مرّت الرصاصة عبر ملابس جوزيف، ترنّح ثمّ أوقع المشرط. مدّ يده ليتفقّد ظهره ثمّ صعد إلى السيّارة. شرِع جونا بالركض نحو الطريق، لكنّ جوزيف انطلق بالسيّارة فوق ساقَيّ الرجل المطعون، ثمّ زاد سرعته. حين أدرك جونا بأنّه لن يتمكّن من اللحاق به، توقّف ووجّه سلاحه نحو العجلة الأمامية وأطلق وأصابها. انحرفت السيّارة، لكنّها استمرّت بالتحرّك، ثمّ أسرعت واختفت في المنفذ المؤدّي إلى الطريق السريع. أعاد جونا مسدّسه ثانية إلى جرابه، ثمّ اتّصل بقسم الإرسال مكرّرًا أنّه يحتاج إلى مروحيّة.

كان الرجل الملتحي ما زال على قيد الحياة، وسيل من الدم الأسود ينساب خلال أصابعه من جرح في بطنه وقد كُسرت كلتا ساقيه.

«كان مجرّد صبيّ»، استمرّ يكرّر مصدومًا، «كان مجرّد صبيّ».

«الإسعاف في طريقها إلى هنا»، قال جونا حين سمع أخيرًا صوت المروحيّة وهي تحلّق فوق المقبرة.

***

كان الوقت متأخرًا حين التقط جونا هاتفه في مكتبه كي يتّصل بديسا.

«اتركني وشأني»، أجابته بصوت يغالبه النعاس.

«هل كنت نائمة؟»، سألها.

«بالتأكيد كنت نائمة».

لم يقل أيّ منهما شيئًا للحظات.

«هل كان الطعام جيّدًا؟».

«نعم كان جيدًا».

«أنت تتفهّمين أنّه توجّب عليّ أن...».

توقّف عن الكلام حين سمعها تتثاءب وتجلس في السرير.

سألته: «هل أنت بخير؟».

نظر جونا إلى يديه. رغم أنّه غسلهما بعناية، فقد تخيّل أنّه ما زال يمكنه شمّ رائحة الدماء على أصابعه. كان قد جثم قرب الرجل، محاولًا إغلاق جرحه بيده. كان الرجل الجريح في وعيه التامّ طوال الوقت، يتحدّث متأثّرًا، يهذي تقريبًا حول ابنه الذي تخرّج لتوّه من المدرسة الثانويّة، وقد ذهب لزيارة جدَّيْه في تركيا للمرّة الأولى وحده. نظر الرجل إلى جونا، ثمّ إلى اليدين على بطنه. بدا أنّه لا يتألّم مطلقًا. بل مرتبكًا نوعًا ما.

«أليس هذا مضحكًا؟»، قال وهو ينظر لجونا نظرة طفوليّة صافية.

حاول جونا أن يتحدّث بهدوء ويوضح للرجل أنّ جسده في حالة صدمة.

صمت الرجل، ثمّ سأل بهدوء: «هل هكذا يبدو الأمر حين تموت؟»، حاول أن يبتسم لجونا، «ألا يؤلم مطلقًا؟».

فتح جونا فمه ليجيب، ولكن في تلك اللحظة وصلت سيّارة الإسعاف. شعر جونا بشخص ما يبعد يديه بحذر عن بطن الرجل ويقوده بعيدًا.

قالت ديسا ثانية: «جونا، هل كلّ شيء على ما يرام؟».

قال: «أنا بخير». وسمعها تتحرّك، وكأنّها تشرب شيئًا ما.

سألت: «هل تريد فرصة أخرى؟».

«نعم أرجوكِ».

قالت ببرود: «رغم أنّك لا تأبه بي البتّة».

«أنت تعرفين أنّ ذلك غير صحيح»، أجاب.

تمكّن من سماع صوته وإدراك كم يبدو منهكًا.

قالت ديسا: «آسفة. أنا سعيدة أنّك بخير».

أقفلا الهاتف.

جلس جونا للحظة وهو يصغي للصمت في قسم الشرطة، ثمّ أخرج مسدّسه من جرابه المعلّق خلف الباب. قام بتفكيكه ثمّ نظّفه ببطء وهو يزيّت كلّ جزء فيه على حدة. أعاد تركيبه ثمّ وضعه في خزانة الأسلحة. استبدلت رائحة الدم على يديه برائحة زيت المسدّس. جلس كي يكتب تقريرًا لبيتر ناسلوند، يوضح له لماذا كان من الضرورة إطلاق النار من سلاح الخدمة.

40

مساء الجمعة، 11 ديسمبر

راقب إريك قطع البيتزا الثلاث التي كانت تُحضّر أمامه وطلب وضع المزيد من «البِبّروني» على قطعة سيمونا. رُنّ هاتفه. نظر إلى الشاشة، ثمّ أعاده إلى جيبه حين لم يتعرّف على الرقم. ربّما صحافيّ آخر. لا يمكنه مواجهة المزيد من الأسئلة حاليًّا. حين مشى عائدًا إلى المنزل مع العلب الساخنة الثلاث، فكّر في ما يعتزم قوله لسيمونا. شعر بالغضب لأنّه بريء. لم يفعل ما تظنّه. لم يخُنها. هو يحبّها. تردّد أمام محلّ بائع الزهور، ثمّ دلف إلى الداخل. فاح هواء المتجر برائحة حلوة. كانت النافذة المطلّة على الشارع مغطّاة بالبخار. قرّر شراء باقة من الورود حين رُنّ هاتفه ثانية. كانت سيمونا.

«مرحبًا».

«أين أنت؟»، سألت.

«أنا في الطريق».

«نحن نتضوّر جوعًا».

«ممتاز».

أسرع عائدًا إلى المنزل. دخل إلى البهو وانتظر قدوم المصعد. بدا العالم الخارجيّ ساحرًا عبر الزجاج الأصفر اللامع للباب. سأل نفسه إن كانت الباقة غلطة أو محاولة رخيصة للترضية. وضع علب البيتزا على الأرض بسرعة، ثمّ رمى بالأزهار في مجرى القمامة.

أعاد التفكير وهو في المصعد. ربّما كانت الزهور ستروق لسيمونا. رنّ الجرس، ففتح بنيامين الباب وتناول البيتزا منه. علّق إريك معطفه ثمّ توجّه إلى الحمّام ليغسل يديه. أخرج علبة الأقراص الصفراء الليمونيّة، وابتلع ثلاثة منها قبل أن يتوجّه إلى المطبخ.

قالت سيمونا: «لقد ابتدأنا».

أخرج إريك كأسين.

«ممتاز»، قالت حين فتح سدّادة القنّينة.

قال: «سيمونا. أعرف أنّك خائبة الظنّ بي، ولكن...».

رُنّ هاتفه ثانية. نظر أحدهما إلى الآخر.

سألت سيمونا: «ألن تجيب عن هذا؟».

قال إريك: «لن أتحدّث إلى المزيد من المراسلين هذه الليلة».

قطعت البيتزا خاصتها. تناولت قضمة، ثمّ قالت: «دعه يرنّ».

ملأ إريك كأسَيْهما. أومأت سيمونا مبتسمة.

قالت: «أووه نعم. لقد زالت الآن تقريبًا، ولكن كان المكان يفوح برائحة السجائر حين أتيت إلى المنزل».

سأل إريك بنيامين: «هل لديك صديق يدخّن؟».

أجاب: «لا».

«هل آيدا تدخّن؟».

لم يُجبه بنيامين. كان يأكل بسرعة ثمّ توقّف فجأة. وضع سكّينه وشوكته جانبًا، وحدّق إلى الطاولة.

قال إريك برقّة: «ما الأمر؟ ماذا في ذهنك؟».

«لا شيء».

«أنت تعلم أنّ بإمكانك إخبارنا بكلّ شيء».

«فعلًا؟».

«ألا تظنّ أنّك...».

«لن تفهما ذلك»، قاطعه.

«جرِّب، وأخبرني إذن»، قال إريك.

«لا».

أكلوا في صمت. وبنيامين يحدّق إلى الجدار.

«بِبّروني جيّدة»، قالت سيمونا بهدوء وهي تمسح أحمر الشفاه عن حافّة كأسها، «من المؤسف أنّنا توقّفنا عن الطهو معًا»، قالت لإريك.

قال بنبرة دفاعيّة نوعًا ما: «من أين سنجد الوقت لفعل ذلك».

«توقّفا عن الجدال»، صرخ بنيامين. شرب بعض الماء ونظر من النافذة إلى المدينة المعتمة.

لم يأكل إريك شيئًا تقريبًا، لكنّه ملأ كأسه مرّتين.

«هل أخذت حقنتك يوم الثلاثاء؟»، سألت سيمونا.

«هل نسيها أبي يومًا؟»، نهض بنيامين ووضع صحنه في الحوض، «شكرًا على العشاء».

قالت سيمونا: «فكّرت في تلك السترة الجلديّة التي كنت تدّخر لتشتريها. أظنّ أنّ بإمكاني أن أدفع المتبقّي لك».

أشرق وجه بنيامين بابتسامة ثمّ توجّه ليحتضنها. أمسكت به بقوّة، لكنّها تركته يذهب حين شعرت بأنّه يودّ الانسحاب. توجّه نحو غرفته.

قطع إريك كسرة من حافّة البيتزا ووضعها في فمه. كانت لديه هالتان سوداوان تحت عينيه، وكانت الخطوط حول فمه أكثر عمقًا. بدا متوتّرًا.

رنّ هاتفه ثانية وراح يهتزّ ببطء على سطح الطاولة. نظر إريك إلى الشاشة ثمّ هزّ رأسه وقال: «لا أحد ممّن أعرفهم».

قالت سيمونا برقّة: «هل تعبت من كونك شهيرًا؟».

ابتسم بإرهاق وقال: «تحدّثت مع مراسلَيْن اثنين فقط هذا اليوم، لكنّ ذلك أكثر من كافٍ بالنسبة إليّ».

«ما الذي أراداه؟».

«مجلّة 'كافيه'، أو شيء من هذا القبيل».

«تلك التي لديها ملصقات على غلافها؟».

«دائمًا صورة فتاة تبدو دهشة من فكرة تصويرها، وهي ترتدي سروال يونيون جاك الداخليّ».

ابتسمت له. وسألت ثانية: «ما الذي أراداه؟».

تنحنح إريك ثمّ قال بصوت جافّ: «لقد سألوني إن كان من الممكن تنويم المرأة مغناطيسيًّا لجعلها ترغب في الزواج وهراء مثل هذا».

«حقًّا؟».

«نعم».

سألت: «ماذا عن الآخر؟ 'ريتز' أم 'سليتز'؟ أيّهما؟».

أجاب: «كان 'داغينز إيكو'. أرادوا أن يعرفوا رأيي حول تقديمي للمحقّق العدليّ».

قالت بسخرية: «مملّ».

حكّ إريك عينيه وتنهّد. بدا وكأنّه قد انكمش بشكل ملحوظ. قال ببطء: «لو لم أقم بتنويمه مغناطيسيًّا كان جوزيف إيك سيقتل شقيقته فور إخراجه من المستشفى».

«وإن يكن، لم يتعيّن عليك فعلها»، قالت سيمونا بهدوء.

«لا، أنا أعرف»، أجاب وهو يمرّر اصبعه على كأسه، «أنا نادم...».

توقّف عن الكلام. شعرت سيمونا برغبة مفاجئة ملحّة لتنهض إليه وتحتضنه. لكن، عوضًا عن ذلك ظلّت جالسة حيث هي، تنظر إليه وقالت: «ماذا سنفعل؟».

«نفعل؟».

«بشأننا، لقد قلنا أشياء عن الانفصال. لم أعد أعرف ما الذي تريده يا إريك».

فرك عينيه بقوّة وقال: «أدركت أنّك لا تثقين بي»، ثمّ توقّف.

نظرت إلى عينيه اللامعتين المتعبتين. رأت وجهه المرهق، شعره الرماديّ المشعث، وعادت بذاكرتها للوقت الذي كانا يستمتعان فيه معًا دومًا.

عاد للكلام: «أنا لست الرجل الذي رغبتِ أن أكونه».

قالت: «توقّف عن ذلك».

«ماذا؟».

«أنت تقول بأنّي لست سعيدة معك، لكنّك أنت الذي يقيم علاقة. أنت الذي يعتقد أنّني غير كافية له».

«سيمونا أنا...».

لمس يدها، لكنّها سحبتها بقوّة. كانت عيناه تلتمعان. علمت بأنّه تناول الأقراص.

«أحتاج إلى الذهاب إلى الفراش»، قالت سيمونا وهي تقف.

تبعها إريك ووجهه مكفهرّ كالرماد. تأكّدت وهي في طريقها إلى الحمّام من الباب الأماميّ بحذر.

قالت: «بإمكانك أن تنام في غرفة الضيوف».

أومأ، غير مبالٍ بجلاء، التقط وسادته وبعض الأغطية، بدا مخدّرًا تمامًا.

***

في منتصف الليل، استيقظت سيمونا على وخزة مفاجئة أعلى ذراعها. كانت تستلقي على معدتها، ثمّ استدارت إلى جانبها كي تتحسّس ذراعها. شعرت بعضلتها متقرّحة ومؤلمة وكانت الغرفة معتمة.

«إريكّ»، همست، ثمّ تذكّرت أنّه نائم في غرفة الضيوف.

استدارت نحو الباب ورأت خيالًا يختفي في الرواق.

كانت الأرضيّة الخشبيّة تصدر صريرًا، وكأنّ أحدًا كان يمشي عليها. ظنّت أنّ إريك قد أتى إلى الغرفة ليأخذ شيئًا ما ربّما، ثمّ تذكّرت بأنّه يغطّ الآن في نوم عميق بسبب الأقراص المنوّمة. أضاءت المصباح المجاور للسرير، وقرّبت ذراعها من الضوء. رأت قطرة من الدم تخرج من وخزة إبرة صغيرة على جلدها. لا بدّ من أنّها قد جرحت نفسها بشيء ما.

سمعت صوت غمغمة قادمة من الردهة. أطفأت سيمونا المصباح ثانية، وغادرت السرير بساقين واهيتين. دلّكت ذراعها الجريحة وهي تغادر الغرفة. كان فمها جافًّا، وشعرت بأنّ ساقيها دافئتان وخدرتان. سمعت شخصًا ما في الرواق يهمس ويضحك بهدوء. لم يبدُ وكأنّه إريك إطلاقًا. سرت رعشة في عمود سيمونا الفقريّ. كان الباب الخارجيّ مفتوحًا، وبهو السلّم معتمًا، والهواء البارد يتسرّب إلى الداخل. سمعت صوتًا من غرفة بنيامين... نحيبًا خفيضًا.

«أمّي!...».

بدا بنيامين خائفًا.

«أووه»، سمعته يقول.

ابتدأ بالبكاء بهدوء وثبات. رأت سيمونا عبر المرآة في الردهة شخصًا ما ينحني فوق سرير بنيامين وبيده محقن طبّيّ. أخذت الأفكار تتصارع في رأسها. حاولت أن تفهم ما يحدث.

«بنيامين»، نادت بقلق، «ماذا يجري؟ هل أستطيع الدخول».

تنحنحت واقتربت خطوة إضافيّة. انهارت ساقاها فجأة بالرغم من أنّها حاولت التشبّث بالخزانة بإحدى يديها، لكنّها لم تستطع تمالك نفسها، فتهاوت على الأرض، وضربت رأسها بالجدار.

حاولت النهوض، لكنّها لم تستطع التحرّك. لم تكن تشعر بالجزء السفليّ من جسدها. كان صدرها يؤلمها وصار تنفّسها ثقيلًا. تلاشت رؤيتها لبضع ثوانٍ، ثمّ عادت وهي مشوّشة بشكل سيّئ.

جرّ شخص ما بنيامين على الأرض من ساقيه، وقد انحسرت بيجامته للأعلى، وتأرجح ذراعاه ببطء وكأنّه مشوَّش. ارتطم رأسه بعتبة الباب. نظر بنيامين إلى عينَي سيمونا. كان يبدو مرتعبًا، وفمه يتحرّك، لكنّه لم يتفوّه بكلمة واحدة. حاولت أن تصل إلى يده لكنّها أخطأتها. حاولت أن تزحف في إثره، لكنّها لم تمتلك القوّة اللازمة لذلك. لم تستطع الرؤية. أغمضت عينيها، ثمّ فتحتهما، فرأت لمحات من بنيامين وهو يُسحب على الدرج، ثمّ يُغلق الباب بعده بهدوء. حاولت سيمونا أن تصرخ طالبة المساعدة، ولكن لم يصدر منها أيّ صوت. أغلقت عينيها، وتباطأ تنفّسها، ثمّ أضحى كلّ شيء أسود.

41

صباح السبت، 12 ديسمبر

شعرت سيمونا وكأنّ فمها مليء بقطع صغيرة من الزجاج. كانت تتألّم حين تتنفّس. حاولت تحسّس شفتيها بلسانها، لكنّها كانت متوّرمة وعاجزة عن الحركة. فتحت عينيها. في البداية لم تستطع إدراك ما تراه، ضوء النهار، ثمّ معدن لامع، ثمّ ظهرت الستائر ببطء.

جلس إريك على كرسيّ إلى جوارها وهو يمسك بيدها. عيناه غائرتان ومرهقتان. حاولت سيمونا أن تتكلّم، لكنّ حنجرتها آلمتها.

«أين بنيامين؟».

تلعثم إريك وسألها: «ما الذي قلته؟».

«بنيامين»، همست، «أين بنيامين؟».

أغلق إريك عينيه ثمّ أطبق فكّيه بقوّة. ابتلع ريقه ونظر إلى عينيها.

سأل بهدوء: «ما الذي فعلته؟ وجدتك على الأرض سيمونا، بالكاد كان لديك نبض، ولو لم أجدك...».

مسح فمه ثمّ تحدّث وقال: «ماذا فعلتِ؟».

تنفّست بصعوبة. بلعت ريقها عدّة مرّات. أدركت أنّهم قاموا بغسل معدتها، لكنّها لم تعرف ما تقول. لم تمتلك الوقت كي توضح بأنّها لم تحاول الانتحار. لا يهمّ ما يعتقدونه. ليس الآن. حاولت أن تهزّ رأسها لكنّها شعرت بالغثيان.

همست: «ما الذي حصل؟ هل رحل؟».

«ما الذي تقصدينه؟».

انهمرت الدموع على وجنتيها. وكرّرت: «هل رحل؟».

«وجدتك في الردهة يا عزيزتي. كان بنيامين قد غادر حين استيقظت. هل حصل بينكما شجار ما؟».

حاولت أن تهزّ رأسها ثانية، لكنّها لم تمتلك القوّة لذلك.
قالت بوهن: «كان هناك شخص في الشقّة. لقد أخذوه».
«من؟».
همست لنفسها وسط نشيجها.
سألها إريك: «بنيامين؟».
غمغمت: «يا إلهي!».
صرخ إريك: «ماذا بشأن بنيامين؟».
أجابت: «أخذه شخص ما».
بدا إريك مرتعبًا. مسح فمه وجثا بجوارها.
حاول أن يتكلم بأقصى هدوء يستطيعه:
«أخبريني ما الذي حدث. سيمونا، أخبريني فقط بما حصل».
قالت بصوت غير مسموع تقريبًا:
«لقد رأيت شخصًا يسحب بنيامين عبر الردهة».
«ماذا؟ أرجوكِ تكلمي».
«استيقظتُ في منتصف الليل لأنّي شعرت بوخزة في ذراعي. كانت حقنة. شخص ما قام...».
«أين؟ أين تمّ حقنك؟».
حاولت أن ترفع كُمّ رداء المستشفى. ساعدها، فوجد علامة حمراء صغيرة في أعلى ذراعها. حين تحسّس الورم حول تلك الفجوة الصغيرة بأطراف أصابعه، شحب لون وجهه تمامًا.
قالت: «شخص ما أخذ بنيامين. لم أتمكّن من إيقافه».
«نحن بحاجة إلى معرفة العقار الذي حُقنتِ به»، قال وهو يضغط على زرّ الطوارئ.
قالت: «لا تهتمّ بذلك. لا يهمّ. عليك أن تعثر على بنيامين».
«سأفعل»، قال.
دخلت الممرّضة. أعطاها إريك تعليمات دقيقة حول فحوص الدم.

حين غادرت بسرعة عاد إريك إلى سيمونا: «هل أنت واثقة من أنّك رأيتِ شخصًا يأخذ بنيامين؟».

أجابت وهي تنشج: «نعم».

«لكنّك لم تري من يكون؟».

«كان يسحب بنيامين من ساقيه عبر الردهة، عبر الباب. كنت ممدّدة على الأرض، ولم أتمكّن من الحراك».

أخذت تبكي ثانية. احتضنها. انتحبت على صدره، منهكة وجسدها ينتفض بين حين وآخر. حين هدأت أبعدته عنها برفق.

«إريك! عليك أن تعثر على بنيامين».

«سأفعل»، قال وهو يغادر الغرفة.

طرقت الممرّضة الباب ثمّ دخلت. أغلقت سيمونا عينيها حتّى لا تضطرّ إلى مشاهدة دمها وهو يملأ أربعة أنابيب صغيرة.

42

صباح السبت، 12 ديسمبر

حين اتّجه إريك نحو مكتبه في المستشفى، تذكّر الرحلة في سيّارة الإسعاف هذا الصباح، السائق المسرع عبر المدينة، الازدحام المروريّ وهو يتحرّك ببطء، الانعطاف إلى الطريق الجانبيّ لتجاوز السيّارات الواقفة، ثمّ غسيل المعدة، كفاءة الطبيبة، وحركاتها السريعة الهادئة، الشاشة السوداء التي تشير إلى عدم انتظام ضربات قلب سيمونا. فتح إريك هاتفه وأصغى إلى الرسائل الجديدة الواردة بالأمس. حاول ضابط شرطة يدعى رولاند سفينسون الاتّصال به أربع مرّات عارضًا عليه حماية الشرطة. لم تكن هناك رسالة من بنيامين أو أيّ شخص يدّعي ضلوعه في اختفائه.

اتّصل بآيدا. شعر بموجة كبيرة من الذعر تنتابه حين سمعها تقول مرتعبة بصوت مرتفع إنّها لا تملك أيّ فكرة عن مكان بنيامين.

«هل من الممكن أن يكون قد عاد إلى ذلك المكان في ’تينستا‘ برأيك؟».

«لا»، أجابت.

اتّصل إريك بداڤيد، صديق بنيامين الأكبر سنًّا. حين أجابت والدة داڤيد وقالت إنّها لم ترَ بنيامين منذ بضعة أيّام، أنهى إريك الاتّصال قبل أن تنهي كلامها.

اتّصل بالمختبر ليعرف ماذا وجدوا في جسد سيمونا. لكنّهم لن يستطيعوا إخباره بأيّ شيء بعد. فقال: «سأبقى على الخطّ».

سمعهم يعملون، وبعد فترة، التقط دكتور ڤالديس الهاتف، وقال بصوت أجشّ: «حسنًا، مرحبًا إريك، يبدو مثل ’رابيفين‘ أو شيء يشبهه يحتوي على ’الفِنتانيل‘ المخدّرة».

«الفِنتانيل المسكّن؟».

«ربما سُرق من مستشفى أو عيادة بيطريّة. نحن لا نستخدمه هنا كثيرًا لأنّه يسبّب الإدمان. يبدو أنّ زوجتك كانت محظوظة جدًّا».

سأل إريك: «ماذا تعني؟».

«لأنّها ما زالت على قيد الحياة».

عندما لم يعثر على خبر، عاد إريك إلى غرفة سيمونا ليسألها المزيد عن الاختطاف، ويدقّق في كلّ شيء مرّة أخرى، لكنّه وجدها نائمة. كانت شفتاها مجروحتين ومشقّقتين من غسيل المعدة.

رنّ هاتفه في جيبه.

«نعم».

«هنا كايسا من مكتب الاستقبال، هناك شخص يريد رؤيتك».

تطلّب الأمر من إريك عدّة ثوان كي يدرك أنّ المرأة تشير إلى منطقة الاستقبال هنا، في المستشفى، في قسم الجراحة العصبيّة.

«دكتور بارك»، قالت باحتراس.

«أحد يريد رؤيتي! من هو؟».

«جونا لينا»، أجابت.

«حسنًا قولي له أن يأتي إلى الكافيتريا. سوف أنتظره هناك».

وقف إريك في الردهة تتقاذفه الأفكار. فكّر في تلك الرسائل الصوتيّة من رولاند سفينسون، الذي اتّصل به عدّة مرّات ليؤمّن له حماية الشرطة. ما الذي حدث؟ هل هدّدني شخص ما؟ سأل إريك نفسه. سرت رعدةٌ باردة في جسده حين أدرك كم من غير المألوف أن يقوم رجل مثل جونا، شخصيًّا، بزيارته بدل الاتّصال به.

مشى إريك إلى الكافيتريا ووقف أمام طاولة السَلطة المغطّاة بالنايلون الشفّاف. حين شمّ رائحة الخبز المقطوع حديثًا، شعر بموجة من الغثيان تعتريه، وارتعشت يداه.

فكّر: «جونا في طريقه إلى هنا ليخبرني بأنّهم عثروا على جسد

بنيامين، لهذا السبب هو هنا شخصيًّا، سوف يسألني أن أجلس ثمّ يخبرني بأنّ بنيامين قد مات». لم يرغب إريك في مواصلة تلك الأفكار، لكنّه لم يستطع منع نفسه. رغم رفضه تصديق ذلك، استمرّت الخيالات بالعودة أسرع فأسرع. صور مريعة لجثّة بنيامين تمرّ في ذهنه، في خندق ما على حافّة الطريق مغطّاة بكيس نفايات أسود على جرف موحل.

«قهوة؟».

«ماذا؟».

«هل أصبّ لك كوبًا؟».

كانت امرأة ذات شعر أشقر لامع تقف جوار ماكينة صبّ القهوة ممسكة الإبريق بيدها. نظرت نحوه بترقّب. أدرك أنّه كان يقف هناك ممسكًا بكوب فارغ في يده. هزّ رأسه، وفي تلك اللحظة دخل جونا إلى الغرفة.

«دعنا نجلس»، قال جونا.

الانطباع المرتسم على وجهه يُظهره مهمومًا وغامضًا.

«حسنًا»، قال إريك بصوت غير مسموع بعد صمت وجيز.

جلسا على طاولة بعيدة، مغطّاة بملاءة من الورق وعليها مملحة. حكّ جونا حاجبه، ثمّ همس بشيء ما. فقال إريك: «عفوًا؟».

تنحنح جونا بهدوء ثمّ قال: «حاولنا الاتّصال بك».

«لم أجب على هاتفي بالأمس»، قال إريك بوهن.

«إريك! أعتذر لأنّه يتعيّن عليّ قول ذلك، ولكن...».

توقّف جونا، ونظر نحوه بعينيه الرماديّتين كالغرانيت، وقال: «لقد هرب جوزيف إيك من المستشفى».

«ماذا؟».

«أنت تحت حماية الشرطة الآن».

ارتعش فم إريك وامتلأت عيناه بالدموع.

«هل ذلك ما وددت إخباري به؟ بأنّ جوزيف هرب؟».

«نعم».

شعر إريك بالراحة حتّى أوشك أن يفقد الوعي، مسح الدموع من عينيه بسرعة.

«متى؟».

«مساء أمس. قتل ممرّضة، وجرح رجلًا آخر جرحًا بليغًا»، قال جونا بتثاقل.

أومأ إريك عدّة مرّات. صارت أفكاره في وضع مروّع جديد.

قال: «لقد أتى إلى شقّتنا في منتصف الليل وأخذ بنيامين».

«ماذا؟».

«لقد أخذ بنيامين».

«هل رأيته؟».

«لا، ولكن سيمونا...».

«ما الذي حصل؟».

قال إريك ببطء: «لقد حقَنَ سيمونا بشيء ما. سمعت لتوّي من المختبر أنّها مادّة تسمّى الفِنتانيل، مادة مخدّرة تستخدم في الجراحة».

«هل هي بخير؟».

«ستكون كذلك».

أومأ جونا، ثمّ دوّن اسم الدواء.

سأل: «هل قالت سيمونا إنّ جوزيف أخذ بنيامين؟».

«لم ترَ وجهه».

«فهمت».

بنظرة رجاء، سأل إريك: «هل ستتمكّن من العثور عليه؟».

«سنفعل. ثق بي. أعلنّا إنذارًا وطنيًّا. هو مصاب ووضعه سيّئ. لن يذهب إلى أيّ مكان».

«لكنّك لا تمتلك أي دليل ملموس لتبدأ منه».

نظر جونا إلى عينيه: «لن يطول الوقت حتّى نمسك به».

«حسنًا».

«أين كنت أنت حين أتى هو إلى الشقّة؟».

«كنت نائمًا في غرفة الضيوف. تناولت قرصًا منوّمًا. لم أسمع أيّ شيء».

«إذن حين كان هناك، كانت سيمونا وحدها في غرفة النوم؟».

«أفترض ذلك».

«لكنّ هذا لا يبدو منطقيًا»، قال جونا.

«ليس من السهل الانتباه إلى غرفة الضيوف. إنّها تبدو أشبه بخزانة، وحين يكون باب الحمام مفتوحًا فهو يخفي بابها تمامًا».

قال جونا: «ليس ذلك، أنا أعني موضوع الحقنة، لا يبدو الأمر وكأنّه جوزيف. إنّ سلوكه أشدّ عنفًا بكثير».

قال إريك: «ربّما بدا كذلك لنا فقط».

«ما الذي تقصده؟».

«ربّما كان يعرف ما يفعله طوال الوقت. أعني أنّك لم تعثر على أيّ آثار لدماء الوالد في المنزل».

«لا، لكن...».

«ذلك يعني أنّه يعمل بشكل منظّم وبارد. ماذا لو قرّر أن ينتقم منّي بواسطة بنيامين؟».

صمت إريك، ومن زاوية عينه تمكّن من رؤية امرأة ماكينة القهوة وهي ترتشف شرابها، وتتطلّع إلى أبنية المستشفى.

نظر جونا إلى الطاولة ثمّ التقت عيناه بنظرات إريك، وقال بإخلاص بلكنته الفنلنديّة: «أنا آسف جدًّا يا إريك».

43

صباح السبت، 12 ديسمبر

عاد إريك إلى مكتبه وجلس خلف طاولته البالية. كل شيء ينهار حوله. اتّصل بالأشخاص أنفسهم مرارًا وتكرارًا، وكأنّه سيعرف من تغيير نبرة صوتهم إن كانوا قد فوّتوا تفصيلًا ما أو أخفوا شيئًا. شعر بأنّه سيصاب بالانهيار حين اتّصل بآيدا ثلاث مرّات على التوالي. في المرّة الأولى سألها إذا كانت تعرف خطط بنيامين لنهاية الأسبوع. وسألها في المرّة الثانية إن كانت تمتلك أرقام هواتف أيّ من أصدقائه الآخرين، لأنّه لم يكن يعرف من يخالط بنيامين. في المرّة الثالثة سألها إن كانت هي وبنيامين قد تشاجرا، ثمّ أعطاها كلّ أرقام هواتفه مع رقم مكتبه في المستشفى وهاتف سيمونا الخلويّ أيضًا.

اتّصل بداڤيد ثانية، وتأكّد من أنّ أحدًا لم يرَ بنيامين منذ الأمس. بعدئذ اتّصل بالشرطة. سألهم عمّا يحصل، وهل حقّقوا أيّ تقدّم. ثمّ اتّصل بكلّ المستشفيات في المنطقة. اتّصل بهاتف بنيامين المغلق للمرّة العاشرة. اتّصل بجونا وطالبه أن تكثّف الشرطة بحثها، وسأله أن يطلب المزيد من الدعم، ثمّ توسّل إليه أن يبذل قصارى جهده.

ذهب أخيرًا إلى غرفة سيمونا لكنّه توقّف خارجًا. بدت الجدران كأنّها تدور، وشعر بأنّ كلّ شيء حوله يكاد يطبق عليه. أعاد عبارة واحدة في رأسه مرارًا وتكرارًا: «سوف أعثر على بنيامين»، «سوف أعثر على بنيامين».

نظر إريك إلى زوجته عبر نافذة باب غرفتها. كانت مستيقظة، ولكنّ

وجهها بدا مشوّشًا ومرهقًا، شفتاها شاحبتيْن، وظهرت هالتان سوداوان تحت عينيها، وبدا شعرها الأحمر كالفراولة مشعثًا ومتعرّقًا. كانت تحرّك خاتم زواجها بتوتّر شديد. مرّر إريك يده خلال شعره، ثمّ لمس ذقنه ولاحظ أن لحيته طالت. رأته سيمونا عبر النافذة، ولكنّ الانطباع المرتسم على وجهها لم يتغيّر.

دخل إريك وجلس بتثاقل إلى جوارها. نظرت نحوه ثمّ خفضت بصرها. تجمّعت بعض الدموع الكبيرة في عينيها، بدا أنفها محمرًّا من البكاء.

همست: «حاول بنيامين أن يتشبّث بي. حاول أن يمسك بيدي، لكنّي لم أتمكّن من الحراك».

بدا صوت إريك ضعيفًا حين قال: «علمت للتوّ أنّ جوزيف إيك هرب الليلة الماضية».

همست: «أنا أتجمّد بردًا».

حاول أن يغطّيها بالبطّانيّة الزرقاء، لكنّها أبعدت يده عنها.

«إنّه خطؤك. كنت راغبًا جدًّا بتنويم شخص ما».

«توقّفي يا سيمونا. إنّه ليس خطئي. حاولت إنقاذ حياة الفتاة. واجبي أن...».

«وماذا عن ابنك إذن؟»، صرخت.

حين حاول إريك لمسها أبعدته عنها. وقالت بصوت مرتعش.

«سأتّصل بوالدي. سوف يساعدني للعثور على ابني».

قال إريك: «لا تتّصلي به».

«أعرف أنّك ستقول هذا. لكنّي لا آبه لما تعتقده. أريد أن يعود بنيامين فقط».

«سوف أعثر عليه يا سيمونا».

«لماذا لا أصدّقك؟».

«الشرطة تبذل قصارى جهدها، ووالدك...».

قالت بغضب: «الشرطة؟ الشرطة سمحت لذلك المجنون بالهرب. لن يجدوا بنيامين».

«جوزيف قاتل متسلسل. سوف تعثر الشرطة عليه. قد يكون بنيامين غير مهمّ لهم. هم لا يأبهون به بقدرنا، أليس كذلك؟».

«ذلك ما عنيته»، انفجرت غاضبة.

«لقد أخبرني جونا لينا أنّ...».

«إنّه خطؤه أيضًا. هو الذي جعلك تنوّم ذلك الفتى مغناطيسيًّا».

هزّ إريك رأسه، ثمّ ابتلع ريقه بصعوبة: «كان ذلك خياري».

همست: «سوف يفعل والدي أيّ شيء لاستعادة بنيامين».

«أريد أن أتشارك معك كلّ تلك التفاصيل الصغيرة. نحن بحاجة إلى أن نفكّر. نحتاج إلى السلام والهدوء كي...».

صرخت: «ما الذي بوسعنا فعله؟».

جلسا صامتَيْن لفترة. سمع إريك شخصًا يفتح التلفاز في الغرفة المجاورة.

استلقت سيمونا في الفراش، وأشاحت بوجهها بعيدًا عنه.

قال إريك بحذر: «نحتاج إلى التفكير. أنا لست مقتنعًا بأنّ جوزيف إيك...».

«أنتَ غبيّ جدًّا»، صرخت.

حاولت سيمونا أن تنهض من الفراش، ولكنّها كانت ضعيفة جدًّا.

«هل بإمكاني أن أسألكِ شيئًا واحدًا؟».

قالت: «سأحصل على مسدّس وسوف أجده».

«كان الباب الأماميّ مفتوحًا لليلتين على التوالي، ولكن...».

قاطعته: «ذلك ما قلته. قلت إنّ شخصًا ما كان في الشقّة، لكنّك لم تصدّقني. لو كنت قد صدقتني فقط لما كان...».

قاطعها إريك: «أصغي إليّ. كان جوزيف إيك هنا في المستشفى في الليلة الأولى لذلك لا يمكن أن يكون في شقّتنا».

لم تكن تصغي إليه. حاولت النهوض. تأوّهت لكن استطاعت الوصول إلى الخزانة الضيّقة حيث كانت ملابسها معلّقة. وقف إريك هناك من دون أن يساعدها. راقبها ترتدي ملابسها بوهنٍ وهي تلعن طوال الوقت.

44

مساء السبت، 12 ديسمبر

تبيّن أنّ سيمونا كانت أضعف من أن تستطيع مغادرة المستشفى. تعيّن عليها البقاء في السرير لعدّة ساعات أخرى. حين حلّ المساء سُمح لإريك بأن يخرجها. كانت الشقّة في فوضى، الكراسي مقلوبة، الأغطية منثورة في الردهة، المصابيح مضاءة، صنبور الماء في الحمّام مفتوحًا، الأحذية مبعثرة على الممسحة أمام المدخل، والهاتف مرميًّا على الأرض الخشبيّة في وسط الطريق وبطّاريّتاه إلى جواره.

نظر إريك وسيمونا حولهما. لقد دُمّر منزلهما. بدت كلّ مقتنياتهما دخيلة عليهما وغير مهمّة إطلاقًا.

سحبت سيمونا أحد الكراسي، وجلست، ثمّ شرعت بخلع جزمتها. أغلق إريك صنبور المياه، ثمّ ذهب إلى غرفة بنيامين. نظر إلى المكتب الأحمر والكتب المدرسيّة المغلّفة بالورق البنّيّ الواقي قرب الحاسوب. على الرفّ المجاور، كانت صورة فوتوغرافيّة لإريك خلال الوقت الذي قضاه في أوغندا، ويبدو مبتسمًا ومسمرًّا من أشعة الشمس، واضعًا يديه في جيب معطفه الطبّيّ. مرّر إريك يده على بنطال بنيامين الجينز ثم على بلوزته السوداء التي كانت معلّقة على ظهر الكرسي. غادر إلى غرفة المعيشة، حيث كانت سيمونا تمسك بالهاتف في يدها. أعادت البطّاريتين وراحت تطلب رقمًا ما.

«بمن تتّصلين؟».

«سأتّصل بوالديٍ».

«ألا تنتظرين قليلًا؟».

تركته يأخذ الهاتف من يدها، وقالت: «ماذا تريد؟».

«لا أستطيع تحمّل كينيت. ليس الآن. ليس...».

تراجع عن إكمال ما كان يقوله. وضع الهاتف على الطاولة، وفرك وجهه قبل أن يحاول ثانية: «ألا يمكنك أن تحترمي فكرة رفضي تسليم كلّ ما أحبّه إلى والدك؟».

«ألا يمكنك أن تحترم...».

قاطعها: «لا تفعلي ذلك».

نظرت نحوه بوجه جريح. فقال:

«سيمونا، أنا أعاني من مشكلة في التفكير حاليًا. بصراحة، أشعر كأنّني سأصرخ. وأنا حقيقة لا أتمكّن من تحمّل وجود والدك حولنا».

«هل انتهيت؟»، قالت وهي تمدّ له يدها ليعطيها الهاتف.

«هذا بخصوص طفلنا».

أومأت.

قال: «ألا يمكننا أن نترك الأمر كذلك؟ ألا يمكننا أن نجعل الأمر يتعلّق به فقط؟ أريد أن نبحث عن بنيامين أنا وأنت ونعمل مع الشرطة. سوف نساعدهم للقيام بعملهم».

«أحتاج إلى أبي».

«وأنا أحتاج إليكِ».

قالت بحسم: «لا أصدّق هذا حقًّا».

«لماذا لا تعتقدين...».

قاطعته: «لأنّك تريد اتّخاذ القرارات عنّي».

تجوّل إريك حول الغرفة ثمّ توقّف: «والدك متقاعد، لن يتمكّن من فعل شيء».

قالت: «لديه معارفه».

«هو يعتقد أنّ لديهِ معارف. يعتقد أنّه ما زال محقّقًا، لكنّه مجرّد متقاعد».

«أنت لا تعرف...».

«لن يتمكّن من العثور على بنيامين».

«أنا لا أكترث لما تقول».

«لا يمكنني البقاء هنا إن كان سيأتي».

«لا تفعل هذا»، قالت بهدوء.

«أنت تريدين منه أن يأتي إلى هنا، ويخبرك بأنّني أفسدت كلّ شيء، وبأنّه كان خطئي بالتأكيد. أنا أتفهّم أنّ ذلك جيّد بالنسبة لك، لكنّه بالنسبة لي...».

قالت: «أنت تتصرّف مثل طفل».

«أنتِ التي تتّصل بوالدها للمساعدة. وأكرر: إن أتى فسوف أغادر».

قالت بإصرار: «لا آبه لما ستفعله».

أدارت ظهرها له، ثمّ طلبت الرقم.

توسّل إليها: «لا تفعلي ذلك».

لم تلتفت إليه. لا مجال أن يبقى إذا أتى كينيت. نظر حوله. لا شيء يرغب في أخذه معه. سمع رنين الهاتف، ورأى ظلّ أهداب سيمونا يرتعش على وجنتيها.

قال: «اللعنة!»، ثمّ غادر الغرفة.

سمع إريك سيمونا وهي تتحدّث إلى كينيت حين ارتدى حذاءه. كانت تنتحب بصمت. سألت والدها أن يأتي بأسرع وقت. أخذ إريك سترته من المشجب، وغادر الشقّة، ثمّ أغلق الباب خلفه. نزل على الدرج، ولكنّه توقّف. فكّر في أنّه يجب أن يعود، ويفعل شيئًا ما. هذا غير عادل. هذا هو منزله، وبنيامين ولده وحياته.

«اللعنة»، قال بصوت منخفض، ثمّ أكمل نزول الدرج إلى الخارج حيث الشارع المعتم.



45

مساء السبت، 12 ديسمبر

وقفت سيمونا عند النافذة. بدا انعكاس هيئتها شبحيًّا في عتمة المساء. حين رأت سيّارة والدها «نيسان بريميرا» القديمة تتوقف أمام المنزل، كان عليها أن تبذل جهدًا كبيرًا كيلا تنفجر بالدموع. انتظرت في المدخل حين طرق الباب. فتحت لوالدها وهي تحاول أن تبتسم.

قالت حين أخذت الدموع تنساب منها: «أبي! إنّ الشرطة لا تصدّقني. يعتقدون أن بنيامين هرب. ولكنّي أعرف ما رأيته».

احتضنها كينيت، وحين شمّت رائحة الجلد والتبغ المألوفَيْن على سترته، عادت لوهلة إلى زمن طفولتها.

قال كينيت: «أنا هنا يا حبيبتي. أين إريك؟».

همست: «لقد انفصلنا».

قال كينيت وهو يتراجع بوضوح: «آه!».

ناولها منديلًا، فقامت بتنظيف أنفها عدّة مرّات. علّق سترته وانتبه لمعطف بنيامين الشتويّ المعلّق هناك، وحذائه على الرفّ أيضًا، وحقيبة ظهره تستند إلى الجدار قرب الباب.

احتضن ابنته من كتفها. مسح الدموع من تحت عينيها بحنان بواسطة إبهامه، وقادها نحو المطبخ. أجلسها على الكرسيّ، ثمّ أخرج القهوة ومصفاة جديدة.

قال وهو يضع كوبين: «الآن أخبريني بكلّ شيء، منذ البداية».

أخبرته سيمونا بالتفصيل عن الليلة الأولى، حين استيقظت لأنّها كانت واثقة من وجود أحد في الشقّة -رائحة السجائر في المطبخ، الباب الخارجيّ المفتوح، والضوء الأزرق من المجمّدة المفتوحة.

استفسر كينيت: «ماذا عن إريك؟ ما الذي فعله؟».

تردّدت للحظات ثمّ التقت نظراتهما: «إنّه لا يصدّقني. يقول لا بدّ من أنّ أحدنا كان يمشي في نومه».

قال كينيت: «يا إلهي!».

شعرت سيمونا بأنّ وجهها ينقبض ثانية. صبّ كينيت لها القهوة. دوّن شيئًا ما على قطعة من الورق، ثمّ سألها أن تواصل.

أخبرته بخصوص حقنة ذراعها التي أيقظتها في الليلة الفائتة، وكيف نهضت وسمعت أصواتًا مريبة من غرفة بنيامين.

سأل كينيت: «أيّ نوع من الأصوات؟».

قالت بتردّد: «نحيب أو غمغمة. لا أعرف».

«ثمّ ماذا؟».

«سألتُ إن كان بإمكاني الدخول، ورأيت شخصًا... كان هناك شخص ينحني فوق بنيامين و...».

غصّت بالبكاء، فقال كينيت: «نعم».

«ثمّ تهاويت فقط. لم أتمكّن من فعل أيّ شيء. استلقيت في الرواق فقط وأنا أراقب بنيامين وهو يُسحب إلى الخارج. يا إلهي! وجهه... لقد كان مذعورًا جدًّا. ناداني وحاول أن يتشبّث بي، ولكنّي لم أتمكّن من الحركة إطلاقًا».

حدّقت إلى الفراغ أمامها.

«هل تتذكّرين أيّ شيء آخر؟».

«مثل ماذا؟».

«كيف بدا شكل الرجل الذي أخذ بنيامين؟».

«لا أعرف».

«هل لاحظت أيّ شيء؟».

«كان يتحرّك بطريقة غريبة. كان ظهره منحنيًا وكأنّه يعاني من ألم ما».

كتب كينيت المزيد من الملاحظات.

حثّها قائلًا: «عليك التفكير بقوّة».

«كان المكان مظلمًا يا أبي».
سأل: «وإريك؟».
«لقد كان نائمًا».
«نائمًا؟».
أومأت: «إنّه يتناول الكثير من الأقراص المنوّمة مؤخّرًا. كان في غرفة نوم الضيوف، ولم يسمع شيئًا».
امتلأت عينا كينيت بالإدانة. وفجأة، شعرت سيمونا بموجة تفهّمٍ كبيرة لإريك، ولقراره بالرحيل.
سأل كينيت: «أيّ نوعٍ من الأقراص؟ هل تعرفين اسمها؟».
تناولت يدي والدها: «أبي إنّ إريك ليس في محاكمة الآن».
سحب يديه بعيدًا: «العنف الموّجه نحو الأطفال غالبًا ما يُرتكب من قبل أحد أفراد العائلة».
«أعرف ذلك، ولكن...».
قاطعها كينيت بهدوء: «دعينا ننظر إلى الحقائق. لدى المجرم درجة من المعلومات الطبّيّة، وقدرة للوصول إلى الأدوية».
أومأت.
«أنت لم تري إريك في غرفة الضيوف؟».
«كان الباب مغلقًا».
«لكنّك لم تريه هناك فعلًا، أليس كذلك؟ وأنتِ لم تعرفي إن كان قد تناول أيًّا من الأقراص المنوّمة في الليلة الماضية؟».
«لا»، توجّب عليها أن تعترف بذلك.
«أنا أنظر فقط إلى ما نعرفه يا سيمونا. نحن نعلم أنّك لم تريه وهو نائم».
نهض كينيت وأخرج بعض الخبز والجبنة. صنع شطيرة لسيمونا وأرغمها على تناولها.
تنحنح بعد فترة، ثمّ سأل: «لماذا قام إريك بفتح الباب لجوزيف؟».

حدّقت إليه: «ما الذي تعنيه؟».

«إن فعل ذلك، ما هو دافعه؟».

«أعتقد أنّ هذا قد تحوّل إلى حوار سخيف».

«لماذا؟».

«إريك يحبّ بنيامين».

«أجل، ولكن ربّما حصل أمر بطريقة خاطئة. ربّما رغب إريك فقط بالتحدّث إلى جوزيف. إقناعه بالتواصل مع الشرطة أو...».

«توقّف عن ذلك يا أبي»، قالت سيمونا.

«علينا أن نسأل أسئلة كتلك لو رغبنا في إيجاد بنيامين».

أومأت. شعرت بالدموع تتجمّع في عينيها. لقد بكت كثيرًا، إلى درجة أنّها لم تعد تتعرّف على وجهها. قالت بصوت غير مسموع تقريبًا: «ربّما ظنّ إريك أنّ شخصًا آخر كان عند الباب».

«من؟».

«أعتقد بأنّه كان يقابل امرأة ما تدعى دانييلا»، قالت سيمونا وهي تتجنّب النظر في عينيّ والدها.

46

صباح الأحد، 13 ديسمبر، يوم سانتا لوسيّا

استيقظت سيمونا في الساعة الخامسة صباحًا. لا بدّ من أنّ كينيت حملها إلى السرير، ودسّها فيه. ذهبت مباشرة إلى غرفة بنيامين، ولكنّها كانت فارغة.

رغم أنّها لم تبكِ، فقد بدا مذاق الدموع والمرار وكأنه غمر كلّ شيء، وأحال عالمها بأكمله إلى سديم مكفهرّ. حاولت أن تُبعد أفكارها عن بنيامين، لم ترغب في أن تترك الذعر يستولي عليها.

المطبخ مضاء.

غطّى كينيت الطاولة بقطعة من الورق. وُضع جهاز الإرسال العائد للشرطة على الحافّة باثًّا غمغمة خفيضة. وقف كينيت بسكون تامّ ينظر إلى الفراغ، ثمّ حكّ ذقنه عدّة مرّات.

قال: «من الجيّد أنّكِ حظيتِ ببعض النوم».

هزّت رأسها.

«سيمونا؟».

«نعم» همست. كانت تقف عند الحوض. ملأت كفّيها بالماء البارد ثمّ غسلت وجهها. بينما هي تنشّفه رأت انعكاس صورتها على النافذة. كان الجوّ مظلمًا في الخارج، ولكن سيأتي الفجر قريبًا حاملًا معه حزن ديسمبر.

كتب كينيت شيئًا ما على قطعة ورقيّة. جلست على الكرسيّ أمامه وحاولت أن تفهم أين من الممكن أن يأخذ جوزيف بنيامين. كيف تمكّن من الدخول إلى شقّتهم، ولماذا أخذ بنيامين وليس أحدًا آخر.

«ابن السعادة»، همست.

«ما الذي قلته؟».

أجابت: «آه! لا شيء...».

«ابن السعادة» هو الاسم العبريّ لكلمة «بنيامين» في العهد القديم.

كانت راحيل زوجة يعقوب، وكان قد عمل أربعة عشر عامًا ليدفع مهرها. أنجبت راحيل ولدان: جوزيف الذي ذهب كي يفسر أحلام الفرعون، وبنيامين ابن السعادة.

تقلّص وجه سيمونا بالدموع. من دون كلمة، انحنى كينيت عبر الطاولة، واعتصر كتفها.

قال: «سوف نعثر عليه».

أومأت له.

«تسلّمت هذا المغلّف قبل أن تستيقظي»، قال وهو ينقر على مغلّف كبير على الطاولة.

«ماذا فيه؟».

«أنت تعرفين ذلك المنزل في ’تومبا‘ حيث قام جوزيف إيك بـ... هذا تقرير عن تحقيقات مسرح الجريمة».

«ألا يفترض بك أن تكون متقاعدًا؟».

ابتسم ودفع بالمغلّف لها. فتحته ونظرت إلى التحليل المنظّم لبصمات الأصابع، بصمات الأيدي، خصل الشعر، أجزاء الجلد تحت الأظافر، والدمار الذي سبّبه نصل السكّين. هناك دماء وسائل النخاع الشوكيّ على خفّ والتلفاز والمصباح والسجّادة البالية والستائر. انزلقت الصور من المغلّف. نظرت سيمونا بعيدًا بسرعة. لكن توفّر لعقلها بعض الوقت للتفكير بالرعب في تلك الغرفة، الأغراض التي تستعمل يوميًا، رفوف الكتب، جهاز التسجيل، كلّها كانت مغطّاة بالدم الأسود، أجساد مشوّهة وأجزاء من أجساد على الأرض.

ذهبت إلى الحوض وتقيّأت.

قال كينيت: «آسف. أنا أنسى أحيانًا أن ليس الجميع رجال شرطة».

أغلقت عينيها وفكّرت في نظرة الذعر على وجه بنيامين، وتخيّلت الغرفة المظلمة وأرضيّتها المغطّاة بالدم. انحنت ثمّ تقيّأت ثانية. لوّثت خيوط من المخاط وسائل الصفراء أكواب القهوة وأدوات المائدة المجاورة على الحوض. حين غسلت فمها وأصغت إلى صوت نبضها في أذنيها، انتابها قلق من تعرّضها لانهيار عصبيّ.

تمسّكت بالحوض بقوّة، وتمالكت نفسها: «لا أستطيع فصل كلّ ذلك عن بنيامين»، قالت بوهن.

أحضر كينيت بطّانية ودثّرها بها، ثمّ أعانها بلطف على أن تجلس ثانية.

«إذا اختطف جوزيف إيك بنيامين فإنّه يريد شيئًا ما. لا بدّ من ذلك، لأنّ هذا مختلف جدًّا عن الطريقة التي تصرّف بها من قبل».

«لا أعرف إن كان بإمكاني تحمّل هذا»، همست.

قال كينيت: «هل أستطيع أن أقول شيئًا، أعتقد أن جوزيف إيك كان يبحث عن إريك. وحين لم يجده، أخذ بنيامين عوضًا عنه كي يتمكّن من تدبّر صفقة ما».

«ذلك يعني أنّه ما زال حيًّا، أليس كذلك؟».

«بالطبع هو كذلك. نحتاج فقط إلى معرفة أين خبّأه جوزيف».

«قد يكون ذلك في أيّ مكان».

قال كينيت: «على العكس».

نظرت إليه.

«الأمر ينتهي دومًا في منزل المختطِف أو في الكوخ الصيفيّ».

«ولكنّ ذلك هو منزله»، قالت وهي ترفع صوتها وتنقر على المغلّف الذي يحتوي على الصور الفوتوغرافيّة بإصبعها.

47

صباح الأحد، 13 ديسمبر، يوم سانتا لوسيّا

أعاد كينيت قول «منزله» لنفسه. التقط المغلّف الذي يحتوي على الصور والتقرير الأوّليّ للتحرّيات الجنائيّة للمنزل، ثمّ استدار نحو ابنته.

قال: «دوترو».

سألت سيمونا: «ماذا؟».

«دوترو. هل تتذكّرين دوترو؟».

«لا أعلم...».

أخبرها كينيت بخصوص مارك دوترو، المتحرّش الجنسيّ بالأطفال الذي اختطف وعذّب ستّ فتيات صغيرات في بلجيكا. تضوّرت جوليا لُجون وميليسا روسو جوعًا حتّى الموت، حين كان دوترو يقضي فترة احتجاز في السجن بسبب سرقة سيّارة، ودُفنت ايفي لامبرك وآن مارشال حيّتين في فناء داره.

واصل: «كان دوترو يمتلك منزلًا في تشارلروا، وقد بنى في القبو مكانًا ذا باب خفيّ يزن مائتي كيلوغرام. كان صلدًا جدًّا لدرجة أنّكِ لن تسمعي شيئًا لو طرقتِ عليه. الطريقة الوحيدة للعثور على الغرفة هي بقياس مساحة المنزل. المساحة الداخليّة مختلفة عن المساحة الخارجيّة. عُثر على سابين داردين وليتيسيا ديليز على قيد الحياة».

حاولت سيمونا أن تقف. شعرت بقلبها يخفق بشكل غريب في صدرها. كانت تعرف أنّ هناك أشخاصًا تدفعهم غريزتهم لاحتجاز الآخرين، وهم يشعرون بالاطمئنان لأنّ ضحاياهم في الأسفل، يصرخون طلبًا للمساعدة خلف الجدران المنيعة.

همست: «يحتاج بنيامين إلى دوائه».

توجّه والدها إلى الهاتف وطلب رقمًا. انتظر لعدّة ثوانٍ ثمّ قال

بسرعة: «تشارلي، أصغ إليّ، هناك شيء أريد معرفته بخصوص جوزيف إيك... لا هذا بخصوص المنزل... المنزل في 'تومبا' رجاء».

بعد صمت قصير، سمعت سيمونا أحدًا ما يتكلّم بصوت أجشّ عميق.

قال كينيت: «نعم، أفهم. تسنّت لي الفرصة للنظر إلى تحقيقات مسرح الجريمة».

تحدّث الرجل الآخر ثانية. أغلقت سيمونا عينيها، وأصغت إلى الغمغمة التي يبثّها جهاز إرسال الشرطة. بدت وكأنّها تندمج مع الصوت المكتوم القادم من الجهاز.

سمعت والدها يقول: «ولكن، هل قمت فعليًّا بقياس المنزل؟ لا، بالتأكيد، ولكن...».

فتحت عينيها وشعرت فجأة بموجة من «الأدرينالين» تجتاحها وتزيح إرهاقها جانبًا.

قال كينيت: «نعم ذلك سيكون رائعًا. أرسل لي الخرائط، وأيّ تجديدات طبّقت. نعم العنوان نفسه. شكرًا، جزيل الشكر».

أنهى المكالمة ثمّ لبث واقفًا هناك يحدّق عبر النافذة الواسعة.

«هل من الممكن أن يكون بنيامين فعلًا في ذلك المنزل؟ هل بالإمكان ذلك يا أبي؟».

«ذلك ما نحتاج إلى معرفته».

«لنذهب إذن»، قالت بنفاد صبر.

قال: «تشارلي سيرسل لي الخرائط».

«خرائط؟ لا آبه البتّة بخصوص الخرائط. ما الذي تنتظره يا أبي؟ دعنا نذهب، أنا مستعدّة لتحطيم...».

قاطعها: «تلك ليست بالفكرة الجيّدة. بالطبع يتعيّن علينا أن نعمل بسرعة، ولكنّي لا أعتقد أنّنا سنحصل على شيء بتوجّهنا إلى ذلك المنزل، ومحاولة تحطيمه طوبةً بعد أخرى».

«يجب علينا فعل شيء ما يا أبي».

«كان ذلك المنزل يعجّ برجال الشرطة على مدى الأيّام الفائتة. لو كان هناك شيء واضح فكانوا سيعثرون عليه، حتّى لو لم يكونوا يبحثون عن بنيامين وقتئذ».

«ولكن...».

«أحتاج إلى تفحّص الخرائط لأرى أين من الممكن بناء غرفة سرّيّة، وأحصل على المقاسات، كي نتمكّن من مقارنة الخرائط بما سنجده هناك».

«ولكن ماذا لو لم تكن هناك غرفة سرّيّة؟ أين سيكون إذن؟».

«اعتادت العائلة على استخدام منزل صيفيّ خارج 'بولناس' مع أشقّاء الأب. لديّ صديق هناك، سڤانتي، وقد وعدني بأن يلقي نظرة، هو يعرف تلك المنطقة جيّدًا».

نظر كينيت إلى الوقت ثمّ طلب الرقم.

«مرحبًا سڤانتي، أنا كينيت. أتساءل فقط...».

«أنا هناك الآن»، قال صديقه.

«أين؟».

«داخل المنزل»، قال سڤانتي.

«كان يفترض بك إلقاء نظرة وحسب».

«سمح لي المالكان الجديدان بالدخول، زوجان باسم خولين إنّهما...».

قال أحد ما شيئًا في الخلف.

«خودين»، صحّح لنفسه، «لقد حصلا على المنزل منذ قرابة العام».

«شكرًا على مساعدتك».

أنهى كينيت المكالمة، وبان خطّ من التغضّن فوق حاجبه.

سألت سيمونا: «ماذا عن الكوخ الآخر؟ حيث كانت شقيقته تقطن».

«لقد ذهبت الشرطة إلى هناك عدّة مرّات، ولكن بإمكاننا أن نذهب

أنا وأنت ونلقي نظرة على أيّة حال».

جلسا تائهَين في أفكارهما. سمعا طقطقة قرب فتحة البريد، ثمّ سقطت صحيفة الصباح مصدرة صوتًا على سجّادة الردهة. لم يتحرّك أيّ منهما. سمعا صوت طقطقة فتحات البريد في الطوابق الأخرى، ثمّ صوت فتح الباب الأماميّ للمبنى.

رفع كينيت صوت جهاز إرسال الشرطة. أُعلن إنذار ما، استجاب له أحد الأشخاص وهو يطالب بالمزيد من المعلومات. تمّ تبادل كلمات مقتضبة. سمعت سيمونا شيئًا بخصوص امرأة سمعت صراخًا في الشقّة المجاورة لها. سيّارة سُرقت، أحد ما شرع يضحك في الخلف وهو يروي بشكل مفصّل لماذا ما زال أخوه البالغ يعيش في منزل والديه. خفض كينيت الصوت ثانية.

قالت سيمونا: «سأعدّ بعض القهوة».

أخرج كينيت كتابًا مصوّرًا لمدينة ستوكهولم من حقيبة ظهره الكاكيّة اللون. رفع الشمعدانات عن الطاولة، ووضعها عند حافّة النافذة قبل أن يقوم بفتحه. وقفت سيمونا خلفه ونظرت إلى شبكة الطرق والقطارات وخطوط الحافلات المتداخلة، وهي تلتوي واحدة فوق الأخرى بألوان مختلفة. نظرت إلى رقعة الغابات وإلى التصميم الهندسيّ للضواحي.

تتبّعت إصبع كينيت طريقًا أصفر إلى الجنوب الغربي من ستوكهولم، مرورًا بـ«هودينْي» ثمّ «تولينْي» ونزولًا إلى «تومبا». تفحّصا معًا الصفحة التي تغطّي «تومبا» و«ساليم» وهو حيّ قديم بُني حول محطّة لسكّة الحديد. بدا الازدهار العمرانيّ الذي تلا الحرب واضحًا في ازدياد عدد المنازل وفي المتاجر والكنيسة والمصرف. انتشرت حول هذا المحور شبكة من المنازل، تبقّت بعض الحقول على الخريطة، بضعة كيلومترات إلى الشمال من المنطقة المأهولة قبل أن تسود الغابة والبحيرات.

درس كينيت أسماء الشوارع، ثمّ وضع دائرة حول أحد المستطيلات التي كانت تتراصف مثل الأضلاع.

ملأت سيمونا كوبين بالقهوة، ووضعت السكّر أمام والدها، وقالت: «لا أستطيع التوقّف عن التفكير في هذا المنزل».

«جوزيف إيك، حسنًا، إمّا أنّه يحمل مفتاحًا أو فتح له أحد ما الباب».

«هل بالإمكان تعطيل هذا القفل؟».

«ليس هذا النوع. إنّه صعب جدًّا. سيكون من الأسهل عليه أن يحطّم الباب».

«ربّما يتعيّن علينا إلقاء نظرة على حاسوب بنيامين».

قال كينيت: «كان علينا فعل ذلك من قبل. مرّ هذا بذهني ولكنّي نسيت. لا بدّ من أنّني متعب».

أدركت سيمونا كم كان يبدو مسنًّا. لم تكن قد فكّرت في سنّه مسبقًا أبدًا. نظر إليها بحزن.

قالت: «حاول أن تحظى ببعض النوم ريثما أتفقّد الحاسوب».

«لا. أنا بخير».

حين توجّهت سيمونا وكينيت إلى غرفة بنيامين، بدا وكأنّ أحدًا لم يعش هناك من قبل، لقد بدا بنيامين بعيدًا بشكل مريع.

تصاعدت موجة من الذعر والغثيان إلى معدة سيمونا. ابتلعت ريقها. استمرّ جهاز إرسال الشرطة بالقرقرة والصفير في المطبخ. ولكن في العتمة هنا، كان الموت يقبع منتظرًا مثل غراب أسود. خسارة لن تتمكّن أبدًا من التعافي منها.

قامت بتشغيل الحاسوب فأضيئت الشاشة. حين شرع النظام بالعمل وتصاعدت الأصوات، بدا الأمر وكأن جزءًا من بنيامين قد عاد.

سحبا كرسيّين وجلسا عليهما. ضغطت على الصورة الصغيرة لوجه بنيامين على الشاشة كي تدخل إلى الحساب.

قال كينيت: «حسنًا يا عزيزتي، سوف نفعل ذلك بشكل جيّد ومنظّم. سوف نبدأ مع البريد الإلكترونيّ ثمّ...».

توقّف حين طالب الحاسوب بكلمة المرور.

قال كينيت: «حاولي اسمه».

كتبت بنيامين، ولكنّ ذلك لم يجدِ نفعًا، جرّبت آيدا، ثمّ حاولت الاسمين بالمقلوب، ثمّ وضعتهما معًا. جرّبت: بارك، بنيامين بارك، وأسماء الفرق الموسيقيّة التي يفضّلها بنيامين، «سيكسسميث، آني برُن، روري كاليغر، لينون، تاونز فان زاندت، بوب ديلان».

قال كينيت: «هذا لن ينجح. علينا أن نتّصل بأحد ليتمكّن من اختراقه».

حاولت عددًا من الخيارات الواضحة مع بعض عناوين الأفلام والمخرجين الذي كان يتحدّث عنهم بنيامين، لكنّها استسلمت بعد فترة: «هذا مستحيل».

«يجب أن نحصل على تلك الخرائط الآن. سأتّصل بتشارلي لأرى ما حصل».

جفل الاثنان حين سمعا طرقًا على باب الشقّة.

وقفت سيمونا في الرواق وقلبها ينبض بشدّة. راقبت كينيت وهو يتّجه إلى المدخل ليفتح قفل الباب.

48

صباح الأحد، 13 ديسمبر، يوم سانتا لوسيّا

كان الصباح شاحبًا كما الرمال، ودرجة الحرارة تبلغ بضع درجات فوق التجمّد حين قاد كينيت وسيمونا السيّارة إلى ذلك الجزء من «تومبا»، حيث ولد وترعرع جوزيف إيك، وحيث في سنته الخامسة عشرة ذبح عائلته بأكملها. كان المنزل يشبه كلّ المنازل المجاورة في الشارع. مرتّب وغير مميّز. لولا شريط الشرطة الأبيض والأزرق حوله، لما تمكّن أحد من معرفة أنّ هذا المنزل كان منذ يومين فقط مسرحًا لاثنتين من أشدّ الجرائم وحشيّة في تاريخ البلاد.

كانت هناك درّاجة مع عجلات مساندة تستقرّ بالقرب من صندوق الرمل في الباحة الأماميّة، وأحد أطراف الشريط قد انحلّ من مكانه وعلق بصندوق البريد. لم يتوقّف كينيت. قاد ببطء متجاوزًا المنزل. حدّقت سيمونا إلى النوافذ. بدا المنزل مهجورًا بالكامل والعتبة مظلّمة بشكلٍ غريب. استمرّا بالقيادة حتّى تمكّنا من الالتفاف. عادا للاقتراب من مسرح الجريمة ثانية حين رنّ هاتف سيمونا.

قالت: «مرحبًا»، أصغت بسأم ثمّ سألت، «هل حدث شيء ما؟».

توقّف كينيت. ترك المحرّك يعمل لبرهة ثمّ أطفأ السيّارة وترجّل منها. أخذ عتلة وشريط قياس وكشّاف ضوء من صندوق السيّارة. قبل أن يغلق صندوق السيّارة، سمع سيمونا تقول إنّ عليها الذهاب.

«ما الذي تعتقده؟»، صرخت سيمونا في الهاتف.

بدت منزعجة وهي تغادر السيّارة حاملة الخرائط في يدها. توجّها إلى البوّابة البيضاء للسياج المنخفض من دون أن يتكلّما. أخرج كينيت المفتاح من المغلّف الذي حصل عليه مع الخرائط. مشى نحو الباب

وفتحه، استدار قبل أن يدخل نحو سيمونا وأومأ لها. حالما دخلا إلى المبنى واجهتهما الرائحة الخانقة للدماء الفاسدة. للحظات شعرت سيمونا بالذعر يتصاعد في صدرها. إنّها رائحة نتنة زنخة مقرفة. نظرت إلى كينيت، لم يبدُ خائفًا بل في كامل تركيزه. تحرّك بخطوات حذرة مدروسة. تجاوزا غرفة المعيشة، ومن زاوية عينيها تمكّنت سيمونا أن تلمح الفوضى العارمة هناك، والدماء على الجدران وعلى الموقد الحجريّ.

هناك صوت طرق غريب يأتي من مكان ما داخل المنزل. توقّف كينيت فجأة وأخرج مسدّسه ببطء. فتح صمّام الأمان وتأكّد من أنّه محشوّ.

صوت آخر، صوت خربشة ثقيلة، ليست أشبه بخطوات الأقدام بل أكثر شبهًا بكون أحد ما ينزلق على الأرض.

49

صباح الأحد، 13 ديسمبر، يوم سانتا لوسيّا

استيقظ إريك في السرير الضيّق في مكتبه في المستشفى، ونظر إلى الوقت في هاتفه. الساعة الثالثة صباحًا تقريبًا. تناول قرصًا آخر ثمّ استلقى تحت الغطاء وهو يرتعش، حتّى انتشر إحساس الخدر عبر جسده، وزحفت الظلمة نحوه.

حين استيقظ بعد ثلاث ساعات كان يعاني من صداع مريع. تناول قرص مسكّن ثمّ ذهب للوقوف بجوار النافذة. حدّق إلى جناح المستشفى المقابل له والمئات من النوافذ. كانت السماء بيضاء، ولكنّ المبنى بدا معتمًا. انحنى إريك إلى الأمام. شعر بالزجاج البارد يلامس حافّة أنفه.

خلع ملابسه. كان الحمّام في غرفته يفوح برائحة المطهّرات والبلاستيك. انهمر الماء الدافئ على رأسه ورقبته، ثمّ ارتطم بالزجاج مصدِرًا صوتًا مرتفعًا.

جفّف نفسه ثمّ مسح المرآة. بلّل وجهه ووضع البعض من معجون الحلاقة. كانت الرقعة الواضحة على المرآة تتضاءل وهو يواصل الحلاقة.

فكّر فيما قالته سيمونا، بخصوص فتح الباب في الليلة التي سبقت هروب جوزيف إيك من المستشفى. لا يمكن إذن أن يكون جوزيف في تلك المرّة. حاول إريك أن يفهم ما حصل. ربّما كانت هناك العديد من الأسئلة الغامضة. كيف دخل الغريب إلى الداخل. ربّما طرق على الباب حتّى فتح له بنيامين. تخيّل إريك الصبيّين، بنيامين وجوزيف،

وهما يقفان هناك يحدّق أحدهما إلى الآخر في الضوء الخافت للمبنى. بنيامين حافي القدمين، شعره مشعث، يقف في بيجامته ويطرف بعينين متوسّعتين دهِشتين من المراهق الأكبر سنًّا. جوزيف قتل والديه وشقيقته الصغرى، كما قتل لتوّه ممرّضة في المستشفى بواسطة مشرط طبّيّ، وجرح رجلًا جرحًا خطيرًا في المقبرة الشماليّة.

قال إريك لنفسه: «لا. أنا لا أصدّق هذا. لا يبدو منطقيًّا».

من الذي دخل؟ لماذا فتح بنيامين الباب؟ من الذي ائتمنه بنيامين وسيمونا على المفتاح؟ ربما اعتقد بنيامين أن آيدا سوف تأتي. ربّما كانت هي؟ لم يستطع استبعاد أيّ شيء. ربّما يعمل أحد ما مع جوزيف، وقد ساعده في موضوع الباب. ربّما كان جوزيف يخطّط فعليًّا لمغادرة المستشفى في الليلة الأولى، لكنّه لم يستطع الهرب، لذا كان الباب مفتوحًا، لأنّ ذلك كان ما اتّفقا عليه.

أنهى إريك حلاقته، نظّف أسنانه، ثمّ اتّصل بجونا.

«صباح الخير يا إريك»، قال له صوت أجشّ بلكنة فنلنديّة.

«هل أيقظتك؟».

«لا».

«آسف على الاتّصال ثانية، ولكن...».

سعل إريك.

سأل جونا: «هل حدث أمر ما؟».

«ألم تعثر على بنيامين؟».

«نحن بحاجة إلى التحدّث مع سيمونا، وإعادة تفحّص كلّ شيء بدقّة».

«أنت لا تعتقد أنّ جوزيف هو من أخذ بنيامين، أليس كذلك؟».

«لا. لست كذلك. لكنّي لست متأكّدًا. أريد إلقاء نظرة على شقّتك،

وسأطرق على بعض الأبواب، كي نرى إن كنّا نستطيع العثور على شخص شاهد شيئًا ما».

«هل أسأل سيمونا أن تكلّمك؟».

«لا حاجة إلى هذا».

سقطت قطرة ماء من الصنبور وضربت الحوض.

قال جونا: «ما زلت أعتقد أنّ عليك البقاء تحت حماية الشرطة».

«أنا هنا في 'كارولينسكا'، ولا أعتقد أنّ جوزيف سيعود إلى هنا بملء إرادته».

«ماذا عن سيمونا؟».

قال إريك: «اسألها، ربّما غيّرت رأيها. ولو أنّ لها حمايتها الخاصّة الآن».

قال جونا بمرح: «آها، نعم، سمعت عن ذلك. عليّ أن أعترف، أعاني مشكلة في تخيّل ماهيّة الوضع حين يكون حماك هو كينيت سترينْيْ».

«وأنا أيضًا»، أجاب إريك.

«بإمكاني تفهّم ذلك»، قال جونا.

سأل إريك: «هل حاول جوزيف الهرب في ليلة أمس الأوّل؟».

«لا. لا أعتقد. لم نجد أيّ شيء لنفترض ذلك. لماذا تسأل؟».

«شخص ما فتح باب شقّتنا في تلك الليلة، مثلما فعل في الليلة التي تلتها».

«أنا واثق من أنّ فرار جوزيف كان نتيجة للأخبار التي سمعها بخصوص اعتقاله، وقد اكتشف ذلك فقط في مساء يوم الجمعة»، قال جونا باقتضاب.

هزّ إريك رأسه ومرّر إبهامه على شفتيه. كان يحدّق إلى حوض الاستحمام.

قال متنهّدًا: «هذا لا يبدو منطقيًّا».

سأل جونا: «هل رأيت الباب حين كان مفتوحًا؟».

«لا. سيمونا فعلت... لقد استيقظت ثمّ رأت...».

«هل لديها أيّ سبب كي تكذب؟».

«لم أفكّر في ذلك».

«فكّر فيه إذن».

نظر إريك إلى المرآة. لم يعد يعرف ماذا يصدّق. لو كان لجوزيف شريك، ربّما أتى ليتأكّد من أنّ المفتاح يعمل، ربّما أخبر جوزيف بذلك، بطريقة ترتيب الغرف، أين ينام كلّ شخص. ذلك سيفسّر لماذا لم يجدني جوزيف، فكّر إريك، لقد كنت نائمًا بجوار سيمونا في الليلة الأولى.

«هل ما زالت إيڤلين محتجزة في مركز الشرطة منذ يوم الأربعاء؟»، سأل إريك.

«نعم».

«طوال الليل والنهار؟».

«نعم».

«هل ما زالت هناك؟».

«لقد تمّ نقلها إلى مكان آمن».

«هل كانت على تواصل مع أحد؟».

قال جونا: «عليك أن تترك الشرطة تقوم بعملها».

قال إريك: «وأنا أريد أن أقوم بعملي. أريد التحدّث مع إيڤلين».

«عن أيّ شيء؟».

«حول إن كان لجوزيف أيّ أصدقاء، أيّ شخص يمكن أن يساعده».

«أستطيع أن أسألها ذلك، ولكن...». تنهّد جونا ثمّ قال، «أنت تعلم جيّدًا أنّه لا يمكنني السماح لك بالقيام بتحرّياتك الخاصّة يا إريك، حتّى لو كنت لا أتّفق شخصيًّا مع...».

قاطعه إريك: «هل أستطيع أن أكون هناك حين تتحدّث إليها؟ لقد قضيت أعوامًا وأنا أتعامل مع الأشخاص المصابين بصدمات عنيفة».

بعد فترة صمت طويلة قال جونا: «سألتقيك عند مدخل قسم الشرطة بعد ساعة».

«سأكون هناك خلال عشرين دقيقة».

«حسنًا. عشرون دقيقة»، قال جونا منهيًا المكالمة.

بدا ذهنه فارغًا. ذهب إريك إلى مكتبه وفتح الدرج الأوّل. بين الأقلام والممحاة ودبابيس الورق كانت هناك مجموعة أقراص دواء، وضع ثلاثة أقراص مختلفة في يده ثمّ ابتلعها.

غادر غرفته وأسرع إلى المقهى. احتسى كوبًا من القهوة أمام حوض الأسماك وهو يراقب مجموعة من السمك تتحرّك حول حطام السفينة البلاستيكيّ. غلّف شطيرة ببعض المناديل الورقيّة ثمّ وضعها في جيبه.

وهو نازل في المصعد إلى ردهة الاستقبال، حدّق إلى انعكاس صورته، فبدا وجهه حزينًا وتائهًا. ثمّ أخذ يفكّر في إحساس التأرجح ذاك الذي تشعر به في معدتك حين تسقط من مكان مرتفع، إنّه إحساس جنسيّ نوعًا ما، لكنّك لا تستطيع تجاهه شيئًا. هو بالكاد يمتلك بعض الطاقة، ولكنّ الأقراص كانت تبقيه طافيًا ومتماسكًا. بإمكانه الاستمرار لوقت أكثر بقليل، أخبر نفسه. لن ينهار الآن. كلّ ما يحتاج إلى فعله هو التماسك حتّى يستعيد ابنه، وبعدئذ فليسقط كلّ شيء.

حين توجّه للقاء جونا وإيڤلين، حاول أن يتذكّر ما فعله أو أين ذهب خلال الأسبوع الماضي. أدرك أنّ مفاتيحه قد تكون استُنسخت في مناسبات متعدّدة. كان يحتفظ بها دومًا في جيب سترته، ويوم الخميس ترك سترته معلّقة في قسم المعاطف في المطعم. كان يتركها أيضًا على الكرسيّ في مكتبه أو معلّقة في خطّاف في مقهى المستخدمين، وفي أماكن أخرى كثيرة أيضًا، وينطبق الشيء نفسه ربّما على سيمونا وبنيامين.

قاد سيّارته وسط فوضى أعمال البناء في «فريدم بلازا»، وطلب رقم سيمونا.

«مرحبًا»، أجابت وهي تبدو متوتّرة.

«إنّه أنا».

سألت: «هل من جديد؟».

«أردت أن أقول فقط إنّ عليك تفحّص حاسوب بنيامين -ليس بريده الإلكترونيّ فقط بل كلّ شيء- ما الذي قام بتنزيله، المواقع التي زارها، ملفّات الإنترنت المؤقّتة، إن كان يتحدّث مع أحد ما...».

قاطعته: «ذلك واضح».

«لن أزعجكِ مجدّدًا إذن».

قالت: «نحن لم نبدأ مع الحاسوب بعد».

قال: «كلمة المرور هي دامبالدور».

كذبت قائلة: «أعلم ذلك».

استدار إريك نحو شارع «بولهيم» ثمّ شارع « كُنغزهولمس». مرّ بقسم الشرطة ذي الطراز المختلف، البناية النحاسيّة الملساء، الملحق الكونكريتي، وأخيرًا المبنى الرئيسيّ ذي الزخارف الجصّيّة الصفراء.

«سيمونا! هل كنت تخبرينني بالحقيقة؟».

«ماذا تقصد؟».

«حول ما حصل، الباب المفتوح في الليلة ما قبل الأخيرة، ورؤية شخص ما يسحب بنيامين للخارج عبر...».

«ما الذي تعتقده؟»، صرخت ثمّ أنهت المكالمة.

لم يزعج إريك نفسه بالبحث عن موقف مجّانيّ لسيّارته. ركنها تلقائيًّا أمام المبنى تمامًا. احتكّت الإطارات بالأرض مُصدرة صوتًا. حين توقّف جوار الأدراج الواسعة المؤدّية إلى المحكمة، سطعت مصابيح السيّارة على أحد الأبواب القديمة الجذّابة، والذي كان من

الواضح أنّه لم يُستخدم منذ سنوات. كُتب عليه بأحرف مزخرفة وبنمط خطّ قديم «جرائم القتل».

أسرع بالالتفاف حول البناية صاعدًا إلى شارع «كُنغزهولمس» باتجاه المتنزّه ثمّ إلى المدخل الرئيسيّ لوحدة الجريمة الوطنيّة. رأى والدًا يسير مع ثلاث فتيات يرتدين زيّ سانتا لوسيّا فوق معاطفهنّ الشتويّة. كانت الأردية البيضاء تبدو ضيقّة فوق ملابسهنّ الثقيلة المنتفخة. وضعت الفتيات تيجانًا من الشموع الكهربائيّة فوق قبّعاتهنّ الصوفيّة. حملت إحداهنّ شمعة كهربائيّة بيدها التي ترتدي القفّاز. تذكّر إريك فجأة كم كان بنيامين يحبّ أن يُحمَل حين كان صغيرًا. كان يتشبّث بذراعيه وساقيه قائلًا: «احملني، أنت كبير وقويّ يا بابا».

مدخل وحدة الجريمة الوطنيّة عبارة عن مكعّب زجاجيّ كبير جيّد الإنارة. كان إريك منقطع الأنفاس لحظة وطأت قدماه ممسحة الأقدام السوداء في المدخل. هناك زوج من الأبواب الدوّارة الزجاجيّة أمامه في ردهة الاستقبال الشاسعة، والتي تفتح بأقفال مشفّرة. مشى إريك على الأرضيّة الرخاميّة البيضاء إلى مكتب الاستقبال على اليسار كي يوضح سبب وجوده هناك. أومأ عامل الاستقبال، وكتب شيئًا ما على حاسوبه، ثمّ تناول الهاتف.

قال بهدوء: «هنا الاستقبال، إريك ماريّا بارك هنا كي يراك».

أصغى الرجل ثمّ استدار نحو إريك: «هو في طريقه إلى هنا».

«شكرًا».

جلس إريك على مقعد جلديّ منخفض. كان يحدّق إلى إحدى التحف الفنّيّة المصنوعة من الزجاج الأخضر، ثمّ نظر نحو الأبواب الدوّارة الساكنة. تمكّن من رؤية ردهة زجاجيّة أخرى خلف الجدار الزجاجيّ الكبير. كانت تفضي عبر باحة داخليّة إلى البناية المجاورة. رأى إريك جونا إلى يمين ردهة الاستقبال. ضغط على زرّ ثمّ خرج عبر

أحد الأبواب الدوّارة. رمى بقشرة موز في حاوية القمامة الألمونيوم وهو يلوّح للرجل في مكتب الاستقبال ثمّ يمشي نحو إريك.

أثناء توجّههما إلى منزل إيڤلين إيك الآمن في شارع «هانتفيغر»، حاول جونا أن يستذكر المعلومات التي حصلوا عليها من استجوابها. لقد اعترفت بأنّها أخذت البندقيّة إلى الغابة كي تقتل نفسها، كان جوزيف يطالبها بممارسات وحشيّة لعدّة أعوام ويضرب شقيقتهما الصغرى، ليسّا، إن لم تفعل ما يطلبه منها. لجأت إيڤلين للاختباء في كوخ العمّة الصيفيّ في «ڤارمدو». حاول جوزيف العثور عليها. ذهب لمقابلة صديقها السابق سوراب رمضاني، وبطريقة ما جعله يكشف مكان اختباء إيڤلين. زار جوزيف يوم عيد مولده شقيقته في الكوخ، وحين رفضت الذهاب معه أخبرها بأنّها تعرف ما سيحصل، وبأنّ كلّ ذلك ذنبها.

قال جونا: «الطريقة التي يبدو عليها الأمر الآن هو أنّ جوزيف خطّط لقتل والده. لا نعرف لماذا اختار ذلك التاريخ بالتحديد، ولكن قد يكون ذلك خيارًا وليد المصادفة، لأنّ والده سيكون بمفرده في مكان خارج المنزل. يوم الاثنين، جمع جوزيف إيك مجموعة ملابس نظيفة، وزوجين من الأكياس المغلّفة للأحذية، ومنشفة، وسكّين والده للصيد وقنّينة من وقود السيّارات، وبعض أعواد الثقاب ووضعها في حقيبته الرياضيّة، ثمّ قاد درّاجته إلى ’رودستوهاغ‘. حالما قتل والده ثمّ قطّع أجزاء جسده، أخذ مفاتيحه من جيبه، وذهب إلى غرفة الخزائن الخاصّة بالنساء، استحمّ وغيّر ملابسه. أغلق الباب خلفه، ثمّ أضرم النار بالحقيبة التي كانت تحتوي على الملابس الملوّثة بالدماء في الملعب، ثمّ قاد درّاجته عائدًا إلى المنزل».

سأل إريك: «إذن ماذا حصل هناك في المنزل؟ هل كان الأمر مشابهًا لما وصفه حين كان منوّمًا مغناطيسيًا؟».

«تمامًا. كما رآه هو. لكنّنا لا نعرف ما الذي تسبّب بذلك. نحن لا نعرف لماذا قام بمهاجمة شقيقته الصغرى ووالدته فجأة».

حدّق إلى إريك: «ربّما شعر بأنّه لم ينته بعد، وبأنّ إيڤلين لم تُعاقَب بما فيه الكفاية».

وقف جونا أمام المدخل. أخرج هاتفه وطلب رقمًا، ثمّ قال: «لقد وصلنا». قام بإدخال الرمز ثمّ أدخل إريك إلى بهو الدرج.

50

صباح الأحد، 13 ديسمبر، يوم سانتا لوسيّا

كان رجلا شرطة ينتظران خارج المصعد حين وصل جونا وإريك إلى الطابق الثالث. صافحهما جونا، ثمّ قام بفتح الباب المعدّل الذي لا يحتوي على فتحة للبريد، وطرق عليه قبل أن يفتحه تمامًا.

«هل بإمكاننا الدخول؟»، سأل جونا من فتحة الباب.

«لم تعثروا عليه، أليس كذلك؟».

كان الضوء يسقط على رأس إيڤلين من الخلف، فيجعل من الصعوبة التكهّن بالانطباع المرتسم على وجهها. كل ما تمكّن إريك وجونا من رؤيته هو ملامح داكنة محاطة بشعر تتخلّله أشعّة الشمس.

أجاب جونا: «لا».

توجّهت إيڤلين نحو الباب وقادتهما للداخل. أغلقت الباب خلفهما، ثمّ تأكّدت من إقفاله مرّتين. حين استدارت رأى إريك أنّها كانت تتنفس بسرعة.

قال جونا: «هذه شقّة مؤمّنة وأنت في حماية الشرطة. ليس لأيّ أحد الحقّ بأن يشارك أو حتّى يسأل عن أيّ معلومات بشأنك. حصلنا على تصريح من مكتب المدّعي العامّ بهذا الأمر. أنت في أمان الآن يا إيڤلين».

قالت: «ربّما. طالما مكثت هنا. لكنّي سأضطر للمغادرة يومًا ما، وجوزيف بارع في الانتظار». ذهبت إلى النافذة، ونظرت خارجًا، ثمّ جلست على الأريكة.

سأل جونا: «أين من الممكن أن يكون جوزيف؟».

«هل تعتقد أنّي أخفي عليك شيئًا؟».

«وهل أنتِ كذلك؟»، سأل إريك.
«هل ستلجأ إلى تنويمي مغناطيسيًا؟».
«لا»، ابتسم دهِشًا.
لم تكن تضع أيّ مساحيق تجميل، وبدت عيناها عديمتي الحيلة وهي تتفحّصه.
قالت: «بإمكانك فعل ذلك لو رغبت».
نظر إريك حوله ثمّ تبعها إلى المطبخ. وقال: «ليس سيّئًا».
رفعت إيفلين كتفيها لا مبالية. كانت ترتدي بلوزة شتويّة وبنطال جينز قديمًا، وقد ربطت شعرها إلى الخلف بشكل ذيل حصان غير مرتّب.
قالت: «سوف أحصل على بعض الأغراض الشخصيّة هذا اليوم».
قال إريك: «جيّد. تكون الأمور أفضل حين...».
«أفضل؟ ما الذي تعرفه أنت عن الشيء الذي سيجعلني أفضل؟».
«عملت مع الكثير من ضحايا الصدمات النفسيّة...».
قاطعته: «آسفة، لكنّ ذلك لا يهمّني مطلقًا. أنا أقول باستمرار إنّي لا أريد التحدّث مع أيّ اختصاصيّ نفسيّ».
«أنا لست هنا لذلك الغرض».
«ألست كذلك؟».
«انا هنا كي أجد جوزيف».
استدارت نحوه وقالت بفظاظة: «حسنًا، هو ليس هنا».
لم يعلم لماذا، ولكن قرّر إريك ألّا يقول شيئًا بخصوص بنيامين.
قال بهدوء: «أصغي إليّ يا إيفلين، أنا أحتاج إلى مساعدتك كي أفهم محيط جوزيف الاجتماعيّ».
اتّقدت عيناها الآن، وقالت: «حسنًا»، وقد أخذت زوايا فمها ترتعش.
«هل لديه حبيبة؟».
وقفت ثمّ هزّت رأسها نافية.

«كيف تبدو حياته الاجتماعيّة؟».
«ليست لديه أيّ حياة اجتماعيّة».
«زملاء دراسة؟».
رفعت كتفيها ثانية: «هو لم يحظَ أبدًا بأيّ صديق على حدّ علمي».
«إن احتاج إلى مساعدة في شيء ما، فلمن سيلجأ؟»، سأل إريك.
«لا أعرف. كان يتوقّف أحيانًا للتحدّث مع مجموعة من السكارى خلف المركز التجاريّ».
«أتعرفين أيًّا منهم؟ اسم أحدهم؟».
«ذلك الذي لديه وشمٌ على يده».
«وشم ماذا؟».
«لا أعرف حقًّا... ربمّا سمكة».
نهضت وذهبت إلى النافذة. نظر إريك إليها. سطع ضوء النهار على وجهها الفتيّ وجعلها تبدو مسلوبة الإرادة تمامًا. تمكّن من رؤية الوريد الأزرق الذي ينبض في رقبتها الطويلة النحيلة.
«هل من الممكن أن يمكث عند أحد منهم؟ هل تعتقدين ذلك؟»، سأل إريك.
رفعت كتفيها: «أعتقد...». وصمتت.
سأل إريك: «هل تعتقدين ذلك؟».
أجابت: «لا».
«ما الذي تعتقدينه إذن؟».
«أعتقد أنّه سيعثر عليّ قبل أن يتسنّى لكم العثور عليه».
سأل إريك نفسه إن كان الأمر يستحقّ أن يضغط عليها أكثر. لمس نوعًا في صوتها ما جعله يعتقد بأنّها تعلم شيئًا لا يعمله أحد سواها بخصوص شقيقها الأصغر.
«إيڤلين، ما الذي يريده جوزيف؟».

«لا أريد التحدّث عن هذا».

«هل يريد قتلي؟».

«لا أعرف».

«ما الذي تعتقدينه؟».

أخذت نفسًا عميقًا، ثمّ أجابت بصوتٍ فظّ ومرهق: «إن رأى أنّك تقف بيني وبينه، أو شعر بالغيرة فسوف يفعل ذلك».

«يفعل ماذا؟».

«يقتلك».

«أنت تعنين سيحاول».

لعقت إيڤلين شفتيها، واستدارت نحوه، وخفضت بصرها.

كان إريك على وشك أن يكرّر السؤال، ولكن قبل أن تخرج كلماته سمع طرقًا على الباب. حدّقت إيڤلين إلى إريك وجونا. بدت مذعورة وتراجعت إلى المطبخ.

طرقة أخرى. ذهب جونا ونظر عبر ثقب الباب ثمّ فتحه. دخل رجلا شرطة إلى الرواق، يحمل أحدهما صندوقًا من الورق المقوّى.

«أعتقد أنّنا وجدنا كلّ شيء على اللائحة. أين تريدين وضعه؟».

«أينما شئت»، قالت إيڤلين بصوت رقيق وهي تخرج من المطبخ.

«هل أستطيع الحصول على توقيع فقط؟».

أمسك بالوصل ووقّعته هي. أقفل جونا الباب خلفهما حين غادرا. هرعت إيڤلين للتأكّد من إقفال الباب ثمّ جلست أرضًا. سحبت الشريط البنّيّ عن الصندوق ثمّ فتحت سطحه. أخرجت حصّالة فضّيّة على شكل أرنب، وصورة مؤطّرة للملاك الحارس، ثم تجمّدت...

قالت: «ألبوم صوري؟». رأى إريك فمها يرتعش.

«إيڤلين؟».

«لم أطلبه منهم. لم أقل أيّ شيء عنه».

فتحت الصفحة الأولى وظهرت صورة مدرسيّة كبيرة لها. كانت تبدو في الرابعة عشرة وتبتسم بخجل، وقد وضعت تقويمًا على أسنانها. بشرتها صافية وشعرها قصير. حين قلبت إيڤلين الصفحة، سقطت ورقة مطويّة على الأرض، التقطتها ثمّ فتحتها، وتحوّل لون وجهها إلى الأحمر حين قرأتها.

«إنّه في المنزل»، همست وهي تسلّمهم الورقة.

فتحها إريك وقرأها مع جونا:

أنت ملكٌ لي. سوف أقتل الجميع. إنّه خطؤك. سوف أقتل المنوّم المغناطيسيّ الوغد ذاك، وسوف تقومين بمساعدتي. ستفعلين. سوف ترشدينني إلى محلّ سكنه. سترشدينني إلى المكان الذي تلتقيان فيه وتستمتعان معًا. سوف أقتله وأنت تراقبينني أفعل ذلك، وبعدئذ سنكون متعادلين، وبإمكاننا أن نبدأ مجدّدًا نحن الاثنين فقط.

أسدلت إيڤلين الستائر، ثمّ وقفت هناك وقد لفّت ذراعيها حولها بقوّة. وضع إريك الورقة على الطاولة ثمّ نهض واقفًا. إنّ جوزيف في المنزل، لا بدّ من أنّه كذلك. إن تمكّن من وضع ألبوم الصور في الصندوق، فلا بدّ من أنه هناك.

قال إريك: «لقد عاد جوزيف إلى المنزل».

قالت بهدوء: «أين سيذهب سوى إلى هناك؟».

ذهب جونا إلى المطبخ ليتحدّث على الهاتف مع الشرطيّ المناوب.

سأل إريك: «إيڤلين هل لديك أيّة فكرة كيف استطاع جوزيف الاختباء من الشرطة؟ كانوا يفتّشون موقع الجريمة لمدّة أسبوع على الأقلّ».

أجابت إيڤلين وهي تنظر إلى الأعلى: «القبو».

«ما به القبو؟».

«هناك غرفة مريبة فيه».

صاح إريك نحو المطبخ: «إنّه في القبو».

قال جونا: «يُعتقد أنّ المتّهم في القبو».

قال الشرطيّ المناوب على الهاتف: «انتظر لحظة. أنا بحاجة إلى...».

ثار جونا: «هذا أمر طارئ».

بعد صمت قصير، قال الشرطيّ المناوب بصوت هادئ: «لقد تلقّينا مكالمة طارئة إلى العنوان نفسه قبل دقيقتين».

«ماذا؟ إلى شارع 'ياردِس' 8 في 'تومبا' تعني؟»، سأل جونا.

أجاب: «نعم. اتّصل الجيران قائلين إنّ هناك أحد في المنزل».

51

صباح الأحد، 13 ديسمبر، يوم سانتا لوسيّا

توقّف كينيت ستريْني وأصغى قبل أن يتّجه ببطء نحو الدرج. كان يوجّه مسدّسه إلى الأرض بالقرب من قدميه. تسرّب ضوء النهار إلى الردهة من المطبخ. تبعت سيمونا والدها وهي تفكّر كم يبدو هذا المنزل مشابهًا لذلك الذي عاشا فيه هي وإريك حين كان بنيامين صغيرًا. سمعا صوت صرير، في الأرضيّة أو عميقًا داخل الجدران.

همست سيمونا: «هل هذا جوزيف؟».

جعل وزن المصباح الكاشف والخرائط والعتلة يديها تشعران بالخدر. العتلة وحدها لا يمكن احتمالها.

المنزل صامت تمامًا الآن. توقّفت الأصوات التي سمعاها سابقًا، الصرير والضربات المكتومة. أشار كينيت بيده، كان ينوي النزول إلى القبو. أومأت سيمونا له رغم أنّ كلّ عضلة في جسدها كانت ترفض ذلك.

وفقًا للخرائط، قد تكون هناك غرفة سرّيّة في القبو. رسم كينيت بالقلم عليها، مُظهِرًا كيف يمكن للمساحة التي كان يوضع فيها السخّان القديم أن تتوسّع لتصنع تلك الغرفة. المنطقة الأخرى التي أشار إليها كينيت على الخرائط كاحتمال وارد آخر هي مساحة المخزن في العلّيّة خلف المنزل.

بالإضافة إلى الدرج المصنوع من خشب الصنوبر المؤدّي إلى الأعلى، كانت هناك فتحة ضيّقة من دون باب تُفضي إليه. كانت ما تزال هناك خطاطيف على الحائط من بوّابة لحماية الأطفال. بدت الدرجات المعدنيّة المؤدّية إلى القبو مصنوعة يدويًا. كان لحامها غير متقن والدرج مغطّى بلبادٍ رماديّ خشن.

حين أضاء كينيت قابس النور لم يحصل أيّ شيء. حاول ثانية، ولكن يبدو أنّ المصباح كان معطوبًا.

«انتظري هنا»، قال بصوت منخفض.

شعرت سيمونا بموجة من الخوف. كانت رائحة ثقيلة عفنة تنبعث من الفتحة، جعلتها تفكّر في شاحنة ديزل.

«هاتي المصباح الكاشف»، قال مادًّا لها يده.

ناولته إيّاه. أضاءه ثمّ أخذ ينزل على الدرج ببطء.

صاح بصوت جازم: «مرحبا جوزيف! أنا بحاجة إلى التحدّث معك».

لم يكن هناك أيّ صوت في القبو. لا صوت سَحب شيء ولا صوت تنفّس.

تمسّكت سيمونا بالعتلة وانتظرت.

أضاء المصباح بعض الجدران والسقف فوق الدرج. لم تتأثّر الظلمة في القبو. واصل كينيت النزول. أخذ الضوء يلتقط أشياء معيّنة، حقيبة مطاطيّة بيضاء، عاكس كهربائيّ على عربة قديمة، زجاج لوحة مؤطّرة.

«أعتقد أنّ بإمكاني مساعدتكَ»، تابع كينيت بصوت أكثر سكونًا.

وصل إلى القعر، وأخذ يتفحّص الغرفة بالمصباح الكاشف، كي يتأكّد من أنّه لن ينقضّ عليه أحد. تسرّب الشعاع الضيّق عبر الجدران والأرضيّة وهو يقفز فوق الأغراض متسبّبًا في ظلال كبيرة متحرّكة. فعل كينيت الشيء نفسه ثانية بهدوء، وبشكل منظّم تفحّص الغرفة بالمصباح الكاشف.

أخذت سيمونا تنزل الدرج. رنّ المعدن بشكل مكتوم تحت قدميها.

قال كينيت: «لا يوجد أحد هنا».

قالت: «إذن ما الذي سمعناه؟ لا بدّ من أنّه كان شيئًا ما».

كانت بقعة صغيرة من ضوء النهار تتسرّب من خلال نافذة القبو القذرة نحو السقف. اعتادت أعينهما ببطء على الضوء الخافت. القبو

مليء بالدرّاجات من مختلف الأحجام، عربة طفل، ماكينة خبز، زينة أعياد الميلاد، سلّم صغير مغطّى بلطخات الطلاء الأبيض.

أخذ صوت طقطقة ينبعث من السقف. نظرت سيمونا إلى الدرج ثمّ إلى والدها. لم يبدُ وكأنّه قد سمع الصوت. مشى ببطء نحو الباب في الجانب الآخر من الغرفة.

ارتطمت سيمونا بحصانٍ هزّاز. فتح كينيت الباب ونظر إلى غرفة الغسيل التي تحتوي على غسّالة ملابس معطّلة ونشّافة قديمة الطراز. تدلّت ستارة قذرة أمام خزانة كبيرة بجوار المشعاع الحراريّ.

«ما من أحد هنا»، قال وهو يشير إلى سيمونا.

نظرت إليه وفي الوقت نفسه تمكّنت من رؤية الستارة خلفه. كانت تتدلّى بسكون تامّ من المستحيل تجاهله.

«سيمونا».

كانت هناك بقعة صغيرة رطبة على الستارة، وكأنّها من فم شخص ما.

قال كينيت: «دعينا نخرج هذه الخرائط».

حدّقت سيمونا فرأت وكأنّ البقعة البيضويّة الرطبة تُسحب إلى الداخل.

همست: «أبي».

«نعم»، أجابها وهو ينحني نحو إطار الباب ويعيد دسّ مسدّسه في جراب كتفه، ثمّ يحكّ رأسه.

صدر صرير آخر. استدارت ورأت أنّ الحصان الهزّاز ما زال يتحرّك.

«ماذا هناك يا سيمونا؟».

تقدّم كينيت نحوها وأخذ الخرائط من يدها، ثمّ فتحها على إحدى الطيّات. سلّط الضوء الكاشف عليها وقام بتفحّصها.

نظر إلى الأعلى ثمّ إلى الخريطة ثانية. توجّه نحو جدار من الطابوق وُضعت بالقرب منه قطع مفكّكة لسريرٍ متحرّك تستند إلى خزانة مليئة بسترات النجاة البرتقاليّة الزاهية، مجموعة أزاميل ومناشير، أوتاد

وخطّافات. المساحة إلى جانب المطرقة فارغة، ما يعني أنّ الفأس الكبيرة مفقودة.

تفحّص كينيت السقف والجدار بعينيه، ثمّ انحنى وطرق على الجدار خلف السرير المتحرّك.

«ماذا هناك؟»، سألت سيمونا.

«لا بدّ من أنّ عمر الجدار هو عشرة أعوام».

«هل هناك أيّ شيء خلفه؟».

«نعم، هناك حجرة كبيرة»، أجابها.

«كيف نصل إليها؟».

سلّط كينيت المصباح الكاشف على الجدار ثانية، ثمّ على الأرضيّة قرب السرير المفكّك. انزلق ظلّ عبر القبو.

«سلِّط الضوء على ذلك المكان ثانية»، قالت سيمونا.

أشارت نحو الأرضيّة قرب الخزانة. هناك أثر شيء قد سُحب على الأرض الإسمنتيّة.

«أبقي الضوء هناك»، قال، ثمّ أعاد سحب مسدّسه. فجأة سمع صوتًا خلف الخزانة، بدا كأنّ شخصًا ما يتحرّك ببطء وروية هناك.

ازداد تسارع نبض سيمونا. هناك أحد ما، فكّرت. شعرت برغبة في مناداة بنيامين، لكنّها لم تجرؤ على ذلك.

أشار كينيت نحوها بأن تتراجع إلى الخلف. كانت على وشك قول شيء ما حين تفجّر الصمت المحيط بهما فجأة. سُمعت أصوات ضربات مرتفعة تأتي من السقف فوقهما وصوت تشقّق الخشب. أسقطت سيمونا المصباح الكاشف، وأصبح كلّ شيء معتمًا. سمعت صوت خطوات سريعة في الغرفة. من السقف صدر صرير وحزمة من الأضواء المترنّحة تنساب بشكل أمواج إلى الداخل، نازلة على الدرج ثمّ نحو القبو.

«انبطح على الأرض»، صرخ رجل بشكل هيستيريّ، «انبطح على الأرض».

وقفت سيمونا هناك مشلولة مبهورة مثل أرنب أمام أضواء سيّارة مسرعة.

«انبطحي أرضًا»، صرخ كينيت.

«اخرس»، صرخ رجل آخر.

«إلى الأرض، إلى الأرض».

لم تدرك سيمونا أنّ الرجال يقصدونها هي، حتّى ضربها أحدهم بقوّة على معدتها، ثمّ دفعها للاستلقاء على الأرض الإسمنتيّة.

«قلت إلى الأرض!».

جاهدت للحصول على الهواء. ملأت الأنوار الساطعة القبو. تدفّقت خيالات معتمة نحوهما ثمّ سحبتهما إلى الأعلى عبر الأدراج الضيّقة. رُبطت يداها خلف ظهرها. واجهت صعوبة في المشي ثمّ تعثّرت وضربت وجنتها بقوّة بالدرابزين الحديديّ الحادّ.

حاولت أن تدير رأسها، لكنّ أحدهم كان يمسك بها بقوّة، ويتنفّس بصعوبة، دافعًا إيّاها بقسوة على الجدار إلى جوار باب القبو.

52

صباح الأحد، 13 ديسمبر، يوم سانتا لوسيّا

طرفت سيمونا بعينيها في ضوء النهار. واجهت صعوبة في الرؤية. سمعت مقتطفات من حوار قريب، ثمّ تعرّفت على نبرة والدها السريعة الحاسمة. ذلك الصوت الذي جعلها تفكّر في رائحة القهوة في الصباحات المدرسيّة الباكرة مع صوت المذياع في الخلف.

أدركت الآن فقط أنّ الشرطة هي من اقتحم المنزل. لا بدّ من أنّ أحد الجيران قد رأى الضوء المنبعث من مصباح كينيت الكاشف وأطلق الإنذار.

كان ضابط الشرطة في منتصف العشرينيّات، ذو وجه مدبّب وله هالتان داكنتان تحت عينيه. رأسه حليق وفروة رأسه غير مستوية ومليئة بالكتل. مسح رقبته بيده عدّة مرّات وهو يحدّق إلى سيمونا.

«ما اسمك؟»، سأل بصوت بارد.

«سيمونا بارك»، قالت بصوت مرتعش، «أنا هنا مع والدي».

«سألتك ما اسمك»، قال الرجل رافعًا صوته.

«هوّن عليك يا راينر»، قال أحد زملائه.

قال بتهكّم وهو يلتفت نحو سيمونا: «أنتم مجرّد طفيليّات قذرة. ذلك هو رأيي بالأشخاص الذين يعتقدون أنّه من الممتع الذهاب والتفرّج على بعض الدماء». واستدار مبتعدًا.

ما زال يمكنها سماع صوت والدها. بدا صوته مرهقًا.

مرّ أحد عناصر الشرطة بجوارها حاملًا محفظة والدها.

قالت سيمونا للشرطيّة: «عذرًا، لقد سمعنا صوتًا في الأسفل هناك».

«اخرسي!»، قالت المرأة.

«إنّ ولدي...».

«قلت اخرسي! ألصقوا فمها بالشريط اللاصق. اجلبوا لي بعض الشريط اللاصق هنا».

شاهدت سيمونا الرجل الذي وصفها بالطفيليّة وهو يجلب شريطًا لاصقًا عريضًا، لكنّه توقّف حين فُتح الباب الأماميّ. دخل رجل طويل القامة أشقر ذو عينين رماديّتين ثاقبتين.

«جونا لينا، الجريمة الوطنيّة»، قال بلكنة فنلنديّة قويّة، «ما الذي حصلتم عليه؟».

«اثنان مشتبه بهما»، قالت الشرطيّة.

نظر جونا إلى كينيت وإلى سيمونا.

«سأتولّى المهمّة من هنا، هذا سوء فهم».

ظهرت الغمّازات على وجنتي جونا وهو يطلب منهم أن يطلقوا سراح المتّهمَين. ذهبت الشرطيّة إلى كينيت وأزالت الأصفاد عن يديه. اعتذرت منه، ثمّ وقفت هناك وأذناها محمرّتان حين تبادلت بعض الكلام معه.

استمرّ الضابط ذو الرأس الحليق بالنظر إلى سيمونا.

«أطلِق سراحها»، قال جونا.

«لقد قاوما الاعتقال وتسبّبا بجرح إبهامي»، أجاب.

«هل ستعتقلهما؟»، سأل جونا.

«نعم».

«إنهما كينيت ستريِنْي وابنته؟».

«لا آبه من يكونا»، قال الضابط.

قالت الشرطيّة: «راينر، إنّه زميلنا».

«إنّه يخالف القانون بالتجاوز على مسرح جريمة».

«اهدأ فقط»، قال جونا بحزم.

سأل الرجل: «هل أنا مخطئ؟».

تقدّم كينيت إلى الأمام ولكنّه لم يقل أيّ شيء.

سأل راينر ثانية: «هل أنا مخطئ؟».

أجاب جونا: «حسنًا، سوف نتعامل مع هذا لاحقًا».

«لم ليس الآن؟».

خفض جونا صوته وقال بتهذيب: «لمصلحتك».

توجّهت الشرطيّة نحو كينيت ثانية، تنحنحت ثمّ قالت: «نحن آسفون جدًّا بخصوص هذا. سوف نرسل لك قالب حلوى في الغد».

«لا تقلقي»، قال كينيت وهو يساعد سيمونا على النهوض عن الأرض.

«القبو»، قالت بصوت غير مسموع.

«سوف أتعامل مع هذا الأمر»، قال كينيت واستدار نحو جونا، «هناك شخص أو أكثر في غرفة سرّيّة في القبو، خلف الخزانة التي تحتوي على سترات النجاة».

قال جونا للآخرين: «حسنًا أصغوا. لدينا سبب لنعتقد أنّ المشتبه به موجود في القبو. أنا مسؤول عن هذه العمليّة. كونوا على حذر. قد يتحوّل هذا إلى وضع احتجاز رهائن، ولو حصل ذلك فأنا من سيتولّى التفاوض. المشتبه به خطير جدًّا، ولكن لو توجّب عليكم إطلاق النار فصوّبوا نحو ساقيه».

استعار جونا سترة واقية من الرصاص وارتداها بسرعة، ثمّ أرسل شرطيين إلى مؤخّرة المنزل، وجمع فريقه حوله. بعد الإصغاء إلى تعليماته الدقيقة تبعوه إلى القبو. أصدر الدرج المعدنيّ صريرًا تحت ثقل أجسادهم.

وقف كينيت ويداه حول سيمونا. كانت خائفة إلى درجة جعلت جسدها ينتفض. همس لها بأنّ كلّ شيء سيكون بخير. كل ما أرادته سيمونا هو استعادة ابنها. أخذت تصلّي كي تسمع صوته في أيّة لحظة الآن.

خلال دقائق قليلة عاد جونا إلى الأعلى، وهو يحمل السترة المضادة للرصاص في يده.

«لقد هرب»، قال بغضب.
«بنيامين، أين بنيامين؟»، سألت سيمونا.
«ليس هنا»، أجاب جونا.
«ولكن الغرفة...».

توجّهت سيمونا إلى الدرج. حاول كينيت أن يمسكها، لكنّها دفعته ودفعت جونا بسرعة، واندفعت نازلة على الدرج المعدنيّ. كان القبو مضيئًا مثل نهار صيفيّ، وثلاثة مصابيح تقف على مسند ثلاثيّ تملأ الغرفة بالنور. سُحب السلّم القصير إلى ما تحت نافذة القبو الصغيرة المفتوحة، ودُفعت الخزانة مع سترات النجاة جانبًا. وقف رجال شرطة يحرسون المدخل المؤدّي إلى الغرفة السرّيّة. مشت سيمونا ببطء نحوه. سمعت والدها يقول شيئًا من الخلف، لكنّها لم تفهم الكلمات.

«عليّ أن أفعل هذا»، قالت بإعياء.
مدّ ضابط الشرطة يده ثمّ هزّ رأسه معترضًا، وقال:
«أخشى أنّي لن أسمح لك بالدخول».
«إنّه ابني...».
شعرت بذراعَيّ والدها تطوّقانها، لكنّها هربت منهما.
«إنّه ليس هنا يا سيمونا».
«اتركني».

وجدت نفسها تنظر إلى غرفة تحتوي على فراش، حزمة من المجلّات الكوميديّة القديمة، أكياس رقائق البطاطس الفارغة، أغطية أحذية زرقاء زاهية، علب طعام، صناديق حبوب، وفأس كبيرة لامعة.



53

صباح الأحد، 13 ديسمبر، يوم سانتا لوسيّا

جلست سيمونا في السيّارة في طريق عودتهما من «تومبا»، تصغي إلى تذمّر كينيت بخصوص افتقار الشرطة إلى الاتّصالات الداخليّة. لم تستجب. تركته يتحدّث بينما حدّقت من النافذة، أمّهات مع أطفالهنّ المرتدين ملابس الثلج، أطفال يحاولون دفع الجليد بدرّاجات السكوتر، جميعهم يحملون حقيبة الظهر ذاتها، مجموعة من الفتيات يرتدين تيجان سانتا لوسيّا ويأكلن الحلوى من كيس ويضحكن بمرح.

مرّ يوم منذ أُخذ منّا بنيامين، فكّرت وهي تنظر إلى يدها في حِجرها، وإلى الآثار الحمراء التي تسبّبت بها الأصفاد.

لا شيء يثبت أنّ جوزيف إيك متورّط في اختفائه. لم يكن هناك دليل على تواجد بنيامين في الغرفة السرّيّة. رغم أنّه من المرجّح أنّ جوزيف كان هناك حين نزلت هي ووالدها إلى القبو.

فكّرت سيمونا كيف كان يختبئ ويصغي إليهما، وهو يدرك أنّهما على وشك أن يكتشفا مخبأه السرّيّ، ثمّ يمدّ يده بهدوء ليأخذ الفأس، وفي الفوضى التي تلت اقتحام رجال الشرطة للمكان وسحبها مع كينيت إلى الأعلى، دفع جوزيف الخزانة جانبًا، حرّك السلّم الصغير إلى نافذة القبو ثمّ تسلّق إلى الخارج.

لقد هرب. خدع الشرطة ثانية وما زال هاربًا. أُطلق إنذار وطنيّ، ولكن من غير الممكن أن يستطيع جوزيف إيك اختطاف بنيامين. هما ببساطة شيئان حصلا في الوقت نفسه مثلما كان يحاول إريك إخبارها.

«هل ستأتين؟»، سألها كينيت.

رفعت رأسها. كان على كينيت أن يخبرها عدّة مرّات أن تنزل من السيّارة وتتبعه، قبل أن تدرك بأنّهما وصلا إلى شارع «لونتماكر».

حين فتحت باب الشقّة شاهدت ملابس بنيامين الشتويّة في الردهة. اعتقدت أنّه ربّما قد عاد. لكنها تذكّرت حقيقة أنّه سُحب إلى الخارج مرتديًا بيجامته فقط.

كان وجه والدها رماديًّا. أخبرها إنّه سوف يستحمّ.

استندت سيمونا على الجدار في الرواق، أغلقت عينيها، وفكّرت: «لو أستطيع فقط استعادة بنيامين، سوف أنسى كلّ ما حصل، لن أتحدّث عنه مطلقًا، لن أشعر بالغضب ثانية، سوف أكون ممتنّةً فقط».

سمعت فتح صنبور المياه. تنهّدت ورمت حذاءها جانبًا، تاركةً سترتها تسقط على الأرض، وجلست على السرير. لم تتذكّر ما الذي كانت تنوي فعله في غرفتها -هل كانت ستأخذ شيئًا ما، أو ربّما تستلقي فقط؟ شعرت ببرودة الأغطية على راحتها، ورأت طرف بيجامة إريك المجعّدة بارزًا من تحت وسادته.

حين انقطع الماء عن حوض الاستحمام تذكّرت أنّها أتت كي تحضر منشفة لوالدها، ثمّ كانت ستذهب لتفتح حاسوب بنيامين. التقطت منشفة حمّام رماديّة من الخزانة، ثمّ عادت إلى الردهة، كان باب الحمّام مفتوحًا وخرج منه كينيت مرتديًا ملابسه بالكامل.

قالت: «منشفة؟».

«لقد استخدمت المنشفة الصغيرة».

كان شعره رطبًا وتفوح منه رائحة اللافندر. أدركت أنّه استخدم الصابون الرخيص الموضوع على الحوض.

سألته: «هل غسلت شعرك بالصابون؟».

أجاب: «كانت رائحته جيّدة».

«لدينا شامبو للشعر يا أبي».

«لا فرق».

«حسنًا»، ابتسمت وقرّرت ألّا تخبره بالغرض الذي تُستعمل لأجله المنشفة الصغيرة.

«سأصنع القهوة»، قال كينيت وذهب إلى المطبخ.

وضعت سيمونا منشفة الحمّام على الخزانة، وذهبت إلى غرفة بنيامين. فتحت الحاسوب وجلست. لم يتغيّر شيء في الغرفة: ما زالت الأغطية على الأرض، وكأس الماء على الطاولة الصغيرة المجاورة للسرير.

سمعت صوت عمل الجهاز. ضغطت على الأيقونة الصغيرة التي تحمل صورة بنيامين كي تفتح الحساب.

طلب الحاسوب اسم المستخدم وكلمة المرور. كتبت اسم بنيامين، ثمّ أخذت نفسًا عميقًا وكتبت «دمبالدور».

54

منتصف الأحد، 13 ديسمبر، يوم سانتا لوسيّا

أضيئت الشاشة للحظاتٍ مثل طرفة عين.

لقد دخلت إلى الحساب. الخلفيّة هي صورة لظبي وسط الغابة مضاءة بضوء ضبابيّ ساحر. بدا المخلوق هادئًا تمامًا.

بالرغم من أنّ سيمونا كانت تعرف أنّها تتعدّى على خصوصيّة بنيامين، فقد بدا الأمر كأنّ جزءًا منه اقترب منها ثانية.

«أنت عبقريّة»، سمعت والدها يقول من خلفها.

«لا، ليس حقًّا».

وضع كينيت يده على كتفها حين ضغطت كي تفتح بريد بنيامين الإلكترونيّ.

سألت: «كم يومًا يتوجّب علينا العودة إلى الخلف؟».

«حسنًا، ابحثي خلالها كلّها».

تفحّصت صندوق الرسائل الواردة، تفتح بريدًا إلكترونيًّا تلو الآخر.

كان أحد الزملاء يسأل عن تبرّع خيريّ.

مجموعة لحلّ الفروض المدرسيّة.

بريد إلكتروني يدّعي فوز بنيامين بأربعين مليون يورو في سحب يانصيب أسبانيّ.

خرج كينيت ثمّ عاد حاملًا كوبين.

قال وهو يجلس: «القهوة هي حقًّا أفضل مشروب في العالم».

«كيف تمكّنت بحقّ من معرفة كلمة المرور؟».

رفعت كتفيها لامبالية وأخذت رشفة من قهوتها.

«سأتّصل بصديقي لأخبره أنّنا لن نحتاج إلى مساعدته».

فتحت بريدًا الكترونيًّا من آيدا. كان وصفًا مضحكًا لفيلم سيّئ.

رسائل أسبوعيّة من المدرسة.

بريد من المصرف يحذّر من مشاركة تفاصيل حسابه.

فيسبوك، فيسبوك، فيسبوك، فيسبوك.

فتحت سيمونا حساب بنيامين على الفيسبوك- مئات الإشعارات من مجموعة تسمّى «هايبومونكي». كلّ المنشورات كانت بخصوص إريك، مع اقتراحات ساخرة مختلفة تقول إنّ بنيامين قد تمّ تنويمه مغناطيسيًّا ليصبح أحمق، إثبات على كون إريك قد نوّم شعب السويد بأكمله مغناطيسيًّا، وشخص ما يطالب بتعويض لأنّ إريك نوّم كلبه مغناطيسيًّا.

هناك رابط لأحد الفيديوهات على اليوتيوب. فتحته سيمونا وشاهدت فيلمًا قصيرًا اسمه «المغفّل»، عن عالِم يشرح كيف تتمّ عمليّة التنويم المغناطيسيّ، وعُرضت مع الفيلم صورة لإريك وهو يشقّ طريقه بين مجموعة من الأشخاص، ارتطم فجأة بامرأة عجوز تستخدم العكّازة الطبّيّة، فأخرجت إصبعها الوسطى من خلف ظهره.

عادت سيمونا إلى صندوق الرسائل الواردة، ووجدت بريدًا إلكترونيًّا قصيرًا من آيدا جعل الشعر ينتصب على مؤخّرة عنقها. استدارت نحو كينيت.

«اقرأ هذا يا أبي».

أدارت الشاشة نحوه كي يتمكّن من قراءة الرسالة.

«قال نيكي إنّ ويلورد غاضب وإنّه قد فتح فمه نحوك. أعتقد أنّ هذا قد يكون خطيرًا جدًّا يا بنيامين».

قالت سيمونا: «نيكي هو شقيق آيدا الأصغر».

سأل كينيت وهو يأخذ نفسًا عميقًا: «وماذا عن ويلورد؟ هل تعرفين أيّ شيء عنه؟».

هزّت سيمونا رأسها: «أعتقد أنّه اسم شخصيّة بوكيمون. شقيق آيدا نيكي قال لي شيئًا بخصوص ويلورد».

نظرت سيمونا إلى ملفّات بنيامين المرسلة ووجدت ردّه الغاضب:

«نيكي يجب أن يبقى في المنزل. لا تسمحي له بالذهاب إلى البحر. إن كان ويلورد غاضبًا حقًّا فسوف يحدث شيء فعلًا. كان يتوجّب علينا

الذهاب مباشرة إلى الشرطة. أعتقد أنّه من الخطورة جدًّا فعل ذلك الآن».

قال كينيت: «اللعنة!».

«لا أعرف إن كان هذا حقيقيًّا، أم جزءًا من لعبة ما».

«لا يبدو كلعبة».

«لا».

تنهّد كينيت بعمق وحكّ بطنه.

قال ببطء: «آيدا ونيكي؟ أيّ نوع من الأشخاص هما؟».

نظرت سيمونا إلى والدها واحتارت كيف تجيب. لم يلتقِ طوال حياته بشخص مثل آيدا: فتاة ذات أقراط ووشوم، ترتدي السواد، وتضع الكثير من مساحيق التجميل، ولديها حياة أسريّة غير اعتياديّة.

قالت: «آيدا هي حبيبة بنيامين، ونيكي هو شقيقها. هناك صورة لها ولبنيامين في مكان ما هنا». والتقطت محفظة بنيامين ووأخرجت صورة آيدا. كان بنيامين يضع ذراعه حول كتفها. بدت منزعجة قليلًا، لكنّه كان يضحك للكاميرا.

«لماذا تبدو هكذا بحقّ السماء؟»، قال كينيت وهو يحدّق في وجه آيدا المغطّى بمساحيق التجميل.

قالت سيمونا بحذر: «لا أعرف الكثير بشأنها، أعرف فقط أنّ بنيامين مولع بها جدًّا، ويبدو أنّها تعتني بأخيها الذي أعتقد أنّه يعاني من أحد أنواع صعوبات التعلّم».

«عنيف؟».

هزّت رأسها نافية: «لا أعتقد ذلك».

قال كينيت: «من الواضح أنّ بنيامين كان يشعر بالتهديد، لكن من هو ويلورد هذا؟».

55

منتصف الأحد، 13 ديسمبر، يوم سانتا لوسيّا

وضع كينيت ذراعيه على صدره، واتّكأ إلى الخلف ناظرًا إلى السقف، ثمّ نهض.

«ويلورد هو شخصيّة كارتونيّة، صحيح؟».

«إنّه بوكيمون»، أجابت.

«هل يفترض بي أن أعرف ماذا يعني ذلك؟».

«لو كان لديك أطفال في عمرٍ معين فسوف تعرف بشأن البوكيمون، سواء شئت أم أبيت».

نظر كينيت إليها مستفهمًا.

فقالت: «البوكيمون»، إنّه نوع من لعبة».

«لعبة؟».

«ألا تتذكّر حين كان بنيامين مولعًا بها لفترة وهو أصغر سنًّا. كان يجمع البطاقات، ويتحدّث دومًا عن قوى البوكيمون المختلفة، وكيف بإمكانهم تحويل أنفسهم».

هزّ كينيت رأسه نافيًا.

قالت: «تعلّق بها لفترة سنتين على الأقلّ».

«ولكن ليس الآن».

«إنّه كبير جدًّا على هذا الآن».

«رأيتك وأنت تلعبين بالدمى حين عدتِ من مخيّم الفروسيّة».

قالت: «حسنًا، من يعرف! ربّما كان يلهو بالبوكيمون سرًّا».

«إذن، ماذا بخصوص تلك البوكيمونات؟».

«كيف بإمكاني وصف ذلك؟ إنّه شيء متعلّق بالحيوانات، ولكن

ليس الحقيقيّة منها. لا أعرف. بعضها ظريف جدًّا والأخرى شرسة. ابتدأ الأمر في اليابان نهاية التسعينيّات -أعتقد- ثمّ تنامت تجارة كاملة حولها. تلك الشخصيّات تسمّى بوكيمون، مشتقّة من عبارة وحش الجيب -بوكيت مونستر. الأمر سخيف برمّته. بإمكانك اللعب ضدّ أشخاص آخرين عن طريق قتال البوكيمون. الهدف هو ربح أكبر عدد ممكن من النزاعات لأنّك عندئذ سوف تحصل على النقود... حسنًا اللاعب يحصل على النقود وشخصيّة البوكيمون تحصل على النقاط».

قال كينيت: «وصاحب النقاط الأعلى هو الذي يفوز؟».

«لا أعرف حقًّا. يبدو أنّي لن أتمكّن من التوصّل إلى توضيح مقنع».

«هل هي لعبة حاسوب؟».

«إنّها كلّ شيء. لذلك انتشرت على مدى واسع. قد تكون بشكل عرض تلفازيّ ولعبة بطاقات ودمى محشوّة وحلوى وألعاب فيديو أو نينتَندو وهكذا».

«حسنًا، لست الآن أكثر فهمًا للأمر».

لاحظ أنها صمتت. نظر نحوها وقال: «ما الذي تفكّرين فيه؟».

قالت: «أدركتُ فجأة أنّ تلك هي المسألة برمّتها. يتوجّب على اللعبة أن تستبعد البالغين، سيُترك الأطفال في سلام لأنّنا لن نتمكّن من فهم عالم البوكيمون ربّما، هناك الكثير منه، إنّه شاسع جدًّا».

«هل تعتقدين أنّ بنيامين عاد للعب ثانية؟»، سأل كينيت.

«لا، ليس بالطريقة التي كان معتادًا عليها. لا بدّ من أن يعني هذا شيئًا آخر»، وأشارت نحو الشاشة.

«هل تعتقدين أنّ ويلورد هو شخص حقيقيّ؟»، سأل بصوت مرتفع.

«نعم».

«شيء لا علاقة له بالبوكيمون».

«لا أعرف... كان شقيق آيدا نيكي قد ذكر ويلورد لي، وقد بدا أنّه يشير إلى شخصيّة البوكيمون، ولكن ربّما كانت تلك طريقته في الكلام

فقط، أعني أنّه لمن الغريب جدًّا أن يكتب بنيامين 'لا تسمحي لنيكي بالنزول إلى البحر'».

«أيّ بحر؟»، سأل كينيت.

«بالفعل. لا بحر هنا! فقط في اللعبة».

«ولكن بدا أنّ بنيامين يأخذ التهديد على محمل الجدّ. صحيح؟».

أومأت: «ربّما كان البحر أمرًا مختلفًا، ولكن بدا وكأنّ التهديد كان حقيقيًّا».

«علينا أن نجد ويلورد ذاك».

«ربّما يكون أفاتار أو شيئًا من هذا القبيل»، قالت بتردّد.

نظر إليها، ولم يستطع منع نفسه من الابتسام: «بدأت أفهم الآن لماذا كان الوقت المناسب لي كي أتقاعد».

«إنّها هويّة يستعملها الأشخاص في غرفة المحادثات الإلكترونيّة»، أوضحت سيمونا وهي تقترب من الحاسوب.

تابعت: «سأحاول البحث عن ويلورد».

أظهر البحث خمسًا وثمانين ألف نتيجة. ذهب كينيت إلى المطبخ، وسمعته سيمونا يرفع صوت جهاز إرسال الشرطة. أخذت أصوات الطنين والطقطقة تختلط مع الأصوات البشريّة على الجهاز.

تفحّصت مواقع البوكيمون اليابانيّة صفحةً إثر أخرى:

«ويلورد هو أكبر بوكيمون معروف. هذا البوكيمون العملاق يسبح في البحر، يأكل كمّيّات مهولة من الطعام في لحظة بواسطة فمه الضخم».

قال كينيت بهدوء وهو يقرأ من فوق كتفها: «حسنًا هذا هو البحر».

أخذ الموضوع يتوضّح. ويلورد يصطاد فريسته بواسطة قفزة عملاقة، ويحطّ في وسط سرب الأسماك، ثمّ يسبح وفمه مليء بالسمك. قرأت سيمونا أن ويلورد يبتلع فريسته كلقمة واحدة، وهو منظر مريع.

حاولت أن يقتصر بحثها على الصفحات باللغة السويديّة فقط، ووجدت موضوعًا مشوّقًا:

«مرحبًا كيف أحصل على ويلورد؟».

«الطريقة الأسهل للحصول على ويلورد هي بالتقاط ويلمر في مكان ما في البحر».

«حسنًا، ولكن أين في البحر؟».

«تقريبًا في أيّ مكان ما دمت تستخدم الصنّارة الخارقة».

«أيّ شيء؟»، سأل كينيت.

«قد يستغرق الأمر وقتًا».

«انظري إلى كلّ البريد الالكتروني وتأكّدي من سلّة المهملات».

رفعت رأسها ورأت أنّ كينيت ارتدى سترته الجلديّة.

«أين ستذهب؟».

ردّ باقتضاب: «إلى الخارج».

«أين؟ إلى المنزل؟».

«أريد التحدّث مع نيكي وآيدا».

سألت: «هل آتي معك؟».

هزّ كينيت رأسه: «من الأفضل أن تواصلي بحثك على الحاسوب».

حاول كينيت أن يبتسم حين تبعته هي إلى المدخل. بدا عليه الإرهاق. احتضنته ثمّ أقفلت الباب خلفه. تذكّرت الوقت الذي قضت فيه يومًا كاملًا وهي تقف في المدخل، وتحدّق إلى الباب، وتنتظر عودته إلى المنزل. كانت في التاسعة من العمر تقريبًا، وقد اكتشفت أنّ والدتها سوف تتركهم، ولم تجرؤ على أن تتمنّى أن يختار والدها البقاء.

حين ذهبت سيمونا إلى المطبخ، رأت أنّ كينيت ترك قطعة من الكعك في الخارج، وماكينة القهوة ما زالت تعمل، وهناك ترسّب داكن في قعر الإبريق.

امتزجت رائحة القهوة المحروقة مع الشعور المرعب الذي أوحى لها أنّ حياتها قد قسمت إلى نصفين، الأوّل هو النصف السعيد والذي انتهى لتوّه. ولم ترغب بالتفكير في ما يخبّئ لها القدر في النصف الثاني.

ذهبت سيمونا إلى حقيبتها أخرجت هاتفها. وكما توقّعت، رأت

أنّ إيلفا اتّصلت من صالة العرض عدّة مرّات. ظهر اسم سيم شولمان كذلك على قائمة المكالمات الفائتة. عثرت سيمونا على رقمه وضغطت على زرّ الاتّصال. لكنّها غيّرت رأيها قبل أن تكمل المكالمة. عادت إلى الحاسوب في غرفة بنيامين.

كانت عتمة ديسمبر تتسكّع خارج النافذة، وأضواء السيّارات تتأرجح في الرياح القويّة، بينما رقائق الجليد الرطبة تتحرّك خلال أنوارها.

وجدت سيمونا بريدًا إلكترونيًّا محذوفًا من آيدا يحمل عنوان «أشعر بالأسف لأجلك، تعيش في منزل مليء بالأكاذيب».

كانت الرسالة تحتوي على ملفّ كبير. شعرت سيمونا بقلبها ينبض في أذنيها حين كانت تحاول اختيار برنامج يقوم بفتح الملف. هناك طرق خفيف على باب الشقّة. بدا وكأنّ أحدًا ما كان يحتكّ به. كتمت أنفاسها، ثمّ سمعت طرقة أخرى فهبّت واقفة. شعرت ساقاها بالوهن وهي تتقدّم نحو الباب الأماميّ.

56

مساء الأحد، 13 ديسمبر، يوم سانتا لوسيّا

بينما كينيت في السيّارة خارج مبنى شقّة آيدا، فكّر في التهديد الغريب الذي وجداه في بريد بنيامين الإلكتروني: «قال نيكي إنّ ويلورد غاضب وإنّه فتح فمه نحوك، ثم: لا تجعليه يذهب إلى البحر». فكّر في كلّ الأوقات التي تعرّف فيها على الخوف في حياته. يعرف كيف يبدو ذلك الشعور، لأنّه اختبره بنفسه، لا أحد يعيش من دونه.

كانت البناية حيث تعيش آيدا صغيرة ومكوّنة فقط من ثلاثة طوابق. تبدو شاعريّة على نحو غير متوقّع، قديمة الطراز ومتينة. نظر إلى الصورة التي أعطتها له سيمونا، الأقراط والكثير من مساحيق التجميل الداكنة حول عينيها. سأل نفسه لماذا يعاني من صعوبة كبيرة في تخيّلها داخل تلك البناية القديمة وهي تجلس إلى طاولة المطبخ أو في الغرفة، حيث استبدلت صور الأحصنة التقليديّة بأخرى تعود إلى مارلين مانسون.

كان كينيت على وشك أن يتسلّل عبر الشرفة، التي اعتقد أنّها تعود إلى عائلة آيدا، لكنّه توقّف حين شاهد شخصًا ضخم الجسد يتحرّك جيئة وذهابًا على الممشى خلف المبنى.

فُتح الباب وخرجت آيدا. بدت على عجلة من أمرها. نظرت من فوق كتفها، ومن دون أن تبطئ سيرها أخرجت علبة سجائر من حقيبتها، تناولت واحدة بشفتيها، أشعلتها ثمّ استنشقت. راقبها كينيت وهي تتّجه إلى محطة المترو. قرّر ألّا يتحدّث إليها حتّى يعرف إلى أين تذهب. مرّت إحدى الحافلات قربه ومن مكان ما شرع كلب بالنباح. رأى كينيت الشخص الضخم خلف المنزل يسرع نحو آيدا وقد بدا أنّها سمعته لأنّها استدارت. بدت سعيدة. كان وجهها كلّه يبتسم، ما جعل

وجنتيها الشاحبتين وعينيها المحاطتين بمساحيق التجميل تظهر فورًا طفوليّة جدًّا.

قفز ذلك الشخص أمامها إلى الأعلى والأسفل، تبادلا قبلة حافّة الأنف، ثمّ لوّحت له آيدا مودّعة. اقترب كينيت أكثر وهو يفكّر أنّ الشخص الضخم قد يكون شقيقها. كان يقف بسكون وهو يراقب آيدا تبتعد ويلوّح لها بين الحين والآخر. شاهد كينيت وجه الصبيّ. بدا حنونًا ورقيقًا وعيناه تتساءلان بشدّة. وقف تحت عمود الإضاءة، وانتظر بينما كان الصبيّ يتّجه نحوه بخطواتٍ متثاقلة.

قال كينيت: «مرحبًا يا نيكي».

توقّف نيكي ونظر نحوه بخوف. كانت قطرات من اللعاب تتجمّع عند زوايا فمه.

قال ببطء وحذر: «لا يُسمح لي...».

«اسمي كينيت وأنا رجل شرطة، أو بالأحرى أنا عجوز نوعًا ما الآن، لذلك فأنا متقاعد، ولكنّ ذلك لا يغيّر أيّ شيء، ما زلت رجل شرطة».

نظر الصبي نحوه بفضول.

«أنت لديك مسدّس إذن؟».

هزّ كينيت رأسه.

كذب: «لا، وليست لديّ سيّارة شرطة أيضًا».

صار الصبيّ أكثر جدّيّة: «هل يأخذونها منكم حين تكبرون في السنّ؟».

أومأ كينيت: «نعم».

سأل نيكي: «هل أنت هنا لتلقي القبض على اللصوص؟».

«أيّ لصوص؟».

أغلق نيكي سحّاب سترته: «هم يأخذون منّي الأشياء أحيانًا»، قال وهو يضرب الأرض بقدمه.

«من يفعل ذلك؟».

رمقه نيكي بنظرة نفاد صبر: «اللصوص».
«ماذا أخذوا».
«قبّعتي وساعتي وحجر جميل لامع الأطراف».
«هل أنت خائف من أحد؟».
هزّ رأسه نافيًا.
سأله كينيت ببطء: «إذن الجميع هنا لطفاء؟».
تنهّد الصبيّ بعمق ونظر في اتّجاه اختفاء آيدا.
«شقيقتي تحاول العثور على أسوأ الوحوش».
مشيا معًا سأله كينيت: «هل تحبّ الكولا؟». وكانا أمام متجر صغير.
قال الصبيّ: «أنا أعمل في المكتبة يوم السبت. أعلّق معاطف الناس، وهم يحصلون على قطع من الورق عليها أرقام، آلاف الأرقام المختلفة».
«لا بدّ من أنّك ذكيّ جدًّا»، قال كينيت وطلب زجاجتي كولا.
نظر إليه نيكي بسعادة، وطلب قشّة إضافيّة ثمّ شرب وتجشّأ، شرب وتجشّأ ثانية.
«ماذا عنيت بما قلته عن شقيقتك؟»، سأل كينيت بحذر.
قطّب نيكي حاجبيه: «ذلك الشخص صديق آيدا، بنيامين، لم أره اليوم، ولكن، سابقًا، كان غاضبًا جدًّا، غاضبًا جدًّا. لقد بكت آيدا».
«بنيامين كان غاضبًا؟».
نظر نيكي إلى كينيت بتعجّب.
«بنيامين ليس غاضبًا، إنّه لطيف. هو يجعل آيدا سعيدة وتضحك».
نظر كينيت إلى الصبيّ وسأله: «إذن من الذي كان غاضبًا يا نيكي؟ من كان غاضبًا؟».
بدا نيكي متوتّرًا فجأة. حدّق إلى الزجاجة ثمّ شرع يبحث عن شيء ما.
«لا يُسمح لي أن أدع الآخرين...».
قال كينيت: «لا بأس هذه المرّة، أنا أعدك بحفظ السر. من الذي كان غاضبًا؟».

حكّ نيكي رقبته ثمّ مسح اللعاب عن زوايا فمه.

«ويلورد، لقد صار فمه كبيرًا هكذا». فتح نيكي ذراعيه.

«ويلورد؟».

«إنّه سيّئ».

«إلى أين كانت آيدا ذاهبة يا نيكي؟».

ارتعشت وجنتا الصبيّ، ثمّ قال: «إنّها لا تستطيع العثور على بنيامين. هذا سيّئ».

«ولكن، أين ذهبت الآن؟».

بدا على نيكي وكأنّه على وشك أن يشرع بالبكاء حين هزّ رأسه وقال: «لا، لا، لا، لا يجدر بي التحدّث مع الغرباء، أنا لا أعرف...».

«انظر إليّ يا نيكي. أنا لست غريبًا»، قال كينيت وهو يخرج محفظته ويجد صورة له وهو يرتدي زيّ الشرطة.

تفحّص نيكي الصورة، ثمّ قال بصوت جادّ: «ذهبت آيدا لرؤية ويلورد الآن. إنّها قلقة من كونه قد عضّ بنيامين. إنّ فم ويلورد يُفتح بهذا الحجم».

فتح نيكي ذراعيه ثانية، وحاول كينيت أن يُبقي صوته هادئًا تمامًا وهو يقول: «هل تعرف أين يعيش ويلورد؟».

«لا يُسمح لي أن أذهب إلى البحر، ولا حتّى الاقتراب منه».

«كيف تذهب إلى البحر؟».

«بواسطة الحافلة».

57

بعد ظهر الأحد، 13 ديسمبر، يوم سانتا لوسيّا

تحسّس نيكي شيئًا ما في جيبه، ثمّ نظر إلى كينيت وقال محاولًا الابتسام: «لقد خدعني ويلورد ذات مرّة، حين كنت على وشك أن أدفع الحساب. لقد خدعوني كي آكل شيئًا لا يجب أن يؤكل. كان محض مزاح بالرغم من هذا».

استدار نيكي وعبث بسحّاب سترته. كانت أظافره قذرة.

«ما الذي أكلته؟»، سأل كينيت.

ارتعشت وجنتا الصبيّ ثانية، وقال: «لا أرغب في ذلك». وتساقطت بعض الدموع على وجهه الممتلئ.

ربّت كينيت على كتف نيكي وحاول أن يجعل صوته هادئًا وثابتًا حين قال: «يبدو أنّ ويلورد ذاك لئيم حقًّا؟».

«إنّه لئيم جدًا».

لاحظ كينيت أنّ لدى نيكي شيئًا في جيبه، وهو يواصل تلمّسه.

«أنا رجل شرطة، أنت تعرف ذلك، وأنا أقول ألّا أحد يمتلك الحقّ في أنّ يكون لئيمًا معك».

«أنت عجوز جدًّا».

«ولكنّي قويّ».

بدا نيكي أكثر سعادة الآن. وسأله:

«هل أستطيع الحصول على المزيد من الكولا؟».

«إن أردت ذلك».

«نعم من فضلك».

«ما الذي لديك في جيبك؟»، سأل كينيت وهو يتظاهر بعدم الاهتمام.

ابتسم نيكي قائلًا: «إنّه سرّ».

«حقًّا؟»، قال كينيت، وامتنع عن إعادة السؤال.

التقط نيكي الطعم: «ألا تريد أن تعرف؟».

«لا يتوجّب عليك إخباري إن لم ترغب في ذلك يا نيكي».

«أووه! لا يمكنك أن تحزر ما هو».

«لا أعتقد أنّه شيء مميّز».

أخرج نيكي يده من جيبه: «سأخبرك ما هو». فتح قبضته وقال: «إنّها قواي».

كان لدى نيكي بعض التراب في يده. نظر كينت بفضول إلى الصبيّ الذي كان يضحك الآن: «أنا بوكيمون أرضيّ»، قال بسعادة.

«أنت بوكيمون أرضيّ»، كرّر كينيت.

أغلق نيكي قبضته على التراب وأعاده إلى جيبه.

«هل تعرف ما هي قواي؟».

هزّ كينيت رأسه. رأى رجلًا ذا وجه نحيف مدبّب يمشي أمام المبنى القاتم على الجانب الآخر من الطريق، ويبدو وكأنّه يبحث عن شيء ما. كان يمسك عصى في يده ويستخدمها لنبش الأرض. أدرك كينيت أنّ الرجل كان يحاول ربّما التلصّص على نوافذ الطابق الأرضيّ. فكّر في الذهاب إليه وسؤاله عمّا يفعله. ولكن نيكي وضع يده على ذراعه: «هل تعرف ما هي قواي؟»، كرّر الصبيّ.

أدار كينيت وجهه عن الرجل على مضض، ونظر إلى نيكي الذي كان يحصي أصابع يديه وهو يتحدّث.

«أنا جيّد ضدّ كلّ بوكيمونات الطاقة، بوكيمونات النار، بوكيمونات السمّ، بوكيمونات الصخر، كذلك بوكيمونات الفولاذ، لكنّي لا أستطيع مقاتلة البوكيمونات الطائرة أو بوكيمونات الحشائش أو البوكيمونات الحشرات».

«هل هذا صحيح؟»، قال كينيت من دون تركيز، وهو ينظر إلى الرجل

الذي كان على وشك التوقّف عند نافذة، متظاهرًا بالبحث عن شيء بينما ينحني على النافذة.

«هل تصغي إليّ؟»، قال نيكي غاضبًا.

حاول كينيت أن يبتسم ويشجعه. لكنّه حين استدار كان الرجل قد اختفى. حدّق كينيت إلى نافذة الطابق الأرضيّ عبر الشارع، لكنّه لم يستطع التأكد من أنّها كانت مفتوحة.

«لا أستطيع تحمّل المياه»، أوضح نيكي بحزن، «الماء هو الأسوأ- لا أستطيع تحمّله. أنا أخاف من الماء حقًّا».

حرّر كينيت نفسه برفق من قبضة نيكي.

«انتظر لدقيقة»، قال ومشى بضع خطوات نحو النافذة.

«كم الساعة الآن؟»، سأل نيكي.

«الساعة؟ إنّها الخامسة وخمس وأربعون دقيقة».

«يجب أن أذهب، فهو يغضب حين أتأخّر».

«من الذي سيغضب؟ والدك؟».

ضحك نيكي: «ليس عندي والد».

«والدتك أعني».

«لا. أريادوس سيغضب، إنّه يأتي لجمع الأشياء».

نظر نيكي بتردّد إلى كينيت ثمّ خفض بصره سائلًا: «هل أستطيع الحصول على بعض النقود الآن؟ لأنّه سيعاقبني لو لم أمتلك ما يكفي».

«انتظر للحظة»، قال كينيت وهو يصغي بدقّة إلى ما يقوله نيكي، «هل ويلورد هو من يطالبك بالنقود؟».

غادرا معًا، وأعاد كينيت سؤاله: «أهو ويلورد؟».

«هل أنت غبي؟ ويلورد؟ سوف يبتلعني، ولكنّ الآخرين بإمكانهم السباحة نحوه».

نظر نيكي من فوق كتفه، فسأله كينيت ثانية: «من الذي يريد النقود؟».

كرّر الصبيّ بنفاد صبر: «أريادوس، قلت لك ذلك. هل تمتلك

النقود؟ سوف يساعد ذلك كثيرًا لو امتلكت بعض النقود، أستطيع أن أعطيك بعض القوى».

«لا حاجة بي إلى ذلك»، قال كينيت وهو يخرج محفظته، «هل تكفي عشرون كرونة؟».

ضحك نيكي بمرح واضعًا النقود في جيبه وأخذ يهرول عبر الشارع من دون أن يقول وداعًا. بقي كينيت واقفًا لدقائق محاولًا أن يستوعب ما قاله الصبيّ. ورغم أنّه لم يجد فيه أيّ منطق، فقد تبعه. وحين انعطف عند الزاوية وجد نيكي يقف عند إشارة المرور. تحوّلت إلى الأخضر، فسارع للعبور. بدا أنّه يتّجه نحو المكتبة. تبعه كينيت. تجاوز الشارع، ووقف عند ماكينة صرف النقود. وقف نيكي ثانية. كان يمشي بخطوات سريعة إلى جوار نافورة المكتبة. لم تكن أضواء الشارع ساطعة، لكن كينيت تمكّن من رؤية نيكي وهو يعبث بالتراب في جيبه طوال الوقت.

خرج صبيّ أصغر عمرًا من بين الأجمة مقابل عيادة طبيب الأسنان، وتوجّه إلى الساحة. حين اقترب من نيكي توقّف وقال له شيئًا ما. استلقى نيكي فورًا على الأرض وأخرج النقود. أحصاها الفتى ثمّ ربّت على رأس نيكي، أمسك بياقة سترته، سحبه إلى حافّة النافورة، ودفع بوجهه إلى الماء. استعدّ كينيت للذهاب إليهما، ولكنّه أجبر نفسه على الوقوف ساكنًا، إنّه هنا كي يجد بنيامين. لا يرغب في إخافة الفتى إن كان هو ويلورد أو سيقوده إلى ويلورد. انتظر كينيت محصيًا الثواني ومتأهّبًا للاندفاع إذا تطلّب الأمر ذلك. راحت ساقا نيكي تركلان وتتخبّطان، وتمكّن كينيت من رؤية نظرة هدوء غير مبرّر ترتسم على وجه الفتى الآخر. حين قرّر أخيرًا أن يتركه، ارتمى نيكي على الأرض جوار النافورة وهو يسعل ويبصق. ربّت الفتى على كتفه أخيرًا ثمّ مشى مبتعدًا.

أسرع كينيت خلف الفتى عبر الأجمات وخلال المرج الموحل نحو المعبر. تبعه طوال الطريق إلى منطقة سكنيّة ثمّ إلى بناية ما. أسرع الخطى، ودخل في الوقت الملائم للّحاق بالمصعد. حين رأى أنّه قد

ضغط على زرّ الطابق السادس، نزل في طابق الفتى نفسه. توقّف وتظاهر بأنّه يبحث في جيوبه، وشاهد الفتى يتّجه إلى باب ما ويُخرج المفتاح.

«أنت يا فتى!»، قال كينيت.

لم يستجب له الفتى. توجّه كينيت نحوه، وأمسك به من سترته، ثمّ أداره نحوه.

قال الفتى وهو ينظر في عينيه: «دعني أذهب أيّها الوغد العجوز».

«ألا تعلم أنّك تخالف القانون حين تجعل الأشخاص يدفعون لك النقود؟».

حدّق كينيت إلى عينين مراوغتين هادئتين بشكلٍ غريب.

«اسم عائلتك هو يووانسون»، قال كينيت وهو ينظر إلى الباب.

«نعم وأنت؟».

«أنا المحقّق كينيت سترينْيْ».

وقف الفتى ناظرًا إليه من دون أيّ أثر للخوف.

«كم أخذت من نيكي؟».

«أنا لا آخذ النقود. بعض الأحيان هو يعطيها لي، لكنّي لا آخذ أيّ شيء، الكلّ سعيد هنا».

«سوف أتحدّث إلى والديك».

«أووه».

«هل تريد أن أفعل؟».

قال الفتى متهكّمًا: «أرجوك، لا تفعل يا سيّدي».

رنّ كينيت جرس الباب. بعد قليل فتحت الباب امرأة بدينة لوّحتها الشمس.

قال كينيت: «مرحبًا. أنا محقّق شرطة، وأخشى أنّ ابنك قد تورّط في بعض المشاكل».

قالت المرأة: «ابني؟ ليس عندي أبناء».

رأى كينيت الفتى وهو يضحك ناظرًا إلى الأرض.

«هل تعرفين هذا الفتى؟».

قالت المرأة البدينة: «هل بإمكاني رؤية شارتك؟».

«هذا الفتى هو...».

قاطعه الفتى: «إنّه لا يمتلك شارة».

كذب كينيت: «بل أمتلك».

صرخ الفتى وهو يسحب محفظته: «إنّه ليس شرطيًا. هذه هي بطاقتي لركوب الحافلة. أنا شرطيّ أكثر منه إذن».

خطف كينيت المحفظة منه. فصرخ: «أعِدها لي».

أجاب كينيت: «سألقي نظرة فقط».

قال الفتى: «إنّه خاطف أطفال».

قالت المرأة مذعورة: «سأتّصل بالشرطة».

ضغط كينيت على زرّ المصعد. نظرت المرأة حولها، ثمّ هرعت لتطرق على باقي الأبواب في البناية.

قال لها الفتى: «لقد أعطاني نقودًا، لكنّي لا أريد الذهاب معه».

فتح أحد الجيران الباب وحدّق من دون أن يفتح سلسلة الأمان.

«عليك أن تبقى بعيدًا عن نيكي من الآن فصاعدًا»، قال كينيت بصوت منخفض.

قال الفتى: «إنّه ملكي».

شرعت المرأة تتّصل بالشرطة. استقلّ كينيت المصعد، وراقب الباب وهو يغلَق. أدرك أنّ الفتى قد خدعه باختيار شقّة عشوائيّة. نظر كينيت إلى محفظة الفتى: قرابة الألف كرونة، بطاقة متجر فيديو، بطاقة حافلات، بطاقة عمل مجعّدة زرقاء كُتب عليها «البحر شارع لودز 18».

58

بعد ظهيرة الأحد، 13 ديسمبر، يوم سانتا لوسيّا

على سطح مطعم الوجبات السريعة مجسّم بشكل نقانق كبيرة مبتسمة، ترشّ الكاتشاب على نفسها بيد، بينما ترفع إبهام اليد الأخرى. طلب إريك شطيرة برغر مع البطاطس المحمّرة. جلس على أحد الكراسي المرتفعة بالقرب من النافذة، ونظر إلى الخارج عبر الزجاج. هناك صانع أقفال على الجانب الآخر من الشارع. نوافذ متجره مزيّنة لأجل عيد الميلاد، بينما ينتصب أقزام بارتفاع الركبة قرب تشكيلة منوّعة من الخزائن والأقفال والمفاتيح.

فتح إريك زجاجة الماء. تناول رشفة، ثمّ اتّصل بالمنزل. سمع صوته على جهاز المجيب الآليّ. أقفل الخطّ، واتّصل بهاتف سيمونا المحمول عوضًا عن ذلك. حين رنّ جرس البريد الصوتيّ، قال: «مرحبًا يا سيمونا، أريد أن أقول فقط إنّ عليك قبول حماية الشرطة لأنّ جوزيف إيك... يبدو أنّه غاضب منّي جدًّا. هذا كلّ شيء».

حين التهم قضمة من شطيرة البرغر أدرك كم كان جائعًا. غرز شوكة بلاستيكيّة في البطاطس، وعاد إلى التفكير في النظرة التي ارتسمت على وجه جونا حين قرأ رسالة جوزيف إلى إيڤلين. بدا أنّ درجة الحرارة قد انخفضت فجأة. استحالت عيناه الرماديّتان إلى جليد، واتّخذتا طابعًا حادًّا قويًّا.

اتّصل جونا به قبل أربع ساعات ليخبره أنّهم فقدوا أثر جوزيف ثانية. كان في القبو، لكنّه هرب. لم يعثروا على أيّ شيء يشير إلى وجود بنيامين هناك أبدًا، بل على العكس، في الحقيقة أظهرت نتائج الحمض النوويّ أنّ جوزيف كان وحيدًا في تلك الغرفة.

حاول إريك أن يتذكّر وجه إيڤلين وكلماتها، تحديدًا حين علمت أنّ جوزيف عاد إلى المنزل. لم يصدّق إريك أنّ إيڤلين أخفت عنهم وجود الغرفة السرّيّة عمدًا، وأنّها نسيت وجودها وحسب. تذكّرت فقط حين علمت بأنّ جوزيف عاد إلى المنزل، وبأنّه يختبئ هناك.

إنّ جوزيف إيك يرغب في إيذائي، فكّر إريك. إنّه غيور، لقد أقنع نفسه بأنّني وإيڤلين على علاقة غراميّة، وعقد العزم على معاقبتي، لكنّه لا يعرف أين أسكن. هو يطلب من إيڤلين إخباره عن عنواني في الرسالة.

«إنّه لا يعرف أين أسكن إذًا، فكيف اقتحم منزلنا وأخذ بنيامين».

تناول إريك المزيد من البرغر، ثمّ حاول أن يتّصل بسيمونا ثانية. يجب أن تعلم أنّ جوزيف إيك لم يأخذ بنيامين. شعر بالارتياح حتّى لو عنى الأمر العودة إلى البداية ثانية. أخذ قطعة من الورق كتب عليها اسم آيدا ثمّ غيّر رأيه. لا بدّ من أنّ سيمونا قد رأت شيئًا ما، فكّر. هي الشخص الذي شهد الاختطاف.

سألها جونا، بالرغم من أنّها لم تتذكّر أيّ شيء آخر، لكنّهم كانوا يركّزون تفكيرهم على جوزيف، والمصادفة التي حصلت حين هرب من المستشفى قبل اختطاف بنيامين فقط! ذلك لم يكن منطقيًّا أبدًا. كان الاقتحام الأوّل قد حصل قبل هروب جوزيف. إنّه قاتل متسلسل، وقد نما لديه حسٌّ للقتل. اختطاف شخص ما لا يلائم نمط جوزيف. الشخص الوحيد الذي قد يرغب في اختطافه هو إيڤلين.

إنّه مهووس بها. هي دافعه الوحيد.

رنّ هاتفه. وضع شطيرة البرغر جانبًا، وأجاب من دون أن يتفحّص الشاشة.

«مرحبًا، إريك ماريّا بارك».

تقطّع الخطّ وأصدر أزيزًا وأصواتًا مشوّشة.

«مرحبًا»، قال إريك رافعًا صوته.

سمع صوتًا خافتًا: «أبي».

«بنيامين؟».

ظلّ خطّ الهاتف مليئًا بالضوضاء.

«ابقَ على الخطّ، لا أتمكّن من سماعك».

دفع إريك بعض الزبائن وأسرع إلى موقف السيّارات، حيث الثلج يحوم حول مصابيح الشارع الصفراء.

«بنيامين».

«هل تستطيع سماعي؟»، سأل بنيامين بصوت أوضح الآن.

«أين أنت؟ أخبرني أين أنت؟».

«لا أعرف يا أبي. ليست لديّ فكرة. أنا مستلقٍ في صندوق سيّارة، وهي تواصل السير والسير».

«من الذي أخذك؟».

«استيقظت لتوّي، لم أر شيئًا، أنا عطش للغاية».

«هل أنت مصاب؟».

«أبي»، وانتحب.

«أنا هنا يا بنيامين».

«ما الذي يحدث؟».

بدا ضئيلًا جدًّا وخائفًا جدًّا.

قال إريك: «سوف أعثر عليك. هل لديك أيّة فكرة إلى أين تتّجهون؟».

«سمعت صوتًا مشوّشًا نوعًا ما حين استيقظت. سمعت شيئًا بخصوص... بخصوص منزل... أعتقد».

«أخبرني المزيد، أيّ منزل؟».

«لا! ليس مجرّد منزل... إنّه منزل مسكون».

«أين؟».

«نحن نبطئ الآن يا أبي، لقد توقّفت السيّارة. أنا أسمع صوت خطوات»، قال بنيامين بصوت مرتعب، «لن أتمكّن من الكلام أكثر».

سمع إريك صوت شخص يفتّش عن شيء ما، ثمّ صريرًا ثمّ صرخة مفاجئة من بنيامين. خرج صوته مرتعشًا وواهيًا. بدا عليه الذعر.

«اتركني لحالي، أنا لا أريد ذلك، أرجوك، أعِدُكـ...».

ثمّ عمّ الصمت حين انقطع الخطّ.

تطايرت رقائق الثلج الجافّة نحو الموقف. حدّق إريك إلى هاتفه، لكنّه لم يرغب في المخاطرة باستعماله فقد يتّصل بنيامين ثانية. انتظر في الخارج وهو يأمل أن يتّصل به بنيامين مرّة أخرى. رغم أنّه فكّر مليًّا بحديثهما، فقد استمرّ في فقدان مساره. نَبَضَ ذعر بنيامين في رأسه. عليه أن يخبر سيمونا بذلك.

59

بعد ظهيرة الأحد، 13 ديسمبر، يوم سانتا لوسيّا

دخل إريك إلى سيّارته. يداه ترتعشان بقوّة، حتّى أنّه عجز عن وضع المفتاح في مكانه. لقد ترك قبّعته وقفّازيه في المطعم قرب شطيرة البرغر غير المكتملة، ولكنّه لم يهتم.

تلوّى أمامه تيارٌ من أضواء السيّارات الخلفيّة الحمراء متّجهًا للشمال، ثمّ تفرّع يمينًا باتجاه الجامعة والمنطقة 18، ثمّ يسارًا باتجاه مستشفى «كارولينسكا» والمنطقة 4. آلاف السيّارات في سيل من الازدحام المروريّ. الطريق أمامه يتلألأ باللون الرماديّ، وتبلّل بالثلج الرطب حين انعطف نحو «ڤالهالا بوليڤارد».

أوقف إريك سيّارته ثمّ مشى نحو شارع «لونتماكر». بدا الأمر غريبًا، لكنّه شعر بأنّه لم يعد ينتمي إلى ذلك المكان. حين مرّ عبر المدخل وصعد الأدراج وطرق الباب، سمع صوت أقدام ثمّ صوت طقطقة منخفضة. دُفع غطاء العين السحريّة جانبًا، ثمّ فُتح الباب، دفعه إريك ودخل إلى الشقّة القليلة الإضاءة. تراجعت سيمونا، ووقفت في الرواق وقد شبكت ذراعيها حول صدرها. كانت ترتدي بنطالًا من الجينز وكنزة زرقاء، فبدت جادّة على نحو غير متوقّع.

«اتّصل بي بنيامين قبل نصف ساعة».

تجهّم وجهها تحت ثقل كلّ الخوف والغضب الذي كانت تحاول إخفاءه، وضعت إحدى يديها على فمها، وحدّقت إليه: «يا إلهي القدير!».

اقتربت منه خطوة. «أين هو؟»، سألت وقد ارتفع صوتها الآن.

«إنّه لا يعرف. لا يعرف حقًّا ما يحصل».

«إذن! ماذا قال؟».

«إنّه ملقى في سيّارة».

«هل هو مصاب؟».

«لا أعتقد ذلك».

«ماذا إذًا...».

قال إريك مقاطعًا: «انتظري. أحتاج إلى اقتراض هاتفك. قد نتمكّن من تتبّع مكالمته. لا أرغب في استخدام جهازي، فقد يتّصل بنيامين ثانية».

«من الذي ستتّصل به؟».

«الشرطة. لديّ معارف بإمكانهم...».

قاطعته: «سوف أكلّم والدي، سيكون ذلك أسرع».

التقطت الهاتف، وجلس هو على أريكة منخفضة عند المدخل. أحسّ بالدفء من حرارة الشقّة.

سألت سيمونا: «هل أيقظتك؟ إريك هنا يا أبي. لقد تحدّث إلى بنيامين. نريدك أن تتتبّع المكالمة. أنا لا أعرف... لا أعرف... عليك أن تتحدّث إليه».

وقف إريك مشيرًا إليها أن تبتعد عنه حين تقدّمت نحوه. لكنّه تناول الهاتف منها، ووضعه على أذنه.

«مرحبًا».

قال كينيت: «أخبرني بما حصل يا إريك».

«أردت إخبار الشرطة، لكنّ سيمونا قالت إنّك قد تتمكّن من تتبّع المكالمة بشكل أسرع».

«قد تكون محقّة».

«اتّصل بي بنيامين قبل نصف ساعة. لم يكن يعرف أين هو أو من الذي أخذه. قال إنّه مستلق في صندوق سيّارة، وبينما كنّا نتحدّث توقّفت السيّارة. قال بنيامين إنّه سمع صوت خطوات، ثمّ صرخ بنيامين بشيء ما، وانقطع الخطّ».

تمكّن إريك من سماع سيمونا وهي تحاول ألّا تبكي.
«هل كان يتّصل من هاتفه الخاصّ؟»، سأل كينيت.
«نعم».
«حاولت تتبّعه منذ أمس الأوّل، ولكنّه كان مقفلًا».
أصغى إريك بصمت بينما كينيت يوضح له أنّ مشغّلي الشبكة الهاتفيّة مرغمون على التعاون مع الشرطة.
سأل إريك: «كم المسافة التي يستطيعون تحديدها؟».
«تتباين درجة الدقّة. هذا يعتمد على المحطّة المركزيّة، وعلى تحويل المكالمة، ومع بعض الحظّ فسوف نحصل على موقع جيّد يكون قريبًا، وبنصف قُطر يصل إلى مئات الأمتار».
«أسرع! عليك أن تسرع».
أغلق إريك الهاتف.
«ماذا حصل لوجنتكِ؟»، سألها.
أجابت: «ماذا؟ ها. لا شيء».
تبادلا النظرات، كلاهما مرهق وهشّ.
«هل ترغب في الدخول؟».
أومأ، ثمّ بعد أن تردّد للحظة، خلع حذاءه ودلف داخلًا. رأى الحاسوب مفتوحًا في غرفة بنيامين وتوجّه نحوه.
«هل وجدتِ أيّ شيء؟».
وقفت سيمونا في المدخل: «بعض البريد الإلكتروني بين بنيامين وآيدا. يبدو أنّهما يشعران بتهديد ما».
«من قِبل من؟».
«لا نعلم. أبي يعمل على الأمر».
جلس إريك أمام الحاسوب.
«بنيامين على قيد الحياة»، قال ببطء، ثمّ نظر إليها نظرة مطوّلة.
قالت: «نعم».
«يبدو أنّ الأمر لا علاقة له بجوزيف إيك».

قالت سيمونا: «لكنّه اتّصل بالبيت، أليس كذلك؟ فمن المؤكّد أنّه...».

قاطعها: «ذلك أمر مختلف».

«أهو كذلك؟».

أوضح: «لقد تمّ تحويل المكالمة له. أخبرتهم أن يفعلوا ذلك إن كان الأمر مهمًّا. هو لا يعرف رقم هاتفنا ولا يعرف عنواننا».

«هناك شخص أخذ بنيامين ووضعه في سيّارة».

صمتت.

قرأ إريك ذلك البريد الإلكترونيّ من آيدا. ذاك الذي تخبره فيه بأنّه يعيش في منزل من الأكاذيب، ثمّ فتح الصورة المرفقة مع الرسالة. كانت صورة ملوّنة التُقطت خلال الليل باستخدام وميض الكاميرا. كانت تصوّر حديقة خضراء مصفرّة من الأعشاب البرّيّة التي تصل إلى ارتفاع حاجز منخفض من الشجيرات. تمكّن من رؤية سياج خشبيّ بُني خلف الحاجز. على حافّة منطقة مضاءة بشكل جيّد في الصورة كانت هناك سلّة بلاستيكيّة خضراء، وما يبدو كأنّه حقلٌ مزروع بالخضروات.

تجوّلت عينا إريك على الشاشة وهو يحاول أن يفهم مغزى الصورة. هل فاته قنفذ أم فأر حقل ربّما. حاول أن يحدّق إلى الظلمة خلف ضوء الكاميرا ليرى إن كان أيّ شخص يقف هناك -وجه ربّما- لكنّه لم يستطع رؤية شيء.

همست سيمونا: «يا لها من صورة غريبة!».

قال إريك: «ربّما أرسلت آيدا الصورة الخاطئة».

«ذلك يفسّر لماذا مسحها بنيامين».

«علينا أن نتحدّث مع آيدا بخصوص ذلك».

تأوّهت سيمونا فجأة قائلةً: «حُقنته!».

«أعرف...».

«هل حقنته يوم الثلاثاء؟».

سألت همسًا ووقفت قبل أن يتمكّن من الإجابة وذهبت إلى المطبخ فتبعها. تناولت منديلًا تمسح عينيها وأنفها. مدّ إريك يده إليها، ولكنّها ابتعدت. يعرف تمامًا أنّها قلقة بسبب الدواء الذي يساعد دم بنيامين على التخثّر، والذي يمنع النزيف التلقائيّ في دماغه، ويمنعه من النزف حتّى الموت من شيء بسيط كالحركة السريعة.

«أعطيته حقنته صباح الثلاثاء عند التاسعة وعشر دقائق. وكان يُفترض أن يذهب إلى التزلّج، لكنّه ذهب إلى 'تينستا' مع آيدا عوضًا عن ذلك».

أومأت وراحت تقوم بالحسابات ووجهها يرتعش، همست: «اليوم الأحد. وعليه أن يأخذ حقنة أخرى غدًا أو بعد غد».

قال إريك مطمئنًا: «لا يوجد خطر حقيقيّ من تأخّر بضعة أيّام».

نظر إلى وجهها المتعب، ملامحها الجميلة، نمَشها، بنطال الجينز المنخفض الخصر الذي يُظهر حافّة سروالها الداخلي الأصفر. تمنّى لو كان بإمكانه البقاء. رغب في البقاء معها، لكنّه يعرف أنّ الأمر مبكر جدًّا على ذلك، حتّى الاشتياق لذلك كان مبكرًا جدًّا.

غمغم: «سأذهب».

أومأت.

نظر أحدهما إلى الآخر.

«أعلميني حالما يتتبّع كينيت المكالمة».

سألت: «أين ستذهب؟».

«يجب أن أعمل».

«هل تنام في المكتب؟».

«نعم، هذا طبيعي».

«بإمكانك النوم هنا».

أخذته على حين غرّة تمامًا، ولم يعرف ماذا يقول. لكنّ تلك اللحظة الوجيزة من التردّد كانت كافية لتفسّرها كنوع من الممانعة.

قالت بسرعة: «لم أقصد ذلك بصفة دعوة. لا تفكّر في أيّ شيء آخر».

أجاب: «حسنًا».

«هل انتقلت للعيش مع دانييلا؟».

«لا».

قالت وهي ترفع صوتها: «لقد انفصلنا الآن. لذا لست مضطرًا أن تكذب عليّ».

«لماذا تسألين إذن؟».

مشى نحو الردهة وانتعل حذاءه ثمّ غادر الشقّة. انتظر حتّى سمعها تقفل الباب خلفه وتضع سلسلة الأمان قبل أن ينزل على الدرج.

60

صباح الاثنين، 14 ديسمبر

استيقظت سيمونا على رنين هاتفها. الستائر مفتوحة والغرفة مليئة بضوء الشتاء الكئيب. أوّل فكرة خطرت لها أنّ إريك هو من يتّصل. شعرت برغبة في البكاء، فهي تدرك أنّه لن يتّصل بها، وأنّه سيستيقظ قرب دانييلا هذا الصباح، وأنّها وحيدة تمامًا الآن.

إنها الساعة العاشرة. تناولت الهاتف عن الطاولة المجاورة للسرير.

أجابت: «نعم».

«سيمونا! أنا إيلڤا. حاولت الاتّصال بك طوال الأيّام الماضية».

بدت إيلڤا متوتّرة. فقالت سيمونا برقّة: «أمور كثيرة تشغلني».

«ألم يعثروا عليه؟».

«لا».

لم تقل أيّ منهما شيئًا. مرّت بعض الظلال خارج النافذة، ورأت سيمونا أنّ بعض الألوان تتساقط من السقف المقابل، حيث رجال بملابس برتقاليّة زاهية يقومون بتقشير الطلاء.

قالت إيلڤا: «آسفة. لن أزعجك».

«ماذا لدينا؟».

«سيأتي المحاسب ثانية في الغد».

رفعت سيمونا رأسها ورأت انعكاس صورتها على المرآة فوق الخزانة، كانت تبدو متعبة وهزيلة.

سألتها سيمونا: «ماذا بشأن شولمان؟ كيف تجري الأمور مع معرضه؟».

ردّت إيلڤا: «قال إنّ عليه التحدّث معك».

«سأتّصل به».

«هناك شيء بخصوص الإضاءة يرغب في عرضه عليك». ثمّ خفضت صوتها وتابعت: «انظري، لا فكرة لديّ عمّا يحصل بينك وبين إريك، ولكن...».

قالت سيمونا بوضوح: «نحن سننفصل».

«يتوجب عليّ أن أحذرك، أعتقد حقًّا أنّ...».

صمتت إيلفا.

سألت سيمونا وقد فرغ صبرها: «ما الذي تعتقدينه؟».

«أعتقد أنّ شولمان يحبّك».

نظرت سيمونا إلى المرآة ثانية، وشعرت بوخزة مفاجئة في معدتها، وقالت: «أعتقد أنّه يتعيّن عليّ القدوم».

«هل بإمكانك ذلك؟».

«عليّ أن أجري مكالمة أوّلًا».

أغلقت سيمونا الخطّ، وجلست على حافّة السرير لعدّة دقائق. إنّ بنيامين على قيد الحياة، ذلك هو الشيء الأهمّ. هو على قيد الحياة، بالرغم من مرور عدّة أيّام، تلك إشارة جيّدة جدًّا. إنّها تعني أنّ الشخص الذي أخذه لم يفعل بهدف قتله. له هذف آخر، فدية ربّما. أحصت بسرعة كلّ مدّخراتها. ما الذي تمتلكه حقًّا؟ الرهن على الشقّة، سيّارتها، بعض الأعمال الفنّيّة. وصالة العرض بالتأكيد. بإمكانها اقتراض النقود. سيكون كلّ شيء على ما يرام. هي ليست ثريّة، ولكن بإمكان والدها بيع المنزل الصيفيّ وشقّته. بإمكانهما الانتقال للعيش معًا في منزل مستأجر ربّما. سيكون كلّ شيء على ما يرام حالما تستعيد بنيامين، ويتسنّى لها رؤية ولدها ثانية.

اتّصلت سيمونا بوالدها ولكنّه لم يُجب. تركت له رسالة قصيرة تخبره فيها بأنّ عليها الذهاب إلى صالة العرض. استحمّت بسرعة، ونظّفت أسنانها، وارتدت ملابس جديدة، وغادرت الشقّة من دون أن تزعج نفسها بإطفاء الأضواء.

الجوّ بارد وعاصف. المناخ جنائزيّ، وعتمة الصباح الشتويّة جعلتها

تشعر بالخمول. حين اقتربت من صالة العرض، لمحت عيناها إيلڤا في الداخل عبر الباب الخارجي. هرعت إيلڤا نحوها واحتضنتها. لاحظت سيمونا أنّ إيلڤا لم تكن قد صبغت شعرها كما تفعل دائمًا، وأنّ جذور الشعر الرماديّة ظاهرة للعيان، لكنّ وجهها صافٍ ومتألّق، وشفتيها حمراوان قانيتان كالعادة. ارتدت طقمًا رماديًّا فوقَ جوربَيْن مخطّطيْن بالأبيض والأسود وحذاء بنّيًا ثقيلًا.

قالت سيمونا وهي تنظر حولها: «يبدو المكان جيّدًا». هناك مصباح أخضر يتألّق فوق مجموعة من لوحات شولمان الزيتيّة ذات اللون البحريّ الأخضر، تابعت: «لقد قمتِ بعمل عظيم».

«شكرًا»، همست إيلڤا.

ذهبت سيمونا إلى اللوحات: «لم أرها بهذه الطريقة من قبل. إنّها الطريقة التي كان يفترض أن تُعرض بها. رأيتها بشكل منفصل فقط». اقتربت خطوة أخرى: «يبدو الطلاء وكأنّه يسيل من جانبيها».

ذهبت إلى الغرفة المجاورة، حيث تستقرّ لوحات شولمان على عوارض خشبيّة.

قالت إيلڤا: «يريد مصابيح زيتيّة هنا. أخبرته أنّ الأمر مستحيل، فالناس يريدون رؤية ما يشترونه».

«لا. ليسوا كذلك».

ضحكت إيلڤا: «إذن بإمكان شولمان الحصول على ما يريده؟».

أجابت سيمونا: «نعم. بإمكانه الحصول على ما يريده».

«بإمكانك إخباره بنفسك».

سألت سيمونا: «ماذا؟».

«إنّه في المكتب».

«شولمان؟».

«قال إنّه يريد القيام ببعض المكالمات».

حدّقت سيمونا إلى المكتب بينما تنحنحت إيلڤا: «سأذهب لإحضار شطيرة للغداء».

«الآن؟».

«لقد فكّرت...». خفضت إيلڤا بصرها.

«اذهبي إذن»، قالت سيمونا.

كانت قلقة جدًّا وحزينة. حتّى أنّها اضطرّت إلى التوقّف كي تمسح الدموع التي أخذت تتساقط على وجنتيها قبل أن تطرق على باب المكتب وتدخل. جلس شولمان خلف الطاولة واضعًا قلم رصاص في فمه.

«كيف حالك؟»، سأل.

«لست بخير».

«توقّعتُ ذلك».

وقفا صامتَين، خفضت بصرها، شعرت فجأة بأنّها هشّة حتّى النخاع. انفرجت شفتاها وقالت: «بنيامين على قيد الحياة، لكن لا نعرف أين هو أو من أخذه، ولكنّه حيّ».

«تلك أخبار رائعة»، قال شولمان بصوت منخفض.

«اللعنة»، همست، ثمّ استدارت لتمسح الدموع عن وجهها بيديها المرتعشتين.

لمس شولمان شعرها برقّة. تراجعت من دون أن تعرف لماذا. فقد رغبت في أن يستمرّ بفعل ذلك. أبعد يديه. نظر أحدهما إلى الآخر. كان يرتدي زيّه الأسود، وقبّعة كنزته تبرز من ياقة سترته.

«لقد ارتديت زيّك الخاصّ بالنينجا اليوم»، قالت وهي تبتسم رغمًا عنها.

صحّح لها: «بل تشينوبي[1]. لكلمة نينجا معنيان، الأوّل هو الشخص المختبئ، والثاني صفة من يصمد طويلًا».

«يصمد؟».

«ذلك قد يكون التحدّي الأكثر صعوبة».

---

(1) النينجا الذكر.

«لا يمكن أن تفعله وحدك، حسنًا أنا لا أستطيع ذلك».
«لن يستطيع أحد الصمود وحده».
همست: «لن أتمكّن من فعل ذلك. أشعر بأنّني أتهاوى. عليّ التوقّف عن إعادة التفكير بالأمر في رأسي. لكنّ ذهني لا يملك مكانًا آخر يذهب إليه. أنا أواصل التفكير في أنّي أريد حصول شيء ما، بإمكاني أن أضرب نفسي على رأسي، أو أن أرحل معك كي أترك ذلك الإحساس بالذعر الذي...».
توقّفت عن الكلام فجأة. فسألها مبتسمًا:
«إذن ماذا ستختارين، تأتين معي أم تضربين نفسك على رأسك؟».
«لا هذا ولا ذاك»، أجابت بسرعة. ثمّ انتبهت لكلامها وحاولت أن تكون أكثر لطفًا: «لم أقصد الأمر بهذا الشكل. سوف يسعدني أن...».
توقّفت ثانية وشعرت بأنّ قلبها ينبض بسرعة في صدرها.
سألها: «يسعدك ماذا؟»
نظرت إلى عينيه.
«أنا لست على طبيعتي الآن. لذلك أتصرّف بهذه الطريقة. ببساطة أشعر بالغباء».
تضرّجت وجنتاها بالخجل ونظرت إلى الأسفل.
«سيمونا»، قال، ثمّ تقدّم نحوها.
شعرت ساقاها بالوهن، كانت ركبتاها ترتعشان، صوته الحنون، دفء جسده، رائحة بشرته، رائحة النوم والأغطية والأعشاب، شعرت بأنّها نسيت تمامًا روعة أن تكون مع شخص يهتمّ بها ويحبّها. نظر شولمان إليها مع ابتسامة في عينيه. لم تعد تفكّر في الهروب من صالة العرض. تعرف أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي تهرب بها من الألم ولو لفترة قصيرة، وليكن ما يكون، قالت لنفسها.
قالت بانقباض: «قد يأتي أحد ما».

61

صباح الاثنين، 14 ديسمبر

همس لها: «لنذهب إلى منزلي».

أومأت موافقة. مسح فمه ثمّ خرج من المكتب. انتظرت لبرهة وهي تتكئ على الطاولة وجسدها بأكمله يرتعش. رتّبت ملابسها، وحين خرجت إلى صالة العرض كان شولمان واقفًا عند الباب.

قالت إيلڤا: «أتمنّى لكما غداءً ممتعًا».

حين كانا يجلسان بصمت في سيّارة الأجرة التي تأخذهما إلى «ماريّا آلي» ندمت سيمونا على قرارها. فكّرَت: «سوف أتّصل بأبي، ثمّ سأقول له إنّي مضطرة للذهاب». كانت فكرة الشيء الذي توشك على فعله تجعلها تشعر بالغثيان والذنب والذعر والإثارة.

صعدا الدرج الضيّق إلى الطابق الخامس. بينما هو يفتح الباب، راحت تبحث عن هاتفها في حقيبتها.

قالت: «أريد الاتّصال بأبي».

لم يجعلّق شولمان. تجاوز الرواق ببساطة بينما هي واقفة هناك مرتدية معطفها تنظر إلى مدخل الشقّة المعتم البنّيّ اللون. كانت الجدران مغطّاة بالصور وعند السقف رفّ مليء بالطيور المحنّطة. عاد شولمان قبل أن يتوفّر لها الوقت للاتّصال بكينيت.

همس: «سيمونا. ألا تريدين الدخول؟».

هزّت رأسها نافية.

«ادخلي لفترة قصيرة فقط».

«حسنًا».

لم تخلع معطفها، وذهبت معه إلى غرفة المعيشة.

«نحن راشدان»، قال وهو يتناول كأسين من الشراب. اقترحا نخبًا، ثمّ ابتلعا الشراب القويّ.

قالت بهدوء: «هذا جيّد».

كان أحد الجدران مكوّنًا من النوافذ. مشت نحوه، ونظرت إلى الأسطح النحاسيّة لمنطقة «سوديرمالم». امتدّ أمام بصرها المنظر الخلفيّ لإحدى لافتات النيون المطفأة. كان يشابه أنبوب معجون الأسنان.

تقدّم شولمان نحوها من الخلف وأحاطها بذراعيه.

همس: «ألم تدركي بأنّي مجنون بك؟ كنت كذلك منذ البداية».

«سيم، أنا لا أعرف، أنا لا أعرف ما الذي أفعله»، قالت سيمونا بفظاظة.

«هل عليك معرفة ذلك؟»، سألها شولمان مبتسمًا وهو يقودها نحو غرفة النوم.

ذهبت معه وكأنها لطالما علمت بأنّها ستفعل ذلك. لقد عرفت بأنّها ستفعلها. الشيء الوحيد الذي يوقفها هو رفضها أن تكون مثل والدتها ومثل إريك. لطالما فكّرت بأنّها لن تخون، وبأنّ لديها حاجزًا ذاتيًّا يمنعها من فعل ذلك، ولكنّ هذا الأمر ليس بخصوص الخيانة.

62

بعد ظهيرة الاثنين، 14 ديسمبر

اليوم بارد كالجليد، والسماء صافية وزرقاء. الأشخاص يقتربون من بعضهم البعض حين يتجوّلون في الخارج. الأطفال المتعبون يشقّون طريقهم إلى المنزل عائدين من المدرسة. توقّف كينيت في مطعم «7-إلِفِن» عند الزاوية، الذي يقدّم عرضًا مميّزًا على القهوة وكعكات المافن بسبب الأعياد. دلف داخلًا وانضمّ إلى الطابور حين رنّ هاتفه. كانت سيمونا.

«هل كنتِ في الخارج يا سيمونا؟».

«تعيّن عليّ الذهاب إلى صالة العرض، ثمّ كان لديّ شيء...».

توقّفت فجأة. وأكملت بعد لحظات: «قرأت رسالتك للتوّ يا أبي».

«هل استيقظتِ لتوّك؟ تبدين...».

«نعم، أخذت قيلولة سريعة».

«حسنًا»، قال كينيت.

نظر إلى البائعة وأشار إلى طلبه.

سألت سيمونا: «هل تمكّنوا من تتبّع مكالمة بنيامين؟».

«لم أسمع منهم شيئًا بعد. ربّما في هذا المساء كما قالوا. أعتقد أنّ عليّ الاتّصال بهم الآن».

طلبت البائعة من كينيت أن يختار النوع الذي يرغب فيه من المافن، فأشار نحو واحدة مقدّرًا أنّها الأكبر حجمًا.

وضعتها في كيس وأخذت ورقة العشرين كرونة المجعّدة منه. أشارت له نحو ماكينة القهوة والأكواب. أومأ ثمّ سحب كوبًا ورقيًّا من المجموعة، بينما كان يتحدّث إلى سيمونا.

قالت: «إذن، فقد تحدّثتَ مع نيكي أمس».

«انّه فتى رائع».

ضغط كينيت على زرّ القهوة السوداء.

«هل عرفت أيّ شيء بشأن ويلورد؟».

«نوعًا ما».

«مثل ماذا؟».

قال كينيت: «انتظري للحظة».

أخرج الكوب من الماكينة. كان البخار يتصاعد منه ووضع غطاءً عليه، ثمّ حمل قهوته والكيس الذي يحتوي على المافن وجلس إلى واحدة من الطاولات الصغيرة المستديرة. وقال: «هل ما زلت هناك؟».

«نعم».

«أعتقد أنّ بعض الصبية يسمّون أنفسهم بأسماء شخصيّات بوكيمونيّة، ويخدعون نيكي للحصول على نقوده».

راقب كينيت رجلًا ذا شعر أشعث يدفع عربة أطفال حديثة الطراز، تجلس فيها طفلة ممتلئة ترتدي ملابس زهريّة، وتمصّ مصّاصة مع ابتسامة متعبة على وجهها.

«هل للأمر أيّ علاقة ببنيامين؟».

قال كينيت: «أولاد البوكيمون؟ لا أعرف، ربّما حاول إيقافهم».

قالت سيمونا بحزم: «نحتاج إلى التحدّث مع آيدا».

«ربّما بإمكانكِ الذهاب ورؤيتها بعد المدرسة».

«ما الذي ستفعله أنت؟».

قال كينيت: «لديّ عنوان».

«أي عنوان؟».

«البحر».

«البحر؟»، سألت سيمونا.

«ذلك كلّ ما أعرفه».

زمّ شفتيه وتناول رشفة من القهوة. اقتطع جزءًا من المافن ثمّ وضعه في فمه.

«أين ذلك البحر؟».

قال كينيت وهو يمضغ: «بالقرب من ’فريهامنَن‘. ذلك الميناء عند ’لودين‘، سأذهب إلى هناك، إذا وجدت شيئًا سوف أتّصل بك».

التقط كوبه وما تبقّى من المافن وغادر المتجر. مرّ قربه بعض طلبة مدارس، يمسك واحدهم بيد الآخر، ثمّ مرّ أحد الدرّاجين بين السيّارات. وقف كينيت عند معبر المشاة وضغط على الزرّ. شعر كأنّه نسي شيئًا، أو أنّه رأى أمرًا مهمًّا ثمّ فوّته.

تحركت السيّارات بسرعة وسُمع صوت صافرة من بعيد. رشف قهوته ونظر إلى امرأة كانت تقف على الجانب الآخر من الطريق وتمسك بكلب من رسنه. مرّت شاحنة من اليمين أمام كينيت جاعلة الأرض تهتزّ تحته. سمع صوت قهقهة وفكّر في أنّها تبدو مزيّفة. عندئذٍ دفعه أحدهم بقوّة على ظهره. تقدّم لعدّة خطوات وسط الشارع كي لا يفقد اتّزانه، ثمّ استدار ليرى طفلة في العاشرة من العمر تنظر إليه بعينين واسعتين. لا بدّ من أنّها دفعتني، فكّر، لأنّه لم يكن أحد آخر هناك. في تلك اللحظة، سمع صوت صرير مكابح، ثمّ قوّة لا يمكن وصفها ترتطم بجسده، تهاوت ساقاه تحته، تصدّعت رقبته وارتخى جسده، وغاص في ظلمة مفاجئة.

63

بعد ظهيرة الاثنين، 14 ديسمبر

جلس إريك خلف مكتبه، وقد تسلّل ضوء شاحب عبر النوافذ المطلّة على باحة المستشفى الداخليّة الفارغة. هناك صحن بلاستيكيّ يحتوي على بقايا سلَطة وقنّينة كولا بسعة ليترين إلى جوار المصباح المكتبيّ الزهريّ.

حدّق إلى الصورة المطبوعة التي أرسلتها آيدا إلى بنيامين. ضوء الكاميرا أنار بشكل جيّد مساحة وسط العتمة التي تجسّدها الأحراش البرّيّة والشجيرات والجزء الخلفيّ من السياج. رغم أنّه حدّق عن قرب شديد، فقد كان من المستحيل معرفة ما تعنيه تلك الصورة. قرّبها من وجهه وحاول معرفة إن كان هناك أيّ شيء داخل السلّة البلاستيكيّة.

فكّر إريك في الاتّصال بسيمونا وسؤالها أن تقرأ له البريد الإلكتروني ذاك، كي يعرف تحديدًا ما الذي كتبته آيدا لبنيامين وكيف ردّ بنيامين. لكنّه لم يكن يتوقّع أن تتحدّث سيمونا إليه، ولم يعرف لماذا كان باردًا جدًّا نحوها.

سمع صوت بنيامين في رأسه ثانية حين اتّصل به من صندوق السيّارة، وهو يحاول أن يكون شجاعًا ولا يبدو خائفًا. تناول إريك حبّة «كودايين» زهريّة من العلبة الخشبيّة ثمّ ابتلعها مع بعض القهوة الباردة. أخذت يده ترتعش بشكل سيّئ، حتّى أنّه واجه مشكلة في إعادة الكوب على الصحن.

قال في نفسه: «لا بدّ من أنّ بنيامين كان مذعورًا للغاية. وهو محتجزٌ داخل سيّارة وسط العتمة. لقد رغب في أن يسمع صوتي، لم يعرف من الذي أخذه أو إلى أين يتمّ اقتياده».

كم سيستلزم الأمر من كينيت كي يتبع المكالمة؟ رغم أنّ إريك لم يستطع منع نفسه من الشعور بالانزعاج لأنّه سلّم القضيّة إلى كينيت، فقد ذكّر نفسه بأنه لو تمكّن حماه من العثور على بنيامين فلا يهمّ أيّ شيء آخر.

تناول إريك هاتفه. فكّر في الاتّصال بالشرطة والطلب منهم أن يسرعوا. يحتاج إلى معرفة إن كانوا قد حقّقوا أيّ تقدّم. حين اتّصل وأوضح ما يريده تمّ تحويله إلى الرقم الخاطئ، وكان عليه أن يتّصل ثانية. أمِل أن يتحدّث إلى جونا، ولكن تمّ تحويله إلى ضابط شرطة اسمه فريدريك ستينسوند، أكّد له أنّه المسؤول عن التحرّيات الخاصّة باختفاء بنيامين بارك. حاول المفوّض أن يكون متفهّمًا جدًّا، وقال إنّ لديه أطفالًا مراهقين أيضًا: «أنت تقضي الليل بطوله قلقًا حين يكونون خارجًا، أنا أعني... تعرف أنّ عليك تركهم، ولكن...».

قال إريك بدقّة: «بنيامين ليس في الخارج يحظى بالمرح».

«لقد استلمنا معلومات بخصوص...».

قاطعه إريك: «لقد تمّ اختطافه».

«أنا أتفهّم كيف تشعر ولكن...».

«ولكنّ اختفاء بنيامين ليس مهمًّا لديك»، قال إريك وهو ينهي الجملة بدلًا عنه.

صمت الخطّ لبرهة. أخذ مفوّض الشرطة نفَسًا عميقًا قبل أن يواصل: «أنا آخذ ما تقوله بصورة جادّة جدًّا، وأعدك بأنّنا سنفعل كلّ ما في وسعنا».

قال إريك: «فقط تتبّع تلك المكالمة».

قال ستينسوند بصوت حازم: «نحن نعمل على ذلك».

«أرجوك»، توسّل إريك باستكانة.

ظلّ ممسكًا بالهاتف في يده. يُفترض أن يعرفوا مكان اتّصال بنيامين، فكّر، نحن بحاجة إلى موقع، دائرة على خريطة، اتّجاه ما، إنّه الدليل

الوحيد الذي نمتلكه، والشيء الوحيد الذي تمكّن بنيامين من تذكّره هو أنّه سمع صوتًا ما، غمغمة مكتومة. اعتقد إريك بأنّه قال... لكنّه لم يكن واثقًا من أنّه يتذكّره بشكل صحيح. هل قال بنيامين إنّه سمع صوتًا مكتومًا؟ ربّما كانت محض همهمة، شيئًا بدا أشبه بالصوت ولكن من دون كلمات أو معنى محدّد. نظر إريك إلى الصورة وسأل نفسه إن كان شيء ما يختبئ في الحشائش الطويلة، لكنّه لم يستطع رؤية شيء. حين استند إلى الخلف وأغلق عينيه جالت الصورة ببطء في خياله: حاجز الشجيرات والسياج البنّيّ يلتمعان تحت وميض الكاميرا، الحقول الخضراء المصفرّة وهي تبدو زرقاء معتمة وتنحدر ببطء، بقايا غروب الشمس. فكّر إريك، ثمّ تذكّر أنّ بنيامين قال شيئًا بخصوص منزل، منزل مسكون.

فتح عينيه ونهض واقفًا. قال الصوت المكتوم شيئًا بخصوص منزل مسكون. لم يعرف إريك كيف نسي ما قاله بنيامين حين توقّفت السيّارة.

حين التقط معطفه، حاول أن يتذكّر أين شاهد مبنى يشبه منزلًا مسكونًا. ليس هناك الكثير من تلك المنازل. تذكّر واحدًا رآه في مكان ما إلى الشمال من ستوكهولم، في مكان بالقرب من «روسيشباي». قبل الوصول إلى السفينة الحجريّة، إلى اليسار، ليس ببعيد عن الماء، هناك نصب تذكاريّ لقلعة خشبيّة مع أبراج.

حاول إريك أن يعود بتفكيره إلى وقت كان هناك، وتذكّر أنّ بنيامين كان معه في السيّارة ومع سيمونا، كانوا ذاهبين لرؤية السفينة الحجريّة، أحد أكبر قبور الڤايكنغ في السويد. كان عليهم أن يقفوا وسط دائرة محاطة بصخور كبيرة رماديّة تقع وسط حقل من العشب الأخضر. كان الجوّ دافئًا جدًّا في أواخر الصيف. تذكّر إريك الهواء الساكن والفراشات التي تطير في موقف السيّارات حين عادوا إلى السيّارة الحارّة.

حين استقلّ المصعد ذاهبًا إلى المرآب، تذكّر كيف أنّه توقّف عند حافّة الطريق بعد بضعة كيلومترات، وهو يشير نحو منزل قديم ويسأل بنيامين مازحًا إن كان يرغب في العيش هناك.

«أين؟».

«في المنزل المسكون»، قال. لكنّه لا يتذكّر بمَ أجابه بنيامين.

الشمس تغرب الآن، والضوء الخافت يتألّق على الثلج المتجمّع في موقف سيّارات الزوّار. صوت الحصى تحت عجلات سيّارته حين قادها إلى المخرج الرئيسيّ.

عرف إريك أنّه من المستبعد جدًّا أن يكون بنيامين في ذلك المنزل المسكون تحديدًا، لكنّه ليس أمرًا مستحيلًا. حين اتّجه شمالًا نحو الطريق 4، أخذ الضوء المتناقص يجعل العالم مشوّشًا وضبابيًّا. وكلّ شيء يتحوّل إلى اللون الأزرق، فأدرك بأنّ الغسق قد حلّ.

بعد نصف ساعة اقترب من المنزل القديم. حاول الاتّصال بكينيت أربع مرّات كي يرى إن كان قد تتبّع مكالمة بنيامين، لكنّ كينيت لم يجبه ولم يترك له إريك أيّة رسائل.

احتفظت السماء فوق البحيرة الواسعة بتوهّج خافت، لكنّ الغابة كانت مظلمة تمامًا. قاد ببطء عبر الطريق الضيّق خلال القرية الصغيرة المبنيّة حول الماء. انزلقت أضواء السيّارة على بعض الفلل المشيّدة حديثًا، منازل ذات طراز عصريّ، أكواخ صيفيّة صغيرة. انعكس الضوء على بعض النوافذ وأنار المعبر، حيث ترك أحدهم درّاجة طفل. أبطأ قليلًا ورأى المنزل المسكون من بعيد فوق حاجز الشجيرات. قاد إريك بالقرب من بعض المنازل الأخرى ثمّ توقّف عند حافّة الطريق. خرج من السيّارة وعاد أدراجه إلى الوراء. فتح بابًا يؤدّي إلى فيلّا من الطابوق الداكن. عبَر الحقل ومشى حول المنزل، كان هناك سلك كهربائي يتأرجح ضاربًا سارية علم بشكل منتظم. تسلّق إريك السياج إلى الفناء المجاور، وأسرع إلى جوار حوض سباحة مغطّى بسبب الشتاء. بدت النوافذ سوداء، وكان الفناء مغطّى بالأوراق الداكنة. أسرع إريك حين أدرك أنّ المنزل القديم كان على الجانب الآخر من الحاجز المشجّر وشقّ طريقه خلاله.

فكّر في إنّ المنزل منعزل أكثر من بقيّة المنازل.

مرّت خلفه سيّارة على الطريق. أضاءت مصابيحها الأشجار، ووجد إريك نفسه يفكّر في الصورة الخاصّة بآيدا مرّة أخرى، العشب الأصفر والأحراش.

حين اقترب من المنزل الخشبيّ الكبير، شاهد ما يشبه لهيبًا أزرق يتوهّج في إحدى الغرف.

64

ليل الإثنين، 14 ديسمبر

للمنزل نوافذ طويلة لها سقائف مزخرفة من الرصاص. وبرج سداسيّ الشكل على أحد جوانبه، ونافذتان بارزتان بأسطحٍ مدبّبة على الجانب الآخر، ما جعله يبدو أشبه بقلعة خشبيّة مصغّرة.

حين اقترب إريك من الشبّاك، أدرك أنّ الضوء الأزرق الذي كان يومض على جدران الغرفة كان يأتي من التلفاز. هناك رجل بدين يرتدي ملابس رياضيّة يجلس على الأريكة ويشاهد التزلّج الراقص. كانت الكاميرا تتبع دوران المتزلّجين وتحليقهم والأقواس التي يقومون برسمها. عدّل الرجل من وضعيّة نظّارته واستند إلى الخلف. بدا أنّه وحيد. هناك كوب واحد على الطاولة. حاول إريك أن ينظر إلى الغرفة المجاورة. سمع صوت حفيف شيء ما خلف الزجاج. حدّق إلى غرفة النوم التي كانت تحتوي على سرير غير مرتّب وباب مغلق. مناديل ورقيّة مجعّدة وقدح من الماء على الطاولة المجاورة للسرير، وخارطة لأستراليا معلّقة على الجدار. تحرّك إريك بمحاذاة الجدار حتّى النافذة الأخرى. الستائر مسدلة. لم يستطع الرؤية عبرها إطلاقًا، لكنّه تمكّن من سماع ذلك الحفيف الغريب ثانية مع صوت طقطقة ما.

التفّ حول البرج السداسيّ ووجد نفسه ينظر إلى غرفة الطعام. طاولة داكنة وكراس على أرضيّة ملمّعة خشبيّة صقيلة. شيء ما أوحى لإريك بأنّها نادرة الاستخدام. هناك شيء أسود على الأرض قرب الخزانة ذات الواجهة الزجاجيّة. علبة غيتار. سمع صوت الحفيف ثانية. اقترب من النافذة وهو يحاول منع انعكاس صورة السماء الرماديّة عليها بيديه، فرأى كلبًا كبيرًا يركض نحوه. ارتطم بالنافذة ثمّ وقف على قائمتيه

الخلفيّتين وأخذ ينبح. تراجع إريك إلى الخلف. تعثّر بأحد أواني الزهور ثمّ ركض حول المنزل. توقّف وانتظر بينما قلبه ينبض بشدّة.

توقّف نباح الكلب. بعد برهة أضيئت المصابيح الخارجيّة ثمّ أطفئت ثانية.

لم يفهم إريك ما الذي يفعله هنا. شعر بوحدة رهيبة. أدرك أنّ عليه العودة إلى المستشفى، فذهب نحو واجهة المنزل ثمّ نحو الممشى.

حين انعطف عند الزاوية، رأى شخصًا عند المدخل. عند أعلى الدرج وقف الرجل البدين وهو يرتدي معطفه. بدا عليه القلق حين لمح إريك، ربّما كان يتوقّع بعض الأطفال العابثين أو وعلًا.

قال إريك: «مرحبًا».

صرخ الرجل بصوت أجشّ: «هذه ملكيّة خاصّة».

شرع الكلب بالنباح من خلف الباب المغلق. حين اقترب إريك شاهد سيّارة صفراء رياضيّة ذات مقعدين فقط. كان صندوقها صغيرًا جدًّا. أصغر من أن تتّسع لشخص داخلها.

سأل إريك: «هل هذه البورش لك؟».

«نعم إنّها لي».

«هل عندك سيّارات أخرى؟».

«لمَ ترغب في معرفة ذلك؟».

«إنّ ابني مختطَف»، أجاب إريك بجدّيّة.

قال الرجل: «ليست لديّ سيّارات أخرى. هل هذا يكفي؟»

كتب إريك أرقام لوحة تسجيلها.

«هل ستذهب الآن؟».

«نعم». قال إريك وهو يتّجه إلى البوّابة.

وقف في الظلمة على الطريق ينظر إلى المنزل القديم. حين عاد إلى سيّارته أخرج العلبة الخشبيّة الصغيرة. التقط بعض الأقراص بيده. أحصاها بإبهامه ثمّ وضعها في فمه.

قرر أن يتّصل بسيمونا. ربّما هي في منزل كينيت. تخيّل إريك الشقّة في شارع «لونتماكر» في العتمة، الردهة مع معاطفها، البريد الملقى عند ممسحة الأرجل، كدس الصحف، الإعلانات، الكراريس المغلّفة بالبلاستيك، وحين سمع صوت صافرة لم يزعج نفسه بترك رسالة. أنهى المكالمة فقط، وقاد عائدًا إلى ستوكهولم.

لم يستطع التفكير في أيّ شخص ليتّصل به. أدرك مدى سخرية ذلك. رغم أنّه قضى عدّة أعوام وهو يبحث في ديناميكيّة المجموعة وقوّة العلاج النفسيّ الجماعيّ، هو الآن منعزل ووحيد. حاول أن يفهم كيف يواجه الأشخاص الذين تعرّضوا للحرب معًا سهولة في معالجة الصدمة التي مرّوا بها، أكثر من أولئك الذين مرّوا بالصدمة نفسها منفردين.

سأل نفسه: ما هذا؟ ما تلك التجربة المشتركة التي تساعدنا على الشفاء؟ حين وصل إلى الطريق السريع اتّصل بمكتب جونا. استسلم بعد خمس رنّات وحاول الاتّصال بهاتفه الخلويّ عوضًا عن ذلك.

قال جونا من دون مبالاة: «نعم هنا جونا».

«مرحبا، هنا إريك، هل وجدت جوزيف إيك؟».

قال جونا متنهّدًا: «لا».

«يبدو من الصعب جدًّا معرفة مكانه».

«لقد قلتها من قبل وسأستمرّ بقولها، إريك عليك أن تقبل بحماية الشرطة».

«لديّ أولويّات أخرى».

«أعرف».

صمت إريك. فأكمل جونا: «ألم يتّصل بك بنيامين ثانية؟». جعلت لكنته الفنلنديّة السؤال يبدو أكثر بؤسًا.

«لا».

تمكّن إريك من سماع صوت في الخلفيّة، ربّما من التلفاز. وقال: «إنّ كينيت يحاول تعقّب المكالمة ولكن...».

ردّ جونا: «لقد سمعت عن ذلك ولكنّه يستغرق وقتًا. عليك أن ترسل

شخصًا متخصّصًا كي يتابع التحويلات الخاصّة بالمحطّة المركزيّة لتلك الاتصالات تحديدًا».

«ولكن عندئذ بإمكانهم معرفة مع أيّ محطّة مركزيّة نتعامل على الأقلّ».

قال جونا: «اعتقد أنّ بإمكان عامل الهاتف أن يكتشف ذلك مباشرة».

«ماذا؟ بإمكانهم معرفة المحطّة المركزيّة؟».

لم يتحدّث أيّ منهما لعدّة ثوانٍ، ثمّ سمع إريك صوت جونا المعتدل: «لماذا لا تتحدّث إلى كينيت؟».

«لا أستطيع الاتّصال به».

تنهّد جونا: «سوف أبحث في هذا الأمر، ولكن لا تعقد على ذلك آمالًا واسعة».

«ما الذي تقصده؟».

«نحن نتحدّث ربّما عن محطّة مركزيّة في ستوكهولم. ذلك لن يخبرنا أيّ شيء حتّى يقوم العامل المتخصّص بتضييق دائرة البحث».

كتم إريك أنفاسه للحظة. يعرف أنّ على جونا التركيز على العثور على جوزيف إيك، وأنّ قضيّة بنيامين ليس لها أولويّة كبرى للشرطة. مجرّد فتى مراهق يختفي من منزله. أمر بعيد كلّ البعد عن عمل وحدة الجريمة الوطنيّة. لكنّه ما زال يشعر بأنّ عليه أن يسأل. لا يمكنه أن يترك الأمر.

قال إريك: «جونا، أريدك أن تتولّى التحقيقات الخاصّة باختفاء بنيامين. هل بإمكانك فعل ذلك؟».

كانت لهجته متوسّلة. آلمته عضلات فكّه. إذ كان يضغط عليها بقوّة.

بقي جونا صامتًا. فأكمل إريك: «كلانا يعرف أنّ هذه ليست حالة اختفاء شخص اعتياديّة. المختطف حقنَ سيمونا وبنيامين بعقار مخدِّر. أعرف أنّ مهمتك البحث عن جوزيف إيك، وأفهم أن لا علاقة لبنيامين بجوزيف، ولكنّ شيئًا أسوأ قد يحصل».

توقّف عن الكلام وهو أكثر انزعاجًا من أن يكمل.

أرغم نفسه على القول: «لقد أخبرتك بخصوص مرض بنيامين. خلال يومين فقط سوف يتوقّف دمه عن التخثّر، وخلال فترة أسبوع سوف تكون أوعيته الدمويّة معرّضة لضغط كبير. وقد ينتهي به الأمر مشلولًا أو مصابًا بسكتة دماغيّة، أو يعاني من نزف في رئتيه حين يسعل».

قال جونا: «يجب أن يعثروا عليه».

«هل بإمكانك مساعدتي؟».

شعر إريك أنه بلا حول ولا قوّة، وكان رجاؤه معلّقًا في الهواء. إنّه لا يهتمّ. سوف يركع على ركبتيه ويتوسّل لو كان ذلك سينفع.

قال جونا: «لا يمكنني أن أستلم التحقيق من شرطة ستوكهولم».

«اسم الضابط هو فريدريك ستينسوند، يبدو جيّدًا، لكنّه لا يريد مغادرة مكتبه الدافئ الجميل».

«أنا واثق من أنّهم يعرفون ما يفعلونه».

قال إريك بهدوء: «لا تكذب عليّ».

«لا أعتقد أنّي سأتمكّن من أخذ القضيّة. لا يمكنني فعل أيّ شيء بخصوص ذلك، ولكنّي سوف أحاول مساعدتك. عليك أن تهدأ وتفكّر من الذي أخذ بنيامين. قد يكون مجرّد شخص رأى وجهك في الصحيفة، وقد يكون شخصًا مرتبطًا بك. إن لم يكن هناك مشتبه به، إذن ليست هناك قضيّة. لا شيء. عليك أن تفكّر بحذر شديد. راجع كلّ حياتك، كلّ من تعرفه، كلّ من تعرفه سيمونا، كلّ من يعرفه بنيامين، فكّر في جيرانك، أقربائك، زملائك، مرضاك، منافسيك، أصدقائك، هل هناك أيّ شخص هدّدك ذات يوم أو هدّد بنيامين؟ حاول أن تتذكّر، قد يكون ذلك عملًا عرَضيًّا، أو قد يكون نتيجة أعوام من التخطيط. فكّر بهدوء وكن حذِرًا جدًّا يا إريك ثمّ اخبرني بما توصلت إليه».

65

ليل الإثنين، 14 ديسمبر

كان الجوّ مظلمًا وباردًا في المكتب حين دخل إريك وخلع حذاءه. استطاع شمّ الرائحة العفنة المنبعثة من معطفه حين علّقه. كان يرتجف وهو يغلي بعض الماء على الصفيحة الساخنة كي يعدّ كوبًا من الشاي، تناول قرصين لتسكين الألم وجلس إلى طاولته. كان مصباح المكتب هو المصدر الوحيد للضوء في الغرفة. نظر إلى العتمة السوداء الدامسة خلال النافذة، تمكّن من رؤية نفسه كخيال فقط قرب انعكاس المصباح. سأل نفسه: «من الذي يكرهني؟ من الذي يغار مني؟ من الذي يرغب في معاقبتي؟ من الذي يريد أن ينتزع كلّ شيء منّي، حياتي والذين أحبّهم؟ من الذي يريد تحطيمي؟». وقف وأضاء مصابيح السقف. سار بخطوات سريعة للأمام والخلف، ثمّ توقّف ليلتقط سمّاعة الهاتف فقلب كوبًا من الماء على المنضدة. انتشرت البركة الصغيرة ببطء نحو «مجلّة الأطبّاء». من دون أن يفكّر في ذلك اتّصل بسيمونا، وترك لها رسالة قصيرة يقول فيها إنّه يرغب في النظر إلى حاسوب بنيامين ثانية.

«آسف»، قال بهدوء. وأقفل الهاتف ثمّ أعاد السمّاعة.

هدر المصعد في الردهة خارجًا. سمع الأبواب وهي تصفق وتفتح، ثمّ صوت صرير لشخص ما يدفع سرير المستشفى مارًّا بباب غرفته.

بدأ تأثير خليط الأقراص. شعر بالخدر يتصاعد في جسده.

قال لنفسه: «حسنًا تعال إلى هنا الآن. أحد ما قد أخذ بنيامين، شخصٌ يقصدني أنا». وهمس: «سوف أعثر عليك».

نظر إريك إلى الأوراق المبلّلة لـ«مجلّة الأطبّاء». في إحدى الصور تظهر رئيسة «كارولينسكا» وهي تنحني على مكتبها. جعل الماء وجهها

داكنًا ومشوَّشًا. حين حاول إريك رفع المجلّة أدرك أنّها التصقت بالطاولة. تمزّق نصف الإعلان الخلفيّ الخاصّ بـ«مؤتمر الصحّة العالميّ». جلس على كرسيّه وشرع في إزالة الإعلان بأظفره، لكنّه توقّف فجأة، ونظر إلى مجموعة الحروف العشوائية إ ي ڤ ا.

راحت موجة من الذكريات تتشكّل في ذهنه، ثمّ تتجمّع بشكل صورة واضحة لامرأة. لقد رفضت أن تعيد ما سرقته. كان يعرف أنّ اسمها هو إيڤا. تذكّرها بفمها المزموم ورغوة الفقاعات التي تتجمّع على شفتيها الرفيعتين، بينما تصرخ عليه: «أنت الشخص الذي يأخذ كلّ شيء، أنت تأخذ وتأخذ وتأخذ، كيف ستشعر لو بدأت بأخذ الأشياء منك، كيف سيبدو ذلك برأيك؟». أخفت وجهها بين يديها، وأخبرته أنّها تكرهه. أعادت ذلك مرارًا وتكرارًا. ربّما لمئات المرّات قبل أن تهدأ. كانت وجنتاها شاحبتين وعيناها محمرّتَين، تنظر نحوه وهي منهكة، لقد تذكّرها. أدرك أنّه يتذكّرها بشكل جيّد جدًّا. لا يصدّق أنّه نسيها كلّ هذه الفترة الطويلة.

إيڤا بلاو. يعلم أنّه ارتكب غلطة حين قبِل بها كمريضة له منذ البداية.

كان ذلك قبل عدّة أعوام. إيڤا بلاو. اندفع الاسم نحوه من حياة أخرى. قبل أن يتوقّف عن ممارسة التنويم المغناطيسيّ، قبل أن يعد بألّا ينوّم أيّ شخص آخر مغناطيسيًّا.

كان يؤمن بتلك الطريقة كنوع من العلاج بشغف كبير، ويرى أنّه إذا تمّ تنويم المرضى مغناطيسيًّا أمام شخص آخر فإنّ المحظورات التي قد تسبب لهم الألم والشعور بالانتهاكٍ ستصير أقلّ خصوصيّة، ويتمكّنون من مشاركة الشعور بالذنب، وسيتلاشى الفرق بين الضحايا والمجرمين. لن يلوم أحد منهم نفسه على ما حدث إن كان كلّ شخص آخر في الغرفة قد تعرّض للتجربة نفسها.

لماذا صارت إيڤا بلاو مريضته؟ لم يتذكّر ما كانت مشكلتها الأساسيّة. صادف أنماطًا لا يمكن تخيّلها من المعاناة. لجأ إليه أشخاص سبّب لهم

ماضيهم ألمًا شديدًا. كانوا دومًا خائفين وموسوَسين ومتشكّكين وأحيانًا مجروحين، وغالبًا عنيفين مع محاولات انتحار سابقة. الكثير منهم قصدوه وهم على حافّة الجنون أو الفصام. تمّ تعذيبهم والإساءة إليهم بشكل ممنهج، وشهدوا أعمالًا وحشيّة، أو أُجبروا على المشاركة فيها.

سأل إريك نفسه: «ما الذي سرقَتْه؟ لقد اتّهمتُها بالسرقة، ولكن ما الذي سرقته؟».

لم يستطع التذكّر. نهض وسار لبضع خطوات. ثمّ توقّف وأغلق عينيه. حدث شيء آخر، ولكن ما هو؟ هل كان للأمر علاقة ببنيامين؟ في إحدى المرّات كان يوضح لإيڤا أنّه يستطيع العثور على مجموعة علاجيّة أخرى لها. لماذا لا يتمكّن إذن من تذكّر ما حصل؟ هل قامت بتهديده؟ الشيء الوحيد الذي تذكّره هو أحد لقاءاتهما في هذا المكتب بالذات. كانت قد حلقت شعر رأسها تمامًا، ووضعت مساحيق تجميل كثيفة على عينيها.

قال إريك: «لقد كنتِ في منزلي».

أجابت: «لقد كنتَ أنت في منزلي».

واصل: «إيڤا! لقد حدّثتني عن منزلك. الاقتحام أمرٌ مختلف تمامًا».

«لم أقتحم».

«لقد كسرتِ النافذة».

قالت: «الحجَر هو من كسر النافذة».

66

ليل الإثنين، 14 ديسمبر

المفتاح في قفل الخزانة. انزلقت الأضلاع الخشبيّة للغطاء إلى الخلف بهدوء حين دفعها إريك وفتحها وشرع في البحث. «إنّه في مكان ما هنا»، قال لنفسه، «أعرف أنّ هناك شيئًا بخصوص إيڤا بلاو».

حين يتصرّف أحد مرضاه، ولأيّ سبب كان، بطريقة مختلفة عن المتوقَّع، يحتفظ بملاحظاته بشأنهم حتّى يتمكّن من معرفة ما يحصل.

قد يكون تقريرًا رسميًّا، ملاحظة أو غرضًا ما. بحث في دفاتر الملاحظات، قصاصات الورق، الإيصالات، الخرابيش المكتوبة عليها، قرص صلب قديم، بعض المذكّرات من ذلك الوقت الذي كان يؤمن فيه بالشفافيّة، صورة رسمها مريض، تسجيلات لمحاضراته، كتاب هيرمان بروخ المليء بالملاحظات اليدويّة. توقّفت يدا إريك. ارتعشت أطراف أصابعه حين رأى ورقة ملتفّة حول فيلم فيديو ومربوطة بشريط مطّاطيّ بنّيّ. كُتب على الشريط: إريك ماريّا بارك الشريط 14. فتح الورقة، ضبط مصباح المكتب، وتعرّف على خطّ يده: المنزل المسكون.

سرت رعشة في عموده الفقريّ، ثمّ نزلت إلى ذراعيه. انتصب الشعر في مؤخّرة عنقه، واستطاع سماع صوت تكتكة الساعة على رسغه. راح رأسه يهدر وقلبه يتسارع. حدّق إلى الشريط، وبيدين مرتعشتَيْن اتّصل بمكتب الخدمات وطلب أن يُرسل جهاز فيديو إلى غرفته. ذهب إلى النافذة وعدّل وضع الستائر، ووقف محدّقًا في طبقة الجليد الرطب على الفناء. تطايرت رقائق ثقيلة من الثلج في الهواء. بعضها يضرب نافذته ثمّ يذوب. فكّر أنّ هذا قد يكون محض مصادفة ربّما. ولكن لا يمكنه أن ينكر أنّ قِطع اللغز أخذت تتجمّع أخيرًا معًا.

المنزل المسكون. تلك الكلمات المكتوبة على قصاصة ورق أعادته إلى زمن آخر. حاول معرفة كلّ ما خبّأه في ذكرياته رغم أنّه لا يرغب في ذلك.

طرقَ موظّف الخدمة بهدوء على الباب. سحب إريك حامل التلفاز وجهاز عرض أشرطة فيديو قديم غريب الطراز.

أدخل الشريط وأطفأ المصابيح وجلس.

كانت الصورة تهتزّ والصوت يتقطعّ لفترة. ثمّ سمع صوته من التلفاز وهو يذكر الوقت والمكان والتأريخ. بدا أنّه يعاني من نزلة برد وهو يقول الخلاصة التالية: «حظينا باستراحة قصيرة ولكنّنا ما زلنا في حالة ما بعد التنويم».

مرّت أكثر من عشرة أعوام، فكّر حين تغيّرت زاوية تصوير الكاميرا واهتزّت الصورة ثمّ استقرّت. كانت العدسة موجّهة نحو كراسٍ مرتّبة بشكل نصف دائرة، ثمّ خطا أمام الكاميرا. كان جسده يبدو رشيقًا قبل عشرة أعوام. شباب لم يعد يمتلكه الآن. لم يكن شعره رماديًّا، ولم تكن التجاعيد قد ظهرت على جبهته ووجنتيه.

دخل المرضى بحركة بطيئة وجلسوا على الكراسي. كان البعض منهم يتحدّثون بهدوء فيما بينهم. ضحك أحدهم. التسجيل سيّئ الجودة، كلّ وجوههم بدت مشوَّشة ومنقّطة.

ابتلع إريك ريقه، ثمّ سمع نفسه يوضح بصوت رقيق إنّه قد حان الوقت لتكملة الجلسة. استمرّ البعض منهم في الكلام، بينما جلس الآخرون بصمت. أصدر أحد الكراسي صريرًا، وجد نفسه يقف بمحاذاة الجدار وهو يكتب الملاحظات. هناك طَرق على الباب. دخلت إيڤا بلاو. كانت منفعلة ورقبتها ووجنتاها محمرّة. أخذ معطفها وعلّقه ثمّ قدّمها إلى المجموعة باقتضاب. أومأ الآخرون بسأم. همس البعض منهم مرحِّبًا. تظاهر آخرون بأنّهم لم يروها وحدّقوا إلى الأرض.

تذكّر إريك الجوّ العامّ في الغرفة ذلك اليوم. كان أعضاء المجموعة ما

زالوا تحت تأثير الجلسة التي سبقت الاستراحة، وقد ارتبكوا بسبب وصول عضو جديد. كان الآخرون قد بدأوا يتعارفون، وأخذوا يترابطون نوعًا ما.

تكوّنت المجموعة من ثمانية أشخاص، واستند العلاج إلى استخدام التنويم المغناطيسيّ لاكتشاف الماضي. كانوا يقتربون من صدماتهم تدريجيًا معًا. وفق نظريته فإنّ هذه الطريقة ستجعلهم أكثر من مجرّد شهود على تجارب كل منهم، والانفتاح الذي يقدّمه التنويم المغناطيسيّ سوف يسمح لهم بمشاركة الألم والحزن معًا، بالطريقة التي يفعل بها الأشخاص ذلك بعد الكوارث الإنسانية.

جلست إيڤا بلاو على الكرسي الفارغ. نظرت إلى الكاميرا مباشرة للحظات. شيء ما في وجهها أصبح حادًّا وعدائيًا.

هذه هي المرأة التي اقتحمت منزله قبل عشرة أعوام، ولكن ما الذي سرقته؟

راقب إريك نفسه وهو يبدأ القسم الثاني من الجلسة عبر تلخيص ما حدث قبل الاستراحة، ثمّ يتبع ذلك ببعض المزاح. كانت تلك طريقته لجعلهم يشعرون براحة أكبر ويحظون ببعض المرح رغم الصدمة التي كانوا يستكشفونها. تحرّك للوقوف أمام المجموعة.

قال: «سوف نبدأ بالأفكار والمشاركات الناتجة ممّا حصل قبل الاستراحة. هل لدى أحدكم أيّ تعليق؟».

«مربكة»، قالت امرأة عنيدة تضع الكثير من مساحيق التجميل.

سيبيل، فكّر إريك مع نفسه، كان اسمها سيبيل.

«مخيفة»، أضاف يوسي بلكنة نرويجيّة: «أنا أعني... لقد تسنّى لي الوقت فقط لأفتح عينيّ ثمّ أحكّ رأسي قبل أن ينتهي الأمر».

سأله إريك: «ما الذي أحسست به؟».

أجاب مبتسمًا: «شَعر».

سألت سيبيل ضاحكة: «شَعر؟».

أوضح يوسي: «حين حككت رأسي...».

ضحك بعضهم على المزحة. بانت لمحة من المرح على وجه يوسي الكئيب.

قال إريك: «أعطوني بعض الملاحظات المتعلّقة بالشعر... شارلوت».

قالت: «لا أعرف. شعر... لحية... ربّما لا».

قال بيار مع ابتسامة: «إنّه متشرّد، متشرّد على درّاجة ناريّة. يجلس هكذا وهو يمضغ فاكهة كثيرة العصارة ويركب...».

نهضت إيڤا على قدميها مثيرة جلبة.

وقاطعت: «هذا طفولي».

سأل إريك: «لمَ تعتقدين ذلك؟».

لم تجبه إيڤا ولكنّها عادت إلى الجلوس ثانية.

سأل إريك: «بيار! هل ترغب في المواصلة؟».

هزّ بيار رأسه. ضمّ سبّابتَيْه معًا، ثمّ وجّههما نحو إيڤا متظاهرًا برميها بالرصاص.

رفع يوسي يده نحو إيڤا، وقال شيئًا باللغة النرويجيّة المحلّيّة.

لم يكن إريك واثقًا من أنّه سمع ما قاله يوسي، لذلك بحث عن جهاز التحكّم، لكنّه أسقطه على الأرض، وسقطت منه البطّاريّات.

«يا إلهي!»، غمغم مع نفسه حين ركع على ركبتَيْه.

ضغط على زرّ الإعادة، ثمّ رفع الصوت، مسترجعًا العرض ثانية.

«هذا طفولي»، قالت إيڤا بلاو.

«لماذا تعتقدين ذلك؟»، سألها إريك، وحين لم تُجِب، استدار إلى بيار، وسأله إن كان يرغب في المواصلة.

هزّ بيار رأسه. ضمّ سبّابتيه ورفعهما نحو إيڤا.

همس: «لقد أطلقوا النار على دينيس هوبر لأنّه كان مشرّدًا».

قهقهت سيبيل ثمّ نظرت نحو إريك. تنحنح يوسي ورفع يده نحو إيڤا.

«لا يتوجّب عليك المشاركة في أعمالنا الطفوليّة في المنزل المسكون»، قال بلكنته النرويجيّة الثقيلة.

صمت الجميع. استدارت إيڤا نحوه وبدت وكأنّها ستتصرّف معه بعنف، ولكنّ شيئًا ما أوقفها. ربّما صوته الكئيب والهدوء الكامن في عينيه.

67

ليل الإثنين، 14 ديسمبر

تردّد صدى عبارة المنزل المسكون في رأس إريك. وحين شاهد الشريط القديم تذكّر كيف كانت المجموعة تبدأ دومًا بتمارين الاسترخاء المشتركة قبلِ الانتقال إلى عمليّة تنويمهم مغناطيسيًّا. «أحاول أن أُدخِل المجموعة كلّها في حالة من التنويم المغناطيسيّ العميق»، قال إريك ناظرًا إلى إيڤا.

دُهش إريك كم يبدو ذلك الوضع مألوفًا لديه، وكم يبدو بعيدًا بشكل لا يُصدّق، وكأنّه من حقبة زمنيّة أخرى. رأى نفسه وهو يسحب كرسيًّا، يجلس أمام نصف دائرة من الأشخاص، يتحدّث إليهم، يجعلهم يغلقون أعينهم ويستندون إلى الخلف، بعد فترة قصيرة يأمرهم بالجلوس بصورة مستقيمة مع إبقاء عيونهم مغلقة. كان يتجوّل خلفهم وهو يتفحّص درجة استرخاء كلّ منهم. تصير وجوههم أكثر خمولًا ورقّة، وأقلّ قلقًا وأكثر بعدًا عن التصنّع والخداع.

راقب إريك نفسه وهو يتوقّف خلف إيڤا بلاو ويضع كفًّا ثقيلة على كتفها. أحسّ بوخز خفيف في معدته حين سمع نفسه يبدأ بعمليّة التنويم المغناطيسيّ، وهو واثق من قدراته الذاتيّة، ومطمئنّ ومدرك تمامًا لموهبته الخاصّة.

قال: «أنت في العاشرة يا إيڤا. أنتِ في العاشرة من العمر. إنّه يوم جيّد. أنتِ سعيدة. لماذا أنت سعيدة؟».

قالت ووجهها بالكاد يتحرّك: «لأنّ الرجل كان يرقص ويقفز في برك الماء».

«من الذي يرقص؟».

«أمّي تقول إنّه جين كيلي».
«أنت تشاهدين فيلم 'الغناء تحت المطر' إذن».
«أمّي تفعل».
«وأنت؟».
«أنا أيضًا».
«هل أنتِ سعيدة؟».
أومأت ببطء.
«ما الذي حصل؟».
أغلقت إيڤا فمها وسقط رأسها على صدرها.
«إيڤا».
قالت بصوت شبه مسموع: «إنّ بطني ضخمة جدًّا».
«بطنك؟».
«أعتقد أنّها كبيرة حقًّا»، قالت، وأخذت الدموع تنساب على وجنتيها.
همس يوسي: «المنزل المسكون. المنزل المسكون».
واصل إريك: «إيڤا، أصغي إليّ. بإمكانك سماع الجميع في هذه الغرفة، ولكنّ صوتي هو الوحيد الذي عليك الإصغاء له. لا تقلقي بخصوص ما يقوله أيّ شخص آخر. صوتي هو الصوت الوحيد الذي تحتاجين إلى الانتباه له».
«حسنًا».
سألها إريك: «لماذا بطنك كبيرة؟».
همست: «أريد الذهاب إلى المنزل المسكون».
أوقف إريك الشريط وجلس على السرير في غرفته في المستشفى وهو يدرك بأنّه يقترب من غرَفه السرّيّة الخاصّة، من أشياء نسيها، أشياء اختفت منذ زمن.
حين كان يراقب التلفاز وهو يومض باستمرار، فرك عينيه ثمّ غمغم: «افتح الباب».
ضغط على زرّ العرض.

سمع نفسه وهو يحصي بصوت مرتفع ويجعل إيڤا تغوص أعمق في التنويم، ويوضح لها بأنّها ستفعل قريبًا كلّ ما يقوله لها من دون تفكير. سوف تتقبّل فقط أن يقودها صوته إلى الطريق الصحيح. هزّت رأسها برفق، ولكنّه استمرّ يعدّ بصورة تنازليّة جاعلًا صوته يصبح أثقل فأثقل.

تشوّشت الصورة فجأة، نظرت إيڤا إلى الأعلى بعينين ضبابيتين. لعقت شفتيها وهمست: «أراهم يأخذون شخصًا ما، إنّهم ذاهبون كي يأخذوا شخصًا ما...».

سألها: «من الذي يأخذ من؟».

صار تنفّسها غير منتظم، همست: «رجل له شعر كذيل الحصان. إنّه يقوم بشنق...».

تصدّع الشريط وتلاشت الصورة.

قام إريك بتسريع الشريط إلى الأمام، ثمّ إلى النهاية، ولكنّ الصورة لم ترجع، كان نصف الشريط قد مُحي بالكامل.

جلس أمام الشاشة. شاهد انعكاس صورته المعتمة العميقة وهو يحدّق فقط، ورأى وجهه وكأنّه أصغر بعشر سنوات. نظر إلى شريط الفيديو رقم 14 ثمّ إلى الشريط المطّاطيّ، وقصاصة الورق التي تحمل عبارة المنزل المسكون.

68

فجر الثلاثاء، 15 ديسمبر

ضغط إريك على الزرّ لأكثر من عشر مرّات قبل أن يُغلق باب المصعد نهائيًّا. يعلم أنّ ذلك لا يجعلهم أقرب إلى أيّ شيء، ولكنّه لن يستطيع منع نفسه من المحاولة. ما قاله له بنيامين من صندوق السيّارة يتداخل الآن مع بعض الذكريات القديمة. سمع صوت إيڤا بلاو الواهن وهي تقول إنّ الرجل الذي له شعر كذيل الحصان قد اختطف أحدهم، ولكن كان هناك شيء خاطئ في شكل فمها وهي تقول ذلك. سمع صوت هدير الماكينة في الأعلى وأخذ المصعد بالنزول.

«المنزل المسكون»، قال وهو يأمل أن يكون الأمر برمّته محض مصادفة، وألّا يكون لاختفاء بنيامين علاقة بماضيه.

أسرع عبر المرآب، ثمّ نزل طابقين إلى الأسفل على مجموعة من الدرجات الضيّقة. فتح بابًا فولاذيًّا وتوجّه إلى نفق مطليّ بالأبيض نحو باب مزوّد بقفل إلكترونيّ. ضغط على زرّ نظام الاتّصال الداخليّ لفترة طويلة، وحين حصل على رفض، اقترب من السمّاعة وأوضح ما يريده. فكّر في أنّ إدارة المستشفى لا تريد أن يأتي أيّ شخص إلى هنا في الأسفل. يحتوي الأرشيف على كلّ السجلّات الطبّيّة، كلّ البحوث، نتائج التجارب، فحوصات المراقبة، وأيضًا وثائق فضيحة الـ«ثاليدومايد[1]» والعديد من الأنظمة الصحّيّة المريبة الأخرى. تحتوي رفوف الأرشيف على آلاف الملفّات المليئة بنتائج اختبارات أجريت

---

(1) عقار أُعطي للحوامل في حوالي 50 بلدًا منتصف القرن العشرين وتسبب بولادة آلاف الأطفال المشوّهين.

على أشخاص يُعتقد بإصابتهم بالإيدز، ملفّات توضح عمليّات العقم الإجباريّة، كذلك ما يُسمّى «تجارب فيبيهولم» حيث تمّ إطعام نزلاء مستشفى «فيبيهولم» للأمراض العقليّة كمّيات كبيرة من الحلوى كجزءٍ من بحث بخصوص الأسنان. كانت أفواه الأيتام والمرضى والمختلّين والعجائز تُحشى بالسكّر حتّى تتعفّن أسنانهم.

أصدر الباب أزيزًا، فدخل إريك إلى غرفة دافئة بشكل غير متوقّع. شيء ما في إضاءتها جعل الأرشيف يبدو كمكان مريح، مختلف تمامًا عن القبو الخالي من النوافذ هناك في الأسفل.

تمكّن من سماع صوت موسيقى تنساب من محطّة الأمن. مقطوعة جميلة بصوت سوبرانو. تمالك إريك نفسه قبل أن يدخل إلى المكتب.

وقف رجل قصير القامة يرتدي قبّعة من القشّ مديرًا ظهره، ويسقي بعض النباتات.

«مرحبا كورت».

استدار الرجل وبدا دهِشًا ومسرورًا.

«إريك ماريّا بارك! لقد مرّ زمن طويل جدًّا. كيف حالك؟».

لم يعرف إريك ما الذي يقوله. قال بأمانة: «لست متأكّدًا حقيقة. الكثير من الأمور العائلية تحدث معي الآن».

«يا إلهي ذلك يبدو...».

«نبات جميل»، قاطعه إريك كي يتجنّب المزيد من الأسئلة.

«إنّه بنفسج، وأنا أحبّه. كان من الصعب أن ينمو شيئًا هنا».

«مذهل»، قال إريك.

«لقد وضعت مصابيح هالوجين في كلّ مكان».

«واو!».

«إنّها حجيرة شمسيّة ممتازة»، مازحه وهو يريه أنبوبًا من الواقي الشمسيّ.

«أخشى أنّي لن أتمكّن من البقاء مطوّلًا».

«ضع القليل على أنفك»، قال كورت وهو يعتصر قليلًا ويعطيه لإريك.

«شكرًا، ولكن...».

خفض كورت صوته ثمّ همس بمرح: «أحيانًا، أنا أتحرّك هنا مرتديًا سروالي الداخليّ فقط، ولكن لا تخبر أحدًا».

ابتسم إريك، وكان يشعر بالتوتّر المرتسم على وجهه. نظر كورت إليه.

قال إريك: «منذ سنوات طويلة اعتدت على تسجيل جلساتي للتنويم المغناطيسيّ».

«قبل كم عام؟».

«عشر سنوات تقريبًا. هناك مجموعة من أشرطة الفيديو...».

«أشرطة فيديو ڤي إتش إس؟».

«نعم، كانت قديمة نوعًا ما حتّى في ذلك الوقت».

«لقد تمّ تحويل كلّ شرائط الفيديو إلى أقراص رقميّة».

«جيّد».

«ستكون في الأرشيف».

«كيف يمكنني الحصول عليها؟».

ابتسم كورت. وانتبه إريك للتناقض الواضح بين أسنانه البيضاء ووجهه المسمرّ.

«حسنًا، بإمكاني مساعدتك هناك».

توجّها إلى أربعة أجهزة حاسوب موضوعة في فجوة داخل صفّ من رفوف التخزين. كتب كورت كلمة المرور بسرعة، ثمّ بحث بين ملفّات الأقراص الرقميّة.

سأل: «هل تمّ خزنها تحت اسمك؟».

أجاب إريك: «يُفترض ذلك».

قال كورت ببطء: «حسنًا، إنّها ليست كذلك. سوف أحاول مع عبارة التنويم المغناطيسيّ».

كتب العبارة في صندوق البحث.

«البعض منها بإمكانك رؤيتها بنفسك».

لم تكن أيّ من النتائج تطابق جلسات إريك العلاجيّة. الملفّ الوحيد المتعلّق به هو بخصوص طلبه منحة وتمويل. كتب عبارة «المنزل المسكون»، ثمّ حاول اسم «إيڤا بلاو» بالرغم من أنّ أعضاء مجموعته لم يكونوا مسجّلين بصورة رسميّة في سجلّات المستشفى.

قال كورت: «لا شيء. حسنًا، كانت هناك الكثير من المشاكل مع النقل. لقد تلفت الكثير من المواد، كلّ أشرطة 'البيتاماكس' و...».

«من كان مسؤولًا عن النقل الرقميّ؟».

استدار كورت نحوه وهزّ كتفيه معتذرًا: «أنا وكوني».

«ولكنّ الأشرطة الأصليّة محفوظة في مكان ما هنا؟».

«آسف، ولكنّي حقًّا لا أتمكّن من مساعدتك».

«هل تعتقد أنّ كوني سيعرف؟».

«لا أظنّ».

«هل بإمكاني الاتّصال به وسؤاله؟».

«إنّه في 'سيمريسهام' الآن».

استدار إريك وحاول أن يفكّر.

قال كورت: «أعرف أنّ الكثير من المواد قد دُمّرت بصورة عرَضيّة».

حدّق إريك نحوه وقال ببرود: «ولكن ذلك كان بحثًا مهمًّا».

«أنا آسف».

«أعرف. لم أقصد شيئًا...».

التقط كورت ورقة بنّيّة من إحدى النباتات، وقال: «لقد توقّفت عن ممارسة التنويم، أليس كذلك؟ أتذكّر أنّي سمعت ذلك».

«نعم، ولكنّي أحتاج إلى إلقاء نظرة إلى...».

توقّف إريك عن الكلام. لم يستطع إرغام نفسه على إكمال الجملة. كلّ ما أراده هو العودة إلى غرفته، وتناول قرص، ثمّ الحصول على بعض النوم.

واصل كورت: «لطالما واجهنا مشاكل تقنيّة في الأسفل هنا، وفي كلّ مرّة نذكرها لهم يقولون لنا افعلوا ما في وسعكم فقط. لقد قالوا ألّا نقلق حين تمّ محو عقد كامل من الأبحاث عن جراحة الدماغ. كانت تسجيلات قديمة على فيلم ستّة عشر ملليمترًا، ثمّ تحوّلت إلى أشرطة فيديو في الثمانينيّات، لكنّها ضاعت الآن...».

69

صباح الثلاثاء، 15 ديسمبر

ألقى مبنى المحكمة ظلًّا كبيرًا على دائرة الشرطة، وحده البرج المركزيّ حظي بضوء الشمس.

وقف كارلوس إيليّاسون إلى جوار حوض أسماكه، ناظرًا من النافذة.

طرق جونا على الباب، ثمّ فتحه من دون أن ينتظر جوابًا.

دُهش كارلوس واستدار. أشار له بالجلوس على مضض، وهو ما زال يحمل علبة طعام الأسماك بيده. قال ببرود وهو يضع العلبة إلى جوار الحوض: «الآن فقط انتبهت أنّها تثلج».

جلس جونا ونظر من النافذة. كانت طبقة خفيفة من الثلج الجافّ تغطّي متنزّه «كرونوڤاري».

قال: «قد نحظى بعيد ميلادٍ موشّح بالبياض. من يعرف؟».

ابتسم كارلوس بحماسة وهو يجلس على كرسيّه في الطرف الآخر من المكتب: «في 'سكونِهْ'، حيث ترعرعت، لم يكن هناك ثلج أبدًا في أعياد الميلاد. كان الجوّ يبدو متماثلًا طوال الوقت. ضباب رماديّ ثقيل فوق الحقول». ثم توقّف كارلوس عن الكلام وقال باقتضاب: «لكنّك لم تأتِ إلى هنا للتحدّث عن الطقس».

«بالطبع لا».

نظر جونا إليه بثبات ثمّ انحنى نحوه: «أريد أن أتولّى التحقيقات الخاصّة باختفاء ابن إريك ماريّا بارك».

أجاب كارلوس بإيجاز: «لا».

«أنا الذي ابتدأ...».

«لا يا جونا. لقد سُمح لك بالنظر فيها حين كانت ترتبط بجوزيف إيك».

أصرّ جونا: «ما زالت كذلك».

وقف كارلوس. مشى بضع خطوات، ثمّ استدار ليواجه جونا: «إنّ عدد محقّقينا قليل، ومواردنا...».

«أعتقد أنّ الاختطاف يرتبط بصورة مباشرة بعمليّة تنويم جوزيف إيك مغناطيسيًّا».

سأله كارلوس بضيق: «ما الذي تتحدّث بشأنه؟».

«ليست مصادفة أن يختفي ابن إريك ماريّا بارك بعد عدّة أيّام على تنويمه جوزيف إيك مغناطيسيًّا».

جلس كارلوس ثانية وبدا فجأة غير واثقٍ من نفسه: «إنّ هروب فتى من المنزل ليس قضيّة للأمن الوطنيّ».

قال جونا بهدوء: «الفتى لم يهرب من المنزل».

حدّق كارلوس إلى أسماكه، ثمّ انحنى للأمام، وخفض صوته قائلًا: «إنّ حقيقة كونك تشعر بالذنب نوعًا ما يا جونا ليست سببًا كي...».

قاطعه جونا وهو ينهض: «إذن سوف أطلب نقلي».

«إلى أين؟».

«إلى الوحدة التي تُعنى بالقضيّة».

قال كارلوس وهو يحكّ رأسه بانزعاج: «أنت تعود إلى العناد ثانية».

ابتسم جونا: «وسأثبت أنّي على حقّ».

تنهّد كارلوس قائلًا: «يا إلهي ليس مرّة أخرى!». نظر إلى أسماكه وهزّ رأسه.

توجّه جونا نحو الباب. فقال كارلوس: «انتظر».

توقّف جونا واستدار نحوه وقد رفع حاجبيه.

«ما رأيك بالتالي-لن تحصل على القضيّة، لكنّك ستحظى بأسبوع واحد كي تحقّق في اختفاء الصبيّ».

«هذا كل ما أحتاج إليه».

«إذن أنت لست بحاجة إلى قول العبارة الروتينيّة المعتادة 'ماذا قلتُ لك'؟».

«سوف نرى».

توجّه جونا نحو الجناح الخاصّ به في البناية. ألقى التحيّة على آنيا التي لوّحت له من دون أن ترفع رأسها عن شاشة حاسوبها. مرّ بمكتب بيتر ناسلوند، حيث المذياع مفتوح ومراسل رياضيّ يعلّق على مباراة 'بياثلون[1]' نسويّة مع حماسة متكلّفة في صوته. تراجع جونا وعاد لرؤية آنيا.

قالت من دون أن تنظر إليه: «لا أمتلك الوقت».

قال بهدوء: «بل تمتلكين الوقت».

«أنا في خضمّ شيء مهمّ جدًّا».

حاول جونا النظر من فوق كتفها. سألها: «ما الذي تعملين عليه؟».

«لا شيء».

«ما هذا؟».

تنهّدت: «إنّه مزاد، وأنا أعلى المزايدين حاليًّا، لكنّ أحد الحمقى يستمرّ في رفع السعر».

«مزاد؟».

أجابت: «نعم، على مجموعة من تماثيل ليسّا لورشون».

«أولئك الأطفال البدناء من السيراميك؟».

«إنّه فنّ، لكنّك لن تفهم هذا». نظرت إلى الشاشة وتابعت: «ستنتهي قريبًا طالما لا يوجد من يزايد أكثر...».

أصرّ جونا: «أحتاج إلى مساعدتك بشيء يرتبط بتخصّصك. إنّه مهمّ حقًّا».

«انتظر... انتظر». ورفعت نحوه إحدى يديها.

---

(1) رياضة ثنائيّة تجمع الرماية والتزلّج لمسافات بعيدة.

قالت بحماسة: «نعم! حصلت عليهما. حصلت على آماليا وإيما».
أغلقت الموقع بسرعة.
«حسنًا يا جونا. أيّها الفنلنديّ العجوز. ما الذي تحتاجني فيه؟».
«أريدك أن تقومي بالضغط على عمّال شركة الاتّصالات الخلويّة، وتحصلي لي على موقع المكالمة التي أجراها بنيامين بارك يوم الأحد. أريد معلومات دقيقة عن المكان الذي اتّصل منه خلال الخمس دقائق القادمة».
قالت آنيا وهي تتنهّد: «يا إلهي! أنت في مزاج سيّئ».
قال جونا: «ثلاث دقائق. إنّ تسوّقك عبر الانترنت كلّفك دقيقتين».
قالت وهو يغادر الغرفة: «أغرب عن وجهي».
ذهب إلى مكتبه، وأغلق الباب، ونظر إلى بريده. توقّف لقراءة بطاقة من ديسا، هي في لندن الآن وكتبت له إنّها تشتاق إليه. تعلم ديسا أنّه يكره صور الحيوانات السخيفة، مثل الشمبانزي حين يلعب الغولف أو يكون ملفوفًا بورق المرحاض، لذا فهي تتمكّن دومًا من العثور على صورة جديدة له. لم يكن جونا متأكّدًا من رغبته في قلب البطاقة أو ربّما إلقائها جانبًا. لكنّ الفضول تغلّب عليه. قلب البطاقة ثمّ ارتعد. كانت صورة لكلب 'بولدوغ' مع لحية وقبّعة بحّار وغليون في فمه. ابتسم للجهد الذي تبذله في اختيار تلك الصور، ثمّ قام بتثبيتها على لوح الملاحظات بينما هاتفه يرنّ.
قال: «نعم».
قالت آنيا: «لقد وصلت إلى جواب».
«كان ذلك سريعًا».
«قالوا إنّه كانت لديهم بعض الأعطال التقنيّة، وإنّهم اتّصلوا بالمحقّق كينيت سترينْي قبل ساعة وأخبروه أنّ 'ياڤِلهْ' هي المحطّة المركزيّة».
كرّر خلفها اسم المنطقة.
«لم ينتهوا بعد. وفق قولهم، خلال يوم أو يومين أو خلال هذا

الأسبوع بالتأكيد سوف يتمكّنون من إخبارنا تحديدًا أين كان بنيامين حين أجرى تلك المكالمة».

«كان بإمكانكِ القدوم إلى مكتبي وإخباري بذلك. إنّه يبعد أربعة أمتار فقط».

«لماذا؟ هل اشتقت إليّ؟».

70

صباح الثلاثاء، 15 ديسمبر

كتب جونا اسم «ياڤلِهْ» على ورقة فارغة في المفكّرة أمامه. ثمّ التقط الهاتف ثانية واتّصل. وأتته الإجابة: «إريك ماريّا بارك».

«إنّه أنا، جونا».

«هل عثرت على شيء؟».

«عثرنا على مكان المكالمة تقريبًا».

«أين؟».

«عرفنا أن المحطّة المركزيّة هي في 'ياڤلِهْ' للآن».

«ياڤلِهْ؟».

«إلى الشمال من 'داليلڤين' بالتحديد».

«أعرف أين تقع، لكنّي لا أفهم فقط، أنا أعني...».

سمع جونا إريك وهو يتحرّك في الأرجاء.

قال جونا: «سوف نحصل على موقع أكثر تحديدًا في نهاية هذا الأسبوع».

«متى؟».

«لنأمل غدًا».

وهو يجلس، سأله إريك بلهفة: «إذن، هل ستأخذ القضيّة؟».

قال جونا باقتضاب: «سوف آخذها. سوف أعثر على بنيامين».

تنحنح إريك، وحين شعر باستعادة صوته قال بسرعة: «فكّرت كثيرًا في الشخص الذي قد يفعل هذا، وحصلت على اسم. أريدك أن تتحقّق منه. مريضة سابقة لي، إيڤا بلاو».

«بلاو؟ كما الأزرق في الألمانيّة».

«نعم».
«هل قامت بتهديدك؟».
«من الصعب شرح ذلك».
«سوف ننظر في الأمر حالًا».
توقّفا عن الكلام.
قال جونا: «أريد أن ألتقي بك وبسيمونا في أسرع وقت ممكن».
«حسنًا».
«لم تكن هناك أيّة محاولة لإعادة تمثيل مشهد الجريمة، أليس كذلك؟».
«إعادة تمثيل؟».
«سوف نعرف من شاهد خاطف بنيامين. هلّا توافياني إلى المنزل خلال نصف ساعة؟».
قال إريك: «سأتّصل بسيمونا. سوف ننتظرك هناك».
«حسنًا».
قال إريك ببطء: «جونا، أنا أعرف أنّ الأربع وعشرين ساعة الأولى هي المهمّة في قضيّة كهذه، والآن...».
سأل جونا: «ألا تعتقد بأنّنا سنجده؟».
همس إريك: «إنّه... لا أعرف».
أجاب جونا بهدوء وحزم: «أنا لا أخطئ مطلقًا، وأنا أعتقد أنّنا سنجد ابنك».
أقفل جونا الهاتف ثمّ تناول الورقة التي كتب عليها اسم إيڤا بلاو وذهب لرؤية آنيا ثانية. شمّ رائحة برتقال في مكتبها. كان هناك صحن برتقال موضوعًا قرب الحاسوب ذي لوحة المفاتيح الزهريّة. وعلى أحد الجدران ملصق كبير لامع يُظهر آنيا العضليّة الجسد وهي تسبح سباحة الفراشة في الألعاب الأولمبيّة.
قال جونا: «كنتُ منقذًا خلال الخدمة العسكريّة، وسبحت لعشرة

كيلومترات وأنا أحمل علمًا، لكنّي لم أتمكّن يومًا من سباحة الفراشة تلك».

«إنّها هدر للطاقة، تلك هي سباحة الفراشة».

«أعتقد أنّها سباحة جميلة، أنت تبدين مثل الحوريّة»، قال جونا وهو يشير إلى الملصق.

حاولت آنيا أن تخفي الغرور في صوتها وهي تقول: «التناغم مطلوب جدًّا. كلّ شيء هنا يتعلّق بتناغم الحركات، من يهتمّ!».

مدّت آنيا ذراعيها إلى الأمام وبدت سعيدة، بينما برز صدرها الضخم أمام جونا.

قال وهو يحمل ورقة: «والآن، أريدك أن تعثري على شخص لأجلي».

تلاشت ابتسامة آنيا.

«كان لديّ شعور بأنّك تريد شيئًا آخر جونا لينا. لكان ذلك لطيفًا جدًّا وودودًا جدًّا. لقد ساعدتك في موضوع المحطّة المركزيّة، وها أنت تأتي إلى هنا مع ابتسامتك الجميلة تلك. اعتقدت أنّك سوف تدعوني إلى العشاء أو شيئًا من هذا القبيل...».

«سأفعل يا آنيا، في الوقت الملائم».

هزّت رأسها وأخذت الورقة من يده.

«إذن تريدني أن أعثر على شخص. وبسرعة؟».

«جدًّا».

«لماذا تقف هنا إذن وتشتّت تركيزي؟».

«اعتقدت أنّك تحبّين هذا».

«إيڤا بلاو»، قالت آنيا متفكّرة.

فأضاف: «قد لا يكون هذا اسمها الحقيقيّ».

عضّت آنيا شفتها بقلق، وقالت: «اسم مزيّف. لا شيء كي نبدأ منه. هل لديك أيّ شيء آخر؟ عنوان أو أيّ شيء».

«لا. لا عنوان. كلّ ما أعرفه أنّها كانت ولعدة أشهر مريضة لدى

إريك ماريّا بارك قبل عشرة أعوام. عليك التأكّد من قاعدة المعلومات، لا الاعتياديّة فقط بل كلّها. هل تسجّلت إيڤا بلاو في الجامعة؟ هل اشترت سيّارة يومًا ما؟ سوف تكون في مكتب التسجيل. هل قدّمت للحصول على بطاقة ائتمانية أو انضمّت للمكتبة، للنادي؟ أيّ شيء. وأريدك أن تتفحّصي برنامج حماية الشهود، ضحايا الجرائم و...».

قاطعته آنيا: «نعم. نعم. اذهب الآن. أغرب عن وجهي كي أنجز العمل».

71

صباح الثلاثاء، 15 ديسمبر

أوقف جونا الكتاب السمعيّ لرواية الجريمة والعقاب لديستويفسكي بصوت الممثل «بير مايبيْ». أوقف سيّارته خارج «لاو واي»، المطعم النباتيّ الذي كانت ديسا تلحّ عليه بشأنه. كان قريبًا من شقّة عائلة بارك.

ألقى التحيّة على كلّ من سيمونا وإريك حين دخل، ثمّ أعطاهما توضيحًا سريعًا لما ينوي عمله.

«سوف نقوم بإعادة تمثيل عمليّة الاختطاف بأفضل ما نستطيعه. الشخص الوحيد بيننا، والذي كان مشاركًا في العمليّة فعليًّا هي أنتِ يا سيمونا».

أومأت بقلق.

«سوف تعيدين ما حصل. سأكون أنا الخاطف وأنت إريك ستكون بنيامين».

«حسنًا»، قال إريك.

نظر جونا إلى الساعة: «سيمونا في أيّ وقت تعتقدين أنّ الاقتحام قد حصل؟».

تنحنحت وقالت: «لست متأكّدة، ولكنّ الصحيفة لم تكن قد وصلت بعد، إذن فقد كانت قبيل الخامسة، وكنت قد استيقظت لأشرب كأسًا من الماء عند الساعة الثانية. ثمّ استلقيت وأنا مستيقظة لفترة. إذن فهو بين الساعة الثانية والنصف والخامسة تقريبًا».

«جيّد. سوف أضبط ساعتي على الثالثة والنصف. تقريبًا في المنتصف»، قال جونا وأضاف: «سوف أفتح الباب ثمّ أتسلّل إلى سيمونا في الفراش، وأتظاهر بإعطائها حقنة، ثمّ أذهب إلى غرفة بنيامين، وأقوم

بحقنك يا إريك، ثمّ سحبك خارج الفراش، سوف أسحبك عبر الردهة حتّى درج المبنى. أنت أثقل وزنًا من ابنك، لذلك سيكون علينا إعادة تنظيم الوقت قليلًا. حاولي يا سيمونا أن تتصرّفي تمامًا كما فعلتِ حينها. استلقِ في المكان نفسه كما كنتِ. أريد أن أعرف تمامًا ما الذي تمكّنت من رؤيته وما الذي حصل في اعتقادك».

أومأت سيمونا بوجهٍ شاحبٍ، وهمست: «شكرًا لك. شكرًا لقيامك بهذا».

نظر جونا إليها بعينيه الجليديّتَيْن الرماديّتين: «سوف نعثر على بنيامين».

خرج جونا ومعه المفاتيح، حكّت سيمونا جبهتها بسرعة.

«سأذهب إلى غرفة النوم»، قالت ذلك بصوت خشن.

كانت تستلقي تحت الأغطية حين دخل جونا، تحرّك نحوها بحذر. دغدغها حين سحب ذراعها وتظاهر بإعطائها الحقنة. كانت تنظر إلى عيني جونا حين انتصب واقفًا فوقها، وتذكّرت شعورها بوخزة في ذراعها ثمّ رؤيتها لخيال ينسلّ بسرعة خارج الغرفة. حتّى الذكرى كانت كافية لجعل الذراع حيث حُقنت تؤلمها بشكل مزعج. حين اختفى جونا جلست ثمّ دلكت كوعها ونهضت من الفراش ببطء. خرجت إلى الردهة. نظرت إلى غرفة بنيامين ورأت جونا منحنيًا على سريره، فقالت الكلمات نفسها، وكأنّ صداها كان يتردّد في ذاكرتها.

«ما الذي يحدث، هل أستطيع الدخول؟».

مشت وهي متردّدة نحو الخزانة. بدا جسدها وكأنّه يتذكّر كيف انهار على الأرض. تهاوت ساقاها حين تذكّرت فقدانها للوعي. حين سقطت بالقرب من الجدار شاهدت جونا وهو يسحب إريك من قدميه. تذكّرت الطريقة التي حاول بها بنيامين التمسّك بإطار الباب، الوكيف ضرب رأسه بعتبة الباب، وكيف حاول الوصول إليها بوهن.

حين سُحب إريك بجوار سيمونا والتقت عيناهما، بدا أنّ الخيال الذي

كان مصنوعًا من الضباب أو البخار قد أصبح مرئيًا لأجزاء من الثانية. استطاعت أن ترى وجه جونا من الأسفل قد تلاشى فجأة وتمّ استبداله في خيالها عبر لمحة عابرة بالخاطف، كان قلب سيمونا ينبض بشدّة حين سمعت جونا وهو يسحب إريك إلى بهو الدرج ويغلق الباب خلفه.

خيّم إحساس غير مريح على الشقّة. لم تتمكّن سيمونا من تجاهل فكرة تخديرها ثانية. تيبّست ذراعاها وساقاها وتخدّرت حين نهضت وانتظرت عودتهما.

سحب جونا إريك على الأرضيّة الرخاميّة القديمة للمبنى، وهو ينظر حوله طوال الوقت، يقيّم الزوايا والارتفاعات، يبحث في كلّ مكان عن شاهد محتمل قد يكون يراقبهما.

حاول أن يحدّد مدى الرؤية على الدرجات النازلة، وفكّر باحتمال وجود شخص ما يقف على مبعدة خمس خطوات في الأسفل ربّما، قرب الدرابزين تمامًا يراقبه الآن. ذهب إلى المصعد، كان قد ترك الباب مفتوحًا، حين انحنى رأى وجهه على السطح اللامع للباب ورأى الجدار خلفه. سحب إريك الممدّد إلى المصعد عبر القضبان. تمكّن من رؤية الباب إلى اليمين مع فتحة البريد ولوحة الاسم النحاسيّة، ولكن على اليسار لم يكن هناك شيء سوى الجدار. حُجب ضوء السقف في المبنى بإطار الباب. نظر جونا إلى المرآة الكبيرة على الجدار الخلفيّ للمصعد لكنّه لم يستطع رؤية شيء.

كانت النافذة في بهو السلّم محجوبة عن الرؤية طوال الوقت. فجأة، رأى شيئًا غير متوقّع. استطاع أن يرى في مرآة الزاوية الصغيرة الثقب السحريّ لباب الشقّة التي كانت خارج زاوية النظر طوال الوقت. أغلق باب المصعد ولاحظ أنّ مرآة الزاوية ما زالت تعطيه صورة واضحة للباب. إن كان هناك شخص واقف خلف الباب وينظر عبر الثقب حاليًّا فذلك الشخص سيتمكّن من رؤية وجهه بوضوح شديد. لكنّ إن حرّك رأسه لخمسة سنتيمترات إلى أيّة جهة فسوف يختفي من زاوية الرؤية.

وقف إريك على قدميه. نظر جونا إلى ساعته وقال: «ثمان دقائق».
عادا إلى الشقّة. كانت سيمونا تقف في المدخلِ تبكي.
قالت: «كان يرتدي قفّازين مطّاطيّين. قفّازان مطّاطيّان أصفران».
سأل إريك: «هل أنت متأكّدة؟».
«نعم».
قال جونا: «لا جدوى إذن من البحث عن بصمات أصابع».
سألت: «ماذا سنفعل إذًا؟».
«طرقت الشرطة على كلّ الأبواب»، قال إريك بحزن حين كانت سيمونا تنظّف التراب الذي علق بظهره.
أخرج جونا قطعة ورق وقال: «هذه قائمة بأسماء الأشخاص الذين تحدّثوا إليهم. من الواضح أنّهم ركّزوا على هذا الطابق والشقق في الأسفل. هناك خمسة لم يتحدّثوا إليهم بعد وواحد كان...».
حدّق إلى القائمة.
قال جونا: «أحدهم استثنوه نهائيًا، ذلك الذي على الجانب الآخر من المصعد».
قالت سيمونا: «كانوا مسافرين، وما زالوا، ستّة أسابيع في تايلاند».
نظر جونا إليهما بتمعّن، وقال: «حان وقت طرق الأبواب».
كان اسم روسينلوند مكتوبًا على الباب. تجاهل رجال الشرطة الذين تفحّصوا المبنى تلك الشقّة تمامًا لأنّها كانت فارغة.
انحنى جونا ونظر عبر فتحة البريد. لم يشاهد أيّ بريد أو إعلانات على السجّادة، لكنّه سمع صوتًا خافتًا من داخل الشقّة. جاءت قطّة تهرول إلى المدخل. توقّفت فجأة ونظرت باحتراس إلى جونا الذي ما زال فاتحًا فتحة البريد.
«لا أحد يترك قطّة لوحدها لفترة ستّة أسابيع»، قال جونا في نفسه.
وقفت القطّة وتراقب.
قال جونا للقطّة: «حسنًا، لا تبدين كمن يتضوّر جوعًا».

تثاءبت القطّة. قفزت إلى الكرسيّ في الردهة ثمّ تكوّرت بشكل كرة.

كان الشخص الأوّل الذي رغب جونا بالتحدّث إليه هو زوج أليس فرانسين، لأنّها كانت وحدها في المنزل حين زارتها الشرطة. تعيش عائلة فرانسين في الطابق نفسه مع سيمونا وإريك، في الشقّة المقابلة للمصعد.

رنّ جونا جرس الباب وانتظر. تذكّر حين كان طفلًا وكان يتجّول في الأرجاء ويطرق على أبواب الآخرين كي يبيع الأزهار للأعمال الخيريّة. تذكّر شعور النفور الذي يعتريه حين كان ينظر إلى منازل الآخرين، الحذر في عيون الناس الذين يأتون إلى الباب.

رنّ ثانية. فتحت له امرأة في أواخر الثلاثين من العمر. نظرت إليه متوجّسة ممّا جعله يفكّر في القطّة في الشقّة الفارغة.

«نعم».

قال مُظهرًا بطاقته: «اسمي هو جونا لينا. أرغب في التحدّث مع زوجك».

نظرت إلى الخلف من فوق كتفها بسرعة، ثمّ قالت: «أريد أن أعرف بخصوص ماذا أوّلًا. فهو مشغول جدًّا».

«بخصوص ساعات الصباح الأولى من يوم السبت الثاني عشر من ديسمبر».

قالت بقلق: «ولكنّكم سألتم عن هذا من قبل».

نظر جونا إلى القائمة في يده: «مذكور هنا أنّ الشرطة تحدّثت إليك فقط وليس إلى زوجك».

تنهّدت المرأة بضيق: «لا أعرف إن كان لديه الوقت».

ابتسم جونا: «سيستغرق الأمر دقيقة واحدة. أعدك».

رفعت المرأة كتفيها ثمّ نادت في الشقّة: «توبيّاس! إنّهم الشرطة».

بعد برهة، ظهر رجل مع منشفة ملفوفة على خصره، بدت بشرته ساخنة و فيها اسمرار واضح جدًّا.

قال لجونا: «مرحبًا. كنت في جهاز الاسمرار».

قال جونا: «جميل».

قال توبيّاس فرانسين: «ليس الأمر كذلك. إنّ كبدي يفتقر لأنزيم معيّن، وقد حُكِم عليّ أن أقضي ساعتين في جهاز الاسمرار كلّ يوم».

قال جونا بصوت جافّ: «حسنًا، هذا أمر مختلف».

«هل أردت أن تسألني عن شيء ما؟».

«أريد معرفة إن كنت قد رأيت أو سمعت أيّ شيء غير اعتياديّ في الساعات الأولى من صبيحة يوم السبت، الثاني عشر من ديسمبر؟».

حكّ توبيّاس صدره فتركت أظافره أثرًا أبيض على بشرته السمراء.

«أنا آسف. لا أتذكّر أيّ شيء غير اعتياديّ. لا أعرف حقًّا».

«حسنًا. شكرًا جزيلًا لك»، قال جونا وهو يحني رأسه.

ذهب توبيّاس إلى مقبض الباب.

«شيء واحد فقط»، أشار جونا إلى الشقّة الفارغة، «تلك العائلة روسينلوند».

«إنّهم لطفاء جدًّا»، قال توبيّاس مع ابتسامة، وأخذ يرتجف «لم أرهم منذ مدّة».

«لا. إنّهم مسافرون. هل تعلم إن كان لديهم مدبّرة منزل أو شيئًا من هذا القبيل؟».

هزّ توبيّاس رأسه نافيًا. أخذ الاحمرار على جلده يتلاشى، وكان من الواضح أنّه يرتجف من البرد الآن.

«آسف. لا فكرة لديّ».

72

صباح الثلاثاء، 15 ديسمبر

انتقل جونا إلى الاسم الثاني على القائمة: يارل هامار، ويسكن في الطابق الأسفل تحت شقّة إريك وسيمونا. لم يكن في المنزل في المرّة السابقة التي طرق فيها رجال الشرطة بابه.

كان هامار رجلا نحيلًا، ويبدو بوضوح أنّه يعاني من مرض باركنسون. كان يرتدي سترة أنيقة، وقد وضع وشاحًا حول عنقه.

قال هامار بصوت أجشّ: «الجريمة الوطنيّة؟». نظر إلى جونا بعينين مشوّشتين من مرض إعتام العدسة، «ما الذي تريده الجريمة الوطنيّة منّي؟».

قال جونا: «أريد أن أسألك سؤالًا. هل رأيت بالصدفة أيّ شيء غير اعتياديّ في المبنى أو في الشارع خلال ساعات الصباح الأولى من يوم السبت الثاني عشر من ديسمبر؟».

أحنى هامار رأسه ثمّ أغلق عينيه. فتحهما بعد عدّة ثوان، وقال لجونا: «أنا أتناول الأدوية. إنّها تجعل نومي ثقيلًا جدًّا».

لمح جونا امرأة خلف هامار، فسأله: «وماذا عن زوجتك؟ هل بإمكاني التحدّث إليها؟».

وجّه له يارل هامار ابتسامة ساخرة: «كانت زوجتي سولڤي امرأة رائعة، ولكنّي آسف لإخبارك أنّها تحت الأرض طوال الثلاثين عامًا الماضية».

استدار الرجل النحيل ورفع يده المرتعشة نحو الهيئة الداكنة داخل الشقّة.

«هذه أنابيلا، إنّها تساعدني في التنظيف وأشياء أخرى. لسوء الحظّ، هي لا تتحدّث السويديّة، وسوى ذلك فهي فوق مستوى الشبهات».

تحرّكت الهيئة نحو الضوء حين سمعت اسمها. بدا على أنابيلا أنّها من البيرو. شابّة في العشرينيّات، لديها آثار حَبّ الشباب على وجنتيها، شعرها مرفوع إلى الخلف بشكل ذيل حصان، قصيرة القامة للغاية.

قال جونا برفق بالإسبانية: «أنابيلا، أنا ضابط شرطة، جونا لينا».

«يومًا سعيدًا»، أجابته وهي تنظر نحوه بعينين سوداوين.

«هل تنظّفين المزيد من الشقق في هذه البناية؟».

أومأت له: «نعم».

سأل جونا: «أيّ منها؟».

«حسب وقتي»، قالت أنابيلا. فكّرت لبرهة قبل أن تبدأ بالعدّ على أصابعها: «لاغيربايْ، فرانسين، جيردمان، روسينلوند، يووانسون تامبيَن».

سأل جونا: «روسينلوند؟ تلك العائلة التي تمتلك قطّة، أليس كذلكَ؟».

ابتسمت أنابيلا وأومأت: «نعم، أنظّف شقّة القطّة».

«والكثير من النباتات»، قال جونا. وسألها إن كانت لاحظت أيّ شيء غير اعتياديّ قبل أربع ليالٍ، حين اختفى بنيامين.

تصلّب وجه أنابيلا. قالت بسرعة: «لا». حاولت أن تعود إلى داخل شقّة هامار ثانية.

أسرع جونا إلى القول: «آمل أن تقولي لي الحقيقة. عليك إخباري بالحقيقة»، كرّر، «إنّ ذلك مهمّ جدًّا، إنّه بخصوص اختفاء طفل».

رفع هامار الذي وقف مستمعًا إليهما طوال الوقت يده المرتعشة، وقال بصوت أجشّ: «والآن عليك أن تكون لطيفًا مع أنابيلا، إنّها فتاة جيّدة جدًّا».

«عليها أن تخبرني بما رأته»، أوضح جونا بثبات، ثمّ استدار نحو أنابيلا ثانية: «الحقيقة من فضلك».

نظر هامار عاجزًا حين انسابت دموع غزيرة من عيني أنابيلا الداكنتين اللامعتين.

همست: «آسفة. آسفة يا سيّدي».

«لا تنزعجي يا أنابيلا»، قال هامار وهو يشير إلى جونا، «تعال إلى الداخل، لا أستطيع أن أتركها واقفة في الرواق تبكي».

دخلوا وجلسوا حول طاولة هامار اللامعة والنظيفة جدًّا. أخرج علبة من بسكويت الزنجبيل. أخبرتهما أنابيلا بهدوء أنّها لا تمتلك مكانًا للسكن. تشرّدت طوال ثلاثة أشهر، لكنّها تمكّنت من الاختباء في بهو السلّم وفي مخزن الأشخاص الذين تنظّف شققهم. حين أعطوها مفاتيح شقّة روسينلوند كي تسقي نباتاتهم وتطعم القطّة، تمكّنت أخيرًا من استعمال الحمّام والنوم بهدوء.

كرّرت قول إنّها لم تأخذ أيّ شيء، وإنّها ليست لصّة، لم تأخذ الطعام، ولم تلمس أيّ شيء، حتّى أنّها لم تنم في سرير عائلة روسينلوند، بل على سجّادة المطبخ.

ثمّ نظرت أنابيلا بجدّيّة إلى جونا، وقالت إنّ نومها خفيف جدًا. لطالما كان كذلك، منذ أن كانت صبيّة وكان عليها الاعتناء بشقيقاتها وأشقّائها الأصغر سنًّا. سمعت في ساعات الصباح الأولى من يوم السبت صوتًا في الرواق. شعرت بالخوف. جمعت أغراضها وزحفت إلى المدخل ونظرت عبر ثقب الباب.

قالت إنّ باب المصعد كان مفتوحًا، ولكنّها لم ترَ أيّ شيء. فجأة سمعت أصواتًا. صوت تنهّد وخطوات بطيئة، بدا الأمر وكأنّ شخصًا مسنًّا كان يتحرّك ببطء.

«ولكن لا أصوات».

هزّت رأسها: «مجرّد خيال». حاولت أنابيلا أن تصف الظلال وهي تتحرّك على الأرض.

أومأ جونا وسألها: «ما الذي رأيته في المرآة».

«في المرآة؟».

«بإمكانك رؤية ما يوجد داخل المصعد يا أنابيلا».

فكّرت أنابيلا لدقيقة ثمّ قالت ببطء إنّها تمكّنت من رؤية يد صفراء، وبعد فترة قصيرة شاهدت وجهها.

«هل كانت امرأة؟».
«كانت امرأة».
أوضحت أنابيلا أنّ المرأة كانت ترتدي قبّعة صوف تلقي ظلًّا على وجهها. لكن ولعدّة ثوانٍ تمكّنت أنابيلا من رؤية وجنتيها وفمها.
«لا يوجد شكّ في أنَّها امرأة»، كرّرت أنابيلا.
«كم عمرها؟».
هزّت رأسها: «لا أعرف».
«في عمرك؟».
«ربّما».
«أم أكبر قليلًا؟».
أومأت بالإيجاب، ثمّ قالت إنّها لا تعرف. لقد شاهدت المرأة لعدّة ثوان، كان معظم وجهها مغطّى.
سأل جونا: «كيف بدا فم المرأة؟».
«سعيدة».
«هل بدت سعيدة؟».
«نعم سعيدة».
لم يتمكّن جونا من الحصول على أيّ وصف. سأل عن التفاصيل، وحاول إعادة صياغة سؤاله. لكنّ أنابيلا قالت كل ما تعرفه بوضوح. شكرها هي وهامار على مساعدتهما.
بينما هو يصعد الدرجات، اتّصل بآنيا التي أجابته مباشرة:
«آنيا لارشون، الجريمة الوطنيّة».
«هل وجدتِ أيّ شيء عن إيڤا بلاو؟».
«ما زلت أعمل على الأمر، ولكنّك تواصل الاتّصال، وتقاطعني».
«آسف، ولكنّ الأمر طارئ حقًّا».
«أعرف، أعرف، ولكنّي لم أحصل على أيّ شيء بعد».
«حسنًا، اتّصلي بي حالما تفعلين».
«توقّف عن الإلحاح»، قالت وأقفلت الخطّ.

73

صباح الأربعاء، 16 ديسمبر

جلس إريك إلى جوار جونا في السيّارة وهو ينفخ في كوب قهوته الورقيّ. قادا في جوار الجامعة ومتحف التأريخ الطبيعيّ على الجانب الآخر من الطريق. انحدرا في اتّجاه مياه بحيرة «برونس». كانت المنازل الخضراء تتألّق في الضوء المعتم.

سأل جونا: «هل أنت واثق بخصوص الاسم؟ إيڤا بلاو؟».

«نعم».

«لا شيء في سجلّات الهاتف. لا سجلّ إجراميّ، لا شيء في قاعدة بيانات الشرطة، مكتب الضرائب وسجلّ المواطنين العامّ أو حتّى سجلّات تسجيل المركبات. لقد تأكّدت من كلّ السجلّات المركزيّة والفرعيّة أيضًا، وكذلك الكنيسة والتأمين الوطنيّ ومكتب الهجرة. لا توجد إيڤا بلاو في السويد ولم توجد يومًا».

«كانت إحدى مريضاتي»، قال إريك بإصرار.

«إذن لا بدّ من امتلاكها لاسم آخر».

«أعرف جيّدًا ماذا يعني ذلك، اللعنة!».

تراجع عن الكلام. كان لديه شكّ عابر بأنّ لديها اسمًا آخر ولكنّه تلاشى.

سأل جونا: «ما الذي كنت ستقوله؟».

«سوف أبحث في سجلّاتي، ربّما يكون إيڤا بلاو هو الاسم الذي رغبَت أن تُكنّى به فقط».

بدت سماء الشتاء منخفضة وكثيفة، وكأنّها سوف تثلج في أيّة لحظة.

انعطفت السيّارة نحو المنطقة السكنيّة في «تابي».

قادا ببطء قرب المنازل، والأفنية المتجمّدة ذات الأشجار العارية، وأحواض السباحة المغطّاة، والمنازل الزجاجيّة الخضراء ذات الأثاث المصنوع من الخوص، والحدائق المغطّاة بالثلوج، وأشرطة الأضواء الملوّنة التي تلفّ أشجار التنّوب، والزلّاجات الزرقاء، والسيّارات الواقفة.

سأل إريك: «أين نذهب؟».

أخذت رقاقات ثلجيّة دائرية تدور في الهواء، وتتجمّع على ماسحة الزجاج الأماميّ.

«لقد قاربنا على الوصول».

«إلى أين؟».

أجاب جونا مبتسمًا: «وجدت بعض الأشخاص الآخرين الذين يحملون كنية بلاو».

توجّه إلى الجانب، وتوقّف عند المرآب، ولكنّه ترك محرّك السيّارة يعمل. انتصب في وسط الحقل مجسّم بلاستيكيّ للدبّويني، وقد تقشّر بعض الطلاء عن قميصه الأحمر. عدا ذلك لم تكن هناك أيّ إشارة على ألعاب أخرى في الفناء. هناك طريق من القرميد غير المنتظم يؤدّي إلى منزل خشبيّ أصفر كبير.

قال جونا: «هنا تعيش ليسيلوت بلاو».

«من تكون؟».

«لا فكرة لديّ، ولكن هناك احتمال أن تعرف شيئًا عن إيڤا».

رأى جونا نظرة الشكّ على وجه إريك، وقال: «هذا ما نملكه في الوقت الحاليّ».

هزّ إريك رأسه: «كان ذلك قبل وقت طويل جدًّا، ولم أفكّر مطلقًا في تلك الأيّام».

نظر إريك مباشرة إلى عينيّ جونا الجليديّتين وقال له: «ربما ليس لهذا الأمر أيّ علاقة بإيڤا بلاو».

«هل أنت واثق من كونك تتذكّر كلّ شيء؟».

«أعتقد ذلك»، قال إريك ببطء وهو ينظر إلى قهوته.

«حقًّا؟».

«لا أعرف».

سأل جونا: «هل تعرف إن كانت خطيرة؟».

نظر إريك خارج نافذة السيّارة ورأى أنّ شخصًا ما رسم أسنانًا حادّة وحاجبين غاضبين على الدبّ ويني. احتسى المزيد من القهوة، وتذكّر فجأة اليوم الذي سمع فيه باسم إيڤا بلاو للمرّة الأولى.

فصل الربيع قبل عشرة أعوام

كانت الساعة الثامنة والربع صباحًا، والشمس تسطع خلال النوافذ المتربة. لقد كنتُ في مناوبة طوال الليل، لذلك كنتُ أشعر بالإرهاق. لكنّي واصلت حزم حقيبتي الرياضيّة. قام لاسي أولسون بتأجيل مباراتنا في كرة الريشة لعدّة مرّات في الأسابيع الماضية. كان لديه عمل كثير -يتجوّل بين المستشفيات، يقدّم المحاضرات في لندن ويستعدّ للانضمام للمجلس- ولكن، في قبل يوم اتّصل بي وسألني إن كنت مستعدًّا.

أجبته: «يا إلهي! نعم».

«إذن أنت مستعدّ لكي تُهزَم؟». قال ذلك ولكن ليس بنبرته الحيويّة المعتادة.

كان لاسي أولسون قد دخل إلى غرفة الخزائن حين وصلت إلى هناك. نظر إليّ بملامح متوتّرة. وقال: «سوف أضربك بشدّة، حتّى أنّك لن تتمكّن من الجلوس على مؤخّرتك لفترة أسبوع».

كانت يده ترتعش حين أغلق خزانته.

قلت: «يشغل بالك الكثير».

«ماذا؟ نعم... لديّ... لقد كان».

تراجع وجلس بتثاقل على المقعد.

سألته: «هل أنت بخير؟».
أجاب: «بالتأكيد. وماذا عنك؟».
«سألتقي بالمجلس في يوم الجمعة».
«أووو نعم. لتجديد منحتك الماليّة. الأمر متشابه دومًا، صحيح؟».
«لست قلقًا إلى هذه الدرجة حقًّا. أعتقد أنّ الأمر سيجري بشكل جيّد. إنّ أبحاثي تتقدّم للأمام وأنا أحصل على نتائج جيّدة».
قال وهو يقف: «أدّيتُ الخدمة العسكريّة في 'بودِن' مع فرانك بولسون».
قلت: «يبدو ذلك واعدًا».
غادرنا غرفة الخزائن. أمسك لاسي بذراعي: «هل أتّصل به وأخبره أنّ عليهم دعمك؟».
سألته: «هل يُسمح لنا بفعل ذلك؟».
«بالتأكيد لا. ولكن إلى الجحيم».
ابتسمت وقلت: «ربّما من الأفضل ترك الموضوع وشأنه».
«ولكن عليك أن تواصل أبحاثك».
«سوف ينجح الأمر».
«لا أحد سيعلم».
نظرت إليه: «حسنًا. لو اعتقدت أنّ الأمر لن يسبّب أيّ ضرر...».
«سأتّصل بفرانك هذا المساء».
أومأت له، وربّت هو على ظهري. ذهبنا معًا إلى القاعة الكبيرة.
سأل لاسي وسط أصوات الأحذية: «هل أنت مستعدّ لأخذ أحد مرضاي؟».
«لماذا؟».
أجاب: «لا أمتلك حقًّا الوقت لذلك».
قلت: «أخشى أنّ جدولي حافل».
«حسنًا».

شرعت في أداء تمارين الإحماء خلال انتظارنا لساحة فارغة. كان لاسي يخطو إلى الأمام والخلف، ثمّ مرّر يده خلال شعره وتنحنح.

قال: «إنّ إيڤا بلاو سوف تلائم مجموعتك. إنّها تتشبّث بصدمة قديمة بشكل لا يمكن تصوّرها».

«سأكون سعيدًا بتقديم اقتراحاتي لك».

قاطعني وخفض صوته: «اقتراحات؟ بصراحة، لقد نفد صبري».

سألته: «هل حدث شيء ما؟».

«لا. لا. إنّه فقط... لا أستطيع اختراق أنظمتها الدفاعيّة. هل بإمكانك أخذها فقط؟».

أجبته: «دعني أفكّر في الأمر».

قفز لاسي من مكانه، ثمّ توقّف ونظر إلى مدخل الردهة وهو يحدّق إلى الأشخاص القادمين. استند إلى الجدار، ونظر إلى القاعة حيث كانت شابّتان تلعبان الريشة. حين تعثّرت إحداهما وفوّتت ضربة بسيطة، سخر منها قائلًا: «النساء!».

هززت كتفيَّ، بينما وقف لاسي هناك يقضم أظافره. بدا وجهه أكثر هرمًا وأنحف. صرخ أحد ما خارج القاعة فانتفض في مكانه.

جمعت الشابّتان أغراضهما وغادرتا الصالة وهما تثرثران.

قلت: «دعنا نلعب».

«إريك هل سألتك قبل اليوم أن تأخذ أحد مرضاي؟».

«لا، ولكنّ كلّ ما في الأمر أنّ جدولي مزدحم جدًّا».

قال بسرعة وهو ينظر إليّ بحزم: «ماذا لو وافقت أن أكون تحت تصرّفك؟».

«ذلك يتطلّب الكثير من الجهد. هل هي خطيرة؟».

«ما الذي تقصده؟»، قال مع ابتسامة مشكّكة وهو يعبث بمضربه.

«هل تعتبر إيڤا بلاو خطيرة؟».

حدّق ثانية نحو الباب، قال بهدوء: «لا أعرف كيف أجيب عن هذا».

«هل قامت بتهديدك؟».

«كلّ المرضى من هذا النوع لديهم القدرة على أن يكونوا خطرين... لا يمكنني الجزم بذلك. أنا واثق من أنّك ستتمكّن من التعامل معها».

قلت: «ربّما».

«ستأخذها؟».

أجبته: «بالتأكيد».

***

بعد يومين سمعت طرقًا على الباب. حين فتحت كان لاسي أولسون يقف في الرواق، وتختبئ خلفه امرأة في معطف مطريّ أبيض. وجهها نحيف ومدبّب، وتضع مساحيق تجميل باللون الورديّ والأزرق بكثافة على عينيها. في عينيها نظرة قلقة، وأنفها أحمر كأنّها مصابة بالبرد.

قال لاسي: «هذا هو إريك ماريّا بارك. إنّه طبيب جيّد جدًّا. أفضل منّي بكثير».

قلت له: «لقد أتيت مبكرًا».

سأل بتوتّر: «هل هذا جيّد؟». أومأتُ وطلبت منهما الدخول.

قال بهدوء: «إريك، أخشى أنّي لا أمتلك الكثير من الوقت».

قلت له: «سيكون من الأفضل لو تمكّنتَ من البقاء».

«أعرف، ولكن يتعيّن عليّ الذهاب للركض. اتّصل بي في أيّ وقت، ولو منتصف الليل، متى ما شئت، سوف أجيبك دومًا».

أسرع بالذهاب، وتبعتني إيڤا بلاو إلى مكتبي. أغلقت الباب ثمّ نظرت إلى عينيّ. سألتني فجأة وهي تحمل فيلًا من البورسلين بيدها المرتعشة: «هل هذا لك؟».

أجبتها: «لا، إنّه ليس لي».

قالت: «لكنّي رأيت الطريقة التي نظرت بها إليه. أنت تريده، أليس كذلك؟».

أخذتُ نفسًا عميقًا وسألتها: «لماذا تعتقدين بأنّني أريده؟».

«ألا تريده؟».

«لا».

«هل تريد هذا إذن؟»، سألت وهي تشير إلى جسمها.

قلت: «إيڤا! لا تفعلي ذلك».

«حسنًا»، قالت بتوتّر وشفتاها ترتعشان.

كانت تقف قريبًا جدًّا منّي، وتفوح ملابسها برائحة الفانيلا القويّة.

سألتها: «هلّا تجلسين؟».

«في حضنك؟».

«هلّا تجلسين على الأريكة؟».

«نعم».

«ستحبّ ذلك. أليس كذلك؟»، قالت وهي ترمي معطفها المطريّ على الأرض، ثمّ تذهب إلى المكتب وتجلس على الكرسيّ المخصّص لي.

سألتها: «هل ترغبين بإخباري القليل عن نفسك؟».

«بماذا تهتم؟».

سألت نفسي إن كانت ستسمح بأن يتمّ تنويمها مغناطيسيًّا أو ستقاوم ذلك.

أوضحتُ: «أنا لست عدوّك».

«لا؟». وفتحتْ أحد أدراج المكتب.

قلت: «لا تفعلي هذا».

تجاهلتني وأخذت تعبث في أوراقي.

ذهبت نحوها، وأخرجت يدها، وأغلقت الدرج.

قلت بحزم: «لقد سألتك أن تتوقّفي».

نظرت إليّ بتحدّ. فتحت الدرج ثانية، ومن دون أن تحيد ببصرها عنّي، سحبت مجموعة من الأوراق ورمتها على الأرض.

قلت باقتضاب: «توقّفي».

أخذت شفتاها ترتعشان وعيناها تمتلئان بالدموع.

قالت: «أنت تكرهني. لقد علمت ذلك. كنت أعرف أنّك ستكرهني. الجميع يكرهني». وبدت خائفة وقتذاك.

قلت لها برفق: «أنا لا أكرهك يا إيڤا. أريدك أن تجلسي فقط. بإمكانك استعارة مكاني إن رغبت أو الجلوس على الأريكة».

أومأت. نهضت عن الكرسيّ، واتّجهت إلى الأريكة، ثمّ استدارت بسرعة، وقالت بصوت منخفض: «هل أستطيع أن ألمس لسانك؟».

«لا. لا تستطيعين. والآن اجلسي».

جلست أخيرًا، ولكنّها أخذت تتململ فورًا.

لاحظت أنّها كانت تمسك شيئًا ما في يدها.

سألتها: «ما الذي تحتفظين به هنا؟».

خبّأت يدها بسرعة خلف ظهرها.

قالت بصوت ينمُّ عن عدائيّة مريعة: «تعال كي تلقي نظرة إن كنت تمتلك الجرأة».

كنت نافد الصبر، ولكنّي أجبرت نفسي على البقاء هادئًا حين سألتها: «هل تودّين إخباري لماذا أتيت لرؤيتي؟».

هزّت رأسها.

سألتها: «ما الذي تعتقدينه؟».

ارتعش وجهها وهمست: «لأنّي قلت إنّني مصابة بالسرطان».

«هل أنت قلقة من إصابتك بالسرطان؟».

قالت: «اعتقدت أنّه يرغب في أن أصاب به».

«لاسي أولسون؟».

«لقد أجروا عمليّة لدماغي عدّة مرّات. قاموا بتخديري ثمّ اغتصابي حين كنت نائمة».

التقت عينانا، فابتسمت باقتضاب: «والآن أنا حامل وافتقد أحد فصوص دماغي».

«ما الذي تقصدينه؟».

«ذلك أمر جيّد حقًّا. لأنّي أرغب في الأطفال فعلًا». سحبت يدها من

خلف ظهرها وفتحت قبضتها المغلقة، كانت يدها فارغة. قلّبتها لعدّة مرّات.

همسَت: «هل ترغب في فحصي؟».

وقفتُ وتوجّهتُ إلى الباب وأنا أشعر بالحاجة إلى وجود مراقب محايد. نهضت إيڤا بسرعة على قدميها. وقالت: «آسفة. آسفة. أنا أخشى فقط أن تكرهني. أرجوك لا تكرهني. أريد أن أبقى. أنا أحتاج إلى المساعدة».

«حسنًا. اهدئي. أنا أحاول فقط أن أخوض حوارًا معك. أريدك أن تنضمّي إلى مجموعتي للتنويم المغناطيسيّ. لقد أوضح لك لاسي ذلك. حسنًا لقد قال إنّك اعتقدتِ أنّها فكرة جيّدة، وأنّها الشيء الذي ترغبين فيه».

أومأت ثمّ مدّت يدها وسكبت كوب قهوتي على الأرض.

«آسفة»، قالت ثانية.

حين غادرت إيڤا، جمعت أوراقي عن الأرض وجلست على مكتبي. كان مطر رقيق يهطل خارج النافذة، وفكّرت في بنيامين الذي كان في رحلة مدرسيّة ذلك اليوم، وكيف نسينا أنا وسيمونا أن نجهّز له معطفه المطريّ.

سألت نفسي إن كان يتوجّب عليّ الاتّصال بمدرسته، والطلب منهم إبقاء بنيامين في الداخل. إنّ كلّ نزهة كانت كفيلة بأن تصيبني بالذعر. أنا حتّى لا أحبّ حقيقة اضطراره لتجاوز بضعة أروقة ونزول الدرج مرّتين للوصول إلى الكافيتريا. أتخيّله وقد دفعه أحد الأولاد المشاكسين. أتخيّل شخصًا يفتح بابًا ثقيلًا عليه، أو أراه يتعثّر بمجموعة من الأحذية الموحلة المبعثرة عند المدخل. قلت لنفسي إنّي أفعل كلّ ما بوسعي لحمايته، وأعطيه حقنته، وإنّ الدواء سيمنعه من النزف حتّى الموت بسبب جرح بسيط، لكنّه ما زال هشًّا، أكثر بكثير من الأطفال الآخرين.

***

أتذكّر ضوء الشمس في اليوم التالي، والطريقة التي كان يسطع بها خلال الستائر الرماديّة القاتمة. كانت سيمونا تستلقي نائمة قربي. فمها نصف مفتوح وشعرها مشعث وكتفاها ورقبتها مغطاة بنمش رقيق باهت والجلد مقشعر على ذراعها، لذلك سحبت الأغطية فوقها. سعل بنيامين بهدوء، لم أنتبه لوجوده هناك. كان يتسلّل ليلًا في بعض الأحيان، ثمّ يستلقي على فراش وضعناه لأجله على الأرض في حالة تعرّضه لحلم سيّئ. كنت معتادًا على النوم قربه ممسكًا بيده حتّى يعود ثانية إلى النوم.

حين رأيت أنّها الساعة السادسة، انقلبت على جانبي الآخر. أغلقت عينيّ وفكّرت كم سيكون من الرائع لو تمكّنت من العودة إلى النوم.

«أبي»، همس بنيامين.

قلت بهدوء: «عد إلى النوم».

جلس على الفراش ناظرًا نحوي، وقال بصوت واضح ومرتفع: «أبي، كنت تتحدّث مع أمّي في الليلة الماضية».

«حقًّا؟»، قلت وشعرت بسيمونا تستيقظ قربي.

حاولت أن أقول بمرح: «ذلك يبدو سخيفًا».

«ها».

ضحكت سيمونا، ثمّ أخفت رأسها تحت الوسادة.

قلت مراوغًا: «ربّما كنت أحلم فقط».

راحت سيمونا تهتزّ من الضحك.

«هل كنت تحلم بأنّك تركب على الأرجوحة؟».

«حسنًا».

نظرت سيمونا إلى الأعلى مع ابتسامة كبيرة: «هيّا! أجبه». ثمّ قالت بشكل جادّ: «هل كنت تحلم بأنّك تركب على الأرجوحة؟».

«أبي».

«أفترض أنّي كنت كذلك».

واصلت سيمونا الضحك.

أعلنت: «حسنًا! حان وقت الفطور».

لاحظت أنّ بنيامين قطّب حاجبيه حين وقف. كانت فترة الصباح هي الأسوأ دائمًا، بسبب النوم تبقى مفاصله خاملة لعدّة ساعات، وقد يؤدّي ذلك إلى نزيف تلقائيّ.

«كيف تشعر؟».

استند بنيامين على الجدار.

قلت: «توقّف أيّها الرجل الصغير وسوف أقوم بتدليكك».

تنهّد بنيامين وتسلّق سريرنا وتركني أقوم بمدّ مفاصله وثنيها برفق وحذر.

قال بصوت حزين: «لا أريد أخذ الحقنة».

«ليس اليوم يا بنيامين، بعد غد».

«لا أريدها يا أبي».

«فكّر في لاسي المسكين، الذي يعاني من مرض السكّري. عليه أن يأخذ الحقن كلّ يوم».

انتهيت من تدليك ذراعيه وساقيه.

«شكرًا لك يا أبي»، قال بنيامين ووقف بحذر.

«ولد شاطر».

احتضنت جسده النحيل، ولكنّي توقّفت عن عصره بقوّة كبيرة.

«هل أستطيع مشاهدة البوكيمون؟».

أجبت: «اسأل والدتك».

سمعت سيمونا تقول من المطبخ: «جبان».

بعد الفطور، جلست على طاولة سيمونا في المكتبة واتّصلت بلاسي أولسون. أجابتني سكرتيرته جيني لُكيركرانتس. تحدّثت معها قليلًا، ثمّ سألتها أن كنت أستطيع الحديث مع لاسي.

قالت: «دقيقة واحدة».

لو لم يكن الأوان قد فات، فإنّي كنت سأسأله ألّا يقول أيّ شيء بخصوصي لفرانك بولسون في المجلس. كانت هناك طقطقة، ثمّ

سمعت صوت جيني ثانية: «أخشى أنّ لاسي لن يتمكّن من استقبال أيّة مكالمات الآن».

«أخبريه أنّه أنا».

أجابت باقتضاب: «لقد فعلت».

أغلقت الهاتف من دون أيّ كلمة أخرى ثمّ أغمضت عينيّ. أدركت أنّ شيئًا ما لم يكن على ما يرام، وأنّني قد خُدعت، وأنّ إيڤا بلاو مشكلة كبيرة، وأكثر خطورة ممّا أخبرني لاسي أولسون.

همست لنفسي: «سأتمكّن من تدبّر ذلك».

أخذت أقلق بشأن اضطراب الاتّزان الدقيق لمجموعتي العلاجيّة بالتنويم المغناطيسيّ. لقد جمعت مجموعة صغيرة من الأشخاص الذين تتباين خلفيّاتهم. أردت أن أسمح لهم بتطوير علاقات، ليس بينهم وبين أنفسهم وحسب، ولكن بين أحدهم والآخر أيضًا. كان الكثير منهم يحمل إحساسًا عميقًا بالذنب، وهو ما كان يمنعهم من الاندماج في المجتمع. كانوا يلومون أنفسهم على اغتصابهم أو الإساءة إليهم. لقد فقدوا تمامًا السيطرة على حياتهم.

تقدّمت المجموعة خلال الجلسة الأخيرة نحو مستوى جديد. استغرق الأمر منّي نصف ساعة كي أدخل ماريك سيميوڤيتش في حالة من التنويم المغناطيسيّ العميق. لم يكن هذا أمرًا سهلًا معه أبدًا. كان مشوّش الذهن ويقاومني دائمًا، وحتّى حين قمت بتنويمه اكتشفت أنّي لم أجد الطريقة الصحيحة لأسترجع ذكرياته إلى الآن.

اقترحت: «منزل؟ حقل؟ جزء من غابة؟».

أجاب ماريك كالعادة: «لا أعرف».

قلت: «إنّنا بحاجة إلى البدء من مكان ما».

«أين إذن؟».

قلت: «حاول أن تفكّر في مكان يتعيّن عليك العودة إليه كي تفهم الشخص الذي أنت عليه الآن».

«الريف حول سيَنيكّا»، قال ماريك بصوت معتدل، «زينتشكا- دوبويسكي».

«حسنًا، جيّد». قلت وأنا أدوّن ذلك، «هل تعرف ما الذي حصل هناك؟».

«كلّ شيء حصل هناك، في المنزل الخشبيّ الداكن الكبير الشبيه بالقلعة. منزل في مزرعة، ذو أسطح مائلة وأبراج صغيرة وشرفات...».

كانت المجموعة تصغي الآن. الجميع يفهمون أنّ ماريك أخذ بالانفتاح.

قال ماريك ببطء: «كنت أجلس على كرسيّ، أو ربّما على فراش. كنت أدخّن مارلبورو، ربّما كانت هناك المئات من نساء قريتي وفتياتها قد دخلن إلى الداخل».

«دخلن؟».

«على مدى عدّة أسابيع، دخلن عبر الأبواب الرئيسيّة، وتمّ اقتيادهنّ عبر الأدراج الكبيرة إلى غرف النوم».

«هل هو ماخور؟»، سأل يوسي بلكنته النرويجيّة الثقيلة.

«لا أعرف ما الذي حصل هناك»، أجاب ماريك بهدوء.

سألته: «ألم تشاهد الغرف في الأعلى؟».

دعك وجهه بيديه، ثمّ أخذ نفسًا عميقًا، وقال: «هناك ذكرى واحدة. دخلت إلى غرفة صغيرة، وشاهدت إحدى مدرّساتي في الثانويّة. شُدّ وثاقها إلى السرير وتغطّي الكدمات ركها وفخذَيها».

«ما الذي حصل؟».

«كنت أقف فقط عند الباب مع عصا خشبيّة بيدي و... لا أتذكّر المزيد».

قلت: «حاول».

«لقد تلاشت».

«هل أنت متأكّد؟».

«لا أستطيع القيام بهذا الآن».
قلت: «حسنًا، لا يتوجّب عليك ذلك، هذا يكفي».
قال: «انتظر». ثمّ جلس لفترة طويلة من دون أن يقول شيئًا.
وأخيرًا تنهّد. دعك وجهه ونهض.
«ماريك».
قال بصوت مرتعش: «لا أتذكّر أيّ شيء».
حين دوّنت بعض الملاحظات شعرت بأنّ ماريك كان يراقبني.
قال: «لا أتذكّر، ولكنّ كلّ شيء حصل في ذلك المنزل اللعين».
نظرت نحوه: «قلت كلّ شيء، كلّ شيء في ذلك المنزل الخشبيّ».
قالت ليديا من مكانها إلى جواره: «المنزل المسكون».

***

نظرت إلى الوقت. سوف أقوم بتقديم عملي قريبًا إلى إدارة المستشفى. ذهبت إلى الحوض وغسلت وجهي، ثمّ نظرت إلى نفسي في المرآة لوهلة وأنا أحاول الابتسام قبل أن أغادر الحمّام. حين أغلقت باب غرفتي كانت امرأة شابّة تقف في الرواق على بُعد بضع خطوات منّي.

«إريك ماريّا بارك؟».

كان لديها شعر كثيف داكن جمعته على شكل كعكة خلف رأسها. ابتسمت لي. ظهرت غمّازتان عميقتان في وجنتيها. كانت ترتدي معطفًا طبّيًّا أبيض، وقد أشارت بطاقة التعريف على صدرها إلى أنّها طبيبة متدرّبة.

قالت وهي تمدّ يدها: «مايا سڤاتلينغ. أنا واحدة من أشدّ المعجبات بك».

«لماذا؟»، سألت مبتسمًا.

بدت سعيدة، وكانت رائحتها تشبه الخزامى والبنفسج. قالت من دون أيّ تمهيد مسبق: «أريد أن أساعدك في عملك».

«في عملي؟».

أومأت وتضرّجت بالخجل: «نعم. إنّه مثير بشكل لا يُصدّق».

«آسف إن لم أوافقك على حماستك، لكنّي لست واثقًا حتّى من أنّه سيكون هناك المزيد من الأبحاث».

«ما الذي تقصده؟».

«إنّ تمويلي ينتهي في نهاية هذا العام».

فكّرت في اجتماعي القادم وقلت: «من الرائع أنّك مهتمّة، وأحبّ أن أناقش ذلك معك، ولكن الآن عندي اجتماع مهمّ أحتاج إلى حضوره».

تراجعت مايا عن الطريق وقالت: «يا إلهي! آسفة. أنا آسفة حقًّا».

«بإمكاننا التحدّث في طريقنا إلى المصعد»، قلت مبتسمًا لها.

بدت متوتّرة واحمرّت وجنتاها ثانية حين سارت بمحاذاتي، وقالت بقلق: «هل تعتقد أنّك ستواجه مشكلة في الحصول على المزيد من التمويل؟».

التحدّث عن أبحاثي كان ضروريًّا، ولكنّي لطالما وجدت ذلك أمرًا صعبًا، لأنّي أعرف أنّ عليّ التعامل مع أشخاص متحيّزين ضدّ التنويم المغناطيسيّ.

«بعض الأشخاص ما زالوا يعتقدون أنّ التنويم المغناطيسيّ أمر شاذّ. وذلك يجعل من الصعوبة أن نقدّم نتائج غير مكتملة».

«لكن، إذا قرأوا كلّ تقاريرك، فهناك دلائل على التقدّم حتّى لو كان من المبكر جدًّا نشر أيّ شيء».

«هل قرأتِ تقاريري؟»، سألتها مشكّكًا.

قالت: «كان هناك القليل لأطّلع عليه».

وقفنا أمام باب المصعد.

سألتها: «ما الذي تعتقدينه بخصوص التغييرات الفيزيولوجيّة في النظام العصبيّ؟».

«هل تقصد ذلك الجزء المتعلّق بالمرضى من ذوي الدماغ المتضرّر؟».

«نعم»، قلت محاولًا أن أخفي دهشتي.

قالت: «مثير جدًّا. الطريقة التي كنت تتحدّى بها النظريّات التي توضح كيفية انتشار الذكريات خلال الدماغ».

«هل لديك أفكار؟».

«نعم. عليك أن تكثّف البحث عن الموصلات العصبيّة وتركّز على الغدّة النخاميّة».

قلت: «أنا مندهش جدًّا».

«يجب أن تحصل على المزيد من التمويل».

قلت: «أعرف».

«ماذا سيحدث إن رفضوا؟».

«عليّ أن أترك البرنامج وأساعد المرضى في الحصول على طرق أخرى للعلاج».

«والبحث؟».

«قد أقدّمه إلى جامعات أخرى إن رغب به أحد».

«هل لديك أيّ خصوم في المجلس؟».

«لا أعتقد ذلك».

وضعت يدها برفق على ذراعي وابتسمت وقد تزايد تورّد بشرتها، قالت وهي تنظر إلى عيني: «سوف تحصل على النقود لأنّ عملك مذهل جدًّا. لا يمكنهم تجاهل ذلك. إن لم يروا ذلك فسوف آتي معك إلى أيّ مكان تذهب إليه».

تساءلتُ فجأة إن كانت تغازلني. كان هناك شيء غريب بخصوص نبرتها الرقيقة المباشرة. نظرت بسرعة إلى رقعة اسمها وتأكّدت منه.

مايا سڤاتلينغ - طبيبة متدرّبة.

«مايا...».

قالت بمرحٍ: «لا تتجاهلني. إريك ماريّا بارك».

قلت حين فُتح باب المصعد: «علينا أن نناقش هذا في وقت آخر».

ابتسمت مايا سفاتلينغ ثانية وأظهرت غمّازتيها، ثمّ وضعت يديها الاثنتين تحت ذقنها وانحنت لي بتواضع.

«سَوادي»، قالت برقّة.

وجدت نفسي ابتسم على التحيّة باللغة التايلانديّة خلال طريقي إلى مكتب المديرة آنيكا لورنتسُن، التي كانت تتأمّل عبر النافذة المنظر المطلّ على المقبرة الشماليّة وحديقة «هاغا».

قلت: «جميل».

ابتسمت آنيكا لي بهدوء. كانت سمراء البشرة ورشيقة وتفوح منها رائحة الصابون الغالي الثمن.

قالت وهي تشير إلى قوارير الماء: «هل ترغب في بعض الماء؟».

هززت رأسي نافيًا، ثمّ سألت نفسي عن باقي أعضاء المجلس.

وقفت آنيكا. قالت وكأنّها استطاعت قراءة أفكاري: «إنّهم في الطريق إلى هنا يا إريك. إنّه يومهم الأسبوعيّ للساونا»، ابتسمت متهكّمة، «طريقة واحدة كي يتجنّبوا وجودي في الاجتماعات. ذكيّة... ألا تعتقد ذلك؟».

في تلك اللحظة، دخل عبر الباب خمسة رجال ذوو وجوه حمراء لامعة. كانت ياقات بزّاتهم رطبة وشعرهم مبلّل، وتشعّ منهم الحرارة وعطور ما بعد الحلاقة. تلاشت أحاديثهم حين دلفوا إلى الداخل.

لبثت واقفًا بسكون تامّ للحظات وراقبتهم. هؤلاء الأشخاص يحملون مستقبل أبحاثي بين أيديهم. كان ذلك واضحًا. تململ أعضاء المجلس في أماكنهم. رفعت آنيكا رأسها مبتسمة، وقالت: «نحن أمامك يا إريك».

أخذتُ نفسًا عميقًا وفكّرت في مرضاي. كنت أريد إطلاق سراح ذكرياتهم ومساعدتهم على المضيّ قدمًا وأنا بحاجة إلى هذا التمويل.

ابتدأت: «إنّ طريقتي ترتكز على معالجة الصدمة النفسيّة بواسطة التنويم المغناطيسيّ الجماعيّ العلاجيّ».



قال روني يووانسون: «سبق أن علمنا ذلك».

حاولت أن أقدّم ملخّصًا عن عملي حتّى الآن، ولكن بدا أنّ مستمعيّ مشوّشون.

«أخشى أنّ لديّ اجتماعًا آخر»، قال راينِر ميلش بعد برهة، ثمّ نهض. مدّ يده لمصافحة بعض الرجال وغادر الغرفة.

واصلت: «لقد أرسلت لكم أساسيّات البحث بالتفصيل. أعتقد أنّ ذلك سيكون كافيًا، ولكن من الضرورة عدم حذف أيّ شيء».

سأل بيدِر مالاشتي: «لمَ لا؟».

أوضحت: «لأنّه من المبكر جدًّا الوصول إلى أيّة استنتاجات».

قال: «إذا نظرنا إلى ما بعد سنتين؟».

«من الصعب قول ذلك، ولكنّي أستطيع رؤية بعض الأنماط تتّضح أمامي»، أجبته رغم أنّي علمت أنّه لم يكن يتوجّب عليّ الخوض في ذلك.

«أنماط! أيّ نوع من الأنماط؟».

«هل ترغب في إخبارنا ما الذي تطمح إلى تحقيقه؟»، سألت آنيكا مبتسمة.

«آمل أن أتمكّن من معرفة الحواجز النفسيّة التي تظهر خلال التنويم، الطريقة التي يجد فيها الدماغ سبلًا أخرى لحماية الشخص من الصدمات الدفينة حتّى وهو في حالة الاسترخاء العميق. أنا أعتقد أيضًا -وهذا هو الأمر المثير فعلًا- أنّه حين يقترب المريض من جوهر الصدمة، وحين تطفو الذكريات المكبوتة إلى السطح بواسطة التنويم المغناطيسيّ، فإنّ المريض يحاول الحفاظ على السرّ، وعندئذ أخذت أشكّ في أنّه يشرع في سحب الأفكار من الأحلام إلى الذكريات في محاولة منه لتجنّب المواجهة».

سألني روني يووانسون في فضول مفاجئ: «كي يتجنّب اضطراره إلى مواجهة الظرف بذاته؟».

«نعم، نوعًا ما، ولكن لتفادي الشخص المسيء بشكل جوهريّ. قد

يجري استبدال المسيء بأيّ شيء، ولكنّي وجدت أنّ الحيوانات تكون البدائل المناسبة».

عمّ الصمت في الغرفة. وتمكّنت من ملاحظة أن آنيكا، والتي طالما كانت محرجة من هذا الموضوع، تبتسم مع نفسها.

سأل بيدر مالاشتي: «كم هو واضح ذلك النمط؟».

أجبته: «واضح، ولكن غير محدّد».

«هل هناك أي بحث دوليّ مماثل؟». أراد أن يعرف.

ردّ روني يووانسون باقتضاب: «لا».

قال سڤاين هولستين: «ما أحبّ معرفته هو، إذا كانت هذه هي الحالة، ماذا سيكون رأيك؟ هل سيعثر المريض دائمًا على شيء آخر يختبئ خلفه في التنويم المغناطيسيّ؟».

«هل من الممكن تجاوز هذا؟»، سأل بيدِر مالاشتي.

كنت أشعر بأنّ وجنتيّ تزدادان احمرارًا حين تنحنحت قليلًا وأجبت: «أعتقد أنّنا ستتمكّن من تجاوز تلك الصور بالتنويم المغناطيسيّ العميق».

سألت آنيكا: «وماذا عن المرضى؟».

قال بيدِر مالاشتي: «نعم كنت أسأل نفسي عنهم أيضًا».

قال هولستين: «كل هذا يبدو جذّابًا بشكل لعين. لكنّي أريد ضمانات بأنّه لن يكون هناك ذُهان أو انتحار».

«نعم ولكن...».

قاطعني: «هل تعدنا بذلك؟».

قلت: «إنّ أولويّاتي هي مساعدة مرضاي».

«والبحث؟».

تنحنحت وقلت: «هو ناتج عرضيّ. تلك هي الطريقة التي أنظر بها إليه».

تبادل بعض الرجال حول الطاولة النظرات.

قال فرانك بولسون فجأة: «جواب جيّد. أنا أقدّم لإريك ماريّا بارك دعمي الكامل».

قال هولستين: «ما زلت قلقًا بخصوص المرضى».

قال فرانك بولسون وهو يشير نحو الملفّ: «كلّ شيء موجود هنا. لقد كتب كلّ شيء بخصوص تحسّن المرضى، ويبدو الأمر أكثر من واعد».

«إنّها طريقة غير تقليديّة في العلاج، جريئة جدًّا، وعلينا أن نكون واثقين من قدرتنا على الدفاع عنها إن حصل أيّ شيء خاطئ».

«أنا واثق من قدرتي على تجنّب حدوث أيّة مضاعفات خطيرة»، قلت وشعرت برعشة تسري في عمودي الفقريّ.

قالت آنيكا: «إريك، اليوم الجمعة وقد أخذ الجميع يعودون إلى منازلهم. أعتقد أنّ بإمكانك الاتّكال على استمرار التمويل».

أومأ الآخرون بالموافقة، واتّكأ روني يووانسون إلى الخلف، وصفّق بيديه معًا.

***

كانت سيمونا تقف في المطبخ حين وصلتُ إلى المنزل، وتفرغ كيس البقالة على الطاولة. حزم من الهليون، المردقوش، الدجاج، الليمون، أرزّ الياسمين. ضحكت حين رأتني.

سألتها: «ما الأمر؟».

هزّت رأسها ثمّ قالت مع ابتسامة عريضة: «عليك أن ترى نفسك».

«ماذا؟».

«تبدو مثل طفل صغير في أمسية العيد».

«بهذا الوضوح؟».

نادت: «يا بنيامين!».

حضر بنيامين إلى المطبخ وهو يحمل علبة مليئة بالأدوية. بذلت سيمونا قصارى جهدها كي تبدو جادّة، ثمّ أشارت نحوي.

قالت له: «انظر! كيف يبدو والدك؟».

نظر بنيامين إلى عينيّ ثمّ ابتسم: «أنت تبدو سعيدًا يا أبي».

«نعم أيّها الرجل الصغير، نعم».
سأل: «هل وجدوا العلاج؟».
«ماذا؟».
قال: «لجعلي أفضل. كي لا أضطرّ إلى أخذ المزيد من الحقن».
حملته، ثمّ احتضنته وأوضحت له بأنّهم لم يجدوا العلاج بعد، ولكنّي آمل وأتمنى أكثر من أيّ شيء آخر أن يفعلوا ذلك قريبًا.
قال: «حسنًا».
حين وضعته على الأرض ثانية رأيت نظرة التفكير على وجه سيمونا.
سحبني بنيامين من بنطالي، وسألني: «إذًا ماذا هناك؟».
«ماذا؟».
«لماذا أنت سعيد يا أبي؟».
قلت: «إنّه العمل فقط. لقد أعطوني النقود لأجل أبحاثي».
«يقول داڤيد إنّك ساحر».
«لست ساحرًا، أنا أنوّم الناس مغناطيسيًّا، هؤلاء الحزانى والخائفين، كي أجعلهم يشعرون بشكل أفضل».
سمحت سيمونا لبنيامين أن يمرّر يديه عبر أوراق المردقوش، وأن يشمّها، قبل أن تستدير نحوي قائلة: «سوف أقوم بتوقيع العقد غدًا».
«واو! لماذا لم تقولي أيّ شيء؟ مبروك».
ضحكت.
قالت: «وأنا أعرف تمامًا من أريد في معرضي الأوّل. فتاة ارتادت مدرسة الرسم في ’بيرجين‘، إنّها عبقريّة، هي تقوم بتلك...».
توقّفت سيمونا عن الكلام حين رنّ جرس الباب. حاولت أن ترى مَن الطارق عبر شبّاك المطبخ قبل أن تذهب لفتح الباب.
سألتُها: «من؟».
قالت: «لا أحد. لا يوجد أحد هنا».
نظرتُ إلى الأحراش قرب الطريق.
قالت فجأة: «ما هذا؟».

على عتبة الباب كانت تستلقي عصا ذات مقبض في أحد طرفيها، وقطعة خشب صغيرة على الطرف الآخر.

قلت وأنا أحمل تلك الأداة القديمة: «ذلك غريب».

«ما هذه؟».

«أعتقد أنّها عصا تأديب. اعتاد الناس على استخدامها لتأديب الأطفال».

***

كانت النافذة مفتوحة. شعرت بالنسيم الربيعيّ العليل على وجهي. حان وقت جلسة أخرى مع مجموعة العلاج بالتنويم. سيصلون خلال عشر دقائق، الأعضاء الستّة مع إيڤا.

التقطت أوراقي وأخذت أقرأ ملاحظاتي عن الجلسة السابقة قبل أسبوع، حين تحدّث ماريك عن المنزل الخشبيّ الكبير في الضواحي خارج زينتشكا-دوبويسكي.

كان دور شارلوت كي تبدأ، ثمّ فكّرت بأنّي سأحاول مع إيڤا.

رتّبت الكراسي بشكل نصف دائرة، ووضعت مسند كاميرا الفيديو في أبعد نقطة ممكنة. دخلت شارلوت سيديرفويلد. كانت ترتدي معطفًا ضدّ المطر بلون أزرق قاتم مع حزام عريض مربوط بإحكام حول خصرها النحيل. حين خلعت قبعتها، تناثر شعرها الكستنائيّ المجعّد حول وجهها، وبدت حزينة جدًّا كالعادة. ثم وصل يوسي بيرسون كذلك.

قال بلكنته النرويجيّة الرقيقة: «أيّها الطبيب».

تصافحنا ثمّ ذهب لإلقاء التحيّة على سيبيل. ربّت على كرشها المنتفخ، وقال شيئًا جعلها تحمرّ خجلًا وتقهقه. سارا معًا لحظة وصول باقي أعضاء المجموعة: ليديا وبيار وماريك، الذي كان متأخّرا قليلًا كالعادة.

وقفت وانتظرتهم حتّى يستقرّوا. رغم أنّهم كانوا مختلفين تمامًا، فقد اشتركوا في عامل واحد: صدمة بسبب الإساءة. لم يكن أيّ منهم واعيًا

بشكل كامل لما حصل له. كانوا يعرفون فقط أنّه مهما كان الشيء الذي تعرّضوا له في الماضي فهو ما زال يدمّر حياتهم.

كما قال فوكنر «إنّ الماضي لا يموت أبدًا، إنّه حتّى ليس ماض». كلّ شيء صغير مرّ به الانسان سوف يأتي معه إلى الحاضر، كلّ تجارِبنا السابقة ستؤثّر على خياراتنا. حين تكون تلك التجارب مؤلمة فإنّ الماضي يحتلّ تقريبًا كلّ الفراغ المتوفّر في أذهاننا.

كانوا مستعدّين للبدء، ولكنّ إيڤا بلاو لم تصل بعد. نظرت إلى الساعة، وقرّرت أن أبدأ من دونها.

كانت شارلوت تجلس دومًا في المؤخّرة. خلعت معطفها وكانت كالعادة ترتدي ملابس أنيقة جدًّا. ابتسمت بحذر حين التقت عينانا. يوم أحضرت شارلوت إلى المجموعة كانت قد حاولت الانتحار خمس عشرة مرّة. في المحاولة الأخيرة قامت بإطلاق النار على نفسها من بندقيّة صيد زوجها في وسط منزلهم الفاره في يورشهولم، انزلق السلاح وأصابت الرصاصة إحدى أذنيها وجزءًا من وجنتها. لا أثر لذلك الآن. لقد أجرت مجموعة من الجراحات، وغيّرت تسريحة شعرها كي تخفي أذنها الاصطناعيّة والسمّاعة التي تضعها.

كنت كلّما رأيت شارلوت وهي تميل رأسها وتصغي بتهذيب إلى قصص الآخرين أتأكّد كم تبدو جميلة، وكم هي كسيرة القلب.

سألتها: «هل تجلسين مرتاحة يا شارلوت؟».

أومأت وأجابت بصوتها الواضح الهادئ: «أنا بخير... بخير».

أوضحتُ: «اليوم سوف نقوم باستكشاف غرف شارلوت الداخليّة».

ابتسمت قائلة: «منزلي المسكون».

«بالضبط».

كشّر ماريك بحزن نحوي حين التقت أعيننا.

قلت: «أقترح أن نبدأ الآن».

كان الاسترخاء الأوّلي يتبعه الحثّ الذي تتلاشى خلاله كلّ الرغبات

والحواجز داخلهم. قدتهم ببطء إلى حالة من النشوة، واستحضرت لهم مجموعة من الأدراج الخشبيّة الرطبة، أرشدتهم لينزلوا عليها.

أخذت طاقة مألوفة خاصّة تنساب بيننا جالبة معها دفئًا غير معتاد. كان صوتي محدّدًا ومركّزًا في البداية، ثمّ صار تدريجيًّا أكثر استرخاءً. بدا يوسي متوتّرًا. كان يغمغم ويقوم بمسح فمه من حين لآخر. رأيت أجسادهم وهي تستقرّ في أماكنهم، وجوههم تتراخى وتتّخذ تلك الهيئة الخالية من التعبير للأشخاص الذين يدخلون في مرحلة التنويم. مشيت خلفهم واضعًا يدي برفق على كتف كلّ واحد منهم، وأنا أعدّ الأرقام تنازليًّا طوال الوقت وأقودهم خطوة خطوة.

كان فم ماريك سيميوڤيتش مفتوحًا وقطرة من اللُّعاب تتدلّى من زاوية فمه. بدا بيار أكثر نحولًا وضعفًا من أيّ وقت آخر. وكانت ذراعا ليديا تتدلّيان إلى جانبي كرسيّها.

قلت بصوت منخفض: «واصِلوا نزول الأدراج».

لم أخبر مجلس المستشفى بأنّ المنوّم المغناطيسيّ أيضًا يدخل في حالة غشية أشبه بالإغماء. لم أكن متأكّدًا من أنّهم سيتفهّمون ذلك.

لم أفهم يومًا أبدًا لماذا تكون غشيتي الخاصّة، تلك التي تصاحب المرضى، تدور أحداثها دائمًا تحت الماء. لكنّي أحببت ذلك التخيّل المائيّ. كان ممتعًا، وكنت قد تعلّمت قراءة الوضع بصورة فعّالة جدًّا.

بينما كنت أغوص في المحيط، كان مرضاي يرون أشياء مختلفة تمامًا. ينجرفون مع ذكرياتهم الخاصّة، وينتهون في أيّ مكان حصلت لهم الصدمة فيه. لم يعرفوا أنّ جميعهم بالنسبة إليّ تحت الماء، يغوصون ببطء قرب الشعَب المرجانيّة على حافّة الجرف القارّيّ.

هذه المرّة قرّرت أن آخذهم معي إلى حالة عميقة جدًّا من التنويم. كان صوتي يحصي الأرقام تنازليًّا، وأنا أتحدّث عن المتعة وعن الاسترخاء: «أريدكم أن تغوصوا إلى الأعمق قليلًا. واصلوا النزول إلى الأسفل ولكن ببطء أكثر الآن. قريبًا سوف تتوقّفون. بهدوء نحو الأعمق قليلًا بعد. والآن سوف نتوقّف».

في خيالي كانوا جميعهم يقفون بشكل نصف دائرة أمامي على قاع البحر الرمليّ المنبسط الفسيح. كان الماء صافيًا وعليه مسحة خضراء، والرمل تحت أقدامنا يتحرّك بشكل مويجات رقيقة منتظمة. التمعت بعض قناديل البحر وهي تمرّ فوقنا. كانت الأسماك بين الحين والآخر تثير الرمال فتتطاير من حولنا.

قلت: «نحن جميعًا في الأعماق الآن».

فتحوا أعينهم ونظروا إليّ.

واصلت: «شارلوت اليوم دورك... باشري. ما الذي ترينه، أين أنت؟».

تحرّك فمها بصمت.

قلت: «لا يوجد هنا ما يؤذيك. نحن جميعًا هنا معك».

قالت بخنوع: «نعم».

لم تكن عيناها مفتوحتين أو مغلقتين. كانت تبدو مثل عيون السائر في نومه، غافلة وبعيدة.

قلت: «أنت تقفين خارج الباب. هل ترغبين في الدخول؟».

أومأت وتمايل شعرها فوقها مع تيّار الماء.

قلت: «افعلي ذلك الآن».

«نعم».

واصلت: «ما الذي ترينه؟».

«لا أعرف».

«هل ذهبت إلى الداخل؟». سألت رغم اعتقادي أنّ الأمر كان يجري بصورة أسرع من المفترض.

«نعم».

«ولكنّك لا ترين أيّ شيء؟».

«بل أرى».

«هل هناك شيء غير اعتياديّ؟».

«لا أعرف... لا أعتقد».
قلت بسرعة: «صفيه لي».
هزّت رأسها، فخرجت فقاعات صغيرة لامعة من الهواء من شعرها وطافت نحو السطح. كنت أعرف أنّني أدفعها بقوّة. لم أصغ بصورة جيّدة. حاولت دفعها إلى الأمام، ولكنّي بقيت عاجزًا عن منع نفَسي من القول: «لقد عدتِ إلى منزل جدّك».
أجابت بصوت خافت: «نعم».
«أنت تقفين الآن عند الباب وتتقدّمين إلى الأمام».
«لا أرغب في ذلك».
«خطوة واحدة فقط».
همست: «ربّما ليس الآن». وكانت شفتها السفلى ترتعش.
سألت: «هل يمكنك رؤية أيّ شيء غير اعتياديّ؟ أيّ شيء يجب ألّا يكون هناك؟».
تجهّم وجهها، وعلمت بأنّها كانت على وشك أن تخرج فجأة من حالة التنويم، ما قد يكون خطيرًا. قد تنتهي إلى حالة من الاكتئاب العميق إن حصل ذلك بسرعة كبيرة.
قلت برفق: «ليس عليك فعل ذلك يا شارلوت. ليس عليك أن تنظري إلى الداخل. بإمكانك فتح الأبواب الزجاجيّة والذهاب إلى الحديقة إذا شئت».
كان جسدها يرتعش، وأدركت أنّ الأمر متأخّر جدًّا: «ابقي لطيفة ومسترخية»، همست، ومددت لها إحدى يديّ.
كانت شفتاها بيضاوين وعيناها جاحظتين.
«شارلوت سوف نعود إلى السطح معًا. بهدوء ورفق».
رفست قدميها مسبّبة غيمة صغيرة من الرمال حين أخذت تطفو للأعلى.
قلت بهدوء: «انتظري».

كان ماريك ينظر نحوي بإصرار وهو يحاول قول شيء ما.

واصلت العدّ ونحن نتّجه للأعلى: «نحن في طريقنا إلى الأعلى، وسوف أعدّ حتّى العشرة، وحين أنتهي من العدّ سوف تفتحون عيونكم وتشعرون بشكل جيّد تمامًا».

***

شهقت شارلوت كي تتنفّس ثمّ وقفت من دون اتّزان.

قلت: «دعونا نحظَ باستراحة».

كان الصحو قد حدث بسرعة كبيرة، وكنت جالسًا وأنا أمسح وجهي وأكتب بعض الملاحظات حين أتى ماريك نحوي. وقال مع ابتسامة تهكّم: «عمل جيّد».

أجبت: «لم يكن ذلك ما فكّرت فيه».

قال: «فكّرت في أنّ ذلك كان مضحكًا».

أتت ليديا وكانت حليّها تصدر خشخشةً، وشعرها الأحمر يتألّق مثل النحاس حين مشت خلال شعاع الشمس.

سألت: «ماذا؟ أيّ جزء اعتقدتِ أنّه مضحك؟».

قال ماريك: «لقد وضعت تلك الوضيعة في مكانها».

سألت ليديا قبل أن أعقّب على الأمر: «ما الذي تقوله؟».

«أنا لا أتحدّث عنكِ، لقد قصدت...».

قالت ليديا بهدوء: «لا يمكنك أن تقول إنّ شارلوت وضيعة لأنّ ذلك غير صحيح. أليس كذلك يا ماريك؟».

«حسنًا. اللعنة».

رغم أنّني ابتعدت وأخذت أنظر إلى ملاحظاتي فقد واصلت الإصغاء إلى حوارهما.

أصرّت: «هل لديك مشكلة مع النساء؟».

قال ماريك: «لا يمكنك أن تفهمي لأنّك لم تكوني هناك. لقد حدثت أشياء في المنزل المسكون».

قالت وهي تأخذ يده بين يديها: «لا توجد أيّ مشكلة الآن يا ماريك».

عادت سيبيل وبيار إلى الداخل. كان الجميع هادئًا ومطيعًا. بدت شارلوت ضعيفة جدًّا. كانت ذراعاها النحيلتان تلتفّان على صدرها، ويداها على كتفيها.

غيّرت الشريط في كاميرا الفيديو، وذكرت الوقت والتأريخ بسرعة، ثمّ أوضحت بأنّ الجميع كانوا في حالة ما بعد التنويم.

قلت: «تعالوا واجلسوا الآن، دعونا نكمل».

سمعنا طرقًا على الباب، ودخلت إيڤا بلاو. كانت تبدو متوتّرة لهذا فقد توجّهت إليها: «أهلًا بك».

سألت: «حقًا؟».

أجبتها: «نعم».

جلست على الكرسيّ الفارغ، واعتصرت يديها بين ساقيها. عدت إلى مكاني وابتدأت بحذر الجزء الثاني من الجلسة.

«تأكّدوا من جلوسكم براحة وأرجلكم على الأرض وأيديكم في حِجركم. لم يسرِ الجزء الأوّل من الجلسة بالطريقة التي تصوّرتها».

قالت شارلوتَ: «أنا آسفة».

«لا حاجة إلى الاعتذار. أنت بالذات أريدك أن تعرفي ذلك».

كانت إيڤا تحدّق بي. قلت: «سوف نبدأ بالأفكار والمشاركات التي صاحبت ما حصل قبل الاستراحة. هل لدى أحدكم أيّ تعليق؟».

قالت سيبيل: «مربكة».

قال يوسي: «مخيفة. أنا أعني... لقد تسنّى لي الوقت فقط لأفتح عينيّ ثمّ أحكّ رأسي قبل أن ينتهي الأمر».

سألته: «ما الذي أحسست به؟».

أجاب: «شَعر».

«شَعر؟»، سألت سيبيل ضاحكة.

أوضح يوسي: «حين حككت رأسي...».

ضحك بعضهم على المزحة. بانت لمحة من المرح على وجه يوسي الكئيب.

قلت مبتسمًا: «أعطوني بعض الملاحظات المتعلّقة بالشعر... شارلوت».

قالت: «لا أعرف. شَعر... لحية ربّما... لا».

واصل بيار مبتسمًا: «إنّه متشرّد، متشرّد على درّاجة ناريّة. يجلس هكذا وهو يمضغ فاكهة كثيرة العصارة ويركب...».

وقفت إيڤا فجأة حتّى أنّ كرسيّها احتكّ بالأرض تحتها.

قالت: «هذا طفوليّ».

تلاشت ابتسامة بيار.

سألت: «لم تظنّين ذلك؟».

لم تُجب إيڤا. حدّقت إليّ فقط قبل أن تعود لتجلس باكتئاب.

سألتُ بيار بهدوء: «بيار، هل تريد أن تواصل؟».

هزّ رأسه وضمّ سبّابتيه ووجّههما نحو إيڤا وهو يتظاهر بأنّه يطلق عليها النار.

همس بارتياب: «لقد أطلقوا النار على دينيس هوبر لأنّه كان متشرّدًا».

قهقهت سيبيل بصوت مرتفع ونظرت إليّ متوجّسة. رفع يوسي يده ثمّ استدار نحو إيڤا، وقال بلكنته الثقيلة: « لا يتوجّب عليك المشاركة في أعمالنا الطفوليّة في المنزل المسكون».

أدركت أنّ إيڤا لا تمتلك أدنى فكرة عمّا يعنيه المنزل المسكون بالنسبة للمجموعة، ولكنّي تجاهلت الأمر.

استدارت إيڤا نحو يوسي وبدت على وشك أن تصرخ عليه. لكنّه نظر نحوها بثبات وملامح جادّة، فلجمت نفسها وغيّرت جلستها على كرسيّها.

أوضحت: «إيڤا، سوف نبدأ الآن مع بعض تمارين التنفّس والاسترخاء. ثمّ سوف أنوّم المجموعة مغناطيسيًّا، واحدًا منكم أو

اثنين في كلّ مرّة. يجب أن تكون أقدامكم على الأرض وأيديكم في حجركم».

حين كنت أقودهم برفق إلى التنويم، خطر في ذهني أن أبدأ باستكشاف غرف إيڤا بلاو السرّيّة. كان من المهمّ بالنسبة إليها أن تشارك في شيء ما كي يتمّ تقبّلها من المجموعة. شرعت في إحصاء الأرقام تنازليًا، وأنا أراقب تنفّس المجموعة، وأقودهم إلى المرحلة الأولى من التنويم الخفيف، ثمّ أتركهم ليطفوا تحت السطح الفضّيّ للماء.

قلت بهدوء: «إيڤا، أنا الآن أتحدّث إليك فقط. أنت تشعرين بالأمان والاسترخاء. أريدك أن تصغي إلى صوتي وتتبعي تعليماتي. واصلي فعل كلّ ما أقوله من دون أن تسألي عن أيّ شيء -سوف تجدين نفسك في حالة تدفّق للكلمات ليس قبل أو بعد، ولكن في المنتصف دائمًا».

حين غصنا داخل الماء الرماديّ لمحت باقي أعضاء المجموعة يطوفون وحافّات رؤوسهم فقط تحت السطح المتلاطم. انجرفنا للأسفل نحو الأعماق المعتمة عبر حبل غليظ من الأعشاب البحريّة.

في الوقت نفسه، في العالم الحقيقيّ، وقفت خلف كرسيّ إيڤا بلاو واستقرّت يدي على كتفها، بينما كنت أواصل الكلام بهدوء وانسيابيّة. كان شعرها يفوح برائحة كالدخان. استندت بظهرها على كرسيّها وجسدها مسترخ.

في ذهني كأن الماء أمامها يتغيّر بين اللونين البنّيّ والرماديّ، بينما وجهها في الظّل، وقد قطّبت حاجبيها بحدّة فوق عينيها المظلمتين تمامًا. سألت نفسي كيف سأبدأ؟ أنا حقًا لا أعرف الكثير عنها. تضمّنت ملاحظات لاسي أولسون القليل فقط عن ماضيها. تعيّن عليّ اكتشاف ذلك بنفسي. لذلك حاولت استخدام الطريقة الدقيقة للاقتراب في البداية. بدا أنّ تلك الذكريات السعيدة الهادئة هي الطريق الأقصر غالبًا للولوج إلى أسوأ التجارب.

«أنت في العاشرة من العمر يا إيڤا»، قلت وأنا أمشي بين الكراسي

كي أتمكّن من رؤية وجهها. كان صدرها بالكاد يتحرّك، وراحت تتنفّس برقّة، وعميقًا، من معدتها.

«أنت في العاشرة من العمر، هذا يوم جميل، أنت سعيدة، لماذا أنت سعيدة؟».

زمّت إيڤا شفتيها، وابتسمت لنفسها، وقالت: «لأنّ الرجل كان يرقص ويقفز في برك الماء».

«من الذي يرقص؟».

لم تتحدّث للحظات.

«تقول أمّي إنّه جين كيلي».

«أنت تشاهدين فيلم 'الغناء تحت المطر' إذن؟».

«أمّي تفعل».

سألتها: «وأنت لا؟».

ابتسمت وهي تدير عينيها: «وأنا أيضًا».

«هل أنت سعيدة؟».

أومأت إيڤا ببطء.

«ما الذي يحدث؟».

رأيت رأسها يسقط على صدرها. فجأة، بدا وجهها غريبًا جدًّا.

قالت بهدوء: «إنّ بطني ضخمة».

«بطنك؟».

«أعتقد أنّها كبيرة جدًّا»، قالت بصوت بدا كأنه محتجز في حنجرتها.

تنهّد يوسي بعمق إلى جوارها، ومن زاوية عيني رأيت شفتيه تتحرّكان وتهمسان: «المنزل المسكون»، كرّر وهو في حالة من التنويم الخفيف، «المنزل المسكون».

قلت: «إيڤا، أصغي إليّ. بإمكانك سماع الجميع في هذه الغرفة، ولكنّ صوتي هو الوحيد الذي عليك الإصغاء له. لا تأبهي لما يقوله أيّ أحد آخر. صوتي هو الوحيد الذي يجب أن تنتبهي له».

«حسنًا».

سألتها: «لماذا بطنك كبيرة؟».

همسَت: «أريد الدخول إلى المنزل المسكون».

حين أخذت أعدّ تنازليًّا وأتحدّث عن مجموعة الأدراج التي تقود إلى الأسفل، شعرت بأنّ شيئًا ما لا يبدو على ما يرام. كنت محاطًا بالماء الدافئ وأنجرف ببطء على حافّة الصخرة الجانبيّة نحو الأعمق والأعمق.

رفعت إيڤا رأسها، لعقت شفتيها، امتصّت وجنتيها، وهمست: «أراهم يأخذون أحدهم، إنّهم يصعدون كي يأخذوا أحدهم».

سألتها: «من الذي يأخذ من؟».

صار تنفّسها غير منتظم ووجهها أكثر عتمة. راحت المياه البنّيّة تدور بغموض أمامها.

تأوّهت قائلة: «رجل ذو شعر يشبه ذيل الحصان. إنّه يعلّق الشخص الصغير من السقف...».

في حالتي من التنويم، كنت أستطيع رؤيتها تتشبّث بالحبل المغطّى بأعشاب البحر بيد واحدة، وترفس ساقيها ببطء.

وأنا مترنّح خرجت من حالة التنويم. علمت بأنّ إيڤا مخادعة. لم تكن منوَّمة مغناطيسيًّا في الحقيقة. لم أفهم كيف استطعت معرفة ذلك، ولكنّي كنت واثقًا تمامًا. كانت ترفض كلماتي وتعرقل اقتراحاتي.

رأيتها وهي تتأرجح إلى الأمام والخلف على كرسيّها قائلة: «الرجل يسحب ويسحب الشخص الصغير. إنّه يسحبه بقوّة».

فجأة نظرت إيڤا إلى عينيّ وتوقّفت. تجهّم وجهها.

سألتني: «هل كنت جيّدة؟».

لم أجبها. وقفت هناك فقط أراقبها وهي تقف، تأخذ معطفها عن المشجب وتغادر الغرفة.

***

كتبت عبارة المنزل المسكون على قصاصة من الورق، ثمّ لففتها

حول شريط الفيديو رقم 14، وثبّتها بواسطة رباط مطّاطيّ. عوضًا عن أخذ الشريط إلى الأرشيف كالعادة، أعدته إلى غرفتي. ما زلت أرغب في تحليل أكاذيب إيڤا بلاو وتفاعلي معها. ولكن، قبل أن أصل إلى الرواق، أدركت الشيء الذي هداني للحقيقة. كانت إيڤا منتبهة لوجهها، وتحاول أن تبدو لطيفة. لم تكن تمتلك ذلك التعبير الفاتر الباهت للشخص المنوّم مغناطيسيًّا. بإمكان الأشخاص في حالة التنويم الابتسام ولكن ليس ابتسامتهم الاعتياديّة، بل ابتسامة ناعسة مسترخية عوضًا عنها.

حين وصلت إلى مكتبي كانت طالبة الطبّ الشابّة تنتظرني في الخارج. دُهشت من نفسي حين تذكّرت اسمها: مايا سڤاتلينغ.

تبادلنا التحيّة. قبل أن يتسنّى لي الوقت لفتح الباب قالت بسرعة: «آسفة على إزعاجك ولكنّي أعتمد على بحثك في كتابة أطروحتي، وقد اقترح المشرف عليّ أن أتحدّث معك، لأنّك موضوع هذا الجزء من الأطروحة. هل بإمكاني أن أسألك بعض الأسئلة؟ هل تمانع؟».

نظرت إليّ بعينيها الداكنتين جدًّا، واللتين تبدوان أكثر جمالًا مع بشرتها البيضاء الشاحبة. كان شعرها المضفور بشكل جديلة متألّقًا. الطراز القديم يلائمها جدًّا.

قالت بهدوء: «هل تمانع؟ وأحذّرك من أنّي قد أكون عنيدة جدًّا».

أدركت بأنّي كنت أقف هناك مبتسمًا لها. كان هناك شيء منعش ومتألّق بشأنها، ومن دون التفكير في كنهه، أرفعت يدي أمامها وكأني أختبئ من إطلاق النار. ضحكت. حين فتحت الباب، تبعتني إلى الداخل وجلست على كرسيّ الزوّار، أخرجَت مفكّرة وقلمًا.

«إذن ما الذي تريدين سؤالي بشأنه؟».

تضرّجت وجنتاها وقالت: «لقد قرأت تقاريرك، ومجموعتك لا تحتوي على ضحايا وأشخاص تعرّضوا لسوء المعاملة فقط، بل إنّها تحوي أيضًا المجرمين، أشخاصًا عرّضوا الآخرين إلى أشياء مريعة».

«إنّ ذهنهم اللاواعي قد تأثّر بطريقة مماثلة، وفي حالة العلاج داخل المجموعة فإنّ ذلك يعدّ ميزة».

«مثير جدًّا»، قالت وهي تكتب، «أريد أن أعود لاحقًا إلى ذلك، ولكنّي أرغب في معرفة كيف يرى المجرمون أنفسهم تحت تأثير التنويم. أعني أنّك تعزّز النظريّة بأنّ الضحايا غالبًا ما يستبدلون المجرمين بشيء آخر في معظم الحالات. حيوان...».

«لم أتمكّن بعد من معرفة كيفية نظر المجرم إلى نفسه في هذه الحالة، وأنا لا أرغب في التكهّن بشيء».

انحنت مايا نحوي. زمّت شفتيها وقالت: «ولكن لديك فكرة».

«لديّ مريض واحد...».

وصمتُّ أفكّر في يوسي بيرسون، النرويجيّ الذي حمل معه عزلته مثل عبء مفروض على الذات.

نبّهتني عندما سألت: «ما الذي كنت ستقوله؟».

«تحت التنويم يعود هذا المريض إلى منزل للصيد، كان يبدو أنّ بندقيّته تستحوذ عليه، كان يطلق النار على الغزلان ثمّ يتركها هناك ملقاة حيث سقطت».

توقّف كلانا عن الكلام ونظر أحدنا إلى الآخر.

قلت: «حسنًا. لقد تأخّر الوقت».

«ما زالت لديّ الكثير من الأسئلة».

رفعت يدي لها. وقلت: «علينا أن نلتقي ثانية».

نظرت إليّ وشعرت بدفء مفاجئ في جسدي، كان الجوّ بيننا ممتعًا بشكل غريب.

«هل أستطيع دعوتك إلى شراب كتعبير عن امتناني لك؟ هناك مكان لبنانيّ جيّد...».

أخذ الهاتف بالرنين. اعتذرت منها ورفعت السمّاعة.

«إريك». كانت تلك سيمونا وكانت تبدو متوتّرة.

«ما الأمر؟»، سألتها.

«أنا... أقف خلف المنزل على طريق الدرّاجات. يبدو أنّ أحدهم قد اقتحم منزلنا».

اعترتني رعشة مفاجئة. فكّرت في تلك العصا التي تُركت خارج الباب الأماميّ.

«ما الذي حدث؟».

سمعت سيمونا تبتلع ريقها بصعوبة. كان بعض الأطفال يلعبون في الخلف، ربّما في ملعب كرة القدم. سمعت الصفير والصراخ.

سألتُ: «ما كان ذلك؟».

قالت بسرعة: «لا شيء. فقط بعض التلاميذ. إريك، إنّ الباب المؤدّي إلى شرفة بنيامين مفتوح والنافذة قد تحطّمت».

لمحت من زاوية عيني مايا سڤاتلينغ تقف وتومئ بأنّها مغادرة.

وجّهت لها إيماءة اعتذار. ارتطمت بكرسيها فخدشت الأرضيّة.

سألتني سيمونا: «هل أنت مع أحد ما؟».

«لا»، قلت من دون أن أعرف لم كذبت.

لوّحت مايا إليّ ثمّ أغلقت الباب بهدوء خلفها. ما زلت أستطيع أن أشمّ عطرها. رائحة بسيطة منعشة.

قلت: «جيّد أنّك لم تدخلي. هل اتّصلت بالشرطة؟».

«إريك، أنت تبدو مضحكًا. هل حدث شيء ما؟».

«عدا عن احتمال وجود مقتحم في منزلنا؟ هل اتّصلت بالشرطة؟».

«نعم، لقد اتّصلت بأبي».

«حسنًا».

«قال إنّه سيأتي حالًا».

«أنت بحاجة إلى الابتعاد أكثر يا سيمونا».

«أنا أقف على ممرّ الدرّاجات».

«هل بإمكانك رؤية المنزل؟».

«نعم».

«إن كنت ترين المنزل، إذن فإنّ أيّ شخص في المنزل بإمكانه رؤيتك».

قالت: «توقّف».

«أرجوك اذهبي فقط إلى ملعب كرة القدم. أنا في طريقي إليك».

***

فور أن أوقفت سيّارتي خلف سيّارة كينيت الأوبل القذرة، ركض نحوي. بدا متجهّمًا. وصرخ: «أين سيمونا بحقّ الجحيم؟».

«طلبت منها أن تنتظر عند ملعب كرة القدم».

«آه! جيّد... لقد خشيت أن...».

«كانت لتدخل لو لم أنبّهها. أنا أعرفها، البنت سرّ أبيها».

ضحك وعانقني: «من الجيّد رؤيتك».

توجّهنا إلى مؤخّرة المنزل. كانت سيمونا بالقرب من الفناء. ربّما كانت تراقب باب الشرفة المفتوح طوال الوقت. نظرت إلينا، تركت درّاجتها ثمّ ركضت نحوي وعانقتني بقوّة. نظرت من فوق كتفي وقالت: «مرحبًا يا أبي».

قال: «سوف أدخل».

قلت: «سآتي معك».

قالت سيمونا: «هل على النساء والأطفال الانتظار في الخارج».

تسلّق ثلاثتنا حاجز الشجيرات المنخفض، ومشينا على العشب نحو الشرفة الأرضيّة، حيث الطاولة والكراسي البلاستيكيّة البيضاء.

المدخل وعتبة النافذة وغرفة بنيامين، كانت كلّها مغطّاة بالزجاج المهشّم، وحجرًا كبيرًا على السجّادة. أكملنا تجوالنا في الداخل، وأدركت أنّي نسيت أن أخبر كينيت بخصوص عصا التأديب التي وجدناها.

تبعتنا سيمونا وأضاءت مصباح السقف الذي عليه صورة أستريد ليندغرين[1]. كان وجهها محمرًّا وشعرها المتماوج ذو لون الفراولة المشقرّ يستقرّ على كتفيها.

---

(1) كاتبة سويديّة شهيرة للأطفال.

ذهب كينيت إلى الرواق ونظر إلى غرفة النوم على اليمين ثمّ إلى الحمّام. كان مصباح القراءة في غرفة التلفاز مضاءً، وأحد الكراسي في المطبخ ملقى على الأرض. لم يكن قد فُقد أيّ شيء، ولكنّ شيئًا ما بدا غير مفهوم. استخدم أحدهم المرحاض في الطابق الأرضيّ، وسُحبت أوراق الحمام على الأرض. نظر كينيت دهشًا.

سألني: «هل تستطيع أن تفكّر في أيّ شخص قد يفعل هذا؟».

قلت: «ليس على حدّ علمي. أنا أيضًا ألتقي بالعديد من الناس المختلّين، كما تفعل أنت».

أومأ. فواصلت: «لم يأخذوا أيّ شيء».

سألَت سيمونا: «هل هذا أمر مألوف يا أبي؟».

هزّ كينيت رأسه: «لا. ليس مألوفًا. ليس إن تحطّمت نافذة. أراد أحدهم أن تعرفوا أنّه كان في المنزل».

وقفت سيمونا في الرواق المؤدّي إلى غرفة بنيامين.

قالت: «يبدو أنّ أحدًا كان يستلقي على سريره، مثل تلك القصّة الخيالية -ما كانت؟ ذات الشعر الذهبي؟».

هرعنا إلى غرفة نومنا. لنجد أنّ أحدًا كان يستلقي في سريرنا أيضًا. كانت الأغطية قد سحبت جانبًا والأغطية مجعّدة.

قال كينيت: «هذا غريب!».

لم يتحدّث أيّ منّا لبرهة.

قالت سيمونا: «ذلك الشيء الذي وجدناه...».

«بالتأكيد»، قلت وذهبت إلى الردهة كي أحضر عصا التأديب من مشجب المعاطف.

سأل كينيت: «ما هذا بحقّ الجحيم؟».

قالت سيمونا: «كانت ملقاة خارج الباب الأماميّ أمس».

قال كينيت: «دعيني أراها».

قلت: «أعتقد أنّها عصا تأديب. من النوع الذي كان الأشخاص يستخدمونه لضرب الأطفال في الماضي».

قال كيينت وهو يختبر وزنها بيده: «جيّدة للتأديب».
قالت سيمونا: «أنا لا أحبّ هذا إطلاقًا. يبدو أمرًا مقلقًا».
«هل هدّدكِ أحدهم بطريقة أو بأخرى؟». فقالت: «لا».
قلت: «ربّما هذه هي الطريقة التي يجب أن ننظر بها إلى الأمر. أحدهم يعتقد أنّنا نستحق العقاب. اعتقدت أنّها مزحة سيّئة بسبب تدليلنا لبنيامين. أعني لو لم تكن تعرف بشأن مرض بنيامين فسوف نبدو لك غريبي الأطوار نوعًا ما».

***

في ذلك المساء وضعنا بنيامين في سريره مبكرًا. استلقيت إلى جواره كالعادة، وأخبرته بقصّة فيلم عن فتى أفريقي اسمه «كيريكو والساحر». كان بنيامين قد شاهده لعدّة مرّات، ولكنّ تلك كانت القصّة التي يطلبها غالبًا حين يذهب إلى الفراش. وإن نسيت أيًّا من التفاصيل فإنّه سوف يذكّرني بها. ولو بقي مستيقظًا، فإنّ سيمونا ستأتي كي تغنّي له تهويدة النوم.

بعد أن غفا، أعددنا أنا وسيمونا إبريقًا من الشاي، وجلسنا على الأريكة نتحدّث عن الاقتحام. قالت سيمونا: «ربّما هم مجرّد مراهقين أرادوا مكانًا ليختلوا فيه».

«لا. المراهقون كانوا سيتسبّبون بالمزيد من الفوضى».

«أليس من الغرابة ألّا يلاحظ الجيران أيّ شيء! إن أدولفسون لا يفوته الكثير...».

علّقتُ مقاطعًا: «ربّما هو الفاعل».

***

أوقفت درّاجتي خارج قسم الأمراض العصبيّة، وتوقّفت للحظات أصغي إلى الطيور على الأشجار وأنظر إلى ألوان الربيع.

بدا مكتبي مشابهًا تمامًا لما تركته عليه في اليوم الفائت. ما زال الكرسي الذي جلست عليه مايا سڤاتلينغ حين استجوبتني بالأمس

مسحوبًا إلى الأمام، والمصباح على المكتب مضاءً. كانت الساعة الثامنة والنصف فقط، لذلك سوف يتوفّر لي الوقت الكافي لأراجع ملاحظاتي من جلسة التنويم الفاشلة في اليوم الفائت مع شارلوت. كنت أعلم أنّها انتهت بشكل سيّئ لأنّني كنت أحثّ الخطى وأتوجّه نحو هدف محدّد. كانت تلك غلطة شائعة، وكان يتوجّب عليّ أن أعرف ذلك بشكل أفضل. لن ينجح الأمر إذا حاولت إجبار مريض على رؤية شيء لا يرغب هو، أو هي، في رؤيته. كانت شارلوت قد ذهبت إلى الغرفة، ولكنّها لم ترغب بالنظر، وكان ذلك سيكون كافيًا لتلك الجلسة.

ارتديت معطفي الطبّيّ. عقّمت يديّ وفكّرت في مجموعتي. لم أكن سعيدًا تمامًا مع دور بيار الذي بدا فاقد التركيز نوعا مّا. كان غالبًا ما يتبع قيادة سيبيل أو ليديا، رغم أنّه كان ثرثارًا ومسلّيًا فقد كان يبقى سلبيًّا خلال عمليّة التنويم بذاتها. كان مصفّف شعر ورغب في أن يكون ممثّلًا. في الظاهر يبدو أنّه يعيش حياة فعّالة- باستثناء تفصيل واحد، في كلّ عيد فصح كان يتعيّن عليه أن يذهب في إجازة مع والدته، وهناك يحبسان نفسَيْهما في غرفة فندق، انتهى الأمر بإصابة بيار باكتئاب شديد بعد كلّ رحلة، وحاول الانتحار في عدّة مناسبات.

سمعتُ طَرْقًا على الباب، قبل أن يتسنّى لي الوقت لأجيب، فُتح الباب ودخلت إيڤا بلاو. نظرت إليّ بغرابة، وكأنها تحاول الابتسام من دون أن تحرّك عضلات وجهها.

قالت فجأة: «لا... شكرًا. لا أحتاج أن تدعوني لتناول العشاء. لقد أكلت. إنّ شارلوت إنسانة لطيفة، إنّها تطهو لي ما يكفيني طوال أيّام الأسبوع، وأنا أحتفظ بها في المجمّدة».

قلت: «ذلك شيء لطيف منها».

«إنّها تشتري صمتي»، قالت إيڤا بغموض وهي تقف خلف الكرسيّ الذي كانت تجلس عليه مايا في اليوم السابق.

«إيڤا هل تريدين إخباري لم أنتِ هنا؟».

«ليس لأجلك... ليكن في علمك».

قلت بهدوء: «لستِ مجبرة على مواصلة الحضور إلى مجموعة التنويم العلاجيّ، إن كنت لا ترغبين في ذلك».

خفضت بصرها وغمغمت: «أعرف أنّك تكرهني».

«لا يا إيڤا. أنا أقول فقط إنّكِ لستِ مجبرة على أن تكوني جزءًا من المجموعة. بعض الأشخاص غير مؤهّلين لتقبّل التنويم المغناطيسيّ والبعض الآخر...».

قاطعتني: «أنت تكرهني».

«أنا أقول فقط إنّي لا أستطيع ضمّك إلى المجموعة إن كنت لا ترغبين حقًّا في أن يتمّ تنويمك مغناطيسيًّا».

قالت: «لا أقصد ذلك. لكن لا يتوجّب عليك وضع شيء في فمي».

قلت: «توقّفي عن هذا».

«آسفة»، همست وهي تخرج شيئًا من حقيبتها.

«انظر... بإمكانك أن تأخذ هذه كهديّة منّي».

أعطتني صورة لبنيامين يوم قمنا بتعميده: «جميل، أليس كذلك؟»، قالت ذلك بخيَلاء.

شعرت بقلبي ينبض بقوّة وسرعة. سألتها: «من أين حصلت على هذه؟».

«ذلك سرّيّ».

«أجيبيني يا إيڤا! من أين حصلت على؟...».

قاطعتني بصوت مستفزّ: «اهتمّ بشؤونك الخاصّة، ولا تسبّب المشاكل. فتحظى بحياة سعيدة».

نظرت إلى الصورة ثانية. لقد أُخذت من ألبوم صور بنيامين. لقد تعرّفت عليها. على الخلف كانت هناك بقايا الصمغ الذي استخدمناه للصقها على الألبوم. أجبرت نفسي على البقاء هادئًا.

«أريدك أن تخبريني كيف حصلتِ على هذه الصورة؟».

جلست على الأريكة، ولم تُجب.

قلت: «لقد كنتِ في منزلي».

ردّت بتحدٍّ: «أنت كنت في منزلي. لقد جعلتني أفتح الباب...».

«إيڤا! حاولت أن أنوّمك مغناطيسيًّا. ذلك أمر مختلف عن اقتحام منزل شخص آخر».

قالت: «لم أقتحم منزلك».

«لقد حطّمتِ النافذة».

«الحجر حطّم النافذة، لا أنا».

شعرت بأنّي مستنزَف تمامًا. أدركت أنّي قريب من نقطة فقدان أعصابي والتصرّف بغضب تجاه شخص مريض مشوَّش.

«لماذا أخذتِ هذه الصورة؟».

«أنتَ من يأخذ دومًا. أنت تأخذ وتأخذ وتأخذ. كيف سيبدو لك الأمر بحقّ الجحيم لو ابتدأتُ بأخذ الأشياء منك؟ كيف سيُشعرك هذا؟».

أخفت وجهها بين يديها، وقالت إنّها تكرهني. أعادت ذلك عدّة مرّات. قرابة المائة مرّة قبل أن تهدأ. وقالت بصوت حازم: «عليك أن تفهم بأنّك تشعرني بالغضب. حين تقول إنّني آخذ الأشياء وحين أعطيك صورة جميلة كهذه أيضًا».

كشف وجهها عن ابتسامة عريضة ولعقت شفتيها.

واصلت: «هل لديك شيء لي؟ الآن أنا أريد شيئًا منك...».

سألتها بهدوء: «ما الذي تريدينه؟».

قالت: «لا تحاول شيئًا».

«أخبريني فقط».

أجابت: «أريدك أن تنوّمني مغناطيسيًّا».

سألتها: «لماذا تركتِ عصا التأديب عند بابي الأماميّ؟».

حدّقت إليّ: «ما هي عصا التأديب؟».

قلت باقتضاب: «عصا تستخدم لتأديب الأطفال».

«لم أترك أيّ شيء خارج بابك».

«لقد تركتِ».

صرخت: «لا تكذب!». ثمّ نهضت وتوجّهت إلى الباب.

«إيڤا، سوف أبلغ الشرطة إن لم تتفهّمي الحدود، وإن لم تدركي بأنّ عليك تركي وعائلتي لحالنا».

سألت: «وماذا عن عائلتي؟».

«اسمعيني...».

«أيّها الخنزير الفاشيّ»، صرخت ثمّ غادرت.

***

جلس مرضاي بشكل نصف دائرة أمامي. كان من السهولة تنويمهم هذه المرّة. راقبتهم ونحن ننزل خلال المياه المتلاطمة. ثمّ واصلت العمل على شارلوت. بدا وجهها حزينًا جدًّا في حالة الاسترخاء، هالتان سوداوان تحت عينيها، تجاعيد صغيرة على حافّة ذقنها. انتظرت. من الواضح أنّ شارلوت كانت في حالة من التنويم العميق الآن. كانت تتنفّس بثقل ولكن بهدوء.

قلت: «أنت تعرفين أنّك في أمان معنا يا شارلوت. لا شيء من الممكن أن يؤذيك. أنت بخير، أنت تشعرين بشكل جيّد وبالاسترخاء».

أومأت. علمت أنّ بإمكانها سماعي، وأنّها تتبع إرشاداتي من دون أن تكون قادرة على التميز بين التنويم وبين العالم الخارجيّ.

همست: «لا تغضب! آسفة... أرجوك... أنا آسفة. سوف أفعلها بشكل أفضل. أنا أعدك، سوف أفعلها بشكل أفضل».

سمعت المجموعة يتنفّسون حولي، وأدركت أنّنا كنّا في منزلها المسكون، وأنّنا قد وصلنا إلى غرفة شارلوت الخطيرة. أردتها أن تبقى. أردتها أن تكون قويّة كفاية لتنظر من القعر للأعلى، وترى أي شيء. وخاصة الشيء الذي يخيفها إلى هذه الدرجة. رغبت في مساعدتها، لكنّي لن أعمد إلى دفع العمليّة بالقوّة هذه المرّة، لن أكرّر خطأ الأسبوع الفائت.

قالت شارلوت: «إنّ الجوّ بارد في صالة جدّي الرياضيّة».
«هل بإمكانك رؤية أيّ شيء؟».
قالت بصوت هامس: «ألواح طويلة، دلو، سلك معدنيّ».
شاهدت جفنيها يرتعشان وتتساقط الدموع من بين أهدابها. كانت يداها تستقرّان باسترخاء في حجرها.
قلت: «أنتِ تمسكين بمقبض الباب، وتعرفين أنّ بإمكانك مغادرة الغرفة متى شئت».
«هل بإمكاني ذلك؟».
«فقط عليك أن تدفعي المقبض وتغادري».
«ذلك سيكون أفضل، إن غادرت فقط».
تراجعت. رفعت ذقنها، ثمّ أدارت رأسها ببطء. فمها نصف مفتوح كالأطفال.
قالت بصوت خافت: «سأبقى لفترة قليلة بعد».
«هل أنت لوحدك هناك؟».
هزّت رأسها وغمغمت: «بإمكاني سماعه، لكنّي لا أستطيع رؤيته».
قطّبت حاجبيها وكأنّها تحاول رؤية شيء غير واضح. قالت فجأة: «هناك حيوان ما».
«أيّ نوع من الحيوانات؟».
«لقد اشترى والدي كلبًا كبيرًا».
«هل والدك موجود؟».
«نعم. إنّه هنا، يقف عند الزاوية، قرب الكراسي. إنّه حزين. أستطيع رؤية عينيه. لقد أذيت أبي. أبي حزين».
«وماذا بشأن الكلب؟».
«إنّ الكلب يشمّ ما تحت قدميه. يواصل الاقتراب ثمّ يتوقّف. الآن هو يقف تمامًا قربي ويلهث، يقول أبي إنّ الكلب سوف يعتني بي. لا أريد ذلك، لا يجدر بهم أن يسمحوا له بفعل ذلك. إنّه ليس...».

شهقت شارلوت كي تتنفّس. مرّ خيال مريع على وجهها، واعتقدت أنّه من الأفضل لي أن أخرجها من حالة الغفوة والمياه الداكنة. لقد وجدنا الكلب. بقيت لفترة كافية كي تنظر إليه. سوف نحلّ لغز من يكونه في مرّة أخرى.

حين طفنا إلى الأعلى عبر الماء، رأيت ماريك يُظهر أسنانه ساخرًا من شارلوت، وليديا تمدّ يدها داخل غيمة خضراء قاتمة من طحالب البحر، تحاول أن تداعب وجنتيّ بيار. وكانت سيبيل ويوسي قد أغلقا أعينهما حين كنّا ننجرف للأعلى كي نجد إيفًا تطوف بالقرب من السطح.

كنّا مستيقظين تقريبًا، ولكنّ الحدود بين حالة التنويم والواقع كانت مشوّشة دومًا، والانتقال والعودة إلى حالة الإدراك قد يكون مربكًا.

«سوف نحصل على استراحة الآن»، قلتُ ثمّ استدرتُ نحو شارلوت، «هل تشعرين أنّك بخير؟».

«شكرًا»، قالت وهي تخفض بصرها.

وقف ماريك. استجدى سيجارة من سيبيل، وتوجّها للخارج معًا.

التقطتُ دفتر ملاحظاتي كي أدوّن بعض الملاحظات السريعة، ولكنّي توقّفت حين توجّهت ليديا نحوي. كانت حليّها تهتزّ برفق، واستطعت شمّ عطرها حين توقّفت قربي، وسألت: «ألن يحين دوري؟».

«في المرّة القادمة»، أجبتها من دون أن أرفع رأسي عن ملاحظاتي.

«لِمَ ليس اليوم؟».

«لأنّي أعتقد أنّ علينا المواصلة مع شارلوت ثمّ إيفًا».

«ولكن ماذا لو لم تأتِ تلك المرّة؟»، أصرّت ليديا.

قلت: «أنا أحاول مساعدة كلّ مرضاي يا ليديا».

أمالت رأسها: «لكنّك لن تنجح. أليس كذلك؟».

سألت: «ما الذي يجعلك تعتقدين ذلك؟».

تراجعت: «وفقًا للإحصائيّات فإنّ أحدنا سوف ينتحر، وآخر سينتهي به الأمر في مصحّة نفسيّة و...».

حاولت أن أوضح: «ولكن لا يمكننا أن نفكّر بهذه الطريقة».

قاطعتني: «أنا بإمكاني، لأنّي أريد أن أكون واحدة من الناجين».

أخذت خطوة أخرى نحوي، وبدت عيناها قاسيتين على نحو مباغت، وخفضت صوتها: «أعتقد أنّ شارلوت ستكون من ينتحر».

قبل أن تتسنّى لي الفرصة كي أجيب، تنهّدت ثمّ واصلت: «على الأقلّ هي ليس لديها أطفال».

راقبت ليديا وهي تذهب للجلوس في مكانها. نظرت إلى الوقت وأدركت مرور أكثر من خمس عشرة دقيقة. كان بيار وليديا ويوسي وإيڤا قد عادوا إلى أماكنهم. ناديت على ماريك من الرواق حيث كان يخطو جيئة وذهابًا وهو يتحدّث إلى نفسه. كانت سيبيل تقف في المدخل وتدخّن. قهقهت حين طلبت منها العودة. نظرت ليديا إليّ بفرح حين توجّب عليّ أخيرًا أن أتقبّل عدم عودة شارلوت.

«حسنًا»، قلت ضامًّا يدي معًا، «لنكمل...».

نظرت إلى وجوههم أمامي. كانوا مستعدّين. لطالما كانت الجلسات أفضل بعد الاستراحة، حيث يبدو أنّهم جميعًا يرغبون بإعادة غمر أنفسهم، والضوء والصوت في الأسفل هناك يغريان بالعودة.

كانت نتائج الحثّ مباشرة جدًّا. انزلقت ليديا في نوم عميق بعد عشر دقائق فقط.

حين انجرفنا للأسفل شعرت بالماء يداعب بشرتي. كانت الصخور الرماديّة الكبيرة مغطّاة بأعشاب البحر، وأوراقها الصغيرة تتأرجح مع التيّار. تمكّنت من رؤية كلّ تفصيل وكلّ لون حيويّ متألّق.

قلت: «أين أنت يا ليديا؟».

لعقت شفتيها الجافّتين، وأمالت رأسها إلى الخلف. كانت عيناها مغلقتين، ولكنّها بدت متوتّرة، وظهر تغضّن بين حاجبيها.

«أنا ألتقط السكّين».

كان صوتها جافًّا وخشنًا. سألتها: «أيّ نوع من السكاكين؟».

«السكّين النشّار عند الحوض»، قالت، ثمّ جلست بهدوء وفمها نصف مفتوح.

«سكّين الخبز؟».

قالت مبتسمة: «نعم».

«استمرّي...».

«قطعت المثلجات إلى نصفين، وأخذت نصفًا إلى الأريكة أمام التلفاز مع ملعقة. تحوّل برنامج أوبرا وينفري إلى دكتور فيل. كان يجلس بين الحضور، ويرفع إحدى أصابعه إلى الأعلى. كان يربط خيطًا أحمر حول إصبعه، وعلى وشك أن يوضح لماذا، ولكنّ كاسبر كان يصرخ، كنت أعلم أنّه لا يريد أيّ شيء. إنّه يحاول مضايقتي فقط. يصرخ لأنّه يعلم أنّ ذلك يزعجني، لأنّي لا أحتمل التصرّفات السيّئة في منزلي».

«ماذا يصرخ، ولماذا؟».

«إنّه يعرف أنّي أريد الاستماع إلى ما يقوله دكتور فيل. ويعرف أنّ أوبرا تسعدني، لهذا فهو يصرخ».

«ما الذي يصرخ به الآن؟».

«هناك بابان مغلقان بيننا، ولكنّي أستطيع سماعه يصرخ...».

كانت وجنتا ليديا محمرّتين، وقطرات من العرق تتجمّع على جبهتها.

سألتها: «ماذا تفعلين الآن؟».

لعقت شفتيها وهي تتنفّس بتثاقل.

قالت بهدوء: «لقد رفعت صوت التلفاز. هم يهتفون الآن. الصراخ يجعل السمّاعات تفرقع وذلك لا يبدو جيّدًا. ليس صحيحًا. لم يعد ممتعًا. لقد أفسد اللحظة. لا يمكنني فعل شيء إزاء ذلك الآن، ولكنّي أحتاج إلى شرح ذلك له».

ابتسمت وزمّت شفتَيْها. كان وجهها أبيض تقريبًا، والماء يتطاير بشكل أمواج أمام جبهتها.

سألتها: «هل فعلت ذلك؟».

«ماذا؟».

«ما الذي تفعلينه يا ليديا؟».

«لقد تجاوزت الغرفة البديلة إلى الغرفة الرئيسيّة، كنت أستطيع سماع صوت صفير وطنين من غرفة كاسبر. لا أعرف ما الذي ينوي فعله الآن. كنت أريد فقط أن أعود لمشاهدة التلفاز، ولكنّي مشيت حتّى الباب، فتحته، ثمّ دخلت...».

توقّفت.

قلت: «نعم، استمرّي، أين أنت يا ليديا؟».

تحرّكت شفتاها برفق. تصاعدت فقّاعات الماء منها حين كنّا نرتفع إلى الأعلى.

«ماذا رأيتِ؟»، سألت بحذر.

قالت ببطء: «كان كاسبر يدّعي النوم حين دخلت. لقد حطّم صورة جدّتي. وعد أن يعتني بها إن سمحتُ له باستعارتها. هي الوحيدة، هي الوحيدة التي أمتلكها، والآن دمّرها، وهو يستلقي هناك ويتظاهر بالنوم. قلت لنفسي بأنّي سوف أتحدّث إليه بشأن ذلك في يوم الأحد... تحدّثنا عن كيفيّة تصرّف كل منا مع الآخر. لا أريد أن أضطرّ إلى معاقبته. أسأل نفسي ما النصيحة التي كان دكتور فيل سيقدّمها لي. أدركت أنّي ما زلت أحمل الملعقة في يدي، وحين نظرت إليها لم أتمكّن من رؤية صورتي منعكسة عليها. رأيت دبدوبًا، لا بدّ أنّه جاء من مكان ما من السقف».

ابتسمت ليديا ولكنّها بدت متألّمة. رغم أنّها حاولت أن تضحك، إلّا أنّ ذلك ظهر بشكل صوت حازوقة: «حاولت ثانية ولكن ما زال الأمر لا يبدو صائبًا».

«ماذا تفعلين؟».

«أنا أنظر»، قالت وحدّقت إلى السقف.

ثمّ انزلقت ليديا عن كرسيّها وضربت رأسها بالمقعد. هرعتُ إليها. كانت تجلس على الأرض وهي ما زالت تحت التنويم المغناطيسيّ، ولكن ليس بعمق الآن. حدّقت إليّ بعينين خائفتين حين تحدّثت إليها برفق محاولًا أن أهدّئ من روعها.

***

غادرت غرفة العلاج وتوجّهت عائدًا إلى مكتبي. كان مدخل المستشفى فارغًا على نحو غير مألوف. وكان الجوّ جميلًا في الخارج، مشرقًا وعليلًا مع شمس ساطعة، فكرت أنّي يجب أن أذهب للركض.

وقت وصولي إلى مكتبي كانت مايا سڤاتلينغ في انتظاري. انفرجت شفتاها الحمراوان اللامعتان عن ابتسامة مضيئة، والتمع المشبك الذي تضعه في شعرها الأسود حين أحنت رأسها وقالت بمرح: «أتمنّى أنّك لم تندم على لطفك معي بالتطوّع لإجراء مقابلة أخرى يا دكتور؟».

«بالطبع لا»، قلت وشعرت بإحساس يشبه الدغدغة. وقفت قربها كي أفتح الباب، التقت عينانا ورأيت جاذبية غير متوقّعة في وجهها حين تجاوزتني ودخلت الغرفة.

شعرت فجأة بالانتباه لكلّ جسدي، قدمي، فمي. تضرّجت بالخجل حين أخرجت الملفّ والقلم ودفتر الملاحظات.

سألتني: «إذن، ما الذي حصل بعد آخر مرّة التقينا فيها؟».

قدّمت لها كوبًا من القهوة، ثمّ أخذت أخبرها عن جلسة ذلك الصباح.

«أعتقد أنّنا وجدنا الشخص الذي أساء إلى شارلوت. الشخص الذي أذاها بشكل سيّئ حقًّا».

«من يكون؟».

قلت بجدّيّة: «إنّه كلب».

لم تضحك مايا. لقد درستني بشكل جيّد، وهي تعرف نظريّتي بخصوص التحوّل إلى حيوانات. كان التحدّث إلى مايا سڤاتلينغ سهلًا إلى درجة خطيرة. كانت قارئة ممتازة، وتسأل أسئلة ذكيّة، وتجيد الإصغاء بامتياز.

«ماذا بشأن المحارب البوسنيّ ماريك سيميوڤيتش، كيف تجري الأمور معه؟»، سألت وهي تمتصّ طرف قلمها.

«حسنًا، لقد عالجت المستشفى جروحه الجسديّة بطريقة جيّدة. كانت هذه أوّل محاولة لاستكشاف ندوبه النفسيّة».

«نعم».

«إنّه مهمّ لأجل أبحاثي. كلّما خضع للتنويم يجد نفسه في المكان نفسه، الذكرى نفسها، حيث أُجبر على تعذيب أناس كان يعرفهم، أولاد ارتاد المدرسة معهم، ولكن يحدث شيء ما دائمًا».

«خلال حالة التنويم المغناطيسيّ؟».

«نعم. إنّه يرفض التقدّم للأمام».

مرّ الوقت سريعًا وحلّ المساء. أمسى الرواق خارج الغرفة هادئًا.

لملمت مايا أغراضها في حقيبتها اليدويّة. وضعت وشاحها حول عنقها ووقفت.

قالت معتذرة: «إنّ الوقت يطير حقًّا».

قلت وأنا أمدّ لها يدي: «شكرًا على قدومك».

تردّدت ثمّ سألتني: «هل أستطيع دعوتك إلى شراب هذا المساء؟».

فكّرت للحظة. كانت سيمونا وصديقاتها في «توسكا»، ولن تعود إلى المنزل حتّى وقت متأخّر جدًّا، وبنيامين يقضي الليلة في منزل جدّه، وكنت قد قرّرت العمل طوال المساء.

«سيكون ذلك لطيفًا»، قلت. رغم هذا، شعرت بأنّني قد تجاوزت حدودي.

قالت مايا: «أعرف مكانًا صغيرًا في شارع ’روزلاغز‘، اسمه ’بيترسون بيرغر‘، إنّه بسيط نوعًا ما ولكنّه جيّد».

قلت: «ممتاز». التقطت سترتي. أطفأت الأضواء وأغلقت الباب خلفنا.

ركبنا درّاجتينا عبر حديقة «هاغا» على ضفاف بحيرة «برونس» ونزولًا نحو «نورتول». كانت الطيور تغنّي على الأشجار في ذلك المساء الربيعيّ اللطيف، والطريق خاليًا تقريبًا، رغم أنّ الوقت كان السابعة والنصف مساء فقط.

أوقفنا درّاجتينا بالقرب من المتنزّه الصغير. حين دخلنا عبر باب

«بيترسون بيرغر»، وابتسم عامل الاستقبال لنا شعرت بالتردّد. هل عليّ فعلًا أن أكون هنا؟ ما الذي سأقوله إن اتّصلت بي سيمونا وسألتني عمّا أفعله. شعرت بالصدمة. إنّ مايا زميلة ونحن نستكمل حديثنا فقط. على أيّة حال، إنّ سيمونا في الخارج مع صديقاتها. ربّما هي تحظى الآن بقدح من النبيذ في مشرب دار الأوبرا.

بدت مايا متحمّسة. لم أفهم حقًّا ما الذي تفعله معي هناك. كانت شابّة وجميلة جدًّا. أعتقد أنّني أكبر منها بخمسة عشر عامًا، وأنا رجل متزوج.

«إنّ كباب الدجاج مع الكمّون هنا جيّد جدًّا»، قالت وهي تمشي أمامي إلى طاولة في آخر المطعم.

حين جلسنا أتت امرأة فورًا تحمل إبريقًا من الماء لنا. أسندت مايا رأسها إلى يدها، ونظرت إلى القدح، وقالت بهدوء: «ولو شعرنا بالتعب هنا يمكننا أن نعود إلى منزلي في أيّ وقت».

«هل تغازلينني يا مايا؟».

ابتسمت جاعلة غمّازتيها أكثر وضوحًا: «طالما قال أبي إنّني وُلدت على هذه الشاكلة، مغازِلة لا سبيل لإصلاحها. اعتاد على قول ذلك».

أدركت أنّي لا أعرف أيّ شيء عنها، في حين أنها غمرت نفسها تمامًا في عملي.

سألتها: «هل كان والدك طبيبًا أيضًا؟».

أومأت: «إنّه البروفسور جان سڤاتلينغ».

قلت بانبهار: «جرّاح الأعصاب؟».

«حسنًا. أيًّا كان ما تسمّي العبث برؤوس الناس كي تحصل على قوتك»، قالت بمرارة.

للمرّة الأولى اختفت الابتسامة عن وجهها.

أخذت أشعر بعدم الارتياح أكثر. كنت أعلم أنّني أحتسي الكحول بسرعة، ورغم هذا فقد طلبت المزيد من النبيذ. افترض العاملون أنّنا حبيبان. لقد كنت ثملًا إلى درجة أنّي لم أنظر إلى الفاتورة حين وضعت

توقيعي عليها. خارجًا، في ذلك المساء الربيعي، أشارت مايا نحو المدخل وسألتني إن كنت أرغب في الصعود فقط لرؤية شقّتها وتناول فنجان من الشاي.

قلت: «لا سبيل إلى إصلاحك يا مايا، لقد كان والدك على حقّ».

قهقهت ثمّ وضعت ذراعها تحت ذراعي.

وقفنا قريبَيْن في المصعد. لم أستطع منع نفسي من النظر إلى شفتيها الممتلئتين المبتسمتين وأسنانها اللؤلؤيّة البيضاء وحاجبيها المرتفعين وشعرها الأسود اللامع.

رأتني وأنا أنظر فداعبت وجنتي برفق. انحنيت وكنت على وشك أن أقبّلها حين توقّف المصعد فجأة.

«تعال»، همست وفتحت الباب.

كانت شقّتها صغيرة جدًّا ولكنّها جميلة. الجدران مطليّة بلون أزرق متوسّطي، وتتدلّى ستارة بيضاء من «اللينين» أمام النافذة الوحيدة.

كان المطبخ الصغير مرتّبًا، مع أرضيّة لامعة وموقد غاز حديث صغير. دلفت مايا إلى الداخل، وسمعتها تفتح قنّينة من النبيذ.

«اعتقدت أنّنا سنشرب الشاي»، قلت حين خرجَت مع القنّينة وكأسين في يدها.

قالت: «هذا أفضل للقلب».

«حسنًا، في هذه الحالة»، قلت. أخذتُ قدحًا وأسقطت بعض النبيذ على يدي.

جفّفته مايا بمنشفة الشاي، ثمّ جلست على السرير الضيّق، وانحنت للخلف.

قلت: «شقّة جميلة».

قالت: «من المضحك استقبالك هنا. لقد كنت معجبة بك لعدّة سنوات...».

انتفضت فجأة: «عليّ أن ألتقط صورة لك».

صرخت ضاحكة: «الرجل العظيم بنفسه في شقّتي الصغيرة». التقطت كاميرتها، وحاولت أن تركّز.

«تحلَّ بالجدّيّة الآن»، قالت وهي تنظر إليّ خلال العدسة.

ضحكت وهي تلتقط صورتي وتطلب منّي أن أتموضع للصورة، ثمّ قالت مازحة بأنّني أبدو مثيرًا، وطلبت منّي نفخ شفتيّ.

مازحتني: «مثير جدًّا».

«صورة غلاف مجلة 'فوغ' التالية إذن؟».

«إن لم يختاروني أنا»، قالت وهي تعطيني الكاميرا. وقفتُ ولاحظتُ كم كنت مترنّحًا. وجّهت الكاميرا نحوها. كانت قد رمت بنفسها على السرير.

«أنت تفوزين»، قلت والتقطت صورتها.

«اعتاد أخي أن يناديني 'مِس بيغي'. هل تعتقد أنّي بدينة؟».

«أعتقد أنّكِ رائعة الجمال».

تضرّجتْ بالخجل وابتسمتْ. أعدتُ ضبط العدسة.

قمت بتصويرها وهي تتموضع لي. ثمّ أغرتني بالاقتراب منها.

«سوف ألتقط لك صورة مقرّبة»، غمغمت ثمّ قرفصت على الأرض.

همست: «تعال إليّ».

أجبتها: «لا أستطيع».

ابتسمت: «أعتقد أنك تستطيع على الأرجح».

«مايا، أنت خطيرة، أنت خطيرة جدًّا»، قلت وأنا أضع الكاميرا جانبًا.

«أعرف أنّي شقيّة».

«أنا رجل متزوّج».

«ألا تجدني جذابة؟».

«أنت جميلة بشكل لا يصدَّق يا مايا».

«أجمل من زوجتك؟».

«لا تفعلي ذلك».

«ولكنّي أثيرك»، همست، ثمّ قهقهت قبل أن تعود جادّة مرّة أخرى.
أومأتُ. تراجعتُ خطوة إلى الوراء، ووجدتها تبتسم بسعادة.
«هل أستطيع الاستمرار بمقابلتك؟».
«بالتأكيد»، قلت وأنا أتّجه إلى الباب.
أرسلت إليّ قبلة في الهواء حين غادرت الشقّة. هرعت إلى الأسفل، وذهبت لإحضار درّاجتي.

***

حلمت في تلك الليلة بأنّني أنظر إلى منحوتة حجريّة لثلاث حوريّات. استيقظت وأنا أتحدّث إلى نفسي بصوت مرتفع، حتّى أنّي تمكّنت من سماع صدى صوتي في الغرفة المظلمة الساكنة. عادت سيمونا إلى المنزل حين كنت نائمًا، وانسلّت إلى جواري. كنت مبلّلًا بالعرق، وما زلت ثملًا. كان المنزل هادئًا. تناولت أحد الأقراص المنوّمة وحاولت ألّا أفكّر. ثمّ تذكرت ما حصل في ذلك المساء.

ما الذي دهاني؟ كيف سمحت لنفسي بتصوير مايا وهي شبه عارية؟ لقد كانت جميلة ومغرية، شعرت بالإطراء بسببها. هل كان ذلك هو كلّ ما يتطلّبه الأمر؟ لقد أدركت ولشدّة دهشتي أنّي أمتلك نقطة ضعف جوهريّة في شخصيّتي، لقد كنت مغرورًا.

انقلبت في فراشي ثمّ سحبت الأغطية فوق وجهي. بعد برهة، كنت مستغرقًا في النوم ثانية.

***

كان ماريك يجلس مسترخيًا في حالة من التنويم المغناطيسيّ العميق. قميصه مشدود بقوّة على عضلات ذراعَيه، وعلى وصدره البارز. شعره قصير جدًّا ويظهر فروة رأسه المليئة بالندوب. كان يمضغ بهدوء. رفع رأسه ونظر وهو منشده إليّ. وقال بصوت مرتفع: «لا أستطيع التوقّف عن الضحك، لأنّ الصدمات الكهربائيّة تجعل ذلك الشخص من 'موستار' يقفز في الأرجاء مثل شخصيّة كرتونيّة».

بدا ماريك سعيدًا، يؤرجح رأسه إلى الأمام والخلف.

قال: «كان ذلك الرجل يستلقي على الأرض الإسمنتيّة وهو ينزف. تنفّس بسرعة، بسرعة كبيرة، ثمّ تكوّر في مكانه وأخذ يبكي. 'اللعنة' صرخت عليه كي يقف قائلًا إنّني سوف أقتله إذا لم يقف، انحنيت نحوه ووجّهت له صدمة أخرى. لكنّ جسده اهتزّ فقط مثل خنزير ميّت. ناديت مَن على الباب بأنّ المرح قد انتهى، لكنّهم أتوا مع شقيق الرجل الأكبر. كنت التقيته من قبل. قضينا عامًا تقريبًا ونحن نعمل معًا في 'الومينيج'، ذلك المصنع الذي...».

توقّف ماريك وصارت ذقنه ترتعش. سألته: «ما الذي حدث الآن؟».

جلس صامتًا لفترة، قبل أن يواصل: «كانت الأرض مغطّاة بالعشب الأخضر. لم أعد أتمكّن من رؤية الرجل من 'موستار'، هناك تلّ معشوشب صغير فقط».

«وماذا يوجد على التلّ؟».

«لا أعرف. لكنّي لا أتمكّن من رؤية الغرفة. أنا الآن في الخارج أمشي في روضة صيفيّة، كان العشب رطبًا وباردًا تحت قدمَيّ».

بهدوء شديد أخرجتهم من حالة التنويم، وتأكّدت من كونهم جميعًا بخير قبل أن أنهي الحوار. مسح ماريك الدموع عن وجنتيه، كانت لديه بقع من العرق تحت إبطيه.

«لقد أجبروني على فعل ذلك... أجبروني على تعذيب صديقي».

قلت: «نحن نعلم».

نظر إلينا جميعا بقلق، وهمس: «لقد كنت أضحك لأنّني كنت مرتعبًا. أنا لست كذلك، أنا لست شرّيرًا».

قالت ليديا مع ابتسامة صغيرة: «أنت تحبّ إيذاء الآخرين. لماذا لا تعترف بذلك...».

«اخرسي!»، صرخ ماريك وتوجّه نحوها رافعًا يده. ثم قلت له بصوت مرتفع: «اجلس».

قالت ليديا بهدوء: «لا تصرخ عليّ يا ماريك».

نظر إلى عينيها ثمّ توقّف.

«آسف»، قال مع ابتسامة غير واثقة، ثمّ حكّ رأسه لعدّة مرّات، واتّكأ للخلف.

كان يومًا كئيبًا، والهواء يتلاعب بالمطر.

دخل نسيم بارد من النافذة المفتوحة، وجلب معه رائحة باهتة لأوراق الأشجار. هدأت المجموعة أخيرًا.

كانت إيڤا ترتدي ملابس زرقاء وتضع أحمر شفاه أزرق وماسكارا زرقاء. وكالعادة، بدت متوتّرة. كرّرت خلع سترتها ثمّ ارتداءها عدّة مرّات.

كانت ليديا تتحدّث إلى بيار. ارتعش فمه وعيناه بحركات متكرّرة مؤلمة وهو يصغي إليها.

كان ظهر ماريك نحوي. تموّج ظهره العضليّ حين كان يبحث عن شيء في حقيبة ظهره. وقفت وأشرت لسيبيل أن تدخل. دعست على سيجارتها بقدمها، ثمّ أعادت وضع العقب في العلبة.

«دعونا نكمل»، قلت وأنا أفكّر في أن أحاول ثانية مع إيڤا.

***

كان وجه إيڤا متوتّرًا، مع ابتسامة مزيّفة على شفتيها الزرقاوين. كنت قلقًا منها. إنّها لا تريد أن تُرغَم على شيء، ولكن لديّ فكرة عن كيفيّة مساعدتها.

حين أخبرت المجموعة أن يتركوا ذقونهم تسترخي على صدورهم، تفاعلت إيڤا مع ابتسامة واسعة. أخذت أعدّ الأرقام تنازليًّا وأشعر بالحبل خلفي حين غصت في الماء. لكنّي حرصت على أن أبقى مستيقظًا. واصلت إيڤا النظر إلى بيار، وكانت تحاول التنفّس بتناغم مثله.

قلت: «أنتم تغوصون ببطء. عميقًا نحو الاسترخاء، نحو الراحة، نحو السكون العميق».

مشيت خلف مرضاي. رأيت أعناقهم الشاحبة وظهورهم المقوّسة. ثمّ توقّفت خلف إيڤا ووضعت يدي على كتفها. من دون أن تفتح عينيها، رفعت رأسها للأعلى، ونفخت شفتيها قليلًا.

قلت: «والآن، أنا أتحدّث إليك يا إيڤا. أريدك أن تبقي صاحية، ولكن مسترخية طوال الوقت. أريدك أن تصغي إلى صوتي حين أتحدّث إلى المجموعة. لكنّك لن تكوني منوّمة مغناطيسيًّا، سوف تشعرين بالهدوء نفسه، الإحساس الجميل بالانحدار البطيء، ولكنّك ستبقين صاحية طوال الوقت».

حين عدت إلى كرسيّ أحصيت تنازليًّا. إذ جلست أمامهم، استطعت رؤية وجه إيڤا مرتخٍ تمامًا. بدت مختلفة. كان من الصعوبة التصديق بأنّها الشخص نفسهُ. كانت شفتها السفلى تتدلّى ويتنافر لونها الورديّ الداخليّ عن أحمر شفاهها الأزرق، وتتنفّس بتثاقل شديد. استدرت للأسفل وتركتها تذهب، ثمّ انجرفت معِ المياه. في ذهني، كنّا داخل سفينة قديمة أو بناية غارقة. تصاعد سيلٌ من الماء البارد من الأسفل وارتطم بي. طافت أمامي بعض الفقاقيع وأجزاء صغيرة من أعشاب البحر.

شجّعتهم برفق: «استمروا بالنزول إلى الأسفل، إلى الأعمق، بهدوء».

بعد عشرين دقيقة تقريبًا، كنّا جميعًا نقف في الأعماق تحت الماء، على سطح معدنيّ مستوٍ. بدا وجه إيڤا عاريًا حين كانت في هذه الحالة العميقة من الاسترخاء. تكوّنت فقاعة من اللعاب على إحدى زوايا فمها المفتوح.

«إيڤا، أريدك أن تتحدّثي بهدوء، وخذي الوقت الذي تحتاجين إليه. ما الذي ترينه؟».

غمغمت: «حسنًا». فقلت: «أخبرينا. أين أنتِ».

بدت فجأة غريبة جدًّا وكأنّها تفاجأت من شيء ما. همست: «أنا أتجوّل. أنا أمشي على المعبر الصقيل ذي أبر الصنوبر وأكواز الصنوبر الطويلة. قد أذهب إلى نادي القوارب، وأنظر من النافذة في الخلف».

«هل تفعلين ذلك الآن؟».

أومأت إيڤا، ثمّ نفخت وجنتيها مثل طفل مشاكس.

«ما الذي ترينه؟».
قالت بسرعة: «لا شيء».
«لا شيء؟».
«شيء صغير فقط -أنا أكتب بالطباشير على الطريق خارج مكتب البريد».
«ماذا تكتبين؟».
«أكتب شيئًا تافهًا فقط».
«ألا يمكنك رؤية أيّ شيء من النافذة؟».
«لا... أرى ولدًا فقط. أنا أنظر إلى ولد»، تلعثمت، «جميل ولطيف حقًّا. إنّه يستلقي في سرير ضيّق. على الأريكة رجل يرتدي منشفة بيضاء يستلقي فوقه. بدا ذلك جميلًا. أحببت النظر إليهما. أنا أحبّ الأولاد. أريد أن أعتني بهم، أن أقبّلهم».
بعد فترة، جلست إيڤا. ارتعش فمها حين كانت عيناها تتجوّلان بين أعضاء المجموعة. قالت: «لم أكن منوّمة مغناطيسيًّا».
أجبت: «لقد كنت مسترخية، وذلك أدّى إلى نتائج جيّدة».
«لا. لم يفعل، لقد أساء إليّ لأنّني لم أكن أفكّر في ما قلته. قلت أشياء مختلَقة. إنّها لا تعني أيّ شيء، كان ذلك أمرًا مختلَقًا».
«أليس هناك نادٍ للقوارب فعلًا».
قالت بفتور: «لا».
«الطريق المعبّد؟».
قالت وهي ترفع كتفيها: «لقد اختلقت ذلك».
من الواضح أنّها شعرت بعدم الراحة لكونها نُوِّمت مغناطيسيًّا، ووصفت أشياء قد مرّت بها. كانت إيڤا من ذلك النوع من الأشخاص الذين لا يقولون أبدًا عن أنفسهم أيّ شيء قد يستند إلى الواقع.
قالت بصوت مرتفع: «لم أفعل أيّ شيء غبيّ للأولاد. أنا لطيفة، أنا شخص لطيف. إنّ الأطفال يحبّونني دومًا. سأكون سعيدة لو جالست

الأطفال. لقد ذهبت إلى منزلك يا ليديا. ذهبت إلى منزلك في الليلة الماضية، ولكني خفت أن أرنّ الجرس».

«لا تفعلي ذلك ثانية».

«ماذا؟».

قالت ليديا: «لا تأتي إلى منزلي».

واصلت إيڤا: «بإمكانكِ الوثوق بي. أنا وشارلوت صديقتان مقرّبتان. إنّها تعِدّ لي الطعام، وأنا أحضر لها الزهور كي تضعها على المائدة».

ارتعشت شفتا إيڤا حين نظرت إلى ليديا ثانية: «لقد ابتعت لعبة لابنك كاسبر. إنّها شيء صغير فقط. إنّها مروحة، على شكل مروحيّة، بإمكانك استخدامها للتهوية».

قالت ليديا بقسوة: «إيڤا».

«إنّها ليست خطيرة. لا يمكنك أن تؤذي نفسك بها، أنا أعدك».

قالت ليديا: «لا تأتي إلى منزلي. هل سمعت ذلك؟».

«ليس اليوم، لا أستطيع. سأذهب إلى منزل ماريك لأنّي أعتقد أنّه بحاجة إلى الرفقة».

قلت: «يجب أن تحترمي خصوصيّة ليديا يا إيڤا».

ابتسمت إيڤا: «ربّما غدًا».

وقفت ليديا. كان وجهها شاحبًا ومكفهرًّا.

قلت: «إنّ إيڤا تحاول فقط أن تكون ودودة».

لكنّ ليديا غادرت الغرفة من دون أيّ كلمة. لبثت إيڤا في كرسيّها وراقبتها وهي ترحل.

***

لم تكن سيمونا قد حضرت حين وصلتُ إلى هناك. كانت طاولتنا خالية إلّا من ورقة كُتبت عليها أسماؤنا، ووضعت داخل أحد الأقداح. جلست وفكّرت في أن أطلب شرابًا ريثما تأتي. كانت الساعة السابعة وعشر دقائق. وقد حجزت الطاولة بنفسي في مطعم «كاي بي» في شارع

«سمولاندس». لقد كانت ذكرى يوم مولدي، وكنت أشعر بالسعادة. لا يتوفّر لدينا الوقت غالبًا للخروج معًا في هذه الأيّام. انشغلت سيمونا للغاية بمشروع صالة العرض، وأنا انشغلت بأبحاثي.

حين يتسنّى لنا الوقت لنحظى بأمسية معًا، ننتهي بتمضيتها على الأريكة مع بنيامين، ونحن نشاهد فيلمًا أو نلعب بألعاب الفيديو.

في السابعة وعشرين دقيقة كنت أجلس هناك وأمامي كأس مارتيني مليئة بالفودكا، لحم عجل محمّص وشريحة من الليمون. قرّرت أن أنتظر قبل الاتّصال بسيمونا، وأحاول ألّا أشعر بالقلق المفرط. ولكنّي احتسيت الكوكتيل رشفة واحدة وأخذت أشعر بالقلق. اتّصلت بسيمونا على مضض.

أجابت: «سيمونا بارك». بدت مشوّشة وكان هناك صدى لصوتها.

«سيمونا، إنّه أنا. أين أنت؟».

«إريك أنا في صالة العرض. نحن مشغولون بالطلاء». توقّفت ثمّ سمعتها تشهق بصوت مرتفع: «أووه لا! أنا آسفة يا إريك. نسيت تمامًا. كان كلّ شيء جنونيًّا هذا اليوم مع السبّاك والكهربائيّ و...».

«إذن أنت في صالة العرض؟».

لم أستطع إخفاء خيبة الأمل التي بانت في صوتي.

«نعم. أنا مغطّاة بالجبس والطلاء...».

قلت ببرود: «كان يفترض بنا أن نلتقي على العشاء».

«أعرف يا إريك. أنا آسفة. لقد غاب ذلك عن ذهني تمامًا».

قلت متهكّمًا: «حسنًا، لقد حصلنا على طاولة جيّدة على الأقلّ».

«لا جدوى من انتظارك لي»، قالت وهي تتنهّد. رغم أني سمعت كم كانت نادمة، بقيت أشعر بالغضب.

همست: «سامحني يا إريك».

قلت: «لا بأس»، وأغلقت الهاتف.

لم يكن الأمر يستحقّ الذهاب إلى مكان آخر. كنت جائعًا وأجلس

في المطعم. أشرت إلى النادل بسرعة، ثمّ طلبت السمك المملّح والجعة كمقبّلات، ثمّ البطّ المقرمش وشرائح لحم بصلصة البرتقال كطبق أساسيّ مع قدح من النبيذ، وطبق جبنة سويسرية بالعسل كتحلية.

«بإمكانك أن تأخذ الكرسي الآخر»، قلت. رمقني النادل بنظرة تعاطف حين كان يصبّ لي كأس الجعة، وترك الكرسي.

فكرت لو إنّي جلبت معي دفتر ملاحظاتي، على الأقلّ سأفعل شيئًا مفيدًا في الوقت الذي آكل فيه. رنّ هاتفي الخليويّ. راودني شعور مريح بأنّ سيمونا كانت تغيظني فقط، وسوف تدخل الآن من الباب.

«إريك ماريّا بارك»، قلت وسمعت كم بدا صوتي فارغًا.

«مرحبًا. أنا مايا».

قلت: «مايا. أهلًا».

«فكّرت في أن أسألك... يبدو المكان صاخبًا حيث أنت. هل هذا وقت سيّئ للاتّصال؟».

«أنا أجلس في مطعم ’كي بي‘. إنّه يوم مولدي»، قلت من دون أن أعرف لماذا.

«كلّ عام وأنت بخير. يبدو أنّ هناك حشدًا كبيرًا معك».

قلت بفتور: «لا. أنا وحدي».

قالت بسرعة: «إريك... أنا آسفة بشأن الليلة السابقة. أنا محرَجة جدًّا».

سمعتها وهي تتنحنح.

«كنت أتساءل إن كنتَ مهتمًّا بقراءة ما كتبته عن مقابلتي الأولى معك. انتهيت من كتابتها، وسوف أرسلها إلى المشرف، ولكن لو رغبت في قراءتها أوّلًا».

قلت: «ضعيها في صندوق بريدي رجاء».

أنهينا المكالمة، وسكبت المتبقّي من الجعة في كأسي وشربته. نظّف النادل المائدة ثمّ عاد فورًا مع لحم البطّ والنبيذ الأحمر. أزعجني

صوت المضغ والبلع وصوت أدوات المائدة على الصحن. احتسيت نبيذي ونظرت إلى الأشخاص المرسومين أمامي في اللوحة على جدار المطعم على أنهم مرضاي في جلسة تنويم علاجيّ جماعيّ.

لم أعرف كم لبثت جالسًا هناك أحدّق إلى الصورة، حين سمعت صوتًا منقطع الأنفاس خلفي يقول: «الحمد لله أنّك ما زلت هنا».

كانت مايا. ابتسمت، ثمّ احتضنتني، بينما تفاعلت أنا معها ببرود.

«عيد مولد سعيد يا إريك».

كان شعرها الأسود الكثيف نظيفًا، ورقبتها تفوح بعطر الياسمين.

أشارت إلى الكرسيّ أمامي قائلة: «هل تسمح لي؟».

أعرف أنّه عليّ صرفها. لقد وعدت نفسي بألّا أراها ثانية، ولكنّي تردّدت. اعترفت لنفسي بأنّه يسعدني الحصول على بعض الصحبة.

وقفت تنتظر ردّي. «أجد من الصعوبة جدًّا أن أقول لك لا»، قلت، ثمّ أدركت كم يبدو ذلك مبهمًا، «أنا أعني...».

جلست. أشارت إلى النادل، وطلبت كأسًا من النبيذ. وضعت علبة على الطاولة أمامي. وقالت بخجل: «إنّها شيء بسيط».

«هديّة؟».

رفعت كتفيها.

«تذكار صغير... فلم أعرف أنّه عيد مولدك إلّا قبل عشرين دقيقة».

فتحت العلبة، وبدهشة كبيرة رأيت شيئًا أشبه بالمجهر المصغّر.

«أنّه مجهر تشريحيّ»، أوضحت مايا، «لقد اخترعه جدّي، أعتقد أنّه قد حصل على جائزة نوبل -اسمح لي- كان ذلك في الوقت الذي كانت فيه معظم الجوائز تذهب إلى السويد والنرويج». قالت من دون حماسة.

كرّرتُ بانبهار: «مجهر تشريحيّ!».

«حسنًا، إنّها لطيفة وقديمة جدًّا. أعرف أنّها هديّة سخيفة».

«توقّفي. إنّها...» التقت نظراتنا، ورأيت كم كانت جميلة. «إنّه لأمر لطيف منك يا مايا! أشكرك. أشكرك جدًّا».

أعدت المجهر ثانية إلى العلبة بحذر، ثمّ وضعته في جيبي.

كانت قد أفرغت كأسها: «كأسي فارغة. هل نحصل على زجاجة؟».

كان الوقت متأخّرًا حين قرّرنا أن نذهب إلى «ريتشي»، بالقرب من «مسرح الدراما الملكيّ». كدنا أن نسقط أرضًا حين أخذنا معطفينا. استندت مايا عليّ، وأنا أخطأت بتقدير المسافة بيني وبين الجدار. حين استعدنا توازننا أخذت مايا تضحك بشدّة، حتّى أنّي اضطررت إلى أن أقودها نحو زاوية في النادي الليليّ.

كان المكان مزدحمًا. أخذنا كأسَيْ جين مع التونيك، ونحن نقف قريبين من بعضنا، ونحاول أن نتحدّث. شعرت بأنّ مؤخّرة رأسها قد ارتطمت بالجدار حين كنت أدفع جسدي عليها. كانت الموسيقى تعزف بصخب حين قالت في أذني إنّنا يجب أن نعود إلى شقّتها.

أسرعنا إلى الخارج وركبنا في سيّارة أجرة.

قالت متلعثمة: «شارع 'روسلاغز' رجاء، رقم سبعة عشر».

كان الوقت في الصباح الباكر، والسماء أخذت تتحوّل إلى لون أفتح. مرّت المباني خلفنا. لم أكن واثقًا كيف دخلنا إلى شقّتها. أتذكّر وقوفي في المصعد وأنا أشمّ وجهها وأشعر بطعم الملوحة ومساحيق التجميل.

حين كنت أسحب نفسي منها كان قلبي ما زال ينبض بقوّة. رأيت مايا تبتسم بطريقة لم تشعرني بالارتياح.

شعرت بالغثيان. لم أفهم حقًّا ماذا حصل وماذا كنت أفعل هناك؟

جلست على السرير قربها. فقالت وهي تداعب ظهري: «ما الأمر؟».

قلت بقسوة بعد أن دفعتُ يدها بعيدًا: «توقّفي!».

كان قلبي ينبض بالندم.

«إريك! لقد اعتقدت...».

بدت مستاءة. لم أتمكّن من النظر إليها. كنت غاضبًا من نفسي ومنها. لم يكن ذلك ليحصل لو لم تطاردني.

همست: «نحن فقط متعَبان وثملان».

«يجب أن أذهب»، قلت بصوت فظّ، ثمّ التقطت ملابسي، وتعثّرت في

طريقي إلى الحمّام. كان صغيرًا ومليئًا بالمساحيق والفرش والمناشف، وهناك روب حمّام يتدلّى معلّقًا إلى جانب موسى حلاقة ورديّ اللون.

لم أتمكّن من النظر إلى نفسي في المرآة حين غسلت وجهي في الحوض. غسلت نفسي مستخدمًا صابونة زرقاء على شكل وردة. كنت أرتجف حين ارتديت ملابسي.

حين خرجت، كانت تقف هناك بانتظاري، وقد لفّت نفسها بالملاءة وبدت يافعة جدًّا وقلقة. سألتني: «هل أنت غاضب منّي؟». رأيت شفتيها ترتعشان وكأنّها على وشك البكاء.

«أنا غاضب من نفسي يا مايا. لم يكن عليّ أبدًا أبدًا أن...».

«ولكنّي رغبت في ذلك يا إريك. أنا أحبّك. ألم تلاحظ ذلك؟».

حاولت أن تبتسم لي، ولكنّ عينيها امتلأتا بالدموع، «لا يمكنك أن تعاملني كالحثالة الآن»، همست وهي تمدّ يدها لي.

تراجعت: «لقد كانت غلطة»، قلت بنبرة مهينة أكثر ممّا قصدت.

أومأت ثمّ خفضت بصرها. لم أودّعها. غادرت الشقّة، ومشيت إلى مستشفى «كارولينسكا». قد أتمكّن من إقناع سيمونا بأنّني رغبت في أن أبقى وحدي، وقضيت الليلة في المكتب.

***

في الصباح التالي، استقلّيت سيّارة أجرة إلى المنزل. كانت بشرتي ترتعش من الاشمئزاز الذي سبّبته كمّيّة الكحول التي احتسيتها، وكلّ الأشياء التي قلتها وفعلتها في الأمس. لا أصدّق أنّي خنت سيمونا. لا يمكن أن يكون ذلك حقيقيًّا. لم أكن مهتمًّا بمايا. لم أعرف كيف سأتمكّن من إخبار سيمونا، إلّا أنّه عليّ أن أفعل. لقد اقترفت خطأً. ولكنّ الناس يقترفون الأخطاء. من الممكن أن يسامح أحدنا الآخر لو تحدّثنا عن ذلك وأوضحناه.

كنت أفكّر في أنّني سأشعر بالألم إن كانت هي على علاقة عاطفيّة برجل آخر. لكنّني سأتمكّن من مسامحتها. لن أتركها أبدًا.

***

كانت سيمونا تقف في المطبخ، تصبّ لنفسها كوبًا من القهوة حين دخلت. كانت ترتدي رداء حمّامها الورديّ القديم. لقد اشتريناه من الصين حين كان عمر بنيامين عامًا واحدًا، حين سافرا معي لحضور مؤتمر.

سألت: «هل ترغب في بعض القهوة؟».

«نعم رجاءً».

«إريك، أنا آسفة جدًّا لأنّي نسيت عيد مولدك».

«قضيت الليلة في المكتب». كانت الكذبة واضحة جدًّا حتّى بالنسبة إليّ.

كان شعرها الأحمر مثل الفراولة يتدلّى على وجهها، وكانت شفتاها ترتعشان برقّة. من دون أيّ كلمة، ذهبت إلى غرفة النوم، وعادت مع هديّة، ومزقت غلافها بلهفة ساخرة.

كانت علبة من الأقراص الرقميّة، تسجيل عزف الساكسفون للعازف تشارلي باركر خلال زيارته الوحيدة للسويد.

قلت: «شكرًا».

سألتني: «كيف كان يومك؟».

أجبت: «توجّب عليّ العودة إلى العمل».

قالت: «كنت أفكّر، أن نحصل على وجبة لطيفة هذه الليلة هنا في المنزل».

قلت: «ذلك يبدو جيّدًا».

«مع هذا لا يمكنني أن أتأخّر. سيأتي عمّال الطلاء غدًا في السابعة صباحًا. الربّ يعلم لماذا عليهم البدء مبكرًا هكذا!».

أدركت أنّها كانت تنتظر استجابة منّي.

غمغمت: «ينتهي الأمر بك دومًا وأنت تنتظرينهم».

ابتسمت ورشفت بعض القهوة: «بالفعل. إذن ماذا سنتناول؟ ربّما وجبة اللحم المنقوع بالنبيذ مع صلصة الزبيب؟ هل تذكرها؟».

«كان ذلك منذ زمن بعيد!»، قلت وأنا أصارع كيلا أبدو كمن يوشك على البكاء.

«لا تغضب منّي».
حاولت أن أبتسم لها: «لست كذلك».
حين كنت أهمُّ بانتعال حذائي عند المدخل، وأنا على وشك المغادرة، أتت سيمونا من الحمّام، كانت تحمل شيئًا في يدها.
سألت: «إريك؟».
«نعم».
«ما هذا؟».
كانت تحمل مجهر مايا التشريحيّ.
«ذاك... إنّه هديّة»، قلت وأنا أسمع كم كان صوتي مصطنَعًا.
«جميل جدًّا! يبدو كتحفة. من أين حصلت عليها؟».
استدرت كي لا اضطرّ إلى النظر إليها.
«من مريض ما»، قلت محاولًا أن أكون غامضًا، وأتظاهر بالبحث عن مفاتيحي.
ضحكت من المفاجأة: «لم أكن أظنّ أنّ الأطبّاء يُسمح لهم بقبول هدايا من المرضى، أليس ذلك مخالفًا للقواعد؟».
«ربّما يتوجّب عليّ إعادته»، قلت وأنا أفتح الباب.
تمكّنت من الشعور بعيني سيمونا وهما تخترقانني من الخلف. كان عليّ إخبارها، ولكنّي خفت للغاية من خسارتها. لم أجرؤ ولم أمتلك أيّة فكرة من أين سأبدأ.

***

أوقفني ماريك حين كنت على وشك الدخول إلى غرفة العلاج. أغلق الباب ثمّ ابتسم لي بطريقة فاترة وغير وديّة.
قال: «نحن نحظى ببعض المرح هنا».
قلت: «ماذا تفعلون؟».
«إنّها حفلة خاصّة». سمعت أحدهم يصرخ من وراء الباب.
قلت: «دعني أدخل يا ماريك».

كشّر عن أسنانه: «آسف يا دكتور هذا غير مسموح به في...».

دفعته كي أتجاوزه، ففُتح الباب. فقد ماريك توازنه، رغم أنّه حاول التشبّث بمقبض الباب، إلّا أنّه انتهى ساقطًا على الأرض مادًّا إحدى ساقيه.

قال: «لقد كنت أمزح فقط. اللعنة! كانت مزحة فقط».

كلّ المرضى الآخرين كانوا يحدّقون إلينا وقد تجمّدت حركاتهم. بدا بيار وشارلوت قلقَين، وسيبيل ويوسي كانا يقفان أمام ليديا. فتحت سيبيل فمها، وبدت عيناها شبه دامعتين. نظرت ليديا نحونا، ثمّ أدارت ظهرها ثانية. كان هناك توتّر غريب ينبعث من المجموعة. نهض ماريك ونظّف بنطاله بيده.

لاحظت أنّ إيڤا لم تصل بعد. ذهبت كي أضبط الكاميرا قبل بداية الجلسة. رأيت خلال العدسة ليديا وهي تبتسم لشارلوت، وسمعتها تقول بحبور: «بالضبط. ذلك هو الأمر مع الأطفال دومًا. إنّ ابني كاسبر لا يتحدّث عن أيّ شيء سوى سبايدرمان الآن».

قالت شارلوت: «أنا أسمع أنّ الجميع مجنون به هذه الأيّام».

«إنّ كاسبر ليس له والد، لذلك ربّما هو يعتبر سبايدرمان مثَله الأعلى كرجل»، قالت ليديا ثمّ ضحكت بصوت مرتفع حتّى إنّ مكبّرات الصوت أخذت تطنّ.

واصلت: «لكنّنا نبلي بلاء حسنًا معًا. نحن نضحك كثيرًا رغم أنّ الأشياء كانت صعبة مؤخّرًا. كاسبر غيور من كلّ شيء أفعله. إنهّ يحاول تدمير أشيائي. ولا يسمح لي بالتحدّث عبر الهاتف. لقد رمى بكتابي إلى المرحاض وهو يصرخ».

شرع يوسي يتحدّث عن منزله المسكون. إنّه منزل والديه في «دوروتِيا» في «لابلاند الجنوبيّة» بالقرب من «سوتمي». قال: «عشت بالقرب من بحيرة 'جوتشارنن'. الجزء الأخير من المعبر عبارة عن مرسى قديم. في الصيف كان الأولاد يذهبون للسباحة هناك. كانوا يحبّون قصّة ناكين».

«شبح الماء؟».
«لقد شاهده الناس هناك في ’جوتشارنن‘ وهو يعزف على كمانه لأكثر من ثلاثمائة عام».
«والآن لا؟».
«لا»، قال مع تكشيرة واسعة.
«إذن ما الذي كنت تفعله طوال العام وأنت عالق هناك في وسط الغابة؟»، سأل بيار مع ابتسامة فاترة.
«أشتري السيّارات والحافلات القديمة. أقوم بإصلاحها ثمّ بيعها. كان فنائي يشبه ساحة الخردة».
سألت ليديا: «هل كان منزلك كبيرًا؟».
«لا. كان أخضر. قام والدي بطلائه في الصيف، وانتهى به الأمر بلون أخضر فاقع. لا أعرف بماذا كان يفكّر. ربّما أعطاه أحد ذلك الطلاء».
أخرجت ليديا علبة من بسكويت الزعفران، ثمّ قدّمت للآخرين.
«إنّها عضويّة تمامًا»، قالت وهي تشير إلى ماريك كي يأخذ المزيد.
ابتسمت شارلوت، وتناولت قطعة صغيرة من بسكوتها.
«هل خبزتها بنفسك؟»، سأل يوسي مع ابتسامة غير متوقّعة، جعلت وجهه الضخم يبدو جذّابًا.
«أنا لا أمتلك الوقت تقريبًا»، قالت ليديا وهي تهزّ رأسها وتبتسم، «لقد تجادلت مع أحدهم في ساحة اللعب».
ضحكت سيبيل بصوت مرتفع، ثمّ أنهت بسكوتتها بقضمتين كبيرتين.
«لقد كان كاسبر. حين ذهبنا إلى ساحة اللعب كالعادة هذا الصباح، جاءت إحدى الأمّهات إليّ وقالت إنّ كاسبر ضرب ابنتها الصغيرة على ظهرها بالمجرفة».
همس ماريك: «اللعنة!».
سألت شارلوت بتهذيب: «كيف تتصرّفين في وضع كهذا؟».
أخذ ماريك بسكوتة أخرى، ونظر إلى ليديا بتعبير جعلني أسأل نفسي إن كان معجبًا بها.

«لا أعرف، ولكنّي أوضحت للأمّ بأنّني مهتمّة جدًّا بالأمر ومتضايقة. لكنّها قالت إنّ الأمر لم يكن سيّئًا إلى هذه الدرجة، واعتقدت أنّه أمر غير مقصود ربّما».

قالت شارلوت: «بالتأكيد. قد يكون الأطفال عنيفين جدًّا حين يلعبون».

ردّت ليديا: «حسنًا، لقد وعدت أن أتحدّث مع كاسبر وأفهم المسألة».

أومأ يوسي: «جيّد».

قالت ليديا مبتسمة: «قالت إنّ كاسبر يبدو صبيًّا ظريفًا».

جلست أقلّب في ملاحظاتي. كنت متحمّسًا للبدء في أسرع وقت ممكن. دور ليديا هذه المرّة. نظرتُ إلى الأعلى، وابتسمتُ بتحفّظ.

جلس الجميع هادئين ومترقّبين حين بدأت التنويم المغناطيسيّ. بدا صوت تنفّسنا صاخبًا على غير العادة. كان هناك صمت قاتم كثيف يتبع نبضات قلوبنا. غصنا إلى الأعمق مع كلّ نفس. بعد برهة استدرت نحو ليديا:

«أنت تغوصين عميقًا بهدوء شديد. أنت مسترخية حقًّا. ذراعاك تشعران بالثقل، ساقاك ثقيلتان، جفناك ثقيلان. أنت تتنفّسين ببطء وتستمعين إلى كلماتي من دون أن تشكّكي فيها. أنت مغمورة بما أقوله، وأنت في أمان تامّ يا ليديا. أنت قريبة الآن من الشيء الذي لا تريدين التفكير فيه. ذلك الشيء الذي لا تتحدّثين عنه أبدًا. الشيء الذي تهربين منه دائمًا. ذلك الشيء المخفيّ دومًا في الظلمة».

قالت متنهّدة: «نعم».

قلت: «أنت هناك الآن؟».

«أنا قريبة جدًّا».

«أين أنت الآن؟».

«في المنزل».

«كم عمرك؟».

«سبعة وثلاثون».

نظرت إليها بتمعّن. عبرَت انعكاسات متموّجة جبهتها العالية وفمها الصغير وبشرتها الشاحبة. كنت أعرف أنّها قد بلغت السابعة والثلاثين قبل أسبوعين.

سألتها: «ماذا يحدث؟ ما الخطب؟».

«الهاتف».

«ماذا بشأن الهاتف؟».

«إنّه يرنّ. إنّه يرنّ ثانية. رفعته ثمّ وضعته ثانية بسرعة».

«لا شيء لتقلقي بشأنه يا ليديا».

بدت مرهقة وخائفة نوعًا ما. قالت: «الطعام سوف يبرد. أعددت خضروات مخلّلة وحساء العدس والخبز الطازج. كنت أخطّط للأكل أمام التلفاز، ولكن يبدو أنّ ذلك سيكون مستحيلًا...».

أخذ ذقنها يرتعش ثمّ هدأت ثانية بعدئذ. وتابعت: «انتظرتُ قليلًا ثمّ سحبتُ الستائر لأنظر إلى الشارع. ما من أحد هناك. جلست على طاولة المطبخ، وتناولت بعض الخبز الساخن والزبدة، ولكنّي فقدت شهيّتي. ذهبت إلى الغرفة السفليّة ثانية. كان الجوّ باردًا هناك كالعادة. جلست على الأريكة الجلديّة القديمة، وأغلقت عينيّ. كنت بحاجة إلى أن أجمع شتات نفسي. كنت بحاجة إلى استجماع قواي».

عادت إلى الصمت، بينما حالت بيننا خيوط من أعشاب البحر.

سألتها: «لمَ أنتِ بحاجة إلى استجماع قواك؟».

«كي... كي أتمكّن من النهوض والذهاب. تجاوزت المصباح المغطّى بالورق الأحمر ذا الكتابة الصينيّة عليه، والطبق الذي يحمل الشموع المعطّرة والأحجار المصقولة. كانت ألواح الأرضيّة تُصدر صريرًا تحت المشمّع الذي...». وصمتت.

«هل هناك أحد آخر؟»، سألتُ ليديا بهدوء، ثمّ ندمت على ذلك فورًا.

«لقد التقطت العصا، ثمّ دفعت الجزء الناتئ من المشمّع كي أتمكّن من فتح الباب. تنفّست بهدوء ودخلت. أشعلت النور. طرف

كاسبر بعينيه في الضوء، ولكنّه واصل استلقاءه. تبوّل في الدلو. كان يرتدي بيجامته الزرقاء الشاحبة، ويتنفّس بسرعة. لكزته بالعصا، فنشج وتحرّك قليلًا، ثمّ جلس في القفص. سألته إن كان قد غيّر رأيه، فأومأ لي متحمّسًا. دفعت صحن الطعام نحوه. كان بعض السمك قد جفّ وأصبح لونه داكنًا. زحف إلى الأمام، ثمّ أخذ يأكل ما جعلني سعيدة. كنت على وشك أن أقول كم من الرائع أن يفهم أحدنا الآخر حين تقيّأ فجأة على الفراش».

كان وجهها يتلوّى من الألم. قالت: «ثمّ هناك... أخذت أفكّر...».

كانت شفتاها مزمومتين، وقد تدلّت زوايا فمها: «كنت أفكّر في أنّنا قد انتهينا...».

هزّت رأسها: «أنا لا أفهم ذلك فقط...». لعقت شفتيها وتابعت، «سألته، هل لديك أيّ فكرة كيف أشعر؟ قال إنّه آسف. كرّرت أنّ الغد هو يوم الأحد، ثمّ لطمت على وجهي وصرخت عليه كي ينظر إليّ...».

كانت شارلوت تنظر إلى ليديا خلال الماء بعينين قلقتين.

قلت: «ليديا، يمكنك ترك القبو الآن من دون أن تشعري بالخوف أو الغضب. أنت تشعرين بأنّك هادئة ومتماسكة. سوف أرفعك بهدوء من هذا الاسترخاء العميق نحو السطح، نحو الوضوح، وسوف نتحدّث معًا حول ما قلته للتوّ. أنا وأنت فقط قبل أن أخرج الآخرين من حالة التنويم».

تذمّرت بصوت خافت حزين.

«ليديا، هل تصغين إليّ؟».

أومأت.

«سوف أحصي الأرقام تنازليًا. حين أصل إلى الرقم واحد سوف تفتحين عينيك، وتكونين صاحية وواعية تمامًا، عشرة، تسعة، ثمانية، سبعة، أنت ترتفعين إلى السطح تدريجيًا، جسدك يشعر بأنّه جميل ومسترخٍ، ستّة، خمسة، أربعة، قريبًا سوف تفتحين عينيك، ولكن ابقي جالسةً على كرسيّك، ثلاثة، اثنان، واحد، والآن افتحي عينيك».

التقت عينانا. بدا وجه ليديا حانقًا، وذلك شيء لم أكن قد حسبت حسابه. ما زلت أشعر بالبرد داخلي من الشيء الذي قالته. علينا أحيانًا أن نوازن بين قسَم أبقراط وبين مسؤوليّة التبليغ عن جريمة محتملة. إنّ حقّ المريض بالحفاظ على السرّيّة لا يمكن تطبيقه إذا كانت سلامة شخص ثالث تتعرّض للخطر.

قلت: «ليديا، أنت تعرفين أنّه يتوجّب عليّ الاتّصال بالخدمات الاجتماعيّة؟».

«لماذا؟».

«ما قلتِه لم يترك لي خيارًا آخر».

«بأيّ طريقة؟».

«ألا تدركين ذلك؟».

تصلّب فم ليديا: «لم أقل أيّ شيء».

«لقد وصفت كيف...».

انفعلت: «اخرس! أنت لا تعرفني. لا تعرف أيّ شيء بخصوص حياتي، ليس لك الحقّ في أن تدسّ أنفك في ما يحصل داخل منزلي».

«أعتقد أنّ طفلك...».

«اخرس فقط»، صرخت ثمّ غادرت الغرفة.

***

أوقفت سيّارتي قرب سياج شجيريّ مرتفع، يبعد مائة متر عن منزل ليديا الخشبيّ الكبير في شارع «تينيس» في «روتيبرو». وافقت العاملة الاجتماعيّة على طلبي بأن تأتي معي. قابلت الشرطة من ناحية أخرى بلاغي بنوع من الشكّ، لكنّهم على الأقلّ فتحوا تحقيقًا في الموضوع.

مرّت قربي سيّارة تويوتا حمراء وتوقّفت خارج المنزل. خرجت من السيّارة، وذهبت كي أقدّم نفسي إلى العاملة الاجتماعيّة. كانت امرأة قصيرة ممتلئة. برزت بعض الإعلانات من حافّة صندوق البريد. كانت البوّابة المنخفضة مفتوحة. حين تجاوزنا المعبر المؤدّي إلى المنزل،

لاحظت عدم وجود ألعاب في الفناء المهمَل، لا صندوق رمل، لا أرجوحة تتدلّى من شجرة التفّاح القديمة، لا درّاجة عند المدخل. هناك بعض الأدراج الحجريّة التي تؤدّي إلى الباب الأماميّ، والستائر مسدلة على جميع النوافذ، والنباتات الميّتة تتدلّى من السلال المعلّقة. تصوّرت أنّني لمحت حركة خلف إحدى النوافذ الصفراء. رنّت العاملة الاجتماعيّة الجرس. انتظرنا، ولكن لم يحصل أيّ شيء. تثاءبَت ونظرت إلى ساعتها. رنّت ثانية، ثمّ حاولَت مع مقبض الباب. لم يكن الباب مقفلًا. دفعته فصرنا في الردهة الصغيرة.

قالت العاملة الاجتماعيّة، «مرحبا ليديا!».

دلفنا داخلًا. خلعنا أحذيتنا ودخلنا عبر الباب الذي يفضي إلى رواق ذي ورق جدران زهريّ وصور لأشخاص يتأمّلون. كانت رؤوسهم غير مرئيّة بسبب الأضواء الخلفيّة الساطعة، وهناك هاتف ورديّ على الأرض قرب طاولة منخفضة.

«ليديا».

فتحت أحد الأبواب، ووجدت أدراجًا ضيّقة تؤدّي إلى القبو في الأسفل.

قلت: «إنّه في الأسفل هناك».

تبعتني العاملة الاجتماعيّة نزولًا نحو الغرفة السفليّة التي كانت تحتوي على أريكة جلديّة وطاولة فخّاريّة. كان هناك طبق مليء بالشموع المعطّرة وبعض الأحجار المصقولة وقطع من الزجاج، وقد غُطّي مصباح السقف بغطاء بلون أحمر قاتم وعليه أحرف باللغة الصينيّة.

راح قلبي ينبض. حاولت أن أفتح الباب المؤدّي إلى الغرفة المجاورة، لكنّه علق بقطعة ناتئة من مشمّع الأرضية. دفعته بقدمي إلى الأسفل ودخلت. لكن لم يكن هناك قفص. في وسط الأرضيّة كانت تستقرّ درّاجة هوائيّة مقلوبة، وقد رفعت عجلتها الأماميّة، وكذلك مجموعة من الأدوات وصندوق عدّة من البلاستيك يحتوي على رقع لاصقة وصمغ

ومفاتيح ربط. كان أحد الأوتاد اللامعة قد حُشر تحت حافّة الإطار. فجأة، أخذ السقف يصدر صريرًا، وأدركنا أنّ أحدًا ما يمشي في الغرفة فوقنا مباشرة، أسرعنا للأعلى.

كان باب المطبخ مفتوحًا. تمكّنت من رؤية شرائح الخبز وبعض الفتات على الأرضيّة الصفراء. نادت العاملة الاجتماعيّة: «مرحبًا».

كان باب الثّلاجة مفتوحًا. رأيت ذلك حين دخلت. وقفت ليديا وسط الغرفة المعتمة وهي تنظر إلى الأرض. تطلّب الأمر منّي بضع ثوانٍ كي انتبه للسكّين في يدها. كانت سكّين منشار للخبز. تدلّت ذراعاها إلى جانبيها، وراح نصل السكّين يرتعش قرب فخذها.

همست وهي تنظر نحوي: «لا يفترض بك أن تكون هنا».

«حسنًا»، قلت وتحرّكت عائدًا نحو الباب.

«هل بإمكاننا أن نجلس ونتحدّث قليلًا؟»، قالت العاملة الاجتماعيّة بنبرة معتدلة.

فتحت الباب المؤدّي إلى الرواق، حين أخذت ليديا تقترب ببطء منّي.

قالت: «إريك». وحين شرعت بإغلاق الباب، رأيت ليديا تركض نحوي. اندفعت إلى الردهة، ولكنّ الباب الخارجيّ كان مقفلًا. اقتربت خطوات ليديا وهي تصدر عويلًا. حاولت أن أفتح بابًا آخر، فتعثّرت ودخلت إلى غرفة التلفاز. فتحت ليديا الباب وتبعتني. اصطدمت بأحد الكراسي حين أسرعت نحو باب الشرفة، ولكنّي لم أتمكّن من زحزحة المقبض. ركضت ليديا نحوي مع السكّين. تمترست خلف طاولة الطعام فتبعتني. واصلت الالتفاف حولها كي أُبقي على المسافة بيننا.

قالت حين لاحقتني حول الطاولة: «إنّها غلطتك».

جاءت العاملة الاجتماعيّة راكضة إلى الغرفة وهي منقطعة الأنفاس.

قالت بصرامة: «ليديا! عليك أن توقفي هذه الحماقة حالًا».

قالت ليديا: «إنّها غلطته».

سألتها: «ما الذي تقصدينه؟ ما هي غلطتي؟».

«هذا»، أجابت ليديا، ثمّ مرّرت السكّين على رقبتها.

نظرت إلى عينيّ حين كان الدم يتدفّق على مئزرها وقدميها العاريتين، وفمها يرتعش. سقط السكّين على الأرض، رفعت إحدى يديها تتلمّس العون. جثمت على ركبتيها، ثمّ انهارت على جانبها، وجثمت هناك كعروس بحر.

***

بدت آنيكا لورنتسُن حزينة. مدّ راينِر ميلك يده عبر الطاولة، وصبّ لنفسه كأسًا من المياه المعدنيّة الغازيّة. التمع طرف كمّه بلون ذهبيّ وأزرق.

«أنت تعرف لماذا رغبنا في التحدّث إليك بأسرع وقت ممكن»، قال بيدر مالاشتي وهو يعدّل ربطة عنقه.

نظرت إلى أوراق المغلّف الذي أعطوه لي. من الواضح أنّ ليديا تقدّمت بشكوى ضدّي. لقد ادّعت أنّني دفعتها للانتحار، وذلك بإجبارها على الاعتراف بخطايا مفبركة. اتّهمتني باستخدامها كحقل تجارب، وبزرع ذكريات مزيّفة في رأسها خلال التنويم العميق، وادّعت بأنّني أهينها، وأقلّل من شأنها بسخرية وطيش أمام بقيّة أعضاء المجموعة، حتّى انتهى بها الأمر كامرأة محطّمة.

رفعت رأسي عن الوثيقة قائلًا: «هذا مزاح. أليس كذلك؟».

نظرت آنيكا بعيدًا. كان فم هولستين مفتوحًا، وبدا وجهه خاليًا من التعبير تمامًا حين قال: «إنّها مريضتك وتلك اتّهامات خطيرة».

قلت غاضبًا: «بالتأكيد، ولكنّها أكاذيب واضحة. من المستحيل زرع ذكريات زائفة بواسطة التنويم. أنا أقودهم لاكتشاف ذكريات خفيّة، ولكن لا يمكنني أن أتذكّر بالنيابة عنهم... الأمر أشبه بالباب، وأنا أقودهم إليه، لكنّي لن أتمكّن من فتحه بنفسي».

قال راينِر: «إنّ الشكّ وحده قد يكون كافيًا لتدمير أبحاثك يا إريك. لذلك أنا متأكّد من أنّك تقدّر خطورة الموقف».

هززت رأسي بانفعال، وقلت: «لقد قالت شيئًا عن ابنها وأنا اعتبرته أمرًا خطيرًا، لذلك فقد شعرت أنّي مجبر على الاتّصال بالخدمات الاجتماعيّة. إنّ حقيقة تفاعلها بهذه الطريقة هي...».

قاطعني روني يووانسون فجأة: «ولكن ذُكر هنا أن ليس لديها أيّ أطفال».

نقر على المغلّف بأصابع طويلة. تذمّرت ولكنّي قوبلت بنظرة غريبة من آنيكا. قالت بهدوء: «إريك، إنّ الغطرسة لن تفيدك أبدًا في هذه الحالة».

أجبتها بغضب: «حين يقوم أحدهم برواية الأكاذيب عنّي...».

انحنت على الطاولة وقاطعتني: «إريك، لم يكن لديها أطفال أبدًا».

«ليس لديها أطفال؟».

«لا».

عمّ السكون في الغرفة. شاهدت الفقّاعات وهي تتصاعد على سطح المياه المعدنيّة.

حاولت أن أوضح بأقصى هدوء أستطيعه: «أنا لا أفهم. كلّ التفاصيل تطابقت. ما زالت تعيش في منزل طفولتها. لا يمكنني أن أصدّق...».

قاطعني ميلك: «قد لا تكون قادرًا على تصديق ذلك. لكنّك كنت على خطأ».

«لا يمكنهم الكذب هكذا تحت التنويم».

«ربّما لم تكن منوّمة مغناطيسيًّا».

«بل كانت. أنا متأكّد من ذلك. لقد تغيّر وجهها».

«ذلك لا يهمّ الآن، لقد وقع الضرر أصلًا».

«لا أعرف إن كان لديها أطفال أم لا. ربّما كانت تتحدّث عن نفسها. لم أشاهد ذلك من قبل، ولكن قد تكون تلك طريقتها في التعامل مع ذكريات الطفولة».

قاطعتني آنيكا: «قد يكون الأمر كذلك، ولكنّ الحقيقة الراسخة هي

أنّ مريضتك حاولت الانتحار، وهي تلومك على ذلك. نحن نقترح عليك أن تحظى بإجازة بينما نحقّق في الأمر».

ابتسمت لي بفتور، ثمّ قالت برفق: «أنا متأكّدة من أنّ الأمر سينجح يا إريك، ولكن في الوقت الحالي عليك أن تتنحّى جانبًا حتّى نتدبّر كلّ ذلك. لا يمكننا أن نترك الصحافة تستغلّ هذا الموضوع».

فكّرت في باقي مرضاي، شارلوت، ماريك، يوسي، سيبيل، بيار، إيڤا. لا يمكنني التخلّي عنهم بين ليلة وضحاها. سوف يشعرون بالخذلان وبالخداع.

قلت بصوت منخفض: «لا يمكنني فعل ذلك. لم أرتكب أيّ خطأ».

ربّتت آنِكا على يدي: «سيكون الأمر على ما يرام، من الواضح أنّ ليديا إيڤرسون امرأة غير مستقرّة ومشوّشة. ولكنّ أهمّ شيء الآن هو أن تفعل كلّ شيء وفق القواعد. ستحظى بإجازة مفتوحة من مشروع العلاج بالتنويم المغناطيسيّ، بينما نقوم بإجراء تحقيقاتنا حول ما حصل. أنا أعرف أنّك طبيب جيّد يا إريك، وكما قلت، أنا واثقة من أنّك ستعود إلى مجموعتك في غضون ستّة أشهر ربّما».

وقفت غاضبًا، وقلت: «ستّة أشهر؟ لديّ مرضى يعتمدون عليّ، لا يمكنني تركهم هكذا».

اختفت ابتسامة آنيكا اللطيفة فجأة، كما تذوي شعلة الشمعة حين يُنفخ عليها. تجهّم وجهها، وبدت متوتّرة حين قالت: «لقد طالبت مريضتك بتوقيف نشاطاتك فورًا. لقد اشتكتك للشرطة أيضًا. هذه مشكلة كبيرة بالنسبة إلينا. لقد وظّفنا أموالًا في أبحاثك، وإذا اتّضح أنّ المشروع لا يطابق المواصفات القياسيّة فسوف يتعيّن علينا اتّخاذ إجراء آخر».

لم أعرف ماذا أقول. شعرت برغبة في الانفجار ضاحكًا: «هذا سخيف». كان ذلك كلّ ما قلته، ثمّ استدرت كي أغادر.

نادتني آنيكا: «إريك! ألا تدرك أن هذا عرض جيّد؟». توقّفت.

«أنتِ بالتأكيد لا تصدّقين تلك التفاهة بخصوص زرع الذكريات؟».
رفعت كتفيها: «هذا غير مهمّ، المهمّ هو أن نتبع اللوائح. خذ إجازة من مشروع التنويم العلاجيّ. اعتبرها فرصة للتصالح مع الذات. بإمكانك أن تكمل أبحاثك، وأن تعمل بسلام وهدوء ما دمت لا تمارس التنويم المغناطيسيّ خلال فترة تحقيقاتنا...».
«ما الذي تقترحينه فعليًّا؟ لا يمكنني الاعتراف بشيء ليس حقيقيًّا».
«لست أطلب منك ذلك».
«الأمر كذلك. إنّ أيّ طلب إجازة أقدّمه سيعتبر بمثابة اعتراف بالذنب».
أمرَتني: «قدّم طلبك فقط».
«هذه محض سخافة مطلقة»، قلت وغادرت الغرفة.

***

كان الوقت متأخّرًا، والشمس تتلألأ على البرك التي تركتها العاصفة المطريّة القصيرة. ركضت على الطريق حول البحيرة وأنا أفكّر بليديا. لقد كنت متأكّدًا من أنّها قالت الحقيقة تحت التنويم. ولكن كيف؟ أيّ حقيقة تلك التي كانت تقولها؟ ربّما كانت تصف ذكرى راسخة. ولكن ربّما كانت قد حصلت في وقت أبكر. صار واضحًا جدًّا أنّه تحت التنويم لا يبقى الماضي ماضيًا أبدًا، كرّرت ذلك لنفسي.
ملأت رئتيّ بهواء بداية الصيف المنعش، ثمّ ركضت المسافة المتبقّية إلى المنزل عبر الغابة. حين وصلت إلى الطريق رأيت سيّارة سوداء كبيرة متوقّفة أمام المعبر المؤدّي إلى منزلنا. كان رجلان ينتظران بنفاد صبر بالقرب منها، أحدهما يتأكّد من صورته المنعكسة على طلاء السيّارة اللامع بينما يدخّن سيجارة، والآخر يلتقط صورًا للمنزل. لم يرياني بعد. أبطأت خطاي، وكنت أسأل نفسي إن كان عليّ أن أعود أدراجي حين شاهداني. رمى الرجل المدخّن سيجارته ثمّ داسها بقدمه، أمّا الآخر فقد أدار كاميرته نحوي بسرعة. كنت ما أزال منقطع الأنفاس حين وصلت إليهما.

«إريك ماريّا بارك؟»، سأل الرجل الذي كان يدخّن.

«ماذا تريد؟».

«نحن من صحيفة الإكسبرسن».

«إكسبرسن؟».

«نعم، نحن نرغب في توجيه بعض الأسئلة إليك بخصوص أحد مرضاك...».

هززت رأسي: «لا يمكنني أن أناقش أيّ شيء من هذا القبيل».

«أها».

نظر الرجل إلى وجهي المحمرّ، بلوزتي السوداء، بنطالي الفضفاض، قبّعتي الصوفيّة. سمعت المصوّر يسعل خلفه. حلّق طائر في الهواء فوقنا، وانعكست صورته على السيّارة اللامعة. تمكّنت من رؤية السماء وهي تزداد دكنة فوق الأشجار. بدا وكأنّها سوف تمطر ثانية قريبًا.

«سوف ننشر مقابلة مع مريضتك في عدد الغد. إنّها توجّه بعض الاتّهامات ضدّك»، قال الصحافيّ بفتور.

التقت نظراتنا. وجهه عطوف نوعًا ما، في منتصف العمر، وبدينًا قليلًا.

«هذه هي فرصتك للردّ على اتّهاماتها»، أضاف.

كانت نوافذ المنزل معتمة. ربّما ما زالت سيمونا في صالة العرض في مركز المدينة، وبنيامين ما زال في الحضانة.

ابتسمت للرجل، فواصَل: «وخلاف ذلك فإنّ نسختها من الحكاية سوف تُنشر من دون منازع».

«أنا لا أناقش حالة مريض مع أحد حتّى في الأحلام»، أوضحت ببطء، ثمّ تجاوزت الرجلين متّجها نحو المنزل. فتحت الباب ودخلت. وقفت في المدخل حتّى سمعتهما يغادران.

***

رنّ الهاتف في الساعة السادسة والنصف من الصباح التالي. كانت آنيكا.

قالت وهي تبدو قلقة: «إريك، هل قرأت الصحف؟».
جلست سيمونا إلى جواري في الفراش، ونظرت إليّ مشوّشة. حاولت أن أُظهر لا مبالاة، وذهبت إلى المدخل.
«إذا كان الأمر عن اتّهاماتها، فإنّ الجميع سيعرف بأنّها تكذب...».
قاطعتني بفظاظة «لا. لن يدركوا ذلك. سيراها الكثير من الأشخاص كإنسانة قليلة الحيلة وضعيفة وهشّة. امرأة اعتُديَ عليها من طبيب مخادع وفاسد، رجلٍ وثقَت به أكثر من أيّ شخص آخر. شخص آمنت به وهو خانها واستغلّها، لأنّ ذلك هو ما يقولونه في الصحيفة».
سمعتها تتنفّس بسرعة في الهاتف. بدت فظّة ومتعَبة حين أكملت: «آمل أن تدرك أنّ هذا يدمّر المستشفى بأكمله».
قلت: «سوف أكتب ردًّا».

«ذلك لن يكون كافيًا يا إريك».
توقّفَت ثمّ قالت بفتور: «سوف تقاضيك».
«لن تفوز أبدًا».
«ما زلت لا تدرك مدى خطورة هذا. أليس كذلك؟».
«ما الذي تقوله؟».
«أقترح أن تذهب لشراء نسخة من الصحيفة، ثمّ تجلس وتفكّر كيف ستتعامل مع هذا الأمر. لقد تمّ تحديد موعد لمثولك أمام المجلس في الساعة الرابعة من هذا المساء».
حين رأيت وجهي وهو يطالعني من كشك الصحف، شعرت وكأنّ قلبي قد تباطأت نبضاته. كانت صورة مقرّبة لي وأنا أرتدي ملابس الركض وقبّعة صوف. كان وجهي محمرًّا وأبدو قبيحًا. ترجّلت عن درّاجتي بساقَيْن مرتعشتين. اشتريت نسخة من الصحيفة ثمّ عدت إلى المنزل. في الصفحات الوسطى من الصحيفة تظهر صورة ليديا وقد تمّت تغطية وجهها. تجلس القرفصاء، وتحتضن دبًّا محشوًّا بين ذراعيها. تمحورت المقالة كلّها حول كيفية قيام إريك ماريّا بارك بتنويمها مغناطيسيًّا، واستخدامها كفأر تجارب، وتعذيبها، واتّهامها

بجرائم وحشيّة. وفقًا لما يقوله المراسل، هي كانت قد انفجرت بالبكاء، وأوضحت أنّها غير مهتمّة بالتعويض. لا يمكن للنقود أن تعوّضها عمّا مرّت به، لقد حطّمتها بصورة ممنهجة، وقد قمت بوضع أفكار في رأسها. وكانت ذروة إزعاجي لها في تهجّمي على منزلها، ثمّ حثّها على الانتحار. «لقد أردت الموت فقط»، قالت. كان الأمر يبدو وكأنّها جزء من طائفة دينيّة ما، وكنت أنا القائد، ولم تكن هي تمتلك إرادة خاصّة. حين كانت في المستشفى بعد ذلك، تجرّأت على أن تبدأ بسؤال نفسها فقط حول الطريقة التي عاملتها بها. إنّها تطالب الآن بألّا يسمحوا لي بفعل الشيء عينه مع أيّ شخص آخر.

على الصفحة الأخرى، كانت هناك صورة لماريك. لقد اتّفق مع كلام ليديا، وقال إنّ نشاطاتي كانت قاتلة، وإنّي كنت مهووسًا باختلاق قصص مريضة، ثمّ إجبارهم على الاعتراف بها تحت تأثير التنويم.

في أسفل الصفحة، قام أحد الخبراء -كوران سورينسون- بإبداء رأيه. لم أكن قد سمعت به من قبل، ولكن ها هو الآن ينتقد أبحاثي كلّيًا. كان يقارن التنويم المغناطيسيّ بجلسة تحضير الأرواح، ويلمّح إلى احتمال قيامي بتخدير مرضاي كي أحصل منهم على ما أنشده.

شعرت بالدوار. سمعت تكتكة الساعة في المطبخ، ثمّ صوت سيّارة أو اثنتين مرّتا على الطريق في الخارج. فتحت الباب ودخلت سيمونا. شحب وجهها تمامًا حين قرأت الصحيفة.

همست: «ما الذي يجري؟».

أجبت: «لا أعرف»، كان فمي جافًا بشكل مريع.

جلست هناك أحدّق إلى الفراغ. ماذا إن كانت نظريّاتي خاطئة؟ ماذا إن كان التنويم المغناطيسيّ لا يعمل على الأشخاص الذين تعرّضوا لصدمة عنيفة؟ ماذا إن كانت رغبتي في الحصول على نمط قد أثّرت فعليًا على ذكرياتهم؟ لقد تصوّرت أنّها كانت تصف ذكرى حقيقيّة، ولكنّي الآن لم أعد متأكّدًا.

***

شعرت بإحساس غريب وأنا أقطع المسافة القصيرة من المدخل الرئيسي إلى المصعد متّجهًا إلى مكتب آنيكا. لم يودّ أيّ من الموظّفين النظر إلى عينيّ، حين كنت أمرّ قرب أشخاص أعرفهم، وأقضي الوقت معهم. بدوا متوتّرين ومنشغلين، ثمّ صرفوا نظرهم عنّي، وأسرعوا في تجاوزي.

حين خرجت من المصعد، مرّت مايا سفاتلينغ قربي بسرعة، وهي تتظاهر بعدم رؤيتي. كان راينِر ميلك ينتظر في مدخل غرفة آنيكا. تنحّى جانبًا حين دخلت، وقال لي «مرحبًا».

قال راينِر: «تفضّل بالجلوس يا إريك».

«شكرًا، أفضّل الوقوف»، قلت باقتضاب. كنت أسأل نفسي ما الذي تفعله مايا سفاتلينغ مع المجلس، ربّما أتت كي تدافع عنّي، فبعد كلّ شيء كانت هي واحدة من الأشخاص القلائل الذين يمتلكون معرفة حقيقيّة وشاملة عن أبحاثي.

كانت آنيكا تقف بالقرب من النافذة على الجانب الآخر من الغرفة. فكّرت أنّه من غير اللائق وغير المعتاد منها ألّا تقوم بتحيّتي. عوضًا عن ذلك، واصلت وقوفها هناك، وقد لفّت ذراعيها حول نفسها، وهي تنظر بجمود عبر النافذة.

قال بيدر مالاشتي: «لقد أعطيناك فرصة يا إريك».

أومأ راينِر وقال: «لكنّك رفضت أن ترى المنطق. لقد رفضت أن تتنحّى اختياريًّا بينما كنّا نقوم بتحقيقاتنا».

قلت بهدوء: «بإمكاني أن أغيّر رأيي. بإمكاني...».

«الأمر متأخّر جدًّا الآن»، قال منفعلًا، «كان بإمكاننا استخدام ذلك للدفاع عن أنفسنا أمس الأوّل، أمّا الآن فالأمر سيبدو بائسًا فقط».

فتحت آنيكا فمها، قالت بصوت منخفض من دون أن تستدير للنظر إليّ: «عليّ أن أظهر على التلفاز هذا المساء، وأوضح كيف سمحنا لك بفعل ذلك».

قلت: «لكنّي لم أفعل أيّ خطأ. إنّ اتّهامات سخيفة من مريضة واحدة لن تمحو سنوات من البحث، وعلاجات لا حصر لها كانت دومًا فوق مستوى الشبهات...».

قاطعه رايِنر: «ليست مريضة واحدة. هناك الكثير منهم، والآن لدينا رأي مهنيّ محترف آخر في أبحاثك...».

هزّ رأسه وتوقّف عن الكلام.

سألت بتوتّر: «هل هو كوران سورينسون أو أيًّا كان اسمه؟ لم أسمع به من قبل ومن الواضح أنّه لا يعرف أيّ شيء».

«لدينا مصدر قضى عدّة أعوام في دراسة عملك»، أوضح وحكّ رقبته، «إنّها تقول إنّك طموح جدًّا، وإنّ معظم نظريّاتك هي عبارة عن قصور في الهواء. ليس لديك أيّة أدلّة، وأنت تتجاهل دومًا الأفضل لمرضاك، في محاولة لإثبات كونك على حقّ».

وقفت عاجزًا عن الكلام. وسألت أخيرًا: «ما هو اسم خبيرك؟».

لم يجيبوني. فقلت: «ليست مايا سڤاتلينغ؟».

تحوّل لون وجه آنيكا إلى الأحمر.

قالت وهي تستدير نحوي أخيرًا: «إريك! أنت موقوف عن العمل منذ اليوم. لا أريدك في مستشفاي الآن، ولا أريدك أن تنوّم أيّ شخص مغناطيسيًّا هنا أبدًا».

«ماذا عن مرضاي؟ أحتاج إلى أن أتأكّد...».

قاطعتني بانفعال: «سوف يتمّ تحويلهم».

«لن يكون من الجيّد لهم أن...».

قالت بصوت مرتفع: «إن كانت هذه هي الحالة، فستكون غلطتك إذن».

عمَّ السكون في الغرفة. قلت بشكل عميق: «فهمت».

قبل عدّة أسابيع فقط، كنت أقف في هذه الغرفة نفسها، وأُكافَأ بالتمويل. لقد انتهى كلّ شيء الآن في هجمة شرسة واحدة.

حين غادرت المدخل الرئيسيّ، اقترب منّي بعض الأشخاص. كانت امرأة طويلة شقراء تمسك مكبّرًا للصوت وتضعه أمام وجهي.

قالت بمرح: «مرحبًا. هل لديك أيّ تعليقٍ بخصوص كون مريض آخر من مرضاك، امرأة تسمّى إيڤا بلاو، قد أدخِلت إلى وحدة العناية النفسيّة المشدّدة في الأسبوع الفائت؟».

قلت: «ماذا؟». واستدرت مبتعدًا، ولكنّ الرجل ذا الكاميرا التلفازيّة تبعني. كانت عدسة كاميرته تلاحقني. نظرت إلى المرأة الشقراء، ورأيت رقعة الاسم على صدرها -ستيفاني فون سيدو- رأيت قبّعتها الصوفيّة ويدها التي تشير إلى الكاميرا.

«هل ما زلت تعتقد أنّ التنويم المغناطيسيّ أمر جيّد للعلاج؟».

أجبت: «نعم».

«هل ستواصل القيام به؟».

***

عكست الأرضيّة النظيفة في وحدة العناية النفسيّة المشدّدة في مستشفى «سوديرمالم»، الضوء الأبيض الداخل من النوافذ الطويلة في آخر الرواق. مررت قرب صفّ طويل من الأبواب المغلقة، ووقفت أمام الغرفة «ب 39».

كان هناك صوت طرق عنيف يأتي من إحدى الغرف البعيدة، ثمّ صوت بكاء ضعيف تبعه الصمت. وقفت لعدّة دقائق وأنا أحاول أن أستجمع أفكاري قبل أن أطرق على الباب، ثمّ وضعت المفتاح في القفل ودخلت.

كانت إيڤا بلاو تستلقي على السرير وظهرها نحوي. ذهبت إلى النافذة، وحاولت أن أسمح لبعض الضوء بالدخول، لكنّ زنبرك الستارة كان مكسورًا، فلم تفتح. رأيت من زاوية عيني إيڤا وهي تتقلّب في فراشها. حاولت سحب الستارة ثانية، ولكنّي فقدت السيطرة عليها، فسقطت مصدرة ضجّة مرتفعة.

قلت: «آسف. كنت أحاول أن أسمح بدخول...».

في الضوء الخافت المباشر، رأيت إيڤا تجلس هناك، ويعتلي وجهها تعبير مرير. نظرت نحوي بعينين خدرتين من الأدوية. أخذ قلبي يتسارع حين رأيت أنف إيڤا مجدوعًا. كانت تجلس منحنية الظهر، وقد ربطت يدها بضماد مدمّى، وهي تحدّق إليّ.

قلت: «إيڤا، لقد أتيت فور سماعي بالأمر».

ضربت بيدها المضمّدة ببطء على معدتها. بدا جرح أنفها المستدير محمرًّا على وجهها المعذّب.

«كنت أحاول مساعدتكم جميعًا. لكنّي بدأت أعتقد بأنّي قد كنت مخطئًا حول كلّ شيء تقريبًا. لقد تصوّرت بأنّي في طريقي إلى التوصّل لاكتشاف مهمّ، وبأنّني أخذت أدرك أخيرًا كيف يعمل التنويم المغناطيسيّ. لكنّي لم أعد أفهم أيّ شيء، وأنا آسف لأنّني لم أتمكّن من مساعدتك أو مساعدة أيّ أحد آخر منكم».

حكّت أنفها بظاهر يدها، فأخذ الدم يتساقط من الجرح على فمها.

سألتها: «لماذا فعلت هذا بنفسك يا إيڤا؟».

اهتاجت فجأة: «أنت. كلّ شيء بسببك. لقد دمّرت حياتي، لقد جرّدتني من كلّ شيء».

«أنا أتفهّم أنّك غاضبة منّي بسبب...».

ثارت: «اخرس! أنت لا تفهم أيّ شيء. إنّ حياتي قد دُمّرت. أستطيع الانتظار. سأنتظر مهما تطلّب الأمر، ولكنّي سأحظى بانتقامي».

ثمّ صرخت وفتحت فمها كلّه بصورة شرسة وحيوانيّة. فُتح الباب، ودخل دكتور أنديرسون. قال بصوت مرتعش: «كيف دخلت؟».

«حصلت على المفتاح من الممرّضة، اعتقدت...».

سحبني إلى الرواق في الخارج، ثمّ أغلق الباب.

«المريضة مصابة بالرهاب. إنّها تطالبنا عدّة مرّات في اليوم بأن نقفل باب غرفتها، ثمّ نقفل على المفتاح في الدرج».

«نعم، ولكن...».

«وهي تواصل القول إنّها لن تشهد ضدّ أيّ شخص، وإنّنا نستطيع

إعطاءها صدمات كهربائيّة أو اغتصابها ولكنّها لن تتكلّم. ما الذي فعلته لمرضاك؟ إنّها مذعورة، مذعورة بشدّة. ليس من المقبول أن تدخل هكذا فقط...».

قاطعته رافعًا صوتي: «إنّها غاضبة منّي، لكنّها ليست خائفة».

قال: «لقد سمعتُ تلك الصرخة».

***

بعد مقابلتي لإيڤا في مستشفى «سوديرمالم»، قدت سيّارتي نحو استوديوهات تلفاز الأخبار، وطلبت أن أرى ستيفاني فون سيدو، الصحافيّة التي حاولت أخذ تصريح منّي سابقًا في ذلك اليوم. قلت بأنّني مستعدّ لإجراء مقابلة إن كانوا مهتمّين بالأمر. بعد عدّة دقائق، جاءت إحدى المساعدات، امرأة شابّة ذات شعر قصير وعينين ثاقبتين.

قالت: «ستتمكّن ستيفاني من مقابلتك خلال عشر دقائق».

«حسنًا».

«سآخذك إلى غرفة التجميل».

***

حين عدت إلى المنزل بعد المقابلة القصيرة، كان المنزل برمّته معتمًا. ناديت، ولكن لم أتلقّ أيّ جواب. كانت سيمونا تجلس على الأريكة في الطابق الثاني أمام التلفاز الذي كان مفتوحًا.

سألت: «هل حدث شيء ما؟ أين بنيامين؟».

قالت ببرود: «إنّه عند داڤيد».

«ما الذي يحصل، تحدّثي إليّ يا سيمونا؟».

أومأت، ثمّ سألتني بصوت غاضب: «إريك، أخبرني بالحقيقة، هل كانت لديك علاقة غراميّة؟».

شعرت بقلبي ينبض بعنف في صدري، لكنّ صوتي كان هادئًا بشكل مذهل حين أجبت: «ما الذي تتحدّثين عنه؟».

«من هي مايا؟».

«مايا؟ لا أعرف، هل يجب أن أعرف من تكون؟».
«هل لديك علاقة غراميّة؟»، سألت وفمها يرتعش.
«سيمونا، ما سبب كلّ هذا»، أجبت بينما الأفكار تتزاحم في رأسي، «بالتأكيد ليست لديّ علاقة غراميّة بأحد، لم أكن أبدًا... الآن فهمت... أنت تعنين مايا سڤاتلينغ. تلك هي؟ إنّها تكرهني لسبب ما، لقد تحدّثت مع مجلس المستشفى، و...».
قاطعتني: «إريك! فرصة أخيرة بعد. هل كانت لديك علاقة غراميّة؟».
«لا».
«لم تكن على علاقة بأحد، أنت تقسم؟».
كانت عيناها مغرورقتين بالدموع.
همست: «أقسم».
أومأت، ثمّ فتحت مغلّفًا أزرق شاحبًا، وأخرجت بعض الصور. رأيت نفسي متموضعًا في شقّة مايا سڤاتلينغ، ثمّ مجموعة صور لها وهي مرتمية فوق سريرها، وشعرها الأسود الفاحم ينسدل على صدرها. بدت سعيدة وقد احمرّت وجنتاها.
«سيمونا، دعيني أحاول...».
«لا أستطيع تحمّل المزيد من الكذب»، قالت مقاطعة، ثمّ أمسكت الصور ورمت بها في وجهي.
كان التلفاز مفتوحًا، أدركت عندئذ فقط أنّها كانت نشرة الأخبار. انتقلوا بعدئذ إلى الفقرة التالية، تقرير حول فضيحة التنويم المغناطيسيّ العلاجيّ. كانت آنيكا لورنتسُن من مستشفى «كارولينسكا» غير مستعدّة للتعليق على الموضوع خلال استمرار التحقيقات، ولكن حين ذكرت المراسلة -والتي كانت قد أدّت واجبها بالكامل- بأنّ المجلس وافق مؤخّرًا على زيادة تمويل إريك ماريّا بارك فقد انفعلت آنيكا.
قالت بصوت منخفض: «لقد كانت غلطة».
«ما الذي كان غلطة برأيك؟».

«إنّ إريك ماريّا بارك موقوف عن العمل حتّى إشعار آخر».

«حتّى إشعار آخر فقط؟».

قالت: «لن يقوم بتنويم أيّ أحد مغناطيسيًّا في مستشفى 'كارولينسكا' مجدّدًا».

ثمّ رأيت وجهي على الشاشة، وأنا أبدو مذعورًا، وأجلس في أستوديو التصوير.

سألتني المراسلة: «هل ستقوم بتنويم مرضى آخرين مغناطيسيًّا في مستشفيات أخرى؟».

هززت رأسي نافيًا.

«إريك ماريّا بارك، هل ما زلت تعتقد أنّ التنويم المغناطيسيّ طريقة مفيدة للعلاج؟».

أجبت ببلادة: «لا أعرف».

«هل ستواصل ممارسته؟».

«لا».

«إطلاقًا؟».

«لن أقوم بتنويم أيّ أحد مغناطيسيًّا بعد اليوم أبدًا».

سألت المراسلة: «هل هذا وعد؟».

«نعم».

74

صباح الأربعاء، 16 ديسمبر

انتفض إريك فسكب قهوته على سترته وكمّ قميصه.

نظر إليه جونا بفضول، ثمّ قدّم له منديلًا ورقيًّا من العلبة الموضوعة على لوحة عدّاد السيّارة.

نظر إريك عبر النافذة إلى المنزل الخشبيّ الكبير الأصفر، وإلى الفناء ومجسّم الدبّ ويني والأسنان الحادّة التي رُسمت عليه.

سأل جونا: «هل هي خطيرة؟».

«من؟».

«إيڤا بلاو».

أجاب إريك: «ربّما. أعني أنّها قادرة بالتأكيد على إيذاء الآخرين».

أطفأ جونا المحرّك. أرخيا حزامَيّ الأمان، ثمّ فتحا الأبواب.

قال جونا: «لا تتوقّع الكثير من هذا. ليسيلوت بلاو ربّما ليست لها أيّ علاقة بإيڤا بلاو».

غمغم إريك: «أعرف». فيما كانا يتسلّقان المعبر الزمرّديّ الداكن. كانت بعض ندف الثلج تدور في الهواء، وتبدو أشبه بوشاح أبيض، سديم من الحليب أمام المنزل الخشبيّ الكبير.

قال جونا: «رغم هذا، علينا أن نلتزم الحذر. قد يكون هذا هو المنزل المسكون».

توقّف إريك في منتصف الطريق. كان كُمّ قميصه الرطب باردًا، وتفوح منه رائحة القهوة المحترقة.

قال إريك: «المنزل المسكون هو مبنى في يوغسلافيا السابقة، وشقّة في ’جاكوبسباري‘، وهو صالة رياضيّة في ’ستوكسُند‘، ومنزل أخضر فاقع في ’دوروتِيّا‘ وهكذا».

لم يستطع منع نفسه من الابتسام حين رأى النظرة الغريبة على محيّا جونا.

أوضح إريك: «المنزل المسكون ليس مبنى محدّدًا، إنّه تعبير مجازيّ. تسمّي مجموعة التنويم المغناطيسيّ المكان الذي تعرّضوا فيه إلى الصدمة أو الإساءة بالمنزل المسكون».

قال جونا: «أعتقد أنّي أتفهّم ذلك. أين كان منزل إيڤا بلاو المسكون؟».

قال إريك: «تلك هي المشكلة. كانت هي العضو الوحيد في المجموعة التي لم تستطع إيجاد منزلها المسكون. لم تعطِنا أبدًا أيّ وصف للمكان».

«قد يكون هذا»، قال جونا مشيرًا إلى المنزل.

حين تجاوزا المعبر الزمرّديّ، تحسّس إريك جيبه باحثًا عن العلبة الخشبيّة ذات الببغاء. لم يكن يشعر بأنّه بخير. كان منفعلًا بشدّة من ذكرياته. دعك جبهته بقوّة، وهو يتمنّى أن يتناول قرصًا، أيّ قرص، ولكنّه يدرك أنّه بحاجة إلى أن يكون حادّ التركيز الآن. عليه التوقّف عن تناول تلك الأقراص. لا يمكنه الاستمرار على هذه الشاكلة. لا يمكنه مواصلة الهرب. عليه أن يجد بنيامين قبل فوات الأوان.

رنّ إريك جرس الباب، وسمع قرع الجرس الثقيل عبر الباب السميك. كان عليه أن يمنع نفسه بالقوّة من دفع الباب ثمّ الاندفاع إلى الداخل ومناداة بنيامين. كان جونا يضع يديه في جيبي سترته. فتحت الباب أخيرًا امرأة شابّة ترتدي نظّارات طبيّة، وشعرها أحمر، وتغطّي وجنتيها عدّة ندوب لحبّ الشباب.

قال جونا: «نحن نبحث عن ليسيلوت بلاو».

أجابت بريية: «إنّها أنا».

نظر جونا إلى إريك، وأدرك أنّ هذه المرأة الحمراء الشعر ليست الشخص الذي يسمّي نفسه إيڤا بلاو.

قال: «نحن نحاول العثور على إيڤا».

سألت المرأة: «إيڤا؟ أيّ إيڤا؟ ما علاقتي بهذا؟».

أظهر لها جونا بطاقة الشرطة خاصّته، وسأل إن كان بإمكانه الدخول.

رفضت أن تسمح لهما بالدخول. لذلك فقد طلب منها جونا أن ترتدي معطفًا، وتخرج للتحدّث إليهما. وقفوا بعد بضع دقائق على العشب الصلب المتجمّد، وصنعت أنفاسهم ضبابًا أبيض وهم يتحدّثون.

قالت: «أنا أعيش هنا بمفردي».

«إنّه منزل كبير».

ابتسمت المرأة بفتور: «أنا ميسورة الحال».

«هل إيڤا بلاو إحدى قريباتك؟».

«قلت مسبقًا إنّي لا أعرف إيڤا بلاو».

أراها جونا صور إيڤا الثلاث التي قام بطباعتها عن شريط الفيديو، لكنّ المرأة ذات الشعر الأحمر هزّت رأسها فقط.

قال جونا بحزم: «انظري جيّدًا».

ثارت: «لا تخبرني بما يتعيّن عليّ فعله».

«لا، ولكنّي أسألك أن...».

قالت: «أنا أدفع راتبك. ضرائبي تدفع راتبك».

قال: «أرجوك، ألقي نظرة أخرى إلى الصور».

«لم أرها مسبقًا».

قال إريك: «الأمر مهمّ».

قالت المرأة: «بالنسبة إليك ربّما، لكن ليس بالنسبة إليّ».

واصل جونا: «تقول إنّ اسمها هو إيڤا بلاو. إنّ بلاو هو اسم نادر نوعًا ما في السويد».

لاحظ إريك إحدى الستائر وهي تتحرّك في واحدة من نوافذ الطابق الثاني، اندفع نحو المنزل بالرغم من سماعه الاثنين الآخرين وهما يصرخان خلفه.

75

صباح الأربعاء، 16 ديسمبر

هرع إريك إلى المنزل وعبَر المدخل. نظر حوله، وحين رأى أدراجًا عريضة فقد أسرع نحوها مرتقيًا أكثر من درجة في كلّ مرة.

صرخ: «بنيامين!»، ثمّ توقّف.

كان المبنى يمتدّ في كلا الاتّجاهين، مع أبوابٍ تؤدّي إلى غرف النوم والحمّامات.

نادى بهدوء: «بنيامين».

في مكان ما، سمع صرير الأرضيّة الخشبيّة. سمع ليسيلوت تهرع إلى المنزل في الأسفل. حاول إريك أن يكتشف في أيّ نافذة شاهد الستارة تتحرّك. هرع إلى الباب في نهاية الرواق على اليمين، وحاول أن يفتحها، لكنّها كانت مقفلة، لذلك انحنى، ونظر من ثقب الباب. رغم أنّ المفتاح كان في الباب، لكنّه تمكّن من رؤية حركة تنعكس على المعدن.

صرخ: «افتح الباب!».

أخذت ليسيلوت ترتقي الأدراج.

صرخت: «لا يُسمح له أن يكون هنا».

تراجع إريك خطوة إلى الخلف، ثمّ رفس الباب وفتحه. كانت الغرفة فارغة. فقط سرير كبير غير مرتّب مع أغطية ورديّة، سجّادة ورديّة شاحبة، خزانة ذات أبواب بنّيّة داكنة.

كانت هناك كاميرا على مسند موجّهة نحو السرير. فتح الخزانة، ولكن لا أحد فيها. نظر حوله ورأى الستائر السميكة والكرسيّ. انحنى ورأى شخصًا يندسّ في العتمة تحت السرير، عينين خائفتين، فخذين نحيلتين، قدمين عاريتين.

قال بحزم: «اخرج».

مدّ يده نحوه. أمسك بكاحله، ثمّ سحب شابًّا يافعًا. حاول الشابّ أن يقول شيئًا. تحدّث بسرعة وحماسة إلى إريك بلغة بدت وكأنّها العربية. حين سحب بنطالًا من الجينز، فقد تحرّكت حاشية الفراش وظهر شابّ آخر. قال شيئًا بصوت أجشّ للشابّ الأوّل، فتوقّف عن الكلام فورًا. وقفت ليسيلوت الآن في المدخل، وبصوت مرتعش واصلت القول لإريك أن يترك صديقيها لحالهما.

سأل إريك: «هل هما قاصران؟».

صرخت بغضب: «اخرج من منزلي!».

قام الشابّ الثاني بلفّ نفسه بملاءة السرير. أخرج سيجارة، ونظر إلى إريك مبتسمًا.

صرخت ليسيلوت بلاو: «اخرج!».

توجّه إريك إلى الرواق، ونزل الدرج. تبعته المرأة، وهي تصرخ بأن يذهب إلى الجحيم. كان جونا ينتظر في الخارج وهو يحمل مسدّسه قريبًا إلى جسده. وقفت المرأة في المدخل وصرخت: «لا يمكنك فعل هذا! إنّه مخالف للقانون. الشرطة بحاجة إلى أمر من المحكمة لدخول ملكيّة شخص ما».

أجابها إريك: «لست من الشرطة». ثمّ قال لجونا: «لديها شابّان قاصران في الأعلى يا جونا».

واصلت: «إنّهما ليسا قاصرين، ليسا ساقطَيّ القيد».

قال جونا: «لقد سمعتك، وأنا واثق من أنّك تقولين الحقيقة. ولكن من ناحية أخرى، أنا ضابط شرطة، وقد تسلّمت للتوّ بلاغًا عن احتمال وجود تصرّف مشين. ذلك كافٍ بالنسبة إليّ كي أدخل إلى الملكيّة».

أخرج هاتفه، واتّصل بقسم الإرسال، قبل أن يطلب من ليسيلوت بلاو أن تتنحّى عن الباب ليدخل.

76

بعد ظهر الأربعاء، 16 ديسمبر

بعد خمس دقائق، وصلت الشرطة المحلّيّة، وكان الشابّان قد ارتديا بعض الملابس. أوضح جونا لزملائه الوضع، وغادر المنزل، وجلس في السيّارة بجوار إريك. أخرج ورقة من جيبه، وقرأ أماكن يعيش فيها أفراد من عائلة بلاو في منطقة ستوكهولم: ثلاثة في «فاستيروس»، اثنان في «اسكيلستونا»، وواحد في «أوميا».

وضع الورقة جانبًا ونظر إلى إريك بابتسامة مشجّعة.

قال إريك بهدوء: «شارلوت».

قال جونا وهو يمسح مرآة السيّارة الأماميّة: «ليس هناك شارلوت بلاو».

قال إريك: «شارلوت سيدرسكيولد. كانت لطيفة مع إيڤا. أعتقد أنّ إيڤا سكنت معها لفترة في ذلك الوقت».

«أين تعتقد أنّ بإمكاننا العثور على شارلوت؟».

«كانت تعيش في ’ستوكسُند‘ قبل عشرة أعوام، ولكن...».

أخرج جونا هاتفه.

«مرحبًا يا آنيا. نعم، أشكرك. أصغي إليّ، أحتاج إلى رقم هاتف وعنوان شارلوت سيدرسكيولد، إنّها تعيش في ’ستوكسُند‘ أو بالأحرى كانت كذلك. نعم شكرًا. حسنًا انتظري»، قال ثمّ كتب شيئًا على ظهر الورقة: «جزيل الشكر».

أشعل الإشارة الجانبيّة، ثمّ اندفع إلى الطريق ثانية.

سأل إريك: «هل ما زالت تعيش هناك؟».

قال: «لا، ولكنّنا كنّا محظوظين على أيّة حال. إنّها تعيش بالقرب من

’ريمبو‘».

شعر إريك بمعدته تتقلّص من الإثارة المفاجئة. لم يعرف لماذا أقلقته حقيقة تغيير سكنها من «ستوكسُند».

«إنّها تعيش في ’هاربي مانور‘ بالتحديد»، دفع جونا بقرص مدمج في الجهاز، وقال: «سايّا فاريوس، المغنّية الفنلنديّة العظيمة». غمغم شيئًا بخصوص أنّها موسيقى والدته المفضّلة، ثمّ رفع الصوت قليلًا، هزّ رأسه بحزن وغنّى معها. ملأت الموسيقى الحزينة السيّارة. حين انتهت الأغنية جلسا بصمت لبرهة، ثمّ قال جونا وهو يبدو دهِشًا: «لم أعد أحبّ الموسيقى الفنلنديّة».

ابتلع إريك ريقه وقال: «أعتقد أنّها جميلة».

ابتسم جونا، ونظر إليه بسرعة قائلًا: «لقد كانت أمّي في ’سينايوكي‘ حين تمّ تتويج سايّا ملكة للتانغو...».

حين انحرفا عن الطريق المزدحم نحو الطريق السريع 77 في «ساتونا»، أخذت حبّات البَرَد تتساقط. كانت السماء في الشرق تزداد ظلمة، وغرقت الغابات إلى جانبَيْهما في العتمة. نقر جونا على لوحة العدّادات، كانت الأمواج الدافئة تنساب من فتحات التهوية، شعر إريك بأنّ قدميه أخذتا تتعرّقان من الدفء المفاجئ في السيّارة.

انحرف جونا نحو قرية صغيرة، وسار في طريق مستقيم ضيّق بين الحقول المتجمّدة حتى وصلا إلى منزل أبيض خلف سياج مرتفع. أوقفا السيّارة في الخارج، وتوجّها عبر البوّابات نحو المنزل. كانت هناك امرأة شابّة ترتدي سترة جلديّة تقوم بتمشيط المعبر المغطّى بالحصى. نظرت إليهما بحذر، بينما كان كلب «غولدن ريتريڤر» يركض بين ساقيها.

نادت المرأة: «شارلوت! شارلوت».

ظهرت امرأة من إحدى زوايا المنزل وهي تسحب كيس نفايات أسود خلفها. كانت ترتدي صديريًّا زهريًّا وبلوزة رماديّة سميكة وبنطال جينز قديمًا وتنتعل جزمة ويلنغتون.

ابتسم إريك: «شارلوت! إنّها حقًّا شارلوت».

لم يعد من أثر للمرأة الرشيقة الجميلة ذات الملابس الراقية والشعر القصير المصفَّف التي عرفها. إنّ الشخص الذي يتّجه نحوهما يبدو مختلفًا تمامًا عن شارلوت القديمة. الآن شعرها طويل ورماديّ، وقد صفّفته بشكل جديلة، ووجهها مليء بخطوط الضحك، ولم تكن تضع أيّ مساحيق تجميل. اعتقد إريك أنّها تبدو أجمل بكثير من قبل. حين لمحته بدت دهِشة أوّلًا، ثمّ انفرج وجهها عن ابتسامة عريضة.

«إريك!»، قالت. لم يكن صوتها قد تغيّر. صوت دافئ وواثق.

تركت الكيس وأمسكت بيديه.

«هل هذا أنت حقًّا! كم من الرائع رؤيتك مجدّدًا».

ألقت التحيّة على جونا، ثمّ وقفت للحظة، ونظرت إليهما فقط. فتحت امرأة بدينة الباب الأماميّ ونظرت إليهم. كان لديها وشم على رقبتها وترتدي سترة سوداء منتفخة.

صرخت: «هل تحتاجين إلى أيّة مساعدة؟».

«إنّهما صديقاي»، أجابتها شارلوت، ولوّحت لها مطمئنة.

ابتسمت شارلوت حين أغلقت المرأة البدينة الباب.

«لقد... حوّلت القصر إلى مأوى للنساء. هناك الكثير من الغرف. لذلك فأنا أستضيف النساء اللاتي يرغبن في الهرب. أسمح لهنّ بالعيش هنا. نحن نطبخ معًا، ونعتني بالإسطبلات، حتّى يشعرن بقدرتهنّ على الاعتماد على النفس. ذلك بكلّ بساطة».

قال إريك: «يبدو رائعًا».

أومأت ثمّ أشارت نحو الباب وهي تدعوهما إلى الدخول.

«شارلوت، نحن بحاجة إلى العثور على إيڤا بلاو. هل تتذكّرينها؟».

«بالتأكيد أتذكّرها. لقد كانت ضيفتي الأولى هنا»، ثمّ توقفت برهة. وتابعت: «من الطريف أنّك ذكرتها لي، لقد اتّصلت بي إيڤا قبل أسبوع تقريبًا...».

«ما الذي أرادته؟».

قالت شارلوت: «كانت غاضبة».

تنهّد إريك: «نعم».

سأل جونا: «لمَ كانت غاضبة؟».

أخذت شارلوت نفسًا عميقًا. سمع إريك الرياح تهبّ على الأشجار العارية.

قالت مشيرة إلى إريك: «كانت غاضبة منك».

اقشعرّ بدنه حين تذكّر ملامح إيڤا القاسية وصوتها العدائيّ وعينيها الثاقبتين وأنفها المشوّه.

«لقد أقسمتَ ألّا تنوّم أيّ أحد مغناطيسيًّا، لكنك عدت فجأة في الأسبوع الفائت إلى ذلك. نُشر ذلك في كلّ الصحف، وتحدثوا عنه في التلفاز. وهذا أغضبها».

قال إريك: «كانت لي أسبابي. وكان استثناءً واحدًا فقط...».

أخذت يده بين يديها.

همست: «لقد ساعدتني. ذلك الوقت، حين رأيت... هل تتذكّر؟».

«نعم أتذكّر؟»، قال إريك بهدوء. ابتسمت شارلوت له. وقالت:

«كان ذلك هو كلّ ما يتطلّبه الأمر، الذهاب إلى المنزل المسكون والنظر ورؤية من أساؤوا إليّ».

«أعرف».

«ذلك لم يكن ليحدث أبدًا من دونك يا إريك».

«ولكن، أنا...».

«شيء ما بداخلي اكتمل ثانية»، قالت وهي تضع يدها على صدرها.

سأل جونا: «أين إيڤا بلاو؟».

تجهّم وجه شارلوت، وقالت: «حين تمّ إخراجها من المستشفى، انتقلت إلى شقّة في وسط 'اكيسبيريا' وانضمّت إلى 'شهود يهوه'. في البداية كنّا نتواصل كثيرًا، ساعدتها بالنقود، كانت تعتقد أنّها مطارَدة. تحدّثت كثيرًا عن محاولتها الحصول على الحماية. استمرّت بالقول إن شيئًا شرّيرًا في الخارج كان ينتظر للنيل منها. انقطع تواصلنا أخيرًا».

توقّفت شارلوت. نظرت إلى إريك، وقالت: «أنت تبدو حزينًا».
«إنّ ابني مفقود. إيڤا هي دليلنا الوحيد».
نظرت شارلوت نحوه باهتمام: «آمل حقًّا أن تستعيده».
«ما اسم إيڤا؟ هل تعرفين؟»، سأل إريك.
«اسمها الحقيقيّ؟ لم أحدًا بهذا، وربما هي لم تعد تتذكّره حتّى».
«حسنًا».
«كانت تسمّي نفسها ڤيرونيكا حين اتّصلت».
«ڤيرونيكا؟».
«لقد اقتبسته من 'وشاح ڤيرونيكا' الشهير».
عانق إريك شارلوت بسرعة، ثمّ أسرع مع جونا إلى السيّارة.
حين كانا يقودان عائدين إلى ستوكهولم، أجرى جونا اتّصالًا هاتفيًّا آخر. سأل عن مساعدة للعثور على ڤيرونيكا التي تسكن في وسط «أكيسبيريا»، وأعطى عنوان «القاعة الملكيّة» لـ«شهود يهوه».
حين أصغى إريك إلى جونا ملأ رأسه إحساسٌ ثقيل مرهق، وشعر بعينيه تنغلقان ببطء.
سمع جونا يقول: «نعم يا آنيا. أنا أكتبه الآن. شارع ' ڤِسترا بان'... انتظري... رقم خمسة في 'ستايشنز روود'. حسنًا. شكرًا».

77

بعد ظهر الأربعاء، 16 ديسمبر

استيقظ إريك حين كانت سيّارة جونا تمرّ بمحاذاة ملعب للجولف.

«لقد وصلنا تقريبًا»، قال جونا.

حدّث إريك نفسه: «لقد غفوت».

قال جونا بتمعّن: «لقد اتّصلت إيڤا بلاو بشارلوت يوم ظهرت في الصحف».

«نعم، وفي اليوم التالي خُطف بنيامين».

«لأنّ شخصًا ما كان قد رآك...».

«أو ربّما لأنّي خالفت وعدي بعدم تنويم أيّ شخص مغناطيسيًّا ثانية».

قال جونا: «وفي هذه الحالة كانت غلطتي».

«لا. ليست كذلك»، توقّف إريك وهو غير واثق ممّا يودّ قوله.

قال جونا وهو ينظر إلى الطريق: «على أيّ حال، أنا آسف».

مرّا قرب متجر تخفيضات ذي نوافذ مكسورة. نظر جونا في المرآة الخلفيّة، ورأى سيّدة ترتدي الحجاب، وتقوم بكنس الزجاج المحطّم عن الطريق.

قال إريك: «لم أعرف ماذا حصل لإيڤا حين كانت مريضتي. لقد آذت نفسها، وأصبحت مرتابة جدًّا، تلومني وتلوم التنويم المغناطيسيّ على كلّ شيء. لم يكن عليّ أبدًا أن أسمح لها بالانضمام للمجموعة، ولم يجدر بي تنويم أيّ أحد مغناطيسيًّا».

أوضح جونا: «ولكنّك ساعدت شارلوت».

قال إريك بهدوء: «ربّما».

ببهدوء عبرا سكّة الحديد، ثمّ انعطفا بجانب ملعب كرة قدم. عبرا الجسر فوق النهر، ثمّ وقفا خارج بناية رماديّة كبيرة.

فتح جونا صندوق القفّازات وأخرج مسدّسه. تأكّد من الماسورة والذخيرة وأنّ صمّام الأمان مفتوح قبل أن يضعه في جيبه.

أسرعا عبر موقف السيّارات، ومرّا إلى جوار ساحة للعب حيث الزلّاقات والصندوق الرمليّ وقضبان التسلّق.

أشار إريك نحو المدخل، ثمّ نظر إلى الأعلى فرأى أضواء أعياد الميلاد الوامضة وصحون الاستقبال على كلّ شرفة تقريبًا. كانت امرأة مسنّة مع عكّاز المشي تقف بالقرب من الباب المقفل المؤدّي إلى بهو الدرج. دقّ جونا على الباب ولوّح محيّيًا. نظرت المرأة نحوهما وهزّت رأسها. أخرج جونا شارة الشرطة ووضعها أمام النافذة، ولكنّها هزّت رأسها فقط. بحث إريك في جيوبه ووجد المغلّف المحتوي على الإيصالات الذي كان يروم تسليمه إلى مكتب النفقات. مشى نحو النافذة وطرق عليها، ثمّ أمسك بالمغلّف أمامها. تحرّكت المرأة إلى الأمام فورًا، وضغطت على زرّ لفتح الباب.

سألت بصوت مرتعش: «هل هذا هو البريد؟».

«إنّه توصيل سريع»، قال إريك ونظر إلى قائمة الأسماء.

وجد اسم ڤيرونيكا أنديرسون على الطابق الأوّل. كانت الأدراج الضيّقة مغطّاة بخرابيش باللون الأحمر وبآثار أقدام الأطفال الموحلة، ورائحة عفنة تفوح من مكبّ القمامة. وقفا خارج الباب المكتوب عليه أنديرسون ثمّ رنّا الجرس.

قال إريك: «رنّه ثانية».

فتح جونا فتحة البريد، وقال إنّ لديه رسالة من برج المراقبة لها. رأى إريك جونا وهو يتراجع بسرعة وكأنّه ضُرب بشيء ما.

«ماذا هناك؟».

«لا أعرف، ولكنّي أريدك أن تبقى في الخارج»، قال جونا وهو ينظر نحوه بقلق.

أجاب إريك: «لا».

«سأدخل وحدي».

سقط قدح زجاجي على الأرض، وتحطّم خلف أحد الأبواب المغلقة الأخرى في الطابق الأوّل. تناول جونا محفظة صغيرة من جيبه، ثمّ أخرج منها أداتين معدنيّتَين. كانت إحداهما ذات طرف معقوف والأخرى بدت أشبه بمفتاح الرفيع. وكأنّه قرأ أفكار إريك، غمغم جونا بأنّه من الممكن اقتحام شقّة ما من دون مذكّرة. قال: «ينصّ القانون على أنّك بحاجة إلى أسباب قويّة فقط».

كان على وشك أن يُدخل إحدى الأداتين في فتحة المفتاح، ولكنّ إريك مدّ يده وحاول فتح الباب، ووجد أنّه لم يكن مقفلًا. فاحت رائحة زنخة من الباب حين فتح. أخرج جونا سلاحه وأشار إلى إريك بحدّة أن يبقى في الخارج.

78

مساء الأربعاء، 16 ديسمبر

استطاع إريك أن يسمع صوت قلبه وهو ينبض في صدره. سمع صوت الدماء وهي تتدفّق في أذنَيْه. كان ذاك الصمت ينذر بالسوء. بنيامين ليس هنا. انطفأت الأضواء في بهو الدرج- والتي من المفترض أن تعمل وفقًا لتوقيت محدّد- وابتلعته الظلمة. وجدت عيناه صعوبة في العثور على نقاط ثابتة والتركيز عليها.

فجأة وقف جونا أمامه تمامًا. قال: «أعتقد أنّ عليك القدوم معي يا إريك».

دلفا داخلًا وأضاء جونا مصباح السقف. كان باب الحمّام مفتوحًا ورائحة التعفّن غير محتملة. استلقت إيڤا بلاو في حوض الاستحمام الفارغ. كان وجهها متورّمًا والحشرات تحوم حول فمها وتطنّ في الجوّ. رُفع قميصها الأزرق إلى لأعلى وانتفخت بطنها بلون أزرق مخضرّ. هناك جروح سوداء عميقة في ذراعيها، وقميصها وشعرها الأشقر متصلّبان من الدم المتيبّس. بدت بشرتها شاحبة ورماديّة وكانت شبكة من الأوردة البنّيّة تنتشر على كلّ جسدها، وتعفّن الدم الراكد داخل أوعيتها الدمويّة، كما استقرّت مجموعة من بيوض الذباب الصفراء في زوايا عينيها وعند أنفها وفمها. كان الدم قد سال على سجّادة الحمّام الصغيرة، وبلّل أحد أطرافها، وهناك سكّين مطبخ في الحوض بجوار الجثّة.

سأل جونا: «هل هذه هي؟».

«نعم تلك إيڤا».

قال جونا: «إنّها ميّتة منذ أسبوع تقريبًا. لقد مرّ وقت كافٍ كي تنتفخ بطنها».

قال إريك: «يا إلهي!».

استنتج جونا: «لا يمكن أن تكون قد أخذت بنيامين».

قال إريك: «أحتاج إلى أن أفكّر».

نظر من النافذة إلى البناية الواطئة من الطابوق الأحمر على الجانب الآخر من سكّة الحديد. كانت إيڤا تستطيع رؤية قاعة المملكة من نافذتها. افترض أنّ ذلك كان يجعلها تشعر بالأمان.

79

صباح الخميس، 17 ديسمبر

انسابت قطرة دم من شفة سيمونا السفلى. لقد عضّت نفسها من دون أن تعلم. صُدم والدها بسيّارة. كان يستلقي في غرفته الموحشة في مستشفى «سانت كوران» خلال الأيّام الثلاثة الماضية، وهم ما زالوا لا يعلمون إن كان سيتمكّن من النجاة. كلّ ما تعرفه هو أنّ الاصطدام كاد أن يقتله. لقد خسرت إريك، وربّما خسرت بنيامين، والآن من المحتمل أن تخسر والدها أيضًا.

أخرجت هاتفها ثانية كي تتأكّد من أنّه يعمل، ثمّ أعادته إلى جيب حقيبتها حيث تتمكّن من الوصول إليه بسرعة إن رنّ.

انحنت فوق والدها ورتّبت بطّانيته. كان نائمًا والصمت يعمّ الغرفة. لطالما علمت أنّ كينيت ستريِنْي هو تقريبًا الرجل الوحيد في العالم الذي لا يُصدر أيّ صوت حين ينام.

كانت ضمادة بيضاء تلفّ رأسه وظلّ قاتم ينتشر من تحتها، كدمة تصل حتّى إحدى وجنتيه ثمّ تمتدّ إلى أنفه المتورّم وفمه المرتخي.

لكنّه ليس ميّتًا، أخبرت نفسها، إنّه على قيد الحياة، إنّه بالتأكيد على قيد الحياة، كانت تعلم ذلك. لا بدّ من أن يكون على قيد الحياة.

كانت سيمونا تسير جيئة وذهابًا في الغرفة. تذكّرت كيف عادت من شقّة سيم شولمان في اليوم الفائت، وكيف تحدّثت مع والدها قبل الحادث بقليل. أخبرها بأنّه قد وجد ويلورد وبأنّه ذاهب إلى مكان يسمّى «البحر» هناك في «لودين».

نظرت سيمونا إلى أبيها ثانية. إنّه ينام بعمق. وتمتمت: «أبي».

ندمت على قولها ذاك، بالرغم من أنّه لم يستيقظ فقد بدت على

وجهه النائم نظرة قلقة. لمست سيمونا الجرح الذي على شفتها بحذر. نظرت نحو شمعدان القيامة عند النافذة، ثمّ نظرت إلى حذائها والغطاء البلاستيكيّ الأزرق الذي يغلّفه. فكّرت في ذلك المساء قبل عدّة أعوام، حين راقبت مع كينيت والدتها وهي تقود سيّارتها الفيات الخضراء مبتعدة.

ارتعشت سيمونا وأدركت أنّها تعاني من صداع شديد. سحبت معطفها ولفّته بقوّة حول جسدها، تأوّه كينيت بهدوء.

«أبي»، قالت وكأنّها طفلة صغيرة.

فتح عينيه، بدت عيناه ضبابيّتان، لم يكن صاحيًا تمامًا. كان بياض إحدى عينيه محمرًّا من الدماء.

«أبي! إنّها أنا. كيف تشعر؟».

طافت نظرته متجاوزة إيّاها. خشيت فجأة ألّا يتمكّن من رؤيتها.

«سيمونا».

«أنا هنا يا أبي».

جلست برفق إلى جواره وأخذت يده بين يديها. أغلق عينيه ثانية وانعقد حاجباه، وكأنّه يعاني من ألم مبرح.

سألت بهدوء: «كيف تشعر يا أبي؟».

حاول أن يصل إليها ويربّت على يدها، لكنّه لم يستطع ذلك.

همس: «سأقف على قدميّ قريبًا. لا تقلقي».

كانت الغرفة هادئة. جاهدت سيمونا للسيطرة على أفكارها. لم ترغب أبدًا في الضغط عليه وهو في تلك الحالة، لكنّ الذعر أجبرها على المحاولة.

سألته بهدوء: «أبي، هل تتذكّر ما كنّا نتحدّث عنه قبل وقوع الحادث؟».

نظر نحوها بإنهاك وهزّ رأسه.

«قلت إنّك تعرف أين ويلورد. كنت تتحدّث عن البحر، هل تتذكّر،

قلت إنّك ذاهب إلى هناك؟». طافت لمحة من الإدراك في عينيّ كينيت. حاول الجلوس ولكنّه تراجع ثانية وهو يتأوّه.

«أخبرني يا أبي، أحتاج إلى معرفة مكانه، من هو ويلورد، من يكون؟».

فتح فمه وارتعش ذقنه حين قال: «إنّه طفل... إنّه طفل».

«ما الذي تقوله؟».

ولكنّ عيني كينيت أغلقتا، وبدا كأنّه لا يسمعها. ذهبت سيمونا إلى النافذة ونظرت إلى باحة المستشفى. شعرت بتيّار هواء يلفحها. هناك خطّ من القذارة ينزل على الزجاج. تنفّست فوقه، ولدقيقة رأت انعكاس وجه شخص آخر على التكثّف البخاري. سبق أن وقف أحدهم في المكان عينه تمامًا وانحنى على النافذة.

الكنيسة على الجانب الآخر من الشارع معتمة، ومصابيح الشارع تنعكس على نوافذها المقوّسة السوداء. فكّرت بما كتبه بنيامين لآيدا حول عدم السماح لنيكي بالذهاب إلى البحر.

قالت بهدوء: «آيدا. سوف أذهب للتحدّث مع آيدا. هذه المرّة سوف تخبرني بكلّ ما تعرفه».

80

صباح الخميس، 17 ديسمبر

فتح نيكي الباب حين رنّت سيمونا جرس شقّة آيدا. نظر إليها بفضول.

قالت: «مرحبًا».

أخبرها بحماسة: «حصلتُ على بطاقات جديدة».

قالت: «ذلك جيّد».

«بعضها خاصّة بالفتيات، ولكنّ الكثير منها قويّة جدًّا».

«هل شقيقتك في المنزل؟»، سألت سيمونا وهي تربّت على ذراع نيكي.

«آيدا! يا آيدا». عبر نيكي الردهة راكضًا ثمّ اختفى في الشقّة.

وقفت سيمونا تنتظر ثمّ سمعت صوتًا مميّزًا لمضخّة تبعه صوت صليل. رأت بعد برهة امرأة نحيلة منحنية الظهر تتّجه نحوها، وتجرّ خلفها عربة تحتوي على أسطوانة أوكسجين، يمتدّ منها أنبوب إلى المرأة، ضاخًّا الأوكسجين في منخريها عبر أنابيب رقيقة شفّافة.

ضربت المرأة على صدرها بقبضتها قائلة: «انتفاخ الرئة»، ثمّ أصدرت صوت هسيس، وتقلّص وجهها المجعّد بسبب نوبة سعال قويّة مؤلمة.

تجاوزتا الرواق الطويل المعتم معًا، ثمّ دخلتا إلى غرفة المعيشة المليئة بالأثاث الثقيل. على الأرض بين جهاز الستيريو ومنضدة القهوة المنخفضة كان نيكي يلعب بأوراق البوكيمون، وعلى الأريكة البنّيّة المحشورة بين أصيصين لشجرتَيّ جوز هند كانت تجلس آيدا.

بالكاد تعرّفت سيمونا عليها. لم تكن تضع مساحيق التجميل، وكان شعرها مصفّفًا بدقّة على شكل ذيل حصان ووجهها جميلًا. بدت يافعة جدًّا وهشّة.

مدتّ يدها لتناول علبة السجائر، أشعلت واحدة بيدين مرتعشتين حين دخلت سيمونا إلى الغرفة.

قالت سيمونا: «مرحبًا. كيف حالك؟».

رفعت آيدا كتفيها، بدت وكأنّها كانت تبكي. أخذت نفسًا من سيجارتها، ورفعت منفضة سجائر خضراء نحوها، وكأنّها تخشى من تساقط الرماد على الأثاث.

«اجـ .. ـلسي»، همّت والدتها. جلست سيمونا على أحد الكراسي الكبيرة المتزاحمة على المكان مع الأريكة والطاولة وأواني النباتات.

نقرت آيدا سيجارتها في المنفضة.

قالت سيمونا: «لقد جئت من المستشفى. صدمت سيّارة والدي. كان في طريقه إلى البحر لرؤية ويلورد».

قفز نيكي على قدميه وقد احمرّ وجهه.

«إنّ ويلورد غاضب، غاضب جدًّا، غاضب جدًّا».

استدارت سيمونا لتنظر إلى آيدا التي ابتلعت ريقها بصعوبة ثمّ أغلقت عينيها.

سألت سيمونا: «ما كل هذا؟ ويلورد؟ ما الذي يحصل؟».

اطفأت آيدا سيجارتها ثمّ قالت بصوت مرتعش: «لقد اختفوا».

«من؟».

«عصابة. كانوا قساة معنا، نيكي وأنا. لقد كانوا مريعين. قالوا إنّهم سوف يغتصبونني، وقالوا إنّهم...».

لزمَت الصمت، ونظرت نحو والدتها التي كانت تنخر.

قالت آيدا ببطء: «قالوا إنّهم سيحوّلون والدتي إلى مشعل».

«الأوغاد... الصغار»، همست والدتها من الطرف الآخر من الأريكة.

«إنّهم يستخدمون أسماء البوكيمونات، أشياء مثل أزيلف، ماغمورتار، لوكاريو. يغيّرون الأسماء أحيانًا، ولهذا فلن تعرف من يكونون».

«كم عددهم؟».

أجابت آيدا: «لا أعرف، ربّما خمسة. إنّهم مجرّد أطفال. أكبرهم في عمري، والأصغر ربّما عمره ستّ سنوات، لكنّهم قرروا أنّ أيّ شخص يعيش هنا يتعيّن عليه إعطاءهم شيئًا ما». أكملت والتقت نظراتها مع سيمونا للمرّة الأولى. كانت عيناها بلون العنبر البنّي، جميلتان وصافيتان ولكنّهما خائفتان، «على الأطفال هنا إعطاؤهم الحلوى أو الأقلام». واصلت بصوتها الرفيع: «لقد أفرغوا كلّ مدّخراتهم كي لا يتمّ ضربهم. البعض كان يعطيهم الهواتف الخليويّة أو الأجهزة الإلكترونيّة. لقد أخذوا سترتي وعلبة سجائري ونيكي... إنّهم يواصلون ضربه، ويأخذون كلّ شيء منه، لقد كانوا قساة».

تلاشى صوتها وتجمّعت الدموع في عينيها.

سألت سيمونا بثبات: «هل أخذوا بنيامين؟».

لوّحت والدة آيدا بيدها: «ذلك الصبيّ... ليس بخير».

«أجيبيني يا آيدا»، ورفعت صوتها، «أجيبيني الآن».

هسّت والدة آيدا: «لا... تصـ.. ـرخي على... ابنتي!».

هزّت سيمونا رأسها وقالت بنبرة أكثر حدّة: «سوف تخبرينني بكلّ ما تعرفينه، هل تسمعينني؟».

ابتلعت آيدا ريقها بصعوبة. وقالت أخيرًا: «لا أعرف الكثير. لقد تورّط بنيامين. قال إنّه لا يجب علينا إعطاء هؤلاء الفتيان أيّ شيء. جنّ جنون ويلورد قائلًا إنّها الحرب، وطالبنا بأطنان من النقود».

أشعلت سيجارة أخرى وأخذت منها نفسًا مرتعشًا. نقرت سيجارتها في المنفضة وواصلت: «حين علم ويلورد أنّ بنيامين كان مريضًا، أعطى الأولاد إبرًا كي يقوموا بخدشه».

توقّفت عن الكلام ورفعت كتفيها.

قالت سيمونا بنفاد صبر: «ما الذي حصل؟».

عضت آيدا شفتها. فكررت سيمونا: «ما الذي حصل؟».

قالت آيدا وهي ترتعش: «لقد اختفى ويلورد فقط. رأيت بقيّة الفتيان.

لقد طاردوا نيكي قبل يومين، إنّهم يتبعون الآن شخصًا اسمه أريادو، ولكنّهم مشوَّشون ويائسون بسبب اختفاء ويلورد».

«متى كان ذلك؟ متى اختفى ويلورد؟».

فكّرت آيدا لدقيقة: «أعتقد أنّه كان الأربعاء الفائت. ثلاثة أيّام قبل اختفاء بنيامين».

استمرّ فمها يرتعش: «لقد أخذه ويلورد. لقد فعل له ويلورد شيئًا مريعًا. لن يُظهر نفسه الآن...».

أخذت تنتحب. راقبت سيمونا والدتها وهي تنهض بصعوبة، تأخذ السيجارة من يد آيدا ثمّ تطفئها في المنفضة الخضراء.

«الوحش... اللعين»، همّت الأمّ. لم تمتلك سيمونا فكرة عمّن كانت تتحدّث.

سألت ثانية: «من هو ويلورد؟ عليكِ أن تخبريني من يكون؟».

صرخت آيدا: «لا أعرف. لا أعرف».

أخرجت سيمونا الصورة التي وجدتها على حاسوب بنيامين، للأعشاب والأحراش والسياج البنّي في الخلف.

قالت بثبات: «انظري إلى هذه».

نظرت آيدا إلى الصورة ولكنّها انطوت على نفسها.

«ما هذا المكان؟»، سألت سيمونا.

رفعت آيدا كتفيها وقالت ببرود: «لا فكرة لديّ».

«أنت من أرسل هذه الصورة إلى بنيامين»، أشارت سيمونا بغضب، «لقد استلمها منك يا آيدا».

نظرت الفتاة إلى والدتها التي كانت تجلس وأسطوانة الأوكسجين إلى جوارها.

لوّحت سيمونا بالورقة أمام وجهها.

«انظري لها يا آيدا. انظري ثانية! لماذا أرسلت هذه إلى ابني؟».

همست: «كانت مزحة فقط».

«مزحة؟».

أومأت آيدا وقالت بتردّد: «نوعًا ما. ذلك هو المكان الذي أريد العيش فيه».

«أنا لا أصدّقك»، وأضافت غاضبةً: «أخبريني الحقيقة».

نهضت والدة آيدا على قدميها ثمّ أشارت إلى سيمونا.

«أيّتها الساقطة... اخرجي من منزلي... الآن».

«لماذا تكذبين؟»، سألت سيمونا وقد التقت نظراتها مع آيدا أخيرًا. بدت الفتاة حزينة بشكل لا يوصف. «آسفة» كررت بصوت خافت «آسفة».

بينما سيمونا تغادر، مرّت إلى جوار نيكي. كان يقف في الرواق المعتم وهو يفرك يديه.

قال: «ليست لديّ أيّ قوّة. أنا بوكيمون عديم القيمة».

81

بعد ظهر الخميس، 17 ديسمبر

حين عادت سيمونا إلى غرفة كينيت في المستشفى، كان يجلس في سريره. وجهه مرتاح الآن، وبدا كأنّه ينتظرها.

توجّهت سيمونا نحوه. انحنت عليه ووضعت وجنتها برفق على وجنته.

سأل: «هل تعرفين بماذا كنت أحلم يا سيمونا؟».

قالت: «لا».

«كنت أحلم بأبي».

«جدّي؟».

«هل تتخيّلين ذلك؟! كان يقف في الورشة وهو سعيد ومتعرّق. ’ولدي‘، قال. ذلك كلّ شيء. ما زلت أستطيع شمّ رائحة الوقود».

ابتلعت سيمونا ريقها. كانت هناك عقدة مؤلمة في حنجرتها. هزّ كينيت رأسه ببطء.

همست سيمونا: «هل تتذكّر يا أبي ما كنّا نتحدّث عنه قبل الحادث؟».

نظر إليها بشكل جادّ وبدا كأنّ نورًا اشتعل في عينيه الثاقبتين.

قال بنفاد صبر: «ساعديني يا سيمونا. ليس لدينا وقت لنخسره. لا يمكنني أن أبقى مستلقيًا هنا فقط».

«هل تتذكّر ما حصل يا أبي؟».

«أنا أتذكّر كلّ شيء».

فرك عينيه، وتنحنح ثمّ مدّ يده: «أمسكيني».

بمساعدة سيمونا، استطاع النهوض من الفراش.

«أحتاج إلى ملابسي».

أسرعت سيمونا إلى الخزانة وأحضرتها. كانت تنحني كي تُلبسه بنطاله حين فُتح الباب ودخل طبيب شابّ.

«عليّ الخروج من هنا»، قال كينيت قبل أن يتسنّى للرجل قول أيّ شيء.

وقفت سيمونا.

قالت وهي تصافح الطبيب الشابّ، «مرحبا، اسمي سيمونا بارك».

«اولا توفيجول»، قال. بدا محرجًا حين استدار نحو كينيت الذي كان واقفًا هناك وهو يغلق سحّاب بنطاله.

قال كينيت: «آسف لأنّنا لا نستطيع الانتظار. عندنا مهمة لا تتأجل».

قال الطبيب بهدوء: «لا يمكنني أن أجبرك على البقاء، ولكن عليك فهم أنّ عليك الحذر الشديد، نظرًا لقوّة الضربة التي تعرّض لها رأسك. قد تشعر بأنّك بخير الآن، ولكن تنبّه لأنّ المضاعفات قد تحدث في أيّة لحظة. قد تحدث خلال دقيقة من الآن، أو بعد ساعة، أو حتّى غدًا».

ذهب كينيت إلى الحوض وغسل وجهه بالماء البارد.

قال: «كما أوضحت، أنا آسف، يجب أن أذهب إلى البحر».

نظر إليه الطبيب دهِشًا. حين أسرعا عبر الرواق، أخبرت سيمونا والدها بخصوص زيارتها لآيدا. تعيّن على كينيت أن يستند إلى الجدار حين كانا ينتظران المصعد.

للمرّة الأولى لم يعترض والدها على جلوسها في مقعد السائق. جلس إلى جوارها، وربط حزام مقعده، ثمّ حكّ رأسه عبر الضمادة.

«إذن، أين سنذهب؟»، سألت سيمونا.

نظر نحوها نظرة غريبة، وقال: «إلى البحر. عليّ أن أفكّر».

استند إلى الخلف في مقعده وأغلق عينيه. انتابها شعور بأنّها ارتكبت خطأً. وأنّ والدها ليس بخير وعليه العودة إلى المستشفى.

لكنه فتح عينيه وقال بنبرة حاسمة: «قودي إلى شارع 'سانكت إريك'، ثمّ على الجسر، ثمّ إلى اليمين نحو شارع 'أودين'، ثمّ بصورة مستقيمة حتّى نصل محطّة 'أوسترا'، ثمّ إلى الشرق مرورًا بجادة

’ڤالهالا‘، ثمّ نحو ’فيلم هاوس‘، ثمّ انعطفي إلى طريق ’ليندارايناس‘ الذي يفضي مباشرة إلى الميناء».

«من الذي يحتاج إلى الـ’جي بي أس‘ هنا؟»، ابتسمت سيمونا وهي تتوجّه نحو شارع «سانكت إريك» المزدحم، ثمّ نحو المجمّع التجاري في «ڤاستيرمالم».

«لقد كنت أسأل نفسي»، قال كينيت بتمعّن، ثمّ صمت ثانية.

«ماذا؟».

«أسأل نفسي إن كان الأهل يلاحظون أيّ شيء؟».

حدّقت سيمونا إليه. حين مرّا إلى جوار كنيسة «غوستاف فاسا» لمحت مجموعة من الأطفال بأرديتهم البيضاء، كانوا يحملون الشموع وهم يدخلون من بوّابة الكنيسة.

تنحنح كينيت: «سألت نفسي إن كان الأهل يعرفون بما يفعله أبناؤهم؟».

«التعذيب، الإهانة، العنف، الابتزاز»، قالت سيمونا بتوجّس، «إنّهم أحبّة مامي ودادي».

فكّرت في يوم ذهابها إلى «تينستا»، إلى محلّ الوشوم. أولئك الصبية وهم يدلّون الفتاة الصغيرة فوق الدرابزين. لم يكونوا خائفين مطلقًا، بل راحوا يهدّدونها، فكّرت كيف حاول بنيامين أن يمنعها من التوجّه إلى الصبيّ في محطّة قطار الأنفاق. أدركت الآن أنّه لا بدّ من أن يكون واحدًا من مجموعة الصبية ذوي أسماء البوكيمون.

«ما خطب الناس؟»، سألت سيمونا بنبرة بلاغيّة.

«ما حصل لي لم يكن حادثة يا سيمونا. لقد تمّ دفعي أمام السيّارة»، قال كينيت بحدّة، «ورأيت من فعلها».

«تمّ دفعك؟ ممن؟».

«لقد كانت واحدة منهم... طفلة صغيرة».

تألّقت شموع القيامة الكهربائيّة من النوافذ السوداء لـ«الفيلم هاوس».

انعطفت سيمونا نحو طريق «ليندارابنس» وعبرت جرفًا من الحصى في وسط الشارع. كانت غيوم ثقيلة تتجمّع فوق «غارديت». بدا وكأنّ العاصفة ستنهال على رؤوس الأشخاص الذين ينزّهون كلابهم.

«لودين» هو خليج إلى الشرق من «فريهامنن». نهاية العام 1920، تمّ تحويله إلى مستودع للوقود مع ما يقارب مائة حاوية للوقود. واليوم فإنّ المنطقة تحتوي على بنايات صناعيّة، أبراج مياه، ميناء للحاويات، مخازن تحت الأرض وأحواض للسفن.

أخرج كينيت البطاقة المجعّدة التي وجدها في محفظة الصبيّ.

قال: «رقم 18 في طريق 'لوود'». وفي نقطة أشار لسيمونا بأن توقف السيّارة. وكان طريق إسفلتيّ محاط بسياج معدنيّ مرتفع.

فقال وهو يفكّ حزام المقعد: «سوف نمشي لبقيّة الطريق».

نظرت إلى رأسه المحاط بالضمادة، فقال: «أنا بخير».

مرّا إلى جوار صهاريج الوقود الضخمة الأسطوانيّة، والتي كانت الأدراج الحديديّة الضيّقة تلتفّ حولها. كان الصدأ يتسرّب إلى مفاصلها وحافّاتها وألواحها.

كانت تمطر الآن. بضع قطرات باردة فقط، ترتطم بالمعدن مصدرة صوتًا. سوف يحلّ الغسق قريبًا ولن يتمكّنا من رؤية أيّ شيء. لم تكن هناك مصابيح في أيّ مكان. فقط صهاريج وقود، أرصفة للتحميل، بنايات مكاتب منخفضة، وبالقرب من الماء رافعات ودعامات وأحواض سفن جافّة، كانت هناك سيّارة «بيك أب فورد» قذرة تقف خارج كشك متّصل مع مستودع مضلّع من الألومنيوم.

على نافذة الكوخ المعتمة الزجاجيّة، والتي كانت نصف متقشّرة، كُتب مجموعة من الأحرف. كانت الأحرف الصغيرة في الأسفل قد تلاشت تمامًا، ولكن ما زال بالإمكان قراءة أطرافها على التراب الموحل «نادي الغوص»، وهناك عمود ثقيل يتدلّى قرب الباب.

82

بعد ظهر الخميس، 17 ديسمبر

انتظر كينيت للحظة وهو يصغي، ثمّ فتح الباب بحذر. كان المكتب الصغير معتمًا. يحتوي على طاولة، وبعض الكراسي القابلة للطيّ ذات المقاعد المطّاطيّة، وأسطوانتي أوكسيجين صدئتَيْن. على الجدار كان هناك ملصق مجعّد يُظهر سمكة غريبة في مياه خضراء زمرّديّة.

أخذ مكيّف الهواء يدور، وتحرّك أحد الأبواب الداخليّة. سمعا صوت خطوات. وضع كينيت إصبعه على شفته. أسرعا عبر الغرفة، وفتحا الباب، ووجدا نفسيهما ينظران إلى مستودع كبير تحت الأرض. كان هناك أحد ما يركض في الظلمة، حاولت سيمونا أن ترى ما يحصل، تحامل كينيت على نفسه واندفع على سلّم معدنيّ نازلًا إلى الأسفل وهو يطارد الشخص، ولكنّه صرخ فجأة.

نادت سيمونا: «أبي!».

لم تتمكّن من رؤيته، ولكنّها سمعت صوته. كان يلعن بصوت مرتفع، ثمّ ناداها بأن تتوخّى الحذر: «لقد وضعوا أسلاكًا شائكة».

شيء ما كان يُسحب على الأرضيّة الإسمنتيّة. أخذ كينيت يركض ثانية وتبعته سيمونا. قفزت فوق السلك الشائك وركضت إلى داخل المستودع. كان الهواء باردًا ورطبًا والمستودع مظلمًا. وجدت من الصعوبة عليها أن تتلمّس مواطئ قدميها، لكنّها استطاعت سماع صوت خطوات تركض بعيدًا.

سطع مصباح إحدى الرافعات عبر النافذة القذرة، ورأت سيمونا أحدًا ما يقف إلى جوار الرافعة الشوكيّة. كان صبيًّا يرتدي قناعًا رماديًّا

من الورق المقوّى، ويمسك أنبوبًا حديديًّا بيده، مُحْنيًا ظهره ومحرّكًا قدميه بصورة عصبيّة.

أخذ كينيت يقترب منه الآن وهو يتّجه نحو صفّ الرفوف.

«خلف الرافعة الشوكيّة»، صاحت سيمونا.

اندفع الصبي ذو القناع ورمى بالأنبوب نحو كينيت. دار في الهواء ومرّ قرب رأسه فقط.

«انتظر! نودّ فقط أن نتحدّث إليك»، صرخ كينيت.

فتح الفتى بابًا معدنيًّا، وركض نحو المدخل المؤدّي إلى الماء. تبعه كينيت. وتبعتهما سيمونا، ولكنّها انزلقت وسقطت عن الدعامة الرطبة. فاح الهواء برائحة القمامة. حين نهضت، رأت والدها يركض قرب حوض السفن. كان الجليد الرطب قد جعل الأرض زلقة جدًّا. أوشكت سيمونا أن تنزلق بالقرب من الحافّة حين كانت تلحق بهما، لكنّها ركضت خلف الشبحَيْن أمامها وهي واعية تمامًا للجرف الشديد الانحدار إلى جوارها. كانت المياه السوداء النصف متجمّدة تتلاطم عند الرصيف.

عرفت أنّها إذا انزلقت وهوت فلن يستغرق الماء المتجمّد وقتًا حتّى يصيبها بالشلل. سوف تغرق مثل صخرة مع معطفها الثقيل وجزمتها التي ستمتلئ بالمياه.

هي الآن منقطعة الأنفاس، ترتعش من القلق والإنهاك، وظهرها مبلّل بالمطر. وبدا أنّ كينيت فقد أثر الفتى.

كان منحنيًا ينتظرها وقد تراخت الضمادة حول رأسه، وراح يلهث كي يتنفّس. رئتاه تُصدران صفيرًا، وقطرة من الدم تنزل من أنفه. كان هناك قناع من الورق المقوّى على الأرض. أخذ المطر يذيبه، وحين هبّت الرياح تلاشى عند حافّة الرصيف.

قال كينيت حين انضمّت إليه: «اللعنة!».

مشيا عائدَيْن بعيدًا عن الماء، بينما الغسق يهيمن بثقل حولهما. رغم أنّ المطر كان قد خفّ كثيرًا، إلّا أنّ الرياح ازدادت شدّةً، وراحت تصدر صفيرًا حول المباني الحديديّة الضخمة.

مرّا قرب حوض مستطيل للسفن. كانت هناك عجلات قاطرة معلّقة بسلسلة صدئة على جانبيه. نظرت إلى الأسفل، إلى المساحة الواسعة الفارغة، رأت حوضًا كبيرًا فارغًا، جدرانه الصخريّة الخشنة مدعّمة بالإسمنت وبشبكة حديد. تمكّنت من رؤية قاعه الإسمنتيّ المتعرّج والدعامات الساندة الضخمة على عمق خمسين مترًا.

صفقت الرياح أحد الأبواب. سطع ضوء إحدى الرافعات على الجدران العمودية للحوض الجافّ، رأت سيمونا شخصًا يجلس خلف إحدى الدعامات الإسمنتيّة.

انتبه كينيت أنّها توقّفت، فاستدار ليعرف لماذا. من دون قول أيّة كلمة، أشارت إلى الأسفل نحو الحوض الجافّ. تراجع الشخص المختبئ بعيدًا عن الضوء.

هرع كينيت وسيمونا إلى الأدراج الضيّقة. وشرع الشخص يركض باتّجاه ما بدا وكأنّه باب صغير في جدار الحوض الجافّ. ركض كينيت وهو يتشبّث بالدرابزين على الأدراج الشديدة الانحدار. أوشك على الانزلاق، ولكنّه تمكّن من استعادة توازنه. كانت رائحة المعادن والصدأ والمطر تفوح في الهواء. أسرعا وهما يحاولان البقاء قريبين من الجدار والصدى يتبع خطواتهما.

كانت الأرضيّة رطبة. ارتعشت سيمونا حين تسرّب الماء إلى جزمتها.

صرخت: «أين ذهب؟».

ركض كينيت بمحاذاة الدعامات. أشار إلى المكان الذي اختفى فيه الفتى. لم يكن بابًا كما تصوّرا بل شيئًا أشبه بفتحة التصريف. نظر كينيت

إلى داخلها، ولكنّه لم يستطع رؤية شيء. كان منقطع الأنفاس، توقّف كي يمسح جبهته ورقبته.

قال لاهثًا: «اخرج الآن! هذا يكفي».

سمعا صوت تنفّس سريع ومنتظم. فزحف كينيت داخل المصرف.

«كن حذرًا يا أبي».

كان هناك صوت صرير، ثمّ أخذت بوّابة القناة تتحرك. فجأة، عمّ هدير يصمّ الآذان، وأدركت سيمونا ما يحدث.

صرخت: «لقد جعل المياه تتدفّق».

سمعت كينيت يصرخ: «ذاك سلّم هناك».

تدفّقت المياه المتجمّدة إلى الحوض الجافّ عبر فتحات صغيرة بين أبواب القناة. استمرّ صوت تكسّر المعدن، ثمّ فتحت الأبواب أكثر، وزاد اندفاع الماء إلى الداخل. حين عادت سيمونا إلى السلّم، وجدت نفسها تخوض في المياه المتجمّدة حتّى ركبتيها. ارتعش الضوء القادم من الرافعة على الجدران الخشنة. كان التيّار قويًّا فراحَ يسحبها إلى الخلف. تعثّرت بإحدى الدعائم الكبيرة وشعرت بالألم في ساقها. كانت أمواج عنيفة من الماء الأسود تتدفّق إلى داخل حوض السفن. كادت تبكي حين وصلت إلى السلّم وتسلّقته. استدارت، فلم تتمكّن من رؤية والدها في العتمة. كان الماء يغطّي فتحة التصريف في الجدار. صدر صوت طقطقة ثمّ صوت تحطّم شيء ما. ارتعش جسدها ثمّ أدركت أنّ صوت المياه المندفعة أصبح أهدأ. لقد أغلقت الأبواب ثانية وتوقّف تدفّق المياه. فقدت كلّ إحساس بيديها اللتين كانتا تمسكان بالدرابزين. التصقت ملابسها الثقيلة بقوّة على فخذيها وهي تتسلّق السلّم ولكنّها تمكّنت من الوصول إلى السطح، ورأت كينيت على الجانب الآخر من الحوض. لوّح لها، وهو يقود صبيًّا نحو نادي الغوص القديم.

كانت سيمونا مبلّلة تمامًا وقد تجمّدت يداها وقدماها. انتظرها كينيت

والصبي عند السيّارة. ارتسمت نظرة شرود غريبة على وجه كينيت. كان الصبيّ يقف هناك فقط محنيّ الرأس.

صرخت سيمونا قبل أن تصل إليهما: «أين بنيامين؟».

لم يقل الفتى شيئًا. أمسكت سيمونا به من كتفيه وأدارته نحوها. صُدمت حين رأت وجهه. حتّى أنّها شهقت من دون وعي.

كان أنف الفتى مجدوعًا!

بدا كأنّ شخصًا ما حاول خياطة أطراف الجرح بسرعة ومن دون أيّ خبرة طبّيّة. كانت نظرة عينيه فارغة بشكل غريب. راحت الرياح تعوي فدخل الثلاثة إلى السيّارة. أدرات سيمونا المحرّك، وفتحت التدفئة، فأخذت النوافذ تتغطّى بالبخار. وجدت بعض الشوكولاتة فأعطتها للفتى. سأله كينيت: «أين بنيامين؟».

نظر الفتى إلى الأسفل. مضغ الشوكولاتة ثمّ ابتلعها بصعوبة.

«حسنًا، أنت ستخبرنا بكلّ شيء. هل فهمت؟ لقد كنت تضرب الأطفال وتأخذ نقودهم».

همس: «أنا غير موجود. لقد توقّفت».

سأل كينيت: «لماذا كنت تضرب باقي الأطفال؟».

«حدث ذلك حين كنّا...».

قاطعه كينيت: «ماذا حدث، أين الباقون؟».

قال الفتى: «كيف لي أن أعرف؟ ربما لديهم عصابة جديدة الآن. علمت أنّ جيركر لديه عصابة».

«هل أنت ويلورد؟».

ارتعش فم الصبيّ وقال بوهن: «لقد توقّفت الآن. أقسم أنّني توقّفت».

سألت سيمونا بصوت مرتعش: «أين بنيامين؟».

قال بسرعة: «لا أعرف. لن أؤذيه ثانية. أنا أعدك».

واصلت سيمونا: «أصغِ إليّ! أنا والدته. يجب أن أعرف مكانه».

لكنّها توقّفت حين أخذَ الصبيّ يهتزّ إلى الأمام والخلف، وهو يبكي بضعف، ويكرّر: «أعدك... أعدك... أعدك».

وضع كينيت يده على ذراع سيمونا.

قال بصوت عميق: «علينا أن نأخذه إلى المستشفى. إنّه بحاجة إلى المساعدة».

83

مساء الخميس، 17 ديسمبر

نزلت سيمونا عند ملتقى شارع «أودين» و«بوليڤار سِڤيّا»، ثمّ قاد كينيت المسافة القصيرة إلى مستشفى «أستريد ليندغرين للأطفال».

قام طبيب بفحص الفتى، وقرّر إدخاله إلى المستشفى لحاجته إلى العناية والمتابعة. كان يشكو من الجفاف وسوء التغذية، ويعاني من جروح ملتهبة على جسده وقضمة صقيع على أصابع يديه وقدميه. يُسمّي نفسه ويلورد بينما اسمه الحقيقي بيرك جانسون، وهو يعيش في «هيوسبي» مع عائلة بديلة. تمّ الاتّصال بالخدمات الاجتماعيّة وإعلام أولياء أمر الصبيّ. حين نهض كينيت ليغادر، أخذ الصبيّ يبكي، وقال إنّه لا يرغب أن يُترك وحده.

همس وهو يغطّي أنفه بيده: «أرجوك ابقَ».

تمكّن كينيت من الشعور بقلبه وهو ينبض كالمطرقة من فرط الإنهاك. ما زال أنفه ينزف، قال: «سوف أبقى معك يا بيرك. ولكن مقابل شرط واحد».

جلس كينيت على كرسيّ أخضر إلى جوار الفتى: «عليك أن تخبرني بكلّ ما تعرفه عن بنيامين وعن اختفائه».

جلس كينيت هناك لمدّة ساعتين وهو يشعر بدوار متزايد، حتّى وصلت العاملة الاجتماعيّة، ولكن كل ما عرفه هو أنّ أحدًا ما قام بإخافة بيرك بشدّة حتّى يتوقّف عن مضايقة بنيامين. لم يبدُ عارفًا أنّ بنيامين كان ضائعًا أصلًا.

وهو يغادر، سمع كينيت العاملة الاجتماعيّة والطبيب النفسيّ يناقشان احتمال إرسال الفتى إلى مأوى الأطفال في «لوڤستا» في «سودِرمانلاند».

اتّصل كينيت بسيمونا كي يتأكّد من وصولها إلى المنزل بأمان. أخبرته

أنّها ارتاحت قليلًا، وتفكّر الآن أن تصبّ لنفسها كأسًا من النبيذ.

قال كينيت: «سأذهب للتحدّث مع آيدا».

«اسألها عن تلك الصورة التي فيها الأعشاب والسياج. هناك أمر غير منطقيّ بشأنها».

أوقف كينيت السيّارة في «سوندِباريْ» عند منصّة بيع النقانق، بالقرب من سكن آيدا. كان الجوّ باردًا. دخلت إحدى رقاقات الجليد إلى داخل السيّارة حين فتح الباب. رأى آيدا ونيكي فورًا. كانت الفتاة تجلس على مقعد على طريق المشاة خلف المنازل وهي تراقب أخاها، ونيكي يريها شيئًا ما، بدا أنّه سمح له بالسقوط على الأرض ثمّ التقطه ثانية. توقّف كينيت وراقبهما لفترة قصيرة. لاحظ شيئًا غريبًا في الطريقة التي يتعامل بها أحدهما مع الآخر تجعلهما يبدوان وحيدين ومنعزلَيْن جدًّا. كانت الساعة السادسة مساء تقريبًا، وأضواء المدينة تنعكس على البحيرة القاتمة من بعيد.

شعر كينيت بنوبة دوار قصيرة أخرى وتشوّش بصره لعدّة ثوان. عبَر الطريق الزلق بحذر شديد وخطا على العشب المغطّى بالصقيع بالقرب من البحيرة.

قال: «مرحبًا أنتما الاثنان».

نظر نيكي إليه وصرخ وهو يركض ليعانقه: «إنّه أنت!» قال بحماسة، «آيدا! إنّه هو يا آيدا! الرجل العجوز جدًّا».

رمقت الفتاة نيكي بنظرة باهتة قلقة، كان طرف أنفها محمرًّا من البرد.

سألت: «هل وجدتم بنيامين؟».

«لا، ليس بعد»، قال كينيت بينما نيكي يواصل معانقته وهو يضحك ويقفز حوله.

قال نيكي: «آيدا، إنّه عجوز جدًّا ولذلك أخذوا مسدّسه».

جلس كينيت على المقعد قرب آيدا. كانوا محاطين بالأشجار العارية من الأوراق.

قال: «أتيت لأخبركم بأنّه تمّ التخلّص من ويلورد».

استدارت آيدا نحوه مع نظرة شكّ.

«وعرفوا الباقين. هناك خمسة بوكيمونات، أليس كذلك؟ لقد اعترف بيرك جانسون عليهم كلّهم. ولكن ليست لديه أيّ علاقة باختفاء بنيامين».

توقّف نيكي حين سمع ما قاله كينيت، وراح يحدّق إليه، ثمّ سأله: «هل تغلّبت على ويلورد؟».

قال كينيت: «نعم. لقد رحل».

أخذ نيكي يرقص في الطريق. كان البخار يتطاير من جسده الضخم، توقّف فجأة ونظر إلى كينيت: «أنت هو البوكيمون الأقوى. أنت بيكاتشو، بيكاتشو».

احتضن نيكي كينيت ثانية وهو يشعر بسعادة أكبر. أخذت آيدا تضحك وقد اعتلت الدهشة وجهها. وسألت: «ماذا عن بنيامين؟».

«لم يأخذوه يا آيدا. ربّما قاموا بارتكاب أشياء مريعة كثيرة، ولكنّهم لم يأخذوا بنيامين».

قالت: «لا بدّ من أن يكونوا هم».

قال كينيت: «أنا حقًّا لا أعتقد ذلك».

«ولكن...».

أخرج كينيت الصورة التي طبعها من حاسوب بنيامين، الصورة التي أرسلتها له آيدا.

وقال بصوت ودود ولكنّه حازم: «انظري! عليك أن تخبريني ما هذا المكان؟».

شحبت آيدا وهزّت رأسها، ثمّ قالت بهدوء: «لقد وعدتُ».

«إنّ الوعود تبطُل حين تكون الحياة على المحكّ. صحيح؟».

لكنّها أطبقت شفتيها ونظرت بعيدًا. تقدّم نيكي ونظر إلى الصورة، ثمّ قال بمرح: «والدته أعطته تلك».

«نيكي!». نظرت آيدا بغضب إلى شقيقها.

قال نيكي ساخطًا: «لكنّها كانت كذلك».

قالت آيدا: «متى ستتعلّم أن تبقى صامتًا؟».

أسكتها كينيت. ثمّ سأل نيكي: «هل أعطت سيمونا لبنيامين هذه الصورة؟ ما الذي تعنيه يا نيكي؟».

لكنّ نيكي نظر بقلق إلى آيدا، وكأنّه ينتظر إذنها قبل أن يجيب. هزّت رأسها. شعر كينيت بالألم في كدمة رأسه.

«أخبريني فقط يا آيدا»، قال وهو يحاول أن يبقى هادئًا، «من الخطأ أن تلتزمي الصمت في ظروف كهذه».

قالت بصوت غاضب: «ولكن ليس للصورة علاقة بهذا. وقد وعدت بنيامين بعدم إخبار أيّ أحد مهما حدث».

«بنيامين في خطر شديد. أخبريني ما قصة هذه الصورة؟».

سمع كينيت صدى صوته يتردّد على الأبنية. بدا نيكي خائفًا وحزينًا. زمّت آيدا شفتيها بقوّة أكبر. أجبر كينيت نفسه على أن يبقى هادئًا. سمع كم يبدو صوته مرتعشًا حين حاول أن يُوضح: «آيدا، أصغي إليّ! بنيامين سيموت إن لم نجده. إنّه حفيدي الوحيد. لا يمكنني تجاهل أيّ دليل مهما كان بسيطًا».

وقفا في سكون، ثمّ استدارت آيدا نحوه وهي توشك على البكاء. «كما قال نيكي»، قالت بصوت خانع ثمّ ابتلعت ريقها بصعوبة، قبل أن تواصل، «لقد أعطته والدته الصورة».

«ما الذي تعنينه؟».

فقالت: «ليست سيمونا، بل أمّه الحقيقيّة».

شعر كينيت بالغثيان يتصاعد في حنجرته. وأخذ صدره يؤلمه. حاول أن يأخذ نفَسًا عميقًا. وسأل: «والدته الحقيقيّة؟».

«نعم».

أخرجت آيدا علبة سجائر من حقيبتها، ولكنّ كينيت أخذ العلبة بلطف منها. وقال: «لا يُسمح لكِ بالتدخين».

«لم لا؟».

«لستِ في الثامنة عشرة».

رفعت كتفيها باستخفاف، وقالت: «حسنًا، لا أبالي».

«جيّد»، قال كينيت. وشعر برأسه يثقل بشدّة.

بحث في ذاكرته عن حقيقة مولد بنيامين. مرّت الصور بذهنه بسرعة. وجه سيمونا محمرّ من البكاء بعد الإجهاض، ثمّ ذلك الصيف الذي ارتدت فيه الفستان الواسع المزيّن بالزهور. كانت حاملًا وقتئذ، ثمّ حين ذهب لرؤيتها في قسم الولادة، وأرته تلك الحزمة الصغيرة وقالت: «ها هوذا، اسمه هو بنيامين، ابن السعادة».

فرك كينيت عينيه بقوّة. حكّ الضمادة التي تغطّي رأسه، ثمّ قال: «إذن، ما اسم والدته الحقيقيّة؟».

نظرت آيدا إلى البحيرة.

قالت بنبرة بدت صادقة: «لا أعرف. أقسم أنّي لا أعرف. لكنّها أخبرت بنيامين عن اسمه الحقيقيّ، كانت تناديه دومًا باسم كاسبر. لقد كانت طيّبة، اعتادت انتظاره بعد المدرسة ومساعدته في واجباته المدرسيّة، وأعتقد أنّها كانت تعطيه النقود أيضًا. كانت حزينة جدًّا لأنّها اضطرّت إلى إعطائه إلى عائلة أخرى حين كان رضيعًا».

رفع كينيت الصورة: «ماذا عن هذه؟ ما هذا؟».

حدّقت آيدا في الصورة.

«ذلك قبر عائلته. قبر عائلة بنيامين الحقيقيّة. ذلك هو المكان الذي دُفن فيه أشقّاؤه».

84

مساء الخميس، 17 ديسمبر

رحلت ساعات النهار القليلة، وأخذت الظلمة تخيّم على المدينة. سطعت شموع القيامة في كلّ النوافذ تقريبًا على الجانب الآخر من الشارع، وتصاعدت رائحة العنب من النبيذ الموضوع على طاولة القهوة. جلست سيمونا على الأرض وهي تنظر إلى بعض المخطّطات. بعد أن أنزلها كينيت في المنزل، غيّرت ملابسها المبلّلة ولفّت نفسها بملاءة. غفت على الأريكة ولم تستيقظ حتّى اتّصل بها، ثمّ حضر سيم شولمان.

الآن هي تجلس على الأرض، وقد وضعت أمامها أربعة مخطّطات لمشروع فنّي يخطّط سيم للقيام به في صالة «تينستا الفنّية».

اتصل شولمان بالشخص المسؤول عن العمل. كان يتجوّل حول الغرفة وهو يتحدّث. توقّفت الأرض فجأة عن إصدار الصرير، وأدركت سيمونا أنّه توقّف عن الحركة، وأنّه ينظر إليها. شعرت به يقوم بذلك، جمعت المخطّطات معًا، وأمسكت بكأسها، وأخذت رشفة متظاهرة بتجاهله. دخل شولمان ليأخذ حمّامًا. سيطر عليها إحساس غريب بالخدر. توقّفت كلّ أفكارها وآمالها وسعادتها. إنّها لا تهتمّ الآن بأيّ شيء لا يتعلّق ببنيامين.

لم تنهض حتّى رجع شولمان وهو ملتفّ بالمنشفة. شعرت بأنّ ركبتيها متقرّحتان، ولكنّها بذلت كلّ ما في وسعها كي تبتسم وهي تمرّ بقربه، وتقفل باب الحمّام عليها. تصاعد إحساس مريع بالوحدة في داخلها حين كان الماء الدافئ ينهمر على شعرها ثمّ ينزل على رقبتها وكتفيها وظهرها. غسلت نفسها جيّدًا ثمّ رفعت رأسها للأعلى نحو تدفّق الماء الدافئ. خلال هديره في أذنيها، سمعت صوت ضجّة، وأدركت أنّ أحدًا ما كان يطرق على باب الحمّام.

صرخ شولمان: «سيمونا! إنّ هاتفك يرنّ».

«ماذا؟».

«هاتفك».

«أجب عليه»، قالت وهي تغلق صنبور الماء.

«والآن هناك أحد ما يطرق على الباب أيضًا».

«أنا قادمة».

تناولت منشفة نظيفة عن الرفّ ونشّفت نفسها. كان سروالها مرميًّا على أرض الحمّام الرطبة، والحمّام مليء بالبخار والمرآة مغطّاة بالضباب. تمكّنت من رؤية نفسها كشبح رماديّ. خيال مصنوع من الطين.

«سيم، من كان ذاك؟».

لم يجبها. كانت سيمونا على وشك أن تناديه ثانية، لكنّها لم تتمكّن فجأة من فعل ذلك. لم تعرف لماذا، ولكنّ كلّ حواسها كانت متيقّظة. فتحت باب الحمّام بهدوء وحذر شديد ونظرت خلالها. كان باقي الشقّة مظلمًا. هناك شيء ليس على ما يرام. سألت نفسها إن كان شولمان قد رحل، ولكنّها لم تجرؤ على مناداته.

85

مساء الخميس، 17 ديسمبر

سمعت سيمونا صوت محادثات هامسة، واعتقدت أنّها تأتي من المطبخ. ولكن من الذي يهمس له؟ كان الخوف يسيطر عليها. عبر فتحة الباب، رأت سيمونا شخصًا يمرّ أمام الحمّام بسرعة في الرواق. لم يكن شولمان، إنّه شخص أصغر حجمًا بكثير. إنّها امرأة بملابس رياضيّة فضفاضة. عادت المرأة إلى المدخل، لم تمتلك سيمونا الوقت كي تتراجع، التقت عيناهما عبر الشقّ الضيّق، تسمّرت المرأة ورأت سيمونا عينيها متّسعتين من الخوف. هزّت رأسها بسرعة لسيمونا ثمّ توجّهت إلى المطبخ، ترك حذاؤها الرياضيّ آثار أقدام ملوّثة بالدماء على الأرض. استولى ذعر شديد على سيمونا. أخذت نبضات قلبها تتسارع. فتحت باب الحمّام، وتسلّلت نحو الباب الأماميّ. حاولت أن تتحرّك ببطء، ولكنّها ما زالت تسمع صوت تنفّسها وصوت صرير الأرضيّة الخشبيّة. سمعت شخصًا يغمغم مع نفسه، ويبحث بصخب بين أدوات المطبخ في الأدراج.

خلال الظلمة رأت سيمونا شيئًا ضخمًا يستلقي على الأرض. تطلّب الأمر منها بضع ثوان كي تدرك ما الذي كانت تنظر إليه. كان شولمان يستلقي وظهره يستند إلى الباب الأماميّ، والدم يتدفّق بهدوء من جرح في رقبته، وبركة الدماء الحمراء القانية تغطّي الأرض حوله. كان يحدّق إلى السقف بعينين مرتعشتين، وفمه مفتوحًا ومرتخيًا. بالقرب من يده، بين الأحذية، على ممسحة الأرجل كان يقبع هاتفها الخليويّ. فكّرت أنّ عليها التقاطه والهروب من الشقّة ثمّ الاتّصال بالشرطة. دُهشت لأنّها لم تشعر برغبة في الصراخ حين رأت شولمان، ربّما يتعيّن عليها قول شيء

ما له. لكنّها سمعت وقع أقدام. كانت المرأة الشابّة قد عادت، جسدها يرتعش بالرغم من أنّها كانت تعضّ شفتها وتحاول التحلّي بالهدوء.

همست المرأة: «لا يمكننا الخروج. إنّ الباب مقفل».

«ولكن من؟...».

قالت مقاطعة سيمونا: «أخي».

«لماذا؟».

«يعتقد أنّه قد قتل إريك. لم ينظر، يعتقد...».

سقط أحد جوارير المطبخ على الأرض مصدرًا دويًّا مرتفعًا.

«إيڤلين! ما الذي تفعلينه؟»، صرخ جوزيف إيك، «هل ستعودين؟».

قالت المرأة: «اختبئي».

سألت سيمونا: «أين المفاتيح؟».

«إنّه يحتفظ بها في المطبخ»، قالت ثمّ أسرعت عائدة إلى شقيقها.

زحفت سيمونا عبر الرواق نحو غرفة بنيامين. كانت تتنفّس لاهثة وتحاول إبقاء فمها مغلقًا، ولكنّها لم تتمكّن من الحصول على ما يكفي من الهواء. رغم أنّ الأرض واصلت الصرير تحت قدميها، إلّا أنّ جوزيف إيك كان يغمغم بصوت مرتفع في المطبخ، ولم يبدُ أنّه قد لاحظ ذلك. ذهبت إلى حاسوب بنيامين وفتحته، وحين سمعت صوت المروحة تبدأ بالدوران، أسرعت وتمكّنت من العودة للاختباء في الحمّام، وراح صوت الحاسوب المفتوح يتعالى.

انتظرت لبضع ثوان وقلبها يتسارع، ثمّ تركت الحمّام وهي تحدّق إلى الرواق الخالي وأسرعت إلى المطبخ. لم يكن أحد هناك. كانت الأرض مغطّاة بالأواني المعدنيّة وبآثار الدماء.

تمكّنت من سماع جوزيف وإيڤلين يتحرّكان في غرفة بنيامين. كان جوزيف يلعن مكلمًا نفسه، وسمعت صوت الكتب وهي تُرمى على الأرض.

قالت إيڤلين بصوت مرتعب: «انظر تحت السرير».

سُمع صوت ضجّة حين ارتطم صندوق من الكتب بالأرض. زمجر جوزيف بأنّه لا يوجد أحد تحت السرير.

أمرها: «ساعديني».

اقترحت: «ربّما في الخزانة».

صرخ جوزيف: «ما الذي يحدث هنا بحقّ الجحيم؟».

كان مفتاح الباب على الطاولة الخشبيّة. التقطته سيمونا وهرعت بأقصى سرعتها نحو المدخل.

«انتظر يا جوزيف!»، سمعت إيڤلين تصرخ، «ربّما يكون في الخزانة الأخرى».

تصاعد صوت تحطّم زجاج، ثمّ صوت خطوات ثقيلة عبر الرواق.

قفزت سيمونا فوق جسد شولمان. كانت أطراف أصابعه تتحرّك ببطء شديد. أدخلت المفتاح الطويل في القفل، ولكنّ يدها كانت ترتعش بشكل سيّئ.

«جوزيف!»، صرخت إيڤلين بيأس، «انظر داخل غرفة النوم، أعتقد أنّه في غرفة النوم».

أدارت سيمونا المفتاح، وسمعت صوت القفل يفتح في اللحظة التي اندفع فيها جوزيف إيك نحو المدخل. حدّق إليها ثمّ انطلقت صرخة مرتفعة من حنجرته. فقدت سيمونا السيطرة على القفل فأفلتته، ثمّ حاولت ثانية بسرعة وتمكّنت من فتحه. كان جوزيف يمسك بسكّين الخضروات في يده. تردّد قليلًا، ثّم توجه نحوها بخطوات سريعة. ارتعشت يدا سيمونا بشكل سيّئ، حتّى أنّها لم تتمكّن من دفع مقبض الباب إلى الأسفل. أسرعت المرأة الشابّة نحو المدخل، ورمت بنفسها على قدمي جوزيف، محاولة إعاقته وصارخة بأنّ عليه الانتظار. ضرب السكّين بحافّة رأس إيڤلين من دون أن ينظر. تأوّهت بصوت مرتفع، بينما واصل تقدّمه، وفقدت إيڤلين سيطرتها على ساقَيْه. تمكّنت سيمونا من فتح الباب واندفعت إلى الخارج. انزلقت المنشفة عنها. أسرع جوزيف نحوها، لكنّه توقّف ينظر إلى جسدها. خلفه، رأت سيمونا إيڤلين تغطس يدها في بركة دم شولمان، لطخت بها وجهها ورقبتها ثمّ سقطت على الأرض.

صرخت: «جوزيف! أنا أنزف. عزيزي!».

سعلت ثمّ استلقت على ظهرها بسكون وهي تتظاهر بالموت. استدار جوزيف ورأى جسدها الملطّخ بالدماء.

صرخ بصوت مذعور: «إيڤلين».

عاد إليها، وحين انحنى فوقها، رأت سيمونا السكّين في يد إيڤلين تندفع بسرعة مثل مسمار ضخم في أحد الكمائن البدائيّة. غرزت إيڤلين النصل في صدر جوزيف بقوّة فتراخى جسده. أحنى رأسه ثمّ تهاوى على جانبه ورقد من دون حركة.

86

صباح الجمعة الباكر، 18 ديسمبر

مرّ كينيت إلى جوار ضابطتي شرطة تتهامسان في ردهة مستشفى «داندِريد». في الغرفة خلفهما رأى امرأة شابّة تجلس على كرسيّ وهي تحدّق إلى الفراغ. كان وجهها وصدرها ملطّخان بالدماء وشعرها مغطّى بالدم المتيبّس. جلست وقد لفّت قدميها تحتها بطريقة أشبه بالأطفال. افترض أنّ هذه كانت إيڤلين إيك، شقيقة القاتل المتسلسل جوزيف إيك. رفعت عينيها وحدّقت إليه مباشرة وكأنّها سمعته يلفظ اسمها بصوت مرتفع. عكست عيناها مزيجًا غريبًا من المشاعر: الألم والصدمة، الندم والانتصار، نظر كينيت بعيدًا وهو يشعر بأنّه يتطفّل على خصوصيّة أحد ما. ارتعش وذكّر نفسه كم هو محظوظ لأنّه تقاعد. كان سعيدًا لأنّه لن يضطرّ إلى استجواب إيڤلين. إنّ تجربتها مع جوزيف كانت شيئًا لا يجب أن يتعرّض له أحد في حياته.

كان هناك رجل يرتدي زيًّا رسميًّا، ذو وجه شاحب مستطيل الشكل، يقف للحراسة خارج الباب المغلق لغرفة سيمونا. تعرّف كينيت عليه من وقت خدمته في الشرطة، ولكنّه واجه مشكلة في تذكّر اسمه.

قال الرجل: «كينيت! هل أنت بخير؟».

«سأتحسّن».

«تعرّضتَ للكثير».

حين سمع الرجل، تذكّر أنّ اسمه رينيه، وتذكّر أنّ زوجته توفّيت فجأة بعد ولادة طفلهما الأوّل.

قال كينيت: «رينيه! كيف حصل هذا؟».

«بدا وكأنّها سمحت له بالدخول».

«بإرادتها؟».

«ليس بالتحديد».

أخبره رينيه أنّ إيڤلين قالت إنّها استيقظت في منتصف الليل، وذهبت إلى الباب الأماميّ، ونظرت من الفتحة إلى الشرطي أولا جاكوبسن، والذي كان يغفو في البهو، كانت قد سمعته سابقًا في ذلك المساء يقول لزميله إنّ لديه أطفالًا صغارًا في المنزل، لذلك لم ترغب في إيقاظه. جلست على الأريكة وتفحّصت ألبوم الصور الذي أخفاه جوزيف بين أغراضها. كانت الصور عبارة عن لمحات من حياة تلاشت إلى غير رجعة. أعادت الألبوم إلى العلبة، وسألت نفسها إن كان من الممكن أن تغيّر اسمها وترحل بعيدًا، ثمّ ذهبت إلى النافذة ونظرت عبر الستائر. اعتقدت أنّها ترى شخصًا يقف عند رصيف المشاة. تراجعت إلى الخلف بسرعة. انتظرت قليلًا ثمّ نظرت إلى الخارج ثانية. كان الثلج يتساقط بقوّة، ولم تعد تتمكّن من رؤية أيّ أحد. كانت مصابيح الشارع المعلّقة بين المباني تتأرجح بفعل الرياح. اقشعرّ جسدها. تسلّلت إلى الباب الأماميّ ووضعت أذنها على الخشب وأصغت. شعرت بأنّ أحدًا ما يقف خارج الباب تمامًا. لطالما امتلك جوزيف رائحة مميّزة، أشبه بالمواد الكيميائيّة المحترقة والتي عزتها هي إلى الغضب. اعتقدت إيڤلين أنّها تشمّ تلك الرائحة الآن. ربّما كانت تتخيّل ذلك، ولكنّها ربضت بالقرب من الباب على أيّة حال وهي غير قادرة على حمل نفسها للنظر ثانية.

انحنت على الباب بعد فترة وهمست: «جوزيف!». كان كلّ شيء هادئًا، أوشكت أن تعود إلى النوم حين سمعته يهمس من البهو: «افتحي الباب».

حاولت أن تبقي صوتها ثابتًا: «حسنًا».

«هل اعتقدتِ أنّ بإمكانك الهرب؟».

همست: «لا».

«عليك أن تفعلي ما أقوله فقط».

«لا أستطيع».

قاطعها: «انظري عبر ثقب الباب».

«لا أرغب في ذلك».

«افعلي ذلك».

وهي ترتعش، انحنت على فتحة الباب. تمكّنت من رؤية معظم البهو من تلك الفتحة. كان رجل الشرطة النائم على الأدراج ما زال هناك، ولكن كانت هناك بركة من الدم الأسود تنتشر تحته. استطاعت رؤية جوزيف يختبئ في زاوية في البهو. كان يستند إلى الجدار، ولكنّه اندفع فجأة وضرب بيده على العدسة. تراجعت إيڤلين للخلف ثمّ تعثّرت بزوج أحذية على ممسحة الأرجل.

«افتحي الباب أو سأقتل رجل الشرطة، ثمّ سأبدأ بالطّرق على الأبواب، وأقتل كلّ الجيران، سأبدأ بالشقّة إلى جوارك».

لم يستغرق الأمر طويلًا حتّى فقدت إيڤلين الأمل. شعرت بأنّها لن تستطيع أبدًا التخلّص من جوزيف. فتحت الباب بيدين مرتعشتين وسمحت لشقيقها الأصغر بالدخول إلى الشقّة. كانت الفكرة الوحيدة في ذهنها أنّها تفضّل أن تموت على أن تتركه يقتل أيّ شخص آخر.

أوضح رينيه تسلسل الأحداث. وفق ما قيل له كان جوزيف يختبئ في منزله، وحين ذهب شرطيّان لجلب أغراض إيڤلين الشخصيّة، سمعهما يتحدّثان عن المكان الذي سيأخذان إليه الصندوق.

قال: «جاكوبسون سينجو. لقد أنقذت إيڤلين حياته حين فعلت ما أراده شقيقها».

هزّ كينيت رأسه ثمّ قال: «إلى اللقاء يا رينيه». ومشى مبتعدًا.

طرق برفق على باب غرفة سيمونا وفتحه قليلًا. كانت الستائر مسدلة والمصابيح مطفأة، حين حدّق إلى الظلمة رأى خيالًا قد يكون لابنته يستلقي على الأريكة.

سأل بصوت منخفض: «سيمونا».

«أنا هنا يا أبي».

«هل تفضّلين هذه العتمة؟ هل أفتح الأضواء؟».

«لا يمكنني فعل ذلك يا أبي، لا يمكنني».

دلف كينيت إلى الداخل. جلس على الأريكة، ووضع ذراعه حول ابنته. فراحت تنتحب. همس وهو يربّت على ظهرها برقّة، «ذات يوم، كنت أقود بالقرب من حضانتك بسيّارة الدوريّة، ورأيتك تقفين في ساحة اللعب. كنت تواجهين السياج وتبكين بحرقة والمخاط يسيل من أنفك، لقد كنتِ مبلّلة وقذرة ولم يكن الموظّفون يفعلون أيّ شيء لك. كانوا يقفون هناك يتبادلون الحديث ولا يهتمّون مطلقًا».

همست سيمونا: «ماذا فعلت؟».

«أوقفت السيّارة وذهبت إليك، فتوقّفت عن البكاء فورًا. وأخذت يدي وأتيت معي».

صمت قليلًا، ثم أكمل: «تخيّلي لو تمكّنتُ من الإمساك بيدك وأخذك إلى المنزل الآن؟».

أومأت وأسندت رأسها إليه، ثمّ سألت: «هل سمعت أيّ شيء بخصوص سيم؟».

داعب وجنتيها وسأل نفسه إن كان عليه أن يقول لها الحقيقة أم لا. لقد فقد شولمان الكثير من الدماء، وعانى من تلف كبير في المخّ، ولن يستيقظ أبدًا من غيبوبته.

قال: «إنّهم لا يعرفون بعد، لكنّه في غيبوبة و...». تنهّد، «الأمر لا يبدو جيّدًا يا عزيزتي».

أخذت ترتعش من البكاء.

«لا يمكنني أن أواصل، لا يمكنني فقط».

«الآن... لقد اتّصلت بإريك، إنّه في طريقه إلى هنا».

أومأت.

«شكرًا يا أبي».

ربّت على ظهرها ثانية. فهمست: «أنا حقًّا لا يمكنني فعل ذلك».

«لا تبكي يا عزيزتي».

بشهيقها وهي تنتحب، قالت: «هذا كثير جدًّا».

في تلك اللحظة، فُتح الباب وأضاء إريك مصابيح الغرفة. اندفع إلى الداخل وجلس على الجانب الآخر لسيمونا قائلًا: «الحمد لله أنّك بخير».

ضغطت سيمونا وجهها على صدره. رغم أنّه بدا مرهقًا، كانت عيناه صافيتين ومتنبّهتين. لم تستطع منع نفسها من التفكير في أنّ رائحته كانت تبدو أشبه بالمنزل وبالعائلة.

قال كينيت بجدّيّة: «إريك! أريد أن أسألك عن شيء مهمّ، أنت أيضًا يا سيمونا. لقد تحدّثت مع آيدا في الليلة الفائتة».

«ما الذي قالته؟»، سألت سيمونا وقد تنشّطت.

أخذ كينيت نفسًا عميقًا، ثمّ قال بصوت متعَب حذِر: «لقد تواصلت امرأة مع بنيامين قبل اختفائه بفترة قصيرة، وأخبرته بأنّها والدته البيولوجيّة».

سحبت سيمونا نفسها من أحضان إريك ونظرت إلى كينيت. مسحت أنفها ثمّ سألت بصوت مرتعش من البكاء: «والدته البيولوجيّة؟».

أومأ كينيت: «قالت آيدا إنّ هذه المرأة كانت تعطيه النقود وتساعده في فروضه المدرسيّة».

«هذا جنون!»، همست سيمونا.

«حتّى أنّ لديها اسمًا مختلفًا له».

نظر إريك إلى سيمونا ثمّ إلى كينيت وسأله أن يواصل.

قال كينيت: «حسنًا، قالت آيدا إنّ هذه المرأة أخبرته أنّ اسمه الحقيقيّ هو كاسبر».

رأت سيمونا وجه إريك يتصلّب ويعلوه القلق.

سألت: «ما الأمر يا إريك؟».

سأل إريك: «كاسبر! لقد نادته كاسبر».

قال كينيت «نعم. في البداية لم ترغب آيدا بقول أيّ شيء. من الواضح أنّها قد وعدت بنيامين بألّا...».توقّف عن الكلام.

كان وجه إريك قد فقد لونه تمامًا، وبدا كأنّه على وشك أن يُغمى عليه. ثمّ تراجع بضع خطوات إلى الخلف وأوشك أن يُسقط الطاولة.

«إريك، ما بك؟»، سألت سيمونا.

قال: «ليس لديّ الوقت للتوضيح»، ثمّ أسرع خارجًا من الغرفة.

87

صباح الجمعة، 18 ديسمبر

شقّ إريك طريقه خلال مجموعة من الأطفال الذين يحملون الأزهار في ردهة استقبال المستشفى، وأسرع عبر الطابق مارًّا إلى جوار رجل مسنّ على كرسيّ مدولب. استمرّ بالركض نازلًا على الأدراج الحجريّة. أسرع إلى الطريق غير مكترث ببرك الماء والوحل. وعبر إلى موقف سيّارات الزوّار ومفتاحه في يده. صعد إلى سيّارته ورجع إلى الخلف بسرعة حتّى أنّه صدم جانب سيّارته بحافّة السيّارة الواقفة بجواره.

كان تنفّسه ثقيلًا حين انعطف نحو الشارع واتّصل بجونا.

قال وهو يصرخ تقريبًا: «إنّها ليديا إيڤرسون».

«من؟».

«ليديا إيڤرسون هي من أخذ بنيامين. لقد أخبرتك بشأنها. إنّها تلك المرأة التي أثارت الصحافة وقدّمت بلاغًا ضدّي».

قال جونا: «سوف نتأكّد منها».

«أنا في طريقي إلى هناك».

«أعطني العنوان».

«إنّه منزل على طريق 'تينس' في 'روتبيرو'. لا أتذكّر الرقم، ولكنّه منزل أحمر وضخم جدًّا».

«انتظرني في مكان ما بالقرب من...».

«سأتّجه إلى هناك حالًا».

«لا تفعل أيّ شيء غبيّ. انتظرني»، قال جونا.

أنهى إريك المكالمة. زاد سرعته وهو يقود عبر «نورڤيكن» بالقرب من سكّة القطار والبحيرة الطويلة الضيّقة. تجاوز شاحنة بتهوّر بالقرب من مصنع الخمائر وشعر بقلبه ينبض في صدغيه.

وصل إلى المنطقة السكنيّة، وأوقف سيّارته بالقرب من حاجز شجيرات الصنوبر الذي وقف بجواره قبل عشرة أعوام. تمكّن الآن من رؤية المنزل. كلّ شيء يعود إلى ذاكرته الآن. تذكّر بأنّهم لم يجدوا أيّ دليل على أنّ طفلًا قد عاش هناك، لا ألعاب في الفناء، لا شيء يوحي بأنّ ليديا كانت أمًّا. رغم ذلك لم تتوفّر لهم الفرصة للبحث حول المنزل. لقد نزلوا إلى القبو فقط، وصعدوا إلى الطابق العلويّ حين طاردته ليديا والسكّين في يدها. تذكّر النظرة على وجهها وهي تسحب النصل على حنجرتها ولا تحيد ببصرها عنه.

لم يتغيّر الكثير هنا. تمّ استبدال مطعم البيتزا بمحلّ لبيع السوشي، وكانت هناك «ترامبولين» كبيرة في الفناء مغطّاة بالثلج. ترك إريك مفاتيحه في السيّارة وركض إلى الطريق. استحال ركضه إلى خبب سريع حين اقترب من المنزل. دخل إلى الفناء حيث كان الثلج الذائب يغطّي أعشاب الحديقة الطويلة المصفرّة. كانت كتل الجليد تتدلّى من أرجوحة شبكيّة معطوبة، والنباتات الميّتة تتأرجح في السلال المعلّقة. حاول إريك أن يفتح الباب ولكنّه كان مقفلًا. بحث تحت ممسحة الأرجل. هربت بضع حشرات صغيرة هنا وهناك. كان قلبه يتسارع. مرّر إصبعه على حافّة العتبة الخشبيّة للباب ولكنّه لم يجد مفتاحًا. التقط حجرًا كبيرًا من حوض الأزهار خلف المنزل ورماه على الباب الخلفي. تصدّع الزجاج الخارجيّ وسقط الحجر على الأرض. التقطه ثانية ورماه بقوّة أكبر فتهشّم بقيّة الزجاج. أسرع إريك وفتح الباب. وجد نفسه في غرفة النوم حيث كانت الجدران مغطّاة بصور الملائكة وصور زعماء الطائفة الهنديّة «ساي بابا».

صرخ: «بنيامين! بنيامين!».

88

صباح الجمعة، 18 ديسمبر

واصل إريك مناداة ابنه رغم علمه بأنّ المنزل مهجور. كان كلّ شيء ساكنًا ومعتمًا، والهواء العفن يفوح برائحة الغبار والملابس القديمة. حين فتح الباب المؤدّي إلى القبو، فاحت منه بسرعة رائحة كانت مزيجًا من الرماد والخشب المتفحّم والبلاستيك المحترق. نزل الدرج مسرعًا، فتعثّر وضرب كتفه بالجدار. لم تكن المصابيح تعمل، ولكنّ النوافذ الضيّقة بالقرب من السقف سمحت بدخول كمّيّة كافية من ضوء الشمس كي يرى أنّ الغرفة السفليّة قد دُمّرت بالحريق. كانت الأرضيّة تتهشّم تحت قدميه. معظم الغرفة كان مسودًّا، ولكنّ بعض الأثاث بدا وكأنّه سليم بشكل جزئيّ. الطاولة ذات السطح الزجاجيّ مغطاة بالسخام، والشموع المعطّرة ذابت على الصحن. شقّ إريك طريقه عبر الباب المؤدّي إلى الغرفة الأخرى. كان الباب يتأرجح على مفاصله، والغرفة الداخليّة محترقة تمامًا.

قال بصوت مرتعب: «بنيامين!».

تطاير الرماد على وجهه، فأخذ يطرف حين لسعته عيناه. رأى في وسط الغرفة بقايا لما يبدو قفصًا كبيرًا لدرجة كافية لاحتجاز إنسان فيه.

ناداه صوت من الطابق العلويّ: «إريك!».

توقّف وأصغى. كانت الجدران تتصدّع وقطع متفحّمة من السقف تتهاوى على الأرض. استطاع سماع صوت نباح كلب من بعيد.

«إريك!».

إنّه صوت جونا. إنّه داخل المنزل الآن. حين ارتقى إريك الدرج، نظر إليه جونا وقد اعتلت محيّاه مسحة من القلق.

«ما الذي حصل؟».

أجاب: «وقع حريق حديث في القبو».

«لا شيء آخر».

أشار إريك نحو القبو: «بقايا قفص».

«أحضرت معي وحدة كي9 [1]».

ركض جونا عبر الصالة نحو المدخل وفتح الباب كي يلوّح للضابطة المسؤولة عن وحدة «كي9». كانت قد صفّفت شعرها بشكل جديلة ومعها كلب «لابرادور» أسود يلتصق بساقيها. حيّت إريك بإيماءة، ثمّ سألتهما أن ينتظرا في الخارج، وهرولت إلى الأسفل أمام الكلب وهي تتحدّث إليه. حاول جونا أن يقنع إريك بالمغادرة، ولكنّه استسلم حين أدرك أنّه لن ينجح في مسعاه.

تحرّك الكلب الأسود اللامع بحماسة داخل المنزل، وهو يشمّ بسرعة ثمّ يبتعد. تأكّد الحيوان من كلّ غرفة بالترتيب. وقف إريك في المدخل. شعر بالغثيان. وحين أحسّ بأنّه على وشك أن يتقيّأ توجّه إلى الخارج. كان هناك ضابطان يتحدّثان خارج سيّارة الشرطة. غادر إريك عبر البوّابة ثمّ إلى الرصيف نحو سيّارته. توقّف وأخرج العلبة الخشبيّة الصغيرة ذات صورة الببغاء. وقف هناك حاملًا العلبة بيده، ثمّ اتّجه إلى مصرف المياه على حافة الطريق وأفرغ محتوياتها في أنبوب الصرف. كانت جبهته مبلّلة بالعرق. ابتلع ريقه، ثمّ أسقط العلبة نفسها، وسمع صوت تناثر الماء حين ارتطمت به.

حين عاد إلى الفناء، كان جونا ما زال واقفا خارج المنزل. التقت نظرته بإريك فهزّ رأسه. ذهب إريك إلى الداخل حيث كانت التي تقود الكلب تنحني نحوه وتربّت على رقبته.

سأل إريك: «هل ذهبتِ إلى القبو في الأسفل؟».

أجابت من دون أن تنظر إليه: «بالطبع فعلنا».

«الغرفة الداخليّة؟».

---

(1) وحدة الكلاب البوليسيّة.

«نعم».
«ربّما لم يتمكّن الكلب من شمّ شيء بسبب الرماد».
«بإمكان روكي أن يعثر على جثّة تحت الماء بعمق ستّين مترًا».
«ماذا عن الأشخاص الذين ما زالوا على قيد الحياة؟».
«إذا كان هناك أيّ شيء فسوف يجده روكي».
قال جونا من خلف إريك: «ولكنّك لم تتفحّصي خارج المنزل بعد؟».
قالت الضابطة: «لم أعرف أنّ عليّ ذلك».
«بلى».
رفعت كتفيها ثمّ قالت للكلب: «تعال إذًا، تعال. دعنا نذهب إلى الخارج ونلقي نظرة. هيا بنا».
تبعهم إريك إلى الخارج. هرول الكلب الأسود خلال الأحراش الطويلة، شمّ برميل المياه الذي كانت تغطي سطحه طبقة داكنة من الجليد، ثمّ توجّه نحو شجرة قديمة. كانت السماء داكنة وحبلى بالغيوم. رأى إريك أنّ الجيران علّقوا أضواء ملوّنة على الأشجار. كان الهواء باردًا، وقد جلس ضابطا الشرطة داخل السيّارة. بقي جونا قريبًا من المرأة ومن الكلب وهو يشير بين الحين والآخر إلى شيء يريد منهما التأكّد منه. تبعهم إريك إلى مؤخّرة المنزل. تعرّف على المنحدر في نهاية الحديقة. إنّه المكان الذي ظهر في الصورة كما اعتقد. الصورة التي أرسلتها آيدا إلى بنيامين قبل اختفائه. تنفّس إريك بمشقّة. تشمّم الكلب حول كدس السماد وهو يلهث. مشى حوله ثمّ شمّ الحشائش المنخفضة ومؤخّرة السياج البنّي، قبل أن يتحرّك إلى سلّة من الأوراق وحديقة صغيرة لزراعة الخضروات. كانت هناك عصيّ صغيرة مغروسة في التربة تشير إلى أصناف المزروعات. عوى كلب «اللابردور» الأسود بحزن، ثمّ استلقى في وسط حقل الخضروات الصغير، وانبطح على الأرض الرطبة المزروعة. كان جسد الكلب يهتزّ من الحماسة، وبدا وجه مدرّبة الكلب حزينًا جدًّا وهي تربّت عليه وتمتدحه.
تحرّك إريك نحوهم. استدار جونا بحدّة ومنعه من التقدّم أكثر.

صرخ إريك: «اتركني!».

«حسنًا، اهدأ فقط»، قال جونا وهو يقوده إلى خارج الحديقة.

قال إريك بصوت مرتعش: «عليّ أن أعرف».

أومأ جونا وقال بهدوء: «أشار الكلب إلى وجود بقايا بشريّة تحت الأرض».

انهار إريك على الأرض قرب صندوق الكهرباء. شعر كلّ جسده بالخدر وهو يشاهد رجال الشرطة يخرجون من السيّارة وهم يحملون المجارف. أغلق عينيه.

***

جلس إريك وحده في سيّارة جونا ينظر عبر النافذة الأماميّة. كانت أغصان الأشجار المدبّبة ترتفع باتّجاه سماء الشتاء الداكنة. كان فمه جافًّا، ووجهه ورأسه يؤلمانه. غادر السيّارة وتجاوز الشريط البلاستيكيّ الذي يحيط بالمنطقة. راقب جونا رجال الشرطة بزيّهم الرسميّ وهم يحفرون. تمّ قلب حقل الخضروات برمّته، وتحوّل إلى حفرة واسعة مستطيلة. على غطاء بلاستيكيّ، بالقرب منه كانت مجموعة من الخرق الموحلة وأجزاء من عظام. استمرّ الصوت الصادر من المجارف وارتطام معدن بالصخور، ثمّ توقّف الحفر. اقترب إريك أكثر على ساقين مرتعشين. رأى جونا وهو يستدير نحوه بوجه مرهق.

«ماذا وجدتم؟»، همس إريك.

توجّه جونا نحوه ونظر إلى عينيه: «إنّه ليس بنيامين».

«من هو إذن؟».

«الجثّة مدفونة هنا منذ عشر سنوات تقريبًا».

«طفل؟».

أجاب جونا: «خمس سنوات من العمر ربّما».

«إذن فقد كان لدى ليديا ابن»، قال إريك بصوت خافت.

89

صباح السبت، 19 ديسمبر

تساقط الثلج كئيبًا. كان كلب يركض في الحديقة خارج دائرة الشرطة. جعل الثلج الكلب ينبح، ويثور لمنظر الرقائق الثلجيّة، ثمّ يهزّ جسده. منظر الحيوان السعيد جعل قلب إريك يؤلمه. شعر أنّه قد نسي معنى الحياة الطبيعيّة. لقد نسي معنى ألّا يسيطر عليه إحساس خانق حول ماهيّة الحياة من دون بنيامين.

شعر بالغثيان، وكانت يداه ترتعشان من أعراض انسحاب المهدّئات. لم يأخذ حبّة واحدة منذ أربعة وعشرين ساعة ولم ينم مطلقًا.

وقفت سيمونا في الردهة خارج غرفة الاستجواب. بدت شاحبة ومرهَقة. حين رأت إريك يقترب توجّهت نحوه وأمسكت بيديه. كان ممتنًا لتحيّته بتلك الطريقة.

همست: «ليس عليك أن تكون هنا».

أجاب: «قال كينيت إنّك تريدين منّي القدوم».

أومأت بوهن: «أنا فقط»، تراجعت ثمّ ابتلعت ريقها، «لقد كنت غاضبة منك».كانت عيناها رطبتين وحمراوين.

«أعرف يا سيمونا».

قالت: «أنت لديك أقراصك الدوائيّة على الأقلّ».

أجابها: «نعم».

أدارت له ظهرها ووقفت لتحدّق عبر النافذة. نظر إريك إلى قامتها الرشيقة وهي تلفّ ذراعيها حول جسدها. كان جلدها مقشعرًّا من الهواء البارد الخارج من فتحة التهوية بالقرب من النافذة. فُتح الباب المؤدّي إلى غرفة الاستجواب، وظهرت امرأة ضخمة الجسد ترتدي الزيّ الرسميّ للشرطة ونادتهما بهدوء.

«تفضّلا بالدخول رجاء».

ابتسمت لهما. كانت تضع أحمر شفاه ورديًا. توجهت إلى سيمونا وقالت: «اسمي آنيا لارشون. سوف أقوم بتدوين إفادتكِ».

مدّت لهما المرأة يدًا جميلة مستديرة. كانت أظافرها طويلة ومطليّة باللون الأحمر ولها حافّات لامعة.

قالت سيمونا بشرود: «جيّد».

كان جونا يجلس في الغرفة. ملأ قدحيهما بالماء. كانت سترته معلّقة على ظهر كرسيّه. بدا شعره الأشقر مشعثًا وكأنّه لم يُغسَل منذ مدّة. لم يكن قد حلق ذقنه أيضًا. جلسا أمامه. سعلت سيمونا بهدوء ثمّ تناولت رشفة من قدحها. حين وضعته جانبًا لامست يد إريك. التقت عيناهما وهي تقول له كلمة «آسفة».

وضعت آنيا لارشون جهاز التسجيل الرقميّ على الطاولة بينهما، ثمّ ضغطت على زرّ التسجيل. تأكّدت من اشتعال الضوء الأحمر، ثمّ قدّمت تفصيلًا موجزًا عن التأريخ والوقت وعن المتواجدين في الغرفة، ثمّ توقفت لثوانٍ وهي تميل رأسها جانبًا وتقول بصوت مرح ودود: «حسنًا يا سيمونا، نحن نرغب في أن نسمع إفادتك عمّا حصل في ليلة أمس الأوّل في شقّتك في شارع 'لونتماكر' رجاء».

أومأت سيمونا. نظرت نحو إريك ثمّ غضّت بصرها: «لقد كنت في المنزل...». ثمّ صمتت.

«هل كنتِ وحدك؟»، سألت آنيا لارشون.

هزّت سيمونا رأسها وقالت بصوت هادئ: «كان سيم شولمان معي».

كتب جونا ذلك في مفكّرته.

«هل بإمكانك إخبارنا كيف تعتقدين أنّ جوزيف وإيڤلين إيك دخلا إلى شقّتك؟»، سألت آنيا.

«لا أعرف حقًّا، لأنّي كنت في الحمام». قالت سيمونا ببطء وتحوّل لون وجهها إلى الأحمر. ثمّ تلاشى الاحمرار تاركًا تألّقًا حيويًّا على وجنتيها.

«لقد كنت في الحمام، طرق سيم على الباب كي يخبرني بأنّ أحدهم يرنّ جرس المنزل. لا! توقّفي. انتظري، أخبرني بأنّ هاتفي يرنّ».

كرّرت آنيا لارشون: «لقد كنتِ في الحمّام وسمعت سيم شولمان يقول إنّ هاتفك يرنّ».

«نعم. وطلبت منه أن يردّ».

«من كان المتّصل؟».

«لا أعرف».

«لكنّه أجاب على الهاتف؟».

«أعتقد ذلك. أنا واثقة من أنّه فعل».

سأل جونا: «كم كان الوقت عندئذ؟».

تلعثمت سيمونا وكأنّها لم تكن قد رأته من قبل.

«لا أعرف»، قالت وهي تنظر إليه.

من دون أن يبتسم سألها: «تقريبًا؟».

رفعت سيمونا كتفيها ثمّ قالت متردّدة: «الساعة الخامسة».

«ليست الرابعة؟»، سأل جونا.

«ما الذي تعنيه؟».

«أردت أن أعرف فقط».

«إذن الساعة الخامسة»، قال جونا وهو يدوّن ذلك.

سألت آنيا: «ماذا كنت تفعلين قبل أن تدخلي الحمام؟ من الأسهل تذكّر الوقت إذا راجعت يومك بأكمله».

هزّت سيمونا رأسها. بدت مرهقة جدًّا. لم تكن تنظر إلى إريك إطلاقًا. كان يجلس بصمت إلى جوارها وقلبه يخفق بشدّة.

قال إريك: «لم أعرف»، ثمّ أجبر نفسه على التوقّف.

نظرت نحوه متسائلةً. فتح فمه ثانية: «لم أعرف أنّكِ وشولمان كنتما...».

أومأت له. وقالت: «لقد كنّا يا إريك».

نظر إليها ثمّ إلى ضابطة الشرطة ثمّ إلى جونا.

قال متلعثمًا: «آسف على المقاطعة».

مع ابتسامة متسامحة، استدارت آنيا نحو سيمونا: «واصلي أرجوك. أخبرينا بما حصل. لقد أخبرك سيم شولمان بأنّ هاتفك يرنّ».

«ذهب إلى المدخل ثمّ...».

توقّفت سيمونا ثمّ تداركت: «لا. ذلك غير صحيح. سمعتُ سيم يقول 'هناك أحد عند الباب أيضًا'. انتهيت من الاستحمام، جفّفت نفسي، ثمّ فتحت الباب بحذر ورأيت...».

سأل جونا: «لماذا بحذر؟».

«ماذا؟».

«لماذا فتحت الباب بحذر؟».

«لا أعرف. شعرت، شعرت بشيء في الجوّ يهدّدني -لا يمكنني توضيح ذلك».

«هل سمعتِ شيئًا؟».

«لا أعتقد». وحدّقت إلى الفراغ أمامها.

قالت آنيا: «استمرّي».

«رأيت فتاة عبر فتحة الباب الضيّقة. كانت امرأة شابّة تقف وسط الرواق، نظرت إليّ، بدت مرتعبة ثمّ أخبرتني بأنّ عليّ الاختباء».

قطّبت سيمونا حاجبيها.

«ذهبت إلى المدخل ورأيت سيم على الأرض، والكثير من الدم، كانت عيناه ترتعشان وهو يحاول أن يحرّك يديه».

صار صوت سيمونا خافتًا، ولاحظ إريك أنّها كانت تحاول بجهد ألّا تبكي. تمنّى لو كان باستطاعته التخفيف عن زوجته، ودعمها والإمساك بيديها، أو احتضانها. لكنّه لا يعلم إن كانت ستدفعه بعيدًا أو ستغضب إذا حاول ذلك.

اقترحت آنيا بلطف: «هل نأخذ استراحة؟».

«أنا... أنا». استسلمت سيمونا، ورفعت كأس الماء إلى شفتيها بيدين مرتعشتين. ابتلعت قليلًا ومسحت عينيها. وأكملت:

«كان الباب الأمامي مغلقًا بالمفتاح. قالت الفتاة لي إنّه يحتفظ بالمفتاح في المطبخ. لذلك تسلّلت إلى غرفة بنيامين وشغّلت حاسوبه».

سألت آنيا: «شغّلتِ حاسوبه؟ لماذا؟».

«أردته أن يعتقد بأنّني هناك. كنت آمل أن يسمع صوت الحاسوب ويندفع إلى غرفة بنيامين».

«عمّن تتحدّثين؟».

أجابت: «جوزيف».

«جوزيف إيك؟».

«نعم».

«كيف عرفت بأنّه هو؟».

«لم أعرف في ذلك الوقت».

قالت آنيا: «واصلي».

«شغّلت الحاسوب وعدت للاختباء في الحمّام. حين سمعتهما يتّجهان إلى غرفة بنيامين، تسلّلت إلى المطبخ وأخذت المفتاح. حاولت الفتاة حمل جوزيف على التفتيش في أماكن مختلفة لأجل تأخيره. سمعتها تفعل ذلك، ولكنّي أعتقد بأنّه تكهّن بأنّ شيئًا ما على غير ما يرام، لأنّ جوزيف أتى فجأة خلفي. حاولت الفتاة أن توقفه، تشبّثت بساقيه و...».

ابتلعت سيمونا ريقها بصعوبة.

«لكن تمكّن من إبعادها عنه. ثمّ تظاهرت الفتاة بأنها جريحة. لطّخت رقبتها بدماء سيم وتمدّدت متظاهرة بأنّها أصيبت...».

بدت سيمونا وكأنّها تعاني من صعوبة في التنفّس.

شجعتها آنيا بلطف. فواصلت سيمونا: «رآها جوزيف وعاد إليها، وحين انحنى نحوها، طعنته بالسكّين في صدره. أعتقد أنّه مات فورًا».

«هل رأيت من الذي أصاب شولمان؟».
«لقد كان جوزيف».
«هل رأيت ذلك؟».
«لا ».
عمّ الصمت ثانية.
همست سيمونا: «لقد أنقذت إيڤلين إيك حياتي».
«هل ترغبين في إضافة أيّ شيء؟».
«لا».
«في هذه الحالة، أودّ أن أشكرك على تعاونك، وأعلن أنّ هذا الاستجواب قد انتهى»، قالت آنيا ومدّت يدها لإيقاف التسجيل.
قال جونا: «انتظري! من الذي اتّصل؟».
نظرت سيمونا إليه دهِشة، وكأنّها نسيت وجوده ثانية.
«من الذي اتّصل على هاتفك الخليويّ؟».
هزّت رأسها. «لا أعرف... أنا لا أعرف حتّى ما الذي حصل لهاتفي؟».
قال جونا مطمئنًا: «لا تقلقي، سوف نجده».
انتظرت آنيا لارشون لعدّة ثوان. نظرت إليهم حائرة ثمّ أوقفت التسجيل.
نهضت سيمونا وغادرت الغرفة ببطء. أومأ إريك لجونا بكياسة ثمّ تبعها.
«انتظري!». توقّفت واستدارت.
«توقّفي. أنا أريد فقط...».
تراجع ثمّ نظر إلى وجهها الرقيق ونمشها النبيذي اللون وفمها الممتلئ وعينيها الخضراوين. من دون أيّ كلمة، تعانقا مرهقَيْن وحزينين.
قال: «سيكون كلّ شيء على ما يرام». وقبّل شعرها الأحمر المجعّد.
همست: «لا أعرف أيّ شيء بعد الآن».

«سأرى إن كانوا يمتلكون غرفة كي تحظي ببعض الراحة».

انسحبت منه برفق ثمّ هزّت رأسها.

«أحتاج إلى العثور على هاتفي الخليويّ. يجب أن أعرف من الذي اتّصل حين أجاب شولمان».

خرج جونا من غرفة الاستجواب.

سأله إريك: «هل تحتفظون بهاتف سيمونا الخليوي هنا؟».

أشار جونا نحو آنيا التي كانت تتوجّه إلى المصعد عبر الرواق، وأجاب: «آنيا ستعرف».

كان إريك على وشك أن يتبعها، ولكنّ جونا أشار إليه أن ينتظر. أخرج هاتفه ثمّ أجرى اتّصالًا. رأى آنيا تتوقّف وتجيب على هاتفها: «علينا أن نتأكّد من بعض الأمور الإداريّة»، قال جونا.

استدارت نحوهم بسأم بينما توجّهوا نحوها.

قال: «كانت آنيا رياضيّة حين شرعت بالعمل هنا. سبّاحة ماهرة، سباحة الفراشة... حلّت في المرتبة الثامنة في الألعاب الأولمبية في...».

قاطعته آنيا: «إذن أيّة أعمال إدارية تريد التأكّد منها؟».

«لا تنزعجي منّي».

«أنت تتفوّه بالكثير من الهراء».

«كنت أشيد بك قبل قليل».

قالت مبتسمة: «نعم، نعم».

«هل لديك لائحة بالأغراض التي أحضرناها إلى هنا لأجل التحليل؟».

«لم تكتمل اللائحة بعد. عليك أن تذهب إلى الأسفل وتتأكّد».

توجّهوا نحو المصعد معها. ترجّلت آنيا في الطابق الثاني، ثمّ لوّحت لهم مودّعة حين أُغلق الباب.

ساروا عبر ردهة محاطة بالأبواب في الطابق الأرضيّ. كانت الجدران مغطّاة بألواح الملاحظات ومطافئ الحريق، والمختبر مضاء بشكل جيّد،

ومعظم العاملين يرتدون المعاطف البيضاء. صافح رجل بدين جدًّا جونا، وقدّم نفسه إليهم باسم إريكسون، ثمّ أرشدهم إلى غرفة أخرى، حيث مجموعة من الأغراض مرتّبة على طاولة معدنيّة. تعرّف إريك عليها: اثنتين من سكاكين المطبخ ملطّخة ببقع داكنة، منشفة مألوفة، ممسحة الأرجل، عدّة أزواج من الأحذية وهاتف سيمونا الخليويّ في كيس من البلاستيك. أشار جونا إلى الهاتف، وقال: «نحتاج إلى رؤية هذا. هل انتهيت منه؟».

نظر الرجل البدين إلى اللائحة قرب الأغراض وبحث خلالها، ثمّ قال متردّدًا: «أعتقد ذلك. نعم. تمّ فحص غطاء الهاتف الخارجيّ بحثًا عن البصمات».

أخرجه جونا من الكيس البلاستيكيّ. مسحه بمنديل ورقيّ ثمّ أعطاه من دون مبالاة لسيمونا.

بحثت عبر قائمة المكالمات. همهمت بشيء ما، ثمّ وضعت يدها على فمها وكتمت صرخة حين رأت الشاشة.

تلعثمت: «إنّه بنيامين! المكالمة الأخيرة أتت من بنيامين».

تجمّعوا حول الهاتف. التمع اسم بنيامين لعدّة مرّات قبل أن تموت البطّاريّة تمامًا.

قال إريك رافعًا صوته: «هل تحدّث شولمان إلى بنيامين؟».

أجابت بوهن: «لا أعرف».

«لقد أجاب، أليس كذلك؟ ذلك كلّ ما أسأل بشأنه؟».

«كنت في الحمّام. أعتقد أنّه أجاب على الهاتف قبل أن...».

قال إريك: «بإمكانك أن تعرفي طبعًا إن كانت المكالمة اللعينة تلك فائتة أم مستلمة».

«لم تكن فائتة»، قالت، «لكنّي لست متأكّدة إن كان سيم قد استطاع أن يسمع أو يقول شيئًا قبل أن يفتح الباب لجوزيف».

«لم أقصد الانفعال عليكِ»، قال إريك وهو يحاول أن يبدو هادئًا، «ولكن يجب أن نعرف إن كان بنيامين قد قال شيئًا ما».

استدارت سيمونا نحو جونا. وسألت:

«أليست كلّ المكالمات الهاتفيّة مسجّلة هذه الأيّام؟».

«قد يستغرق الأمر بضعة أسابيع للحصول عليها».

وضع إريك يده على ذراع سيمونا وقال: «نحتاج إلى التحدّث مع شولمان».

«ذلك مستحيل. إنّه في غيبوبة»، قالت وهي تزداد ضيقًا.

«تعالي معي»، قال إريك، وغادرا الغرفة.

90

مساء السبت، 18 ديسمبر

جلست سيمونا إلى جوار إريك في السيّارة وهي تتشبّث به بين حين وآخر. كانت السيّارات أمامهما تشكّل صفًّا غير منتهٍ وأضواء الشارع تمتدّ إلى ما لا نهاية. كانت السيّارة مليئة بقوارير الماء الفارغة، علب الصودا، علب البيتزا، الصحف، الأكواب الورقيّة، المناديل الورقيّة، أكياس رقائق البطاطس الفارغة، وأغلفة الحلوى.

قاد إريك إلى مستشفى «داندِريد»، حيث يرقد سيم شولمان في غيبوبة، وهو يعلم تمامًا ما الذي سيفعله حين يصل إلى هناك. حدّق إلى سيمونا. بدت أنحف وبدا وجهها حزينًا وقلقًا. شعر بالتركيز الشديد. فكّر في أنّه يفهم ما يحصل له ولعائلته. حاول أن يوضح ذلك لسيمونا.

«حين أدركنا أنّ جوزيف ليس من أخذ بنيامين فقد طلب جونا منّي أن أبحث في ذاكرتي»، قال وهو يكسر الصمت المخيّم في السيّارة، «أخذت أبحث في ماضيّ عن أيّ شخص من المحتمل أن يحمل ضغينة ضدّي».

سألت سيمونا: «على ماذا عثرت؟».

تمكّن من رؤيتها وهي تنظر نحوه من زاوية عينه.

«مجموعتي القديمة للتنويم المغناطيسيّ. لقد كان ذلك منذ عشرة أعوام فقط، ولكنّي لم أفكّر فيهم يومًا. كان ذلك أشبه بفصل مغلق من حياتي. بطريقة ما تمكّنت من نسيان الكثير منه، ولكنّي أحاول الآن بجهد أن أتذكّر. بدا وكأنّ المجموعة لم ترحل أبدًا، وكأنّ أفرادها كانوا في انتظاري بعيدًا عن الأنظار».

رأى إريك سيمونا تنظر إليه مستفهمةً. واصل الكلام محاولًا أن يُوضح النظريّات التي كوّنها عن أعضاء المجموعة، التوتّر بين المرضى، السلوك المتّزن الذي حاول اتّباعه، ثمّ انهيار الثقة النهائيّ.

«حين فشل ذلك، أقسمت ألّا أنوّم أيّ شخص مغناطيسيًّا مرّة أخرى».

«أعرف».

«لكنّي خرقت ذلك العهد حين أقنعني جونا بأنّها كانت الطريقة الوحيدة لإنقاذ إيڤلين إيك».

«هل تعتقد أنّ هذا هو سبب كلّ ما حصل لنا؟ لأنّك قمت بتنويمه؟».

«لا أعرف».

توقّف إريك ثمّ قال إنّ ذلك ربّما تسبّب في إيقاد كراهية كامنة، كراهية ربّما تمّ تجاوزها بوعده أن يترك التنويم المغناطيسيّ إلى الأبد.

«هل تتذكّرين إيڤا بلاو؟ كانت تترنّح بين حالات من الذهان. تعلمين أنّها قامت بتهديدي قائلة إنّها سوف تقوم بتدمير حياتي».

«لم أفهم أبدًا لماذا»، قالت سيمونا بهدوء.

«كانت خائفة من أحدهم، واعتقدتُ بأنّها مصابة بالرهاب المرضيّ، لكنّي الآن متأكّد تمامًا من أنّه قد تمّ تهديدها من قِبل ليديا».

«أن تكون مصابًا بالرهاب لا يعني ذلك عدم وجود من يلاحقك».

انعطف إريك نحو مجموعة المباني الزرقاء لمستشفى «داندِريد»، كان المطر يجلد زجاج السيّارة الأماميّ. قال:

«ربّما كانت ليديا هي من قامت بتشويه وجهها أيضا»، همس لنفسه.

انتفضت سيمونا. وسألت: «أحدهم شوّه وجهها؟».

«اعتقدت أنّها فعلت ذلك لنفسها، لأنّها كانت تبدو من ذلك النوع. اعتقدت أنّها قامت ببتر طرف أنفها في محاولة يائسة للشعور بشيء مختلف، لتلافي السبب الحقيقيّ الذي كان يسبّب لها كلّ ذلك الألم».

قاطعته سيمونا بحماسة: «انتظر! هل تمّ بتر أنفها؟».

«طرف أنفها... نعم».

«عثرت أنا وأبي على صبيّ مجدوع الأنف. ألم يخبرك أبي بذلك؟ كان مذعورًا. قام أحدهم بتهديده لأنّه كان يزعج بنيامين».

«إنها ليديا».

«هل هي الشخص الذي اختطف بنيامين؟».

«نعم».

«ما الذي تريده؟».

نظر إريك إليها بجدّيّة: «تعرفين بعض هذا من قبل. لقد اعترفت ليديا تحت التنويم بأنّها كانت تحتجز ابنها كاسبر في قفص في القبو وتجبره على تناول الطعام المتعفّن».

كرّرت سيمونا: «كاسبر!».

«حين أخبرني كينيت بما قالته آيدا عن امرأة تنادي بنيامين باسم كاسبر، علمت أنّها ليديا، ولهذا هرعت إلى الخارج. ذهبت إلى منزلها في 'روتبيرو' ولكن لم يكن هناك أحد. لقد كان مهجورًا».

قاد إلى جوار صف من السيّارات المتوقّفة، ولكن لم يكن هناك مكان شاغر، فغادر موقف السيّارات.

واصل إريك: «حدث حريق في قبو ليديا. افترضت أنّه أُحرق عمدًا، وكانت هناك بقايا قفص كبير».

قالت سيمونا: «ولكن لم يكن هناك قفص سابقًا. وكان هناك إثبات بأنّها لم تنجب طفلًا أبدًا».

«أحضر جونا معه وحدة الكي9، وقد عثرت على بقايا لطفل مدفون في الحديقة منذ عشرة أعوام».

همست سيمونا: «يا إلهي!».

«أعتقد أنّها قتلت الطفل في القبو، وأخفت القفص حين أدركت أنّه قد تمّ كشفها».

همست سيمونا: «إذن فقد كنت على حقّ طوال الوقت».

«يبدو كذلك».

«هل تريد قتل بنيامين؟».

«لا أعرف... ربّما تعتقد أنّ الأمر كلّه كان خطئي. لو لم أقم بتنويمها مغناطيسيًّا فربّما كانت ستتمكّن من الاحتفاظ بالطفل».

تذكّر إريك صوت بنيامين على الهاتف حين اتّصل به.

الطريقة التي بدا بها صوته وهو يتحدّث عن المنزل المسكون. لا بدّ من أنّه قصد منزل ليديا المسكون. إنّهم بحاجة الآن إلى العثور عليه فقط.

91

مساء السبت، 19 ديسمبر

توقّف إريك أمام المدخل الرئيسيّ لمستشفى «داندِريد». أسرعا من دون إقفال السيّارة أو دفع رسم الوقوف. مرّا بالنافورة الموحشة المغطّاة بالثلج، وبالقرب من مجموعة من المدخّنين المرتجفين بردًا وهم يرتدون البرانس. دخلا عبر الباب الدوّار، واستقلّا المصعد إلى الردهة التي يُعالَج فيها سيم شولمان.

فاحت غرفته برائحة الزهور، وازدحمت عتبة النافذة بالمزهريّات التي تحمل باقات الزهور. كان هناك كدسٌ من البطاقات والرسائل من الأصدقاء ومن الفنّانين على الطاولة.

نظر إريك إلى الرجل النائم على سرير المستشفى. وجنتاه غائرتان، والحركة المنتظمة لصدره تماثل التنهّد المنتظم لجهاز التنفّس. كان في حالة من الخمول الشامل، تبقيه الأجهزة الطبّيّة على قيد الحياة. تمّ إدخال الأوكسجين إلى جسده عبر فتحة في حنجرته، ويتمّ إطعامه بواسطة أنبوب يتّصل بمعدته مباشرة.

«سيمونا، ستقومين بالتحدث إليه حين يصحو».

أوضحت سيمونا بصوت مرتعش: «لا يمكننا إيقاظه. إنّه في غيبوبة يا إريك».

مسحت الدموع عن وجنتيها.

قلت: «يجب أن نعرف ما الذي قاله بنيامين حين...».

صرخت: «توقّف عن ذلك!»، وأخذت تنتحب بصوت مرتفع.

نظرت ممرّضة إلى داخل الغرفة، ورأت إريك يحتضن جسد سيمونا المرتعش فتركتهما لوحدهما.

همس إريك في شعرها: «سوف أقوم بإعطائه حقنة 'زولبيديم'، إنّه مخدّر قويّ ولكن بإمكانه إيقاظ الأشخاص من حالة الغيبوبة».

شعر بها تهزّ رأسها: «ما الذي تتحدّث عنه؟».

«إنّه يعمل لفترة قصيرة جدًّا».

قالت مشكّكة: «أنا لا أصدّقك».

«المسكّن يقوم بإخماد حالة النشاط المفرط في الدماغ والتي تؤدّي إلى الغيبوبة».

«هل سيصحو إذن؟ هل هذا ما تقصده؟».

«سوف يستعيد وعيه تمامًا. إنّه يعاني من تلف شديد في الدماغ، ولكن قد يجعله هذا المسكّن صاحيًا لعدّة ثوانٍ».

«ما الذي يتعيّن عليّ فعله؟».

«أحيانًا يتمكّن المريض الذي يأخذ هذا الدواء من نطق بضع كلمات. أحيانًا يتمكّنون من النظر حولهم فقط».

«هذا غير قانونيّ، أليس كذلك؟».

«لن أنتظر الحصول على إذن أحد. سأفعل ذلك، وعليك أن تتحدّثي إليه إذا استيقظ».

قالت: «أسرِع إذن».

غادر إريك لجلب الأدوات التي يحتاج إليها. جلست سيمونا بجوار شولمان على السرير وأمسكت بيده. نظرت إليه، كان وجهه هادئًا، وملامحه الداكنة القويّة تبدو رقيقة في حالة الاسترخاء تلك. لقد أخرس ذلك الرجل المتهكّم الحسّاس. لامست جبهته برقّة وهي تفكّر في أنّها ستواصل عرض أعماله الفنّيّة. إنّ الفنّان الحقيقيّ العظيم لا يمكن أن يموت.

عاد إريك إلى الغرفة. توجّه إلى السرير من دون أيّ كلمة وأدار ظهره إلى الباب ثمّ رفع كُمّ قميص شولمان بحذر.

سأل: «هل أنت مستعدّة؟».

«نعم، مستعدّة».

أخرج إريك الحقنة، ربطها بجهاز الحقن الوريديّ ثمّ حقن السائل

الأصفر ببطء فاختفى تدريجيًّا في مكوّنات المحلول، ثمّ انساب في ذراع شولمان. أعاد إريك الحقنة إلى جيبه ثمّ فتح أزرار معطفه ونقل الأقطاب الطبّية من صدر شولمان إلى صدره، ورفع المشبك من سبّابة شولمان واضعًا إيّاه على سبّابته هو، ثمّ اتّخذ وضعًا يسمح له بمراقبة وجه شولمان.

لم يحدث أيّ شيء إطلاقًا. راح صدر شولمان يصعد ويهبط ببطء بمساعدة جهاز التنفّس.

صار فم إريك جافًّا وشعر بأنّه يتجمّد من البرد.

«هل نغادر؟»، قالت سيمونا بعد مدّة.

همس إريك: «انتظري فقط».

كانت ساعة رسغه تتكتك ببطء. سقطت بتلة من إحدى الزهور، ضربت بضع قطرات من المطر النافذة، سُمع صوت امرأة تضحك في غرفة بعيدة. أصدر جسد شولمان هسيسًا ضعيفًا أشبه بنسيمٍ رقيق خلال نافذة نصف مفتوحة.

شعرت سيمونا بالعرق يقطر من إبطيها. بدا الوضع خانقًا تمامًا. كلّ ما رغبت فيه هو الهرب من الغرفة، ولكنّها لم تستطع أن تحيد ببصرها عن رقبة شولمان. اعتقدت فجأة أنّ وريده الوداجيّ كان ينبض بصورة أسرع. كان إريك يتنفّس بثقل، وحين انحنى نحو شولمان بدا عصبيًّا وهو يعضّ على شفته السفلى، وينظر إلى ساعته بين حين وآخر. سمعا صوت مرور عربة في الرواق، ثمّ أضحت الغرفة صامتة مرّة أخرى. كان الصوت الوحيد هو هدير الأجهزة الطبّيّة.

فجأة، سُمع صوت خربشة خفيضة. لم تفهم سيمونا من أين تأتي. تنحّى إريك جانبًا. استمرّ صوت الخربشة وأدركت سيمونا أنّه يأتي من شولمان بالتأكيد. اقتربت منه ورأت سبّابته تتحرّك ببطء فوق ملاءة السرير. شعرت بنبضها يتسارع، وكانت على وشك قول شيء لإريك حين فتح شولمان عينيه.

كان يحدّق مباشرة إليها بنظرة غريبة في عينيه. التوى فمه بإحساس شبيه بالخوف، وكان اللعاب يقطر من ذقنه.

قالت وهي تأخذ يده بين يديها: «هذه أنا سيم. هذه أنا. أريد أن أسألك عن أمور مهمّة».

ارتعشت أصابع شولمان ببطء. عرفت أنّه يستطيع رؤيتها، ولكن عينيه دارتا فجأة إلى الخلف. أغلق فمه وأخذت الأوردة في صدغيه تنبض بشكل مرئيّ.

«لقد أجبت على هاتفي حين اتّصل بنيامين، هل تتذكّر؟».

إريك الذي كان قد ربط أقطاب شولمان إلى صدره، كان يراقب الشاشة حين أخذ نبضه يتصاعد. كانت قدما شولمان تتحرّكان تحت الأغطية.

سألت: «سيم، هل بإمكانك سماعي؟ أنا سيمونا هل تسمعني يا سيم؟».

أعاد فتح عينيه، ولكنّه نظر إلى الجانب بسرعة. تمكّنت من سماع صوت خطوات في الردهة، ثمّ صوت امرأة تنادي بشيء ما.

كرّرت: «لقد أجبت على هاتفي؟».

أومأ بوهن.

واصلت: «كان ابني؟ بنيامين هو من اتّصل؟».

أخذت قدماه ترتعشان ثانية، وانقلبت عيناه إلى الخلف.

سألت سيمونا: «ما الذي قاله بنيامين؟».

ابتلع شولمان ريقه، وأغلق عينيه ببطء.

«سيم، ما الذي قاله؟».

هزّ رأسه.

«ألم يقل أيّ شيء؟».

«لم يكن...». همس شولمان.

«ما الذي تقوله؟».

«لم يكن بينيا...». قال بصوت غير مسموع تقريبًا.

«ألم يقل أيّ شيء؟»، سألت سيمونا ثانية.
«ليس... هو»، قال شولمان بصوت ضعيف خائف.
«ماذا؟».
«يوسي».
سألت: «ما الذي تقوله؟».
«اتّصل يوسي».
ارتعش فم شولمان.
سأل إريك: «أين كان؟ اسأليه أين كان يوسي؟».
سألت سيمونا: «أين كان؟ هل تعرف؟».
«في المنزل»، أجاب شولمان بوهن.
«هل كان بنيامين هناك أيضًا؟».
تهاوى رأس شولمان جانبًا. ارتخى فمه وتدلّى ذقنه. حدّقت سيمونا بقلق إلى إريك. لم تكن تعرف ما ستفعله.
سأل إريك: «هل كانت ليديا هناك؟».
نظر إليه شولمان ثمّ أغلق عينيه ببطء.
سألت سيمونا: «هل كانت ليديا هناك؟».
أومأ شولمان.
«هل قال يوسي أيّ شيء عن...».
توقّفت سيمونا حين أخذ شولمان يئنّ بصوت مسموع. داعبت وجنته برفق، فنظر إلى عينيها فجأة.
«ما الذي حصل؟»، سأل بشكل واضح تمامًا ثمّ غرق ثانية في غيبوبته.

92

مساء السبت، 19 ديسمبر

دخلت آنيا إلى غرفة جونا، وسلّمته بصمت ملفًّا وكوبًا من النبيذ الساخن. نظر إلى وجهها المستدير الورديّ وللمرّة الأولى لم تكن تبتسم.

قالت وهي تشير إلى الملفّ: «لقد تعرّفوا على الطفل».

قال جونا: «شكرًا».

هناك شيئان يكرههما جونا، فكّر وهو ينظر إلى الملفّ البنّيّ، الأوّل هو اضطراره إلى ترك قضيّة (التراجع عن الجثث المجهولة، حوادث اغتصاب غير محلولة، سرقات، اعتداءات وجرائم قتل) والشيء الآخر الذي يكرهه هو حين يتمّ حلّ تلك الجرائم الغامضة، لأنّه حين تتوضّح الألغاز القديمة فإنّ ذلك قلّما يحدث بالطريقة التي يريدها.

فتح جونا لينا الملفّ وقرأ. الرفات في حديقة ليديا إيڤرسون يعود لصبيّ، كان في الخامسة حين قُتل. جمجمة مكسورة تسببت بها ضربة بأداة يُعتقد أنّها كانت سبب الوفاة، وهناك أيضًا الكثير من الإصابات التي تعافت كلّيًّا أو جزئيًّا على الهيكل العظميّ، والتي تشير إلى عنف متكرّر ومستمرّ. «إساءة معاملة»، كتب طبيب التشريح ذلك وأتبعها بعلامة استفهام. كان الطفل قد ضُرب بشكل سيّئ بحيث عانى من كسور في العظام والجمجمة. تعرّض ظهره وذراعاه للضرب بأداة ثقيلة، وقد ظهرت على الهيكل العظميّ مجموعة من التشوّهات التي تشير إلى تجويع الطفل.

نظر جونا من النافذة لفترة. لا يمكنه أبدًا أن يعتاد على هذا. قال لنفسه سابقًا إنّه في اليوم الذي يفعل فيه ذلك فسوف يتوقّف عن عمله كمحقّق. مرّر يده خلال شعره الكثيف. ابتلع ريقه ثمّ واصل القراءة.

تمّ التعرّف على الصبيّ. اسمه هو يووان ساميولسون، وقد تمّ تسجيله كمفقود منذ ثلاثة عشر عامًا. والدته إيزابيلا ساميولسون قالت إنّها كانت في الحديقة مع ابنها حين رنّ الهاتف داخل المنزل. لم تأخذ طفلها إلى الداخل، وخلال العشرين أو الثلاثين ثانية التي ردّت خلالها على الهاتف -حين أدركت أنّه لم يكن هناك أحد على الخطّ وأغلقته، كان طفلها قد اختفى.

كان عمر يووان سنتين حين فُقِد، وقُتِل وهو في الخامسة. ثمّ لبثت رفاته مدفونةً في حديقة خضروات ليديا إيڤرسون لمدّة عشرة أعوام. كانت صورة ليديا تُظهر امرأة جذّابة جدًّا، لها شعر أحمر متوسّط الطول، وابتسامة غريبة نوعًا ما. لكن كان الغضب يختبئ خلف المظهر الجميل.

تسبّبت له رائحة النبيذ المنبعثة من الكوب بالغثيان. نهض جونا وفتح النافذة. نظر إلى الأسفل، إلى الساحة الداخليّة لقسم الشرطة، أطراف الأشجار المدبّبة، الإسفلت اللامع الرطب.

احتجزت ليديا الطفل لثلاثة أعوام، فكّر جونا، ثلاثة أعوام من الكتمان، ثلاثة أعوام من الضرب والجوع والخوف.

«هل أنت بخير يا جونا؟»، قالت آنيا وهي تمدّ رأسها داخل الغرفة.

قال: «سأذهب للتحدّث مع الوالدين».

قالت آنيا: «أنا واثقة من أنّ نيكلسون يستطيع فعل ذلك».

«لا».

«بدافع النبل؟».

قال جونا: «إنّها قضيّتي. سأذهب».

«أنا أتفهّم».

«هلّا بحثت لي عن مجموعة عناوين في الوقت الحاليّ؟».

أجابت مبتسمة: «بالتأكيد سأفعل يا عزيزي».

«ليديا إيڤرسون. أريد أن أعرف أين كانت خلال الثلاثة عشر عامًا الفائتة؟».

كرّرت: «ليديا إيڤرسون».

بدا عليه الحزن حين التقط قبّعته ومعطفه وتوجّه لإخبار إيزابيلا ويواكيم ساميولسون ببالغ الأسى أنّه قد عُثر على ابنهما يووان.

اتّصلت آنيا به لاحقًا، وكان يقودِ في مركز المدينة.

«كان ذلك سريعًا!»، قال محاولًا أن يبدو متحمّسًا، ولكنّه لم ينجح.

قالت آنيا: «ذلك هو عملي».

سمعها تأخذ نفسًا عميقًا. رأى سربًا من الطيور السوداء يحلّق فوق أحد الحقول المغطّاة بالثلج. فكّر في الصورتين الفوتوغرافيّتين ليووان اللتين كانتا في الملفّ. في الأولى كان يقهقه وهو يرتدي زيّ ضابط شرطة، وكان شعره طويلًا ومنسدلًا، وفي الثانية بقايا عظام تستقرّ على طاولة معدنيّة، وقد تمّ ترقيمها بعناية.

تمتم لنفسه: «يا له من كابوس لعين!».

«انتبه لما تقوله».

«آسف يا آنيا. إنّها سيّارة أخرى».

«حسنًا، حسنًا، ولكنّي لا أحبّ الشتم».

«لا، أعرف»، قال وهو غير قادر على مجاراتها في المزاح.

أدركت آنيا أخيرًا أنّه لم يكن في مزاج جيّد، وقالت بصوت معتدل: «إنّ المنزل الذي وجدت فيه رفات يووان ساميولسون يعود إلى والدَيّ ليديا إيڤرسون. لقد ترعرعت هناك، وكان ذلك عنوانها المسجّل الوحيد».

«هل لديها أيّة عائلة؟ والدان؟ أشقّاء؟».

«انتظر. أنا أقرأ... لا يبدو الأمر كذلك... لا يوجد سجلّ لوالدها، ووالدتها لم تعد على قيد الحياة».

سأل جونا ثانية: «لا إخوة ولا أخوات؟».

«لا»، قالت آنيا وسمعها تقلّب في أوراقها، «انتظر للحظة. كان هناك واحد. كان لديها شقيق أصغر، ولكن يبدو أنّه مات في طفولته».

«كم كان عمر ليديا حين مات؟».

«كانت في العاشرة».

«وكانت تعيش دومًا في ذلك المنزل؟».

«لا ليس ذلك ما قلته»، قالت آنيا، «لقد عاشت في مكان آخر، لثلاث مرّات في الحقيقة».

«أين؟».

«أولّيروكِر، مصحّة أولّيروكِر النفسيّة».

«لثلاث مرّات؟».

«ذلك ما يقولونه».

قال جونا بهدوء لنفسه: «هناك أجزاء مفقودة».

«ماذا قلت؟».

«ما زالت هناك الكثير من الأجزاء المفقودة، لا أستطيع إدراكها الآن. عليّ أن أوضح للوالدين لماذا أخذت ليديا طفلهما».

93

مساء السبت، 19 ديسمبر

انعطف جونا نحو الطريق الضيّق في «سالتشابودِن» حيث يعيش والدا يووان ساميولسون. يعود منزلهما ذو اللون النحاسي والأسطح المدبّبة للقرن الثامن عشر، وكان في فنائه منزل قديم للعب، وخلف الجرف الصخريّ تمكّن من رؤية المياه الثقيلة السوداء. حكّ جونا وجهه قبل أن ينزل من السيّارة. كان الممرّ المعبّد بالحصى محاطًا من جانبيه بالصخور بشكل أنيق. اتّجه نحو الباب، ورنّ الجرس، ثمّ سمع صوتًا يقول: «أنا سأفتح».

سمع صرير القفل ثمّ فتحت فتاة مراهقة الباب. كانت تضع كحلًا أسود على عينيها وقد صبغت شعرها باللون البنفسجيّ.

قالت بفضول: «مرحبًا».

قال: «اسمي جونا لينا، أنا من وحدة الجريمة الوطنيّة. هل والداك في المنزل؟».

أومأت الفتاة ثمّ استدارت، وكانت على وشك أن تنادي أحدًا، حين ظهرت في المدخل امرأة في منتصف العمر وهي تحدّق إلى جونا.

قالت بصوت يملؤه الخوف: «أماندا! اسأليه... اسأليه ما الذي يريده؟».

هزّ جونا رأسه: «أفضّل ألّا أقول شيئًا وأنا واقف عند الشرفة. هل أستطيع الدخول؟».

همست الأمّ: «نعم».

خطا جونا إلى الداخل. نظر إلى الفتاة. أخذت شفتها السفلى بالارتعاش، ثمّ نظر إلى والدتها إيزابيلا ساميولسون، وقد عقدت يديها بقوّة على صدرها وشحب وجهها كالرماد. أخذ جونا نفسًا عميقًا ثمّ قال بهدوء: «أنا آسف جدًّا، ولكنّنا عثرنا على رفات يووان».

وضعت الأمّ يدها على فمها وندت عنها آهة طويلة. اتّكأت إلى الجدار، ولكنّها تهاوت وسقطت على الأرض.

صرخت أماندا: «أبي! أبي!».

جاء رجلٍ يركض نازلًا على الدرج. حين رأى زوجته على الأرض، أبطأ سيره قليلًا. بدا وكأنّ وجهه قد خلا من اللون كلّيًا. نظر إلى زوجته، ثمّ إلى ابنته ثمّ إلى جونا.

قال ببساطة: «يووان؟».

أجاب جونا بصوت خفيض: «أخشى أنّنا قد وجدنا رفاته».

جلسوا في غرفة المعيشة. احتضنت الفتاة والدتها التي راحت تنتحب. بدا الأب هادئًا بشكل غريب حتّى الآن. لقد رأى جونا ذلك سابقًا. هناك رجال، وأحيانًا نادرة نساء لا يبدو عليهم التأثّر، يستمرّون في الكلام وطرح الأسئلة، ويكتسب صوتهم رنينًا مميّزًا، نوعًا من الفراغ المميّز حين يسألون عن التفاصيل. يعرف جونا أنّ ذلك دلالة على الصراع الداخليّ. محاولة بائسة لتأجيل اللحظة التي يأتي فيها الألم.

سألت الأمّ وسط نشيجها: «كيف وجدتموه؟ أين وجدتموه؟».

«لقد كنّا في منزل شخص متّهم باختطاف طفل آخر. تعرّف أحد كلابنا على موقع في الحديقة... كان يووان، لقد كان ميتًا منذ عشرة أعوام، ذلك ما قاله طبيب التشريح».

رفع يواكيم ساميولسون رأسه: «عشرة أعوام؟»، هزّ رأسه وهمس، «ولكن! لقد مرّت ثلاثة عشر عامًا منذ أن أضعنا يووان».

أومأ جونا وشعر بالإنهاك التامّ وهو يوضح: «لدينا أسباب تجعلنا نعتقد بأنّ الشخص الذي أخذ طفلك قد احتجزه لفترة ثلاثة أعوام».

نظر إلى الأسفل، إلى حِجره، وهو يحاول أن يركّز ويبدو هادئًا، ثمّ نظر إلى الأعلى ثانية: «لقد كان يووان في الخامسة من العمر حين توفّي».

تجهّم وجه الأب. تحطّمت محاولاته للبقاء هادئًا. كان منظرًا مريعًا. حدّق إلى جونا ووجهه يتقلّص والدموع تنهمر على وجنتيه وفمه المفتوح. كان الجوّ يتشظّى بنحيب عنيفٍ موجع.

نظر جونا إلى اللوحات المؤطّرة على الجدران. تعرّف على الصورة التي كانت في الملفّ ليووان ذي العامين وهو يرتدي زيّ الشرطة. رأى صورة لتجديد عماد الفتاة، وصورة للوالدين وهما يضحكان ويحملان طفلًا حديث الولادة. كان يكره ذلك حقًّا، ولكنّ الأمر لم ينته بعد.

قال: «هناك شيء أرغب في معرفته». انتظر حتّى صاروا في حالة ملائمة ليفهموا ما يقول. وضع صورة ليديا على الطاولة.

«يجب أن أسأل. هل سمعتم يومًا بامرأة تدعى ليديا إيڤرسون؟».

هزّت الأمّ رأسها بجزع. طرف الأب بعينيه لمرّتين، ثمّ قال بسرعة: «لا. أبدًا».

همست أماندا: «هل كانت هي الشخص الذي أخذ أخي؟».

نظر جونا إليها متجهّمًا، وأجاب: «نحن نعتقد ذلك».

حين نهض كان متعرّقًا، وشعر بالعرق ينساب على ظهره.

قال ثانية: «أنا آسف. أنا آسف حقًّا».

ترك بطاقته قرب صورة ليديا على الطاولة أمامهم، مع أرقام لمجموعة استشاريين.

«أرجوكم اتّصلوا بي إن فكّرتم في أيّ شيء أو رغبتم بالحديث فقط».

شرع بالسير حين نهض الأب فجأة وقال: «انتظر! يجب أن أعرف، هل قبضتم عليها؟ هل هي لديكم الآن؟».

شدّ جونا على فكّيه حين استدار قائلًا: «لا، لم نقبض عليها بعد، لكنّنا نلاحقها. سوف نطالها قريبًا».

اتّصل جونا بآنيا حال عودته إلى سيّارته. أجابت فورًا: «هل جرى الأمر على ما يرام؟».

أجاب جونا بغضب: «إنّه لا يكون على ما يرام أبدًا؟».

لم يقل أيّ منهما شيئًا للحظات.

سألت آنيا متردّدة: «هل تريد شيئًا محدّدًا؟».

قال جونا: «نعم».

«أنت تعلم أنّها ليلة السبت، صحيح؟».

واصل جونا: «كان الرجل يكذب. إنّه يعرف ليديا. قال إنّه لم يسمع بها أبدًا، لكنّه كاذب».

«كيف علمت أنّه يكذب؟».

«من عينيه. لقد رأيت ذلك في عينيه حين طرحت السؤال. أنا متأكّد من ذلك».

«أنا أصدّقك. أنت على صواب دائمًا. صحيح؟».

«نعم، أنا كذلك».

«إن لم يصدّقك الآخرون فعليهم أن يتعاملوا فيما بعد مع عبارتك الشهيرة 'ماذا قلت لك'».

«أنت تعرفينني جيّدًا».

«هل ترغب في شيء آخر سوى قولك لي إنّك كنت على حقّ؟».

«نعم، أنا ذاهب إلى 'أولّيروكِر' الآن».

«الآن؟ أنت تعرف أنّ عشاء ليلة الميلاد هو اليوم».

«اليوم؟».

قالت آنيا موبّخة: «جونا! إنّها حفلة عيد الميلاد، العشاء في 'سكانسِن'، لا تقل لي إنّك نسيت».

سأل جونا: «هل هي إلزاميّة؟».

أجابت آنيا بحزم: «نعم هي كذلك، وأنت ستجلس إلى جواري، صحيح؟».

«ما دمت لا تتصرّفين بطيش بعد بضعة كؤوس».

«بإمكانك التعامل مع ذلك».

«ألا تكونين ملاكًا وتتّصلي بمصحّة 'أولّيروكِر' وتتأكّدي من وجود شخص ما لأتحدّث معه بخصوص ليديا حين أصل إلى هناك؟ ثمّ سأدعك تقومين بكلّ ما ترغبين فيه معي على العشاء».

«يا إلهي! سأتّصل بهم الآن»، قالت آنيا وأنهت المكالمة.

94

مساء السبت، 19 ديسمبر

تضاءلت الكتلة الصلدة التي شعر بها جونا في معدته ببطءٍ حين كان يسرع عبر الوحل في «طريق إي4» نحو «أوبسالا». لا تزال مصحّة الأمراض العقليّة في «أولّيروكِر» صالحة للاستخدام، رغم الأوضاع الصعبة.

كالعادة، كانت آنيا قد أدّت عملها على أكمل وجه. حين دخل جونا إلى مكتب الاستقبال، أدرك أنّ المرأة الواقفة خلف المكتب تتوقّع قدومه.

قالت ببساطة: «جونا لينا؟». أومأ، وأظهر لها بطاقته التعريفيّة.

«سيراك الدكتور لانغفيلدت في الطابق الأوّل، الغرفة الأولى الباب الأيمن».

شكرها جونا ثمّ أخذ يرتقي الأدراج الحجريّة العريضة. تمكّن من سماع صوت ضربات بعيدة وصرخات وصوت تلفازٍ في مكان ما. فاح الهواء برائحة دخان السجائر. هناك قضبان على النوافذ، بدت الحديقة في الخارج أشبه بالمقبرة، أشجار داكنة مبلّلة بالمطر وعرائش عنب متعفّنة. قال جونا لنفسه إنّ هذا ليس المكان الذي يقصده الأشخاص كي يتحسّنوا، إنّه مكان لإقصائهم فقط. وصل إلى الطابق التالي ثمّ نظر حوله. على يساره باب زجاجيّ يُفضي إلى رواق ضيّق طويل. شعر بأنّه رأى ذلك سابقًا، ثمّ أدرك أنّه نسخة طبق الأصل من سجن كرونوڤاري، بصفّ الأبواب المغلقة، والمقابض المعدنيّة، والأقفال الإلكترونيّة. هناك سيّدة مسنّة ترتدي فستانًا طويلًا، تحدّق إليه بإصرار عبر الباب الزجاجيّ. أومأ جونا لها ثمّ فتح الباب المؤديّ إلى الرواق الآخر، ففاحت منه رائحة قويّة للمواد المعقّمة.

انتظر الدكتور لانغفيلدت عند مدخل الباب حين وصل جونا إلى غرفته.

«أنت من الشرطة؟»، سأل بأسلوب منمّق وهو يمدّ له يدًا ممتلئة. كان ملمس يده وعلى نحو مفاجئ رقيقًا جدًّا، ربما أرقّ يدٍ لمسها جونا.

بقي وجه الدكتور لانغفيلدت جامدًا حين انحنى قليلًا وقال: «أرجوك تفضّل بالدخول».

كان مكتبه، وعلى نحو غير متوقّع، واسعًا جدًّا. الجدران مغطّاة بالرفوف العامرة بالملفّات والمغلّفات. لم تكن الغرفة مزيّنة إطلاقًا، لا لوحات ولا صور. الصورة الوحيدة هي رسمة لطفلٍ علّقت على الباب لشخص نحيل باللون الأزرق والأخضر، بدت كشيء يرسمه طفل ذو ثلاثة أعوام، يمتلك عينين وأنفًا وفمًا وتخرج يداه ورجلاه من وجهه. إمّا أنّ الرسم كان يفتقر للجسد أو أنّ رأسه كان هو جسده. ذلك يعتمد على الطريقة التي تنظر بها إليه. جلس دكتور لانغفيلدت إلى مكتبه الذي كان مغطّى بشكل كامل تقريبًا بأكداس الأوراق. تناول هاتفًا من الطراز القديم عن أحد الكراسي، وأومأ لجونا بالجلوس. نظر إلى الطبيب بتمعّن. كان وجهه ثقيلًا ومجعّدًا، وملامحه تفتقر للحياة، وكأنّ وجهه مشلول.

قال جونا: «شكرًا لأنّك أعطيتني من وقتك، رغم أنّها عطلة نهاية الأسبوع».

قاطعه الطبيب: «أعرف ما الذي جئت للتحدّث بشأنه. تريد معلومات عن ليديا إيڤرسون، إحدى مريضاتي».

فتح جونا فمه ليتكلّم، ولكنّ الطبيب رفع يده لإسكاته.

«أفترض أنّك تعلم أنّ السجلّات الطبّيّة هي أمر خاصّ جدًّا، وقد سمعت بالتأكيد عن القَسَم بالسرّيّة. بالإضافة...».

قاطعه جونا: «أنا أعرف القانون. والجريمة التي نحقّق بشأنها الآن قد تستحقّ حكمًا بالسجن يتراوح بين عامين إلى...».

قال لانغفيلدت: «نعم. نعم».

لم تكن النظرة في عينيّ الطبيب مراوغة ولكنّها عديمة الحياة فقط.

قال جونا برفق: «بإمكاني استدعاؤك لاستجواب رسميّ في أيّ وقت. لقد أصدر المدّعي العامّ مذكّرة لإلقاء القبض على ليديا إيڤرسون. سوف نطالب بسجلّاتها الطبّيّة كجزء من تلك الإجراءات».

نقر لانغفيلدت بأصابعه، ثمّ لعق شفتيه وقال: «ذلك هو الأمر. كلّ ما أرغب فيه هو... أريد ضمانًا. ذلك كلّ شيء».

«ضمان؟».

أومأ لانغفيلدت وقال: «أريد أن يبقى اسمي بعيدًا عن هذا».

نظر جونا إلى عينيّ لانغفيلدت، وأدرك أنّ ما ظنّه جمودًا كان في حقيقة الأمر خوفًا كامنًا. فقال باقتضاب: «لا يمكنني أن أعدك بهذا».

«ماذا لو جعلت ذلك شرطًا؟».

قال جونا: «أنا عنيد جدًّا».

اتّكأ الطبيب إلى الخلف. ارتعشت زوايا فمه قليلًا وسأل: «ما الذي ترغب في معرفته؟».

تقدّم جونا إلى الأمام وقال: «كلّ شيء».

غادر جونا مكتب الطبيب بعد ساعة. حدّق عبر الرواق، ولكنّ المرأة ذات الفستان الطويل كانت قد اختفت، وحين أسرع بالنزول على الأدراج لاحظ أنّ الجوّ أمسى معتمًا في الخارج. انتهت مناوبة المرأة عند مكتب الاستقبال لذلك اليوم. كانت البناية صامتة تمامًا، رغم أنّ جونا كان يعرف أنّها منزل لمئات المرضى.

ارتعش حين عاد إلى سيّارته وقاد مبتعدًا.

هناك شيء ما يزعجه. لقد فوّت شيئًا ما. حاول أن يعرف ما هو.

حين سحب الطبيب أحد الملفّات المتشابهة التي تملأ الرفوف، نقر على سطحه، ثمّ قال: «ها هي ذي».

كانت ليديا في العاشرة فقط حين أُدخلت إلى هنا لغرض العلاج. والسبب هو أنّها قتلت شقيقها الأصغر كاسبر إيڤرسون. في يوم ما، قامت بتحطيم جمجمته بعصا خشبيّة. أخبرت طبيبها أنّ والدتها أجبرتها على الاعتناء به. كان كاسبر مسؤوليّة ليديا، حين كانت والدتهما تعمل

أو نائمة، وكان واجبها أن تربّيه وتؤدّبه. كان كاسبر إيفرسون في الثالثة من العمر حين قُتل. تمّ إدخال ليديا إلى المستشفى، وأرسلت والدتها إلى السجن بتهمة إهمال أطفالها.

همس جونا لنفسه: «لقد فقدت ليديا عائلتها».

عالج الدكتور لانغفيلدت ليديا بالأدوية المضادّة للقلق، من دون جلسات علاج. اعتقد أنّها تتصرّف تحت ضغط عظيم من والدتها، ووفقًا لتوصيته فقد وضعت ليديا في مأوى خاصّ بالمعتدين الصغار. حين صار عمرها ثمانية عشر عامًا، اختفت من سجلّاتهم. عادت إلى منزل طفولتها، وعاشت مع شابّ كانت قد التقت به في المأوى. بعد خمسة أعوام تمّ إدخالها إلى وحدة الأمراض النفسيّة بسبب ضربها لطفل في ساحة اللعب.

عادت تحت إشراف دكتور لانغفيلدت للمرّة الثانية، وهذه المرّة كمريضة مقيمة مع شروط صارمة على تسريحها المستقبليّ.

أخبر الطبيب جونا بصوت حازم جامد أنّ ليديا ذهبت إلى ساحة اللعب واختارت طفلًا معيّنًا، فتى في الخامسة من العمر، وسحبته بعيدًا عن بقيّة الأطفال، ثمّ قامت بضربه. ذهبت إلى ساحة اللعب عدّة مرات قبل أن يُقبض عليها. كان الاعتداء الأخير الذي قامت به شديدًا جدًّا، وتسبّبت بإصابات هدّدت حياة الطفل.

قضت ليديا ستّة أعوام في «أولّيروكِر»، أوضح لانغفيلدت ثمّ ابتسم بمرح. كانت مريضة مثاليّة، مشكلتها الوحيدة هي قيامها بإنشاء تحالفات مع بقيّة النزلاء. كانت معتادة على صنع مجموعتها الخاصّة التي تطالبها بالولاء التامّ.

فكّر جونا في أنّها واصلت صنع وحدات عائليّة.

أغلق لانغفيلدت عينيه، ومسّد على صدغيه قبل أن يواصل: «بعد ستّة أعوام من دون أيّ حادثة سُمح لليديا بمغادرة المستشفى لفترات قصيرة».

سأل جونا: «لا حوادث إطلاقًا؟».

أجاب الطبيب: «كان هناك شيء واحد ولكن لم يتمّ إثباته».

«ما هو؟».

«تمّ تشويه وجه مريضة أخرى. ادّعت بأنّها فعلت ذلك بنفسها، ولكن سرت شائعات بأنّ ليديا إيڤرسون هي المسؤولة. كما أخبرتك كانت مجرّد أقاويل، لم يكن هناك أيّ دليل. وسُمح لليديا بالعودة إلى منزل عائلتها. كانت تواظب على حضور جلسات العلاج واستمرّت بالتحسّن. لم يكن هناك أيّ شكّ حول رغبتها في أن تكون أفضل. انتهى بعد سنتين علاج ليديا النفسيّ. اختارت نوعًا من العلاج كان شائعًا في ذلك الوقت، إنّه علاج نفسيّ جماعيّ مع...».

أكمل جونا: «إريك ماريّا بارك».

أومأ لانغفيلدت.

قال بصوت فظّ: «لكن كما اتّضح لاحقًا، فإنّ التنويم المغناطيسيّ لم يكن له تأثير جيّد عليها، لقد انتهى الأمر بليديا وهي تحاول الانتحار. كانت تلك هي المرّة الثالثة التي أدخلت فيها تحت رعايتي».

قاطعه جونا: «هل تحدّثتْ إليك بخصوص انهيارها؟».

هزّ لانغفيلدت رأسه: «كما فهمت، كان كلّ ذلك هو خطأ المنوّم المغناطيسيّ».

«هل تعلم أنّها قد أخبرت إريك ماريّا بارك أنّ لديها ابنًا اسمه كاسبر، وأنّها تحتجز ابنها؟»، سأل جونا باقتضاب.

رفع لانغفيلدت كتفيه من دون اكتراث.

«لقد سمعت بذلك، ولكنّي افترضت أنّ المنوّم المغناطيسيّ يستطيع حمل الأشخاص على الاعتراف بأيّ شيء».

سأل جونا: «إذن فلم تأخذ اعترافها على محمل الجدّ؟».

ابتسم له لانغفيلدت باقتضاب: «لقد كانت محطّمة، وكان من المستحيل خوض أيّ حوار معها. توجّب عليّ علاجها بالصدمات الكهربائيّة، وكانت تأخذ أدوية لعلاج الصرع. تطلّب الأمر منّا جهدًا كبيرًا كي نجعلها تتمالك نفسها في النهاية».

«إذن أنت لم تحاول أن تكتشف إن كانت هناك أيّ حقيقة خلف اعترافها ذاك؟».

«لقد افترضت أنّنا كنّا نتعامل مع مشاعر من الذنب والندم بسبب ما فعلته بشقيقها»، أجاب لانغفيلدت.

سأل جونا: «متى قمت بتسريحها؟».

أجاب: «منذ شهرين. لم يكن لديّ أيّ شكّ في أنّها تعافت».

حين نهض جونا، وجد نفسه ينظر إلى ذلك الشكل خلف الباب. فكّر فجأة، رأس متحرّك، عقل فقط من دون قلب.

«هذا أنت، أليس كذلك؟»، قال جونا مشيرًا إلى الرسمة.

غادر جونا المكتب تاركًا دكتور لانغفيلدت مشوّشًا جدًّا.

95

مساء السبت، 19 ديسمبر

خيّم الظلام في الساعة الخامسة مساء. غربت الشمس قبل ساعتين، والهواء بارد. نشرت أضواء الشارع القليلة وهجًا ضبابيًّا. دخل جونا إلى سوق عيد الميلاد، حيث كان صانعو الزجاج والحدّادون منهمكين في ورشهم، وحيث تشتعل النار، وتصهل الخيول، ويتمّ شوي الكستناء، وبعض الأطفال يركضون خلال متاهة حجريّة، وآخرون يحتسون الشوكولاتة الساخنة.

كانت الموسيقى تُعزف، والعوائل ترقص حول شجرة ميلاد طويلة وسط ساحة دائريّة للرقص.

رنّ هاتف جونا، فوقف أمام متجر لبيع النقانق ولحم الأيائل.

«مرحبًا. هنا جونا».

«أنا إريك».

«أهلًا».

«أعتقد أنّ ليديا أخذت بنيامين إلى منزل يوسي المسكون. إنّه في مكان ما خارج 'دوروتيا' في 'ڤاستربوتِن' عند 'لابلاند'».

«هل أنت متأكّد؟».

قال إريك بحزم: «أنا متأكّد تقريبًا. لا رحلات هذه الليلة. لا يتوجّب عليك القدوم، ولكنّي حجزت ثلاث تذاكر للرحلة الأولى في صباح الغد».

قال جونا: «جيّد. أرسل إليّ كلّ التفاصيل التي لديك بخصوص يوسي ذاك وسأتّصل بشرطة 'ڤاستربوتِن' حالًا».

حين مشى جونا نحو المطعم على أحد المعابر الضيّقة المعبّدة بالحصى، سمع صوت أطفال يضحكون خلفه فارتعش. زُيّن المطعم الجميل الأصفر بأضواء عيد الميلاد وبأغصان التنّوب، وتمّ ترتيب غرفة العشاء بشكل أربع

طاولات طويلة عامرة بمأكولات العيد. شاهد جونا رفاقه حال وصوله. كانوا يجلسون إلى جوار إحدى النوافذ الكبيرة التي توفّر لهم منظرًا مذهلًا لمنطقة «نيبرو ڤيكِن» و«سوديرمالم». كان منتزه «غريونا لوند» يقع على إحدى الجهات ومتحف «ڤاسّا» على الجانب الآخر.

صاحت آنيا: «نحن هنا!».

وقفت ملوّحة له. كانت حماستها معديةً. وجد جونا نفسه يبتسم، ولكنّه لم يستطع حقًّا التخلّص من الإحساس المزعج الذي سيطر عليه منذ زيارته للدكتور لانغفيلدت.

ألقى التحيّة عليهم، وجلس إلى جوار آنيا. جلس كارلوس إيليّاسون أمامه وهو يعتمر قبّعة قزم حمراء، وأومأ بمرح لجونا.

«لقد احتسينا نخبنا الأوّل»، قال كارلوس وكأنّه يُطلع جونا على سرٍ ما. كانت بشرته الشاحبة المعتادة تبدو محمرّة.

حاولت آنيا أن تدسّ يدها تحت ذراع جونا، ولكنّه نهض قائلًا إنّه ذاهب لجلب بعض الطعام من البوفيه المفتوح.

حين شقّ طريقه بين الطاولات المزدحمة، أدرك أنّه يواجه مشكلة في الاندماج مع روح الاحتفال. بدا أنّ جزءًا منه كان ما زال يجلس في غرفة معيشة والدي يووان ساميولسون، أو في المصحّة النفسيّة وهو يرتقي الأدراج الحجريّة إلى الباب المغلق المؤدّي إلى الرواق الطويل الشبيه بالسجن.

تناول جونا صحنًا ووقف في طابور السمك، ونظر إلى زملائه من بعيد. حشرت آنيا جسدها الممتلئ في ثوب من الصوف الأحمر وانتعلت كالعادة جزمتها الشتويّة، بينما بيتر يتحدّث بإصرار مع كارلوس ورأسه الحليق يلتمع في نور الثريّات.

وضع جونا ثلاثة أنواع من الرنغة المملّحة في صحنه ثمّ توقّف. نظر إلى امرأة من مجموعة أخرى ترتدي فستانًا رماديًّا ضيّقًا وفتاتين صغيرتين مع قصّة شعر قصيرة تسحبانها إلى طاولة الحلوى، ورجل يرتدي بدلة بنّيّة يركض للحاق بهنّ ومعه فتاة صغيرة ترتدي فستانًا أحمر.

لم يتبق بطاطس في القدر، وتوجّب على جونا أن ينتظر قليلًا حتّى تجلب النادلة المزيد. لم يكن هناك أثرٌ لطبقه الفنلنديّ المفضّل-غراتان اللفت الأصفر. حمل جونا صحنه عائدًا إلى الطاولة، ومرّ إلى جوار مجموعة من ضبّاط الشرطة الذين كانوا عائدين إلى البوفيه للمرّة الثانية.

على الطاولة كان أربعة من الخبراء الجنائيّين يرفعون أقداحهم عاليًا ويغنّون أغنية من «أغنيات الشراب». جلس جونا وشعر فورًا بيد آنيا على رِجله. ابتسمت له.

«هَل تتذكّر أنّك سمحت لي بفعل كلّ ما أريده». مازحته ثمّ انحنت للأمام وهمست بصوت مرتفع: «أريد أن أرقص التانغو معك هذه الليلة».

سمعها كارلوس فاستدرك قائلًا: «آنيا لارشون، سنرقص التانغو أنا وأنت».

قالت بإصرار: «أريد أن أرقص مع جونا».

مال كارلوس برأسه وتلعثم قائلًا: «سأنتظر دوري».

***

كان كارلوس نائمًا على كرسيّ في غرفة المعاطف، عندما غادر بيتر ومجموعته إلى المدينة كي يكملوا الحفل في مقهى «أوبرا». تعهّد جونا وآنيا بتوصيل كارلوس إلى المنزل بأمان. ذهبا إلى الهواء البارد في الخارج لينتظرا سيّارة الأجرة. قاد جونا آنيا إلى حلبة الرقص الخارجيّة محذّرًا إيّاها من طبقة الجليد الرقيقة التي كانت تغطّي الأرضيّة الخشبيّة.

أخذا يرقصان وأخذ جونا يدندن بلحن أغنية تانغو فنلنديّة شهيرة.

همست آنيا: «تزوّجني».

لم يُجِبها. كان يفكّر في ديسا وفي وجهها الحزين. فكّر في سنوات صداقتهما الطويلة، وكيف أنّه كان مجبرًا على تخييب أملها بطرق مختلفة. حاولت آنيا أن تصل إلى أذنه، ولكنّه حرّك رأسه بعيدًا عنها.

قالت آنيا متنهّدة: «جونا، أنت ترقص بشكل جيّد جدًّا».

قال وهو يلفّها بذراعه: «أعرف».

فاح الهواء برائحة الحطب المحترق والنبيذ. احتضنته آنيا بقوّة أكثر الآن، بينما هو يفكّر كيف سيكون من الصعب إدخال كارلوس إلى سيّارة الأجرة. إذ عليهما حمله بعد قليل.

في تلك الحظة، رنّ هاتفه في جيبه. تأوّهت آنيا خائبة حين سحبه وأجاب: «جونا لينا».

قال صوت متوتّر: «مرحبًا. إنّه أنا، يواكيم ساميولسون، لقد أتيتَ لزيارتنا مسبقًا...».

قال جونا: «أجل، أنا أعرف من تكون».

تذكّر كيف اتّسع بؤبؤا يواكيم حين سأله عن ليديا إيڤرسون.

قال يواكيم: «أسأل إن كان بإمكاننا أن نلتقي؟ هناك شيء أريد أن أقوله لك».

نظر جونا إلى الوقت، التاسعة والنصف ليلًا.

«هل بإمكاننا اللقاء الآن؟»، قال يواكيم مضيفًا أنّ زوجته قد ذهبت لزيارة أهلها بصحبة ابنتهما.

قال جونا: «بالتأكيد. هل بإمكانك القدوم إلى قسم الشرطة عند مدخل شارع 'بوليام' خلال خمس وأربعين دقيقة».

«نعم»، قال يواكيم وهو يبدو منهكًا.

قال جونا لآنيا التي كانت تقف وسط حلبة الرقص بانتظاره «آسف عزيزتي، لا مزيد من التانغو هذه الليلة».

قالت آنيا بتبرّم: «عليك أن تكون آسفًا».

«لا يمكنني تحمّل الشراب القويّ»، تمتم كارلوس حين كانا يقتادانه إلى السلّم الكهربائيّ.

قالت آنيا بطريقة فظّة، «فقط لا تتقيّأ، إذا فعلت فأنا أطالب بعلاوة».

«آنيا! آنيا!»، صرخ كارلوس وهو لا يبدو بأحسن حال.



96

مساء السبت، 19 ديسمبر

جلس يواكيم في سيّارته المرسيدس البيضاء على الجانب الآخر من الشارع أمام قسم الشرطة. بدا وجهه متعبًا ووحيدًا. قفز حين نقر جونا على النافذة، وكأنّه كان شاردًا في أفكاره.

قال وهو يفتح الباب ويدخل: «مرحبًا».

جلس جونا على المقعد المجاور للسائق وانتظر. كانت رائحة السيّارة تشبه رائحة كلب، وهناك بطّانية سميكة مفروشة على المقعد الخلفيّ.

قال يواكيم: «حين أفكّر في نفسي حين وُلد يووان فالأمر أشبه بالتفكير في شخص غريب تمامًا. لقد عانيت من طفولة قاسية. كنت في مأوى لفترة قصيرة، ثمّ عشت مع عائلة بديلة، ولكنّي لملمت شتات نفسي حين التقيت بإيزابيلا. حصلت على شهادتي في الهندسة في السنة التي ولد فيها يووان. أتذكّر ذلك لأنّنا ذهبنا في إجازة للاحتفال. لم أكن قد حظيت بإجازة من قبل. ذهبنا إلى اليونان، وكان يووان قد تعلّم المشي لتوّه...».

هزّ يواكيم ساميولسون رأسه: «حدث ذلك منذ فترة طويلة جدًّا... ذلك الرجل يشبهني». توقّف عن الكلام.

سأل جونا بعد وقت قصير من الصمت: «ماذا أردت إخباري؟».

فرك يواكيم عينيه، وسأل بصوت مرتعش: «هل أنت متأكّد من أنّ ليديا إيڤرسون فعلت ذلك؟».

أومأ جونا قائلًا: «أنا متأكّد تمامًا».

«حسنًا»، همس يواكيم ساميولسون، ثمّ استدار بوجه متجهّم مرهق نحو جونا.

«لقد كنت أعرفها. أعرفها جيّدًا. كنّا في مأوى الأطفال نفسه».

«هل تستطيع أن تفكّر في أيّ سبب يحملها على اختطاف يووان؟».

«نعم»، قال يواكيم ساميولسون، وابتلع ريقه بصعوبة، «في ذلك الوقت في المأوى... كانت ليديا في الرابعة عشرة من العمر حين اكتشفوا بأنّها كانت حاملًا. شعروا بالقلق بالتأكيد، وأجبروها على القيام بعمليّة إجهاض. كان الموضوع سيبقى سرًّا تمامًا... ولكن حصلت بعض المضاعفات. التهاب في رحمها انتشر إلى مبيضيها إلى أن تعالجت وتحسّنت بعد فترة».

كانت يدا يواكيم ترتعشان.

«انتقلت للعيش مع ليديا بعد المأوى. عشنا في منزلها في 'روتبيرو' وحاولنا أن ننجب طفلًا. كانت مهووسة بالحصول على طفل، ولكن لم تحبل. لهذا فقد ذهبت لتفحص نفسها عند طبيبة نسائيّة. لن أنسى أبدًا حين عادت إلى المنزل وأخبرتني بأنّها صارت عاقرًا بسبب الإجهاض».

«وأنت كنت الفتى الذي تسبّب في حملها في مأوى الأطفال».

«نعم».

«إذن فأنت تدين لها بطفل»، قال جونا لنفسه تقريبًا.

97

صباح الأحد، 20 ديسمبر

الأحد الرابع قبل الميلاد

كست الكتل الجليديّة محطّة الطيران النهائيّة في مطار 'آرلاندا' بينما المزيد من الثلج يتساقط. كان يتمّ جرف الأرصفة باستمرار. وقف إريك إلى جوار النافذة الكبيرة مراقبًا الحقائب وهي تتحرّك على الحزام الناقل، ثمّ يتمّ تحميلها على متن طائرة كبيرة زاهية اللون.

أتت سيمونا وهي تحمل القهوة وصحن كعكات مافن الزعفران وبسكوت الزنجبيل. وضعت الأقداح أمام إريك ثمّ أشارت نحو نافذة كبيرة. شاهدا مجموعة من طاقم الطائرة وهم يتوجّهون إلى الطائرة معتمرين قبّعات الجنّيات الحمراء، وقد بدا عليهم الانزعاج من طبقة الجليد التي تغطّي الأرض تحت أقدامهم.

من نافذة مقهى المطار كان سانتا الميكانيكيّ يحرّك وركيه. يبدو أنّ الطاقة كانت قد نفدت من بطّاريّتيه لأنّ حركاته كانت متشنّجة وعشوائيّة. التقت نظرة إريك بسيمونا. رفعت أحد حاجبيها مشيرة إلى منظر سانتا الغريب.

«كعكات المافن مجّانيّة»، قالت. ثمّ تداركت أنّه الأحد الرابع قبل الميلاد.

نظر أحدهما إلى الآخر غير واثقين ممّا سيقولانه. فجأة انتصبت سيمونا وقد علت وجهها نظرة ذعر.

سأل إريك: «ماذا هناك؟».

قالت بهدوء: « الدواء! لقد نسينا... إن كان هناك، أو كان على قيد الحياة».

«سيمونا، أنا...».

«مرّت أيّام عديدة الآن... لن يكون قادرًا على الوقوف».
«سيمونا لقد أحضرته. أحضرت الدواء معي».
نظرت إليه بعينين محمرّتين.
«حقًا؟».
«ذكّرني كينيت. اتّصل بي من المستشفى».
تذكّرت سيمونا حين كانت تقود سيّارتها كي تعيد أباها إلى منزله. رأته يترجّل من السيّارة ثمّ يسقط على حافّة الجرف الثلجيّ. اعتقدت أنّه قد انزلق، ولكن حين هرعت لمساعدته كان غائبًا عن الوعي تقريبًا. اصطحبته إلى المستشفى، فأدخلوه على متن نقّالة. كانت استجابته اللاإرادية ضعيفة جدًّا وبؤبؤا عينيه يتفاعلان ببطء. اعتقد الأطبّاء أنّ الأمر عبارة عن مضاعفات الارتجاج الدماغيّ الذي تعرّض له مع إرهاق شديد جدًّا.
سأل إريك: «كيف حاله؟».
«كان نائمًا حين ذهبت إلى هناك أمس. لا يعتقدون أنّ وضعه خطير جدًّا».
«حسنًا»، قال إريك وهو يراقب سانتا الميكانيكيّ، ثمّ من دون أيّ كلمة، التقط منديل الأعياد الأحمر الورقيّ ووضعه فوق سانتا.
أخذ المنديل يتأرجح جيئة وذهابًا كالشبح. شرعت سيمونا بالضحك وهي تنثر فتات البسكويت عن سترة إريك.
«آسفة»، تمتمت، «إنّه يبدو سخيفًا جدًّا... سانتا الجامح». أخذت تضحك ثانية وانتهى الأمر بها منحنية على الطاولة، ثمّ أخذت تبكي. هدأت بعد برهة. نظّفت أنفها ومسحت وجهها وعادت لاحتساء قهوتها.
أخذت زوايا فمها ترتعش ثانية حين ظهر جونا أمام طاولتهما.
«لقد أرسل قسم شرطة ’أوميا‘ مجموعة من الأشخاص إلى ذلك الموقع الآن»، قال من دون أن يزعج نفسه بإلقاء التحيّة.
سأله إريك: «هل تتواصل معهم لاسلكيًا؟».
«ليس أنا. ولكنّهم على تواصل مع...».

توقّف جونا عن الكلام حين رأى المنديل الذي يغطّي سانتا الراقص، والجزمة البنّيّة التي تظهر من تحته. أدارت سيمونا رأسها جانبًا وجسدها يهتزّ من الضحك والدموع معًا. بدت وكأنّها على وشك أن تختنق. نهض إريك وقادها بعيدًا.

انتفضت قائلة: «اتركني».

«أريد فقط مساعدتك يا سيمونا. تعالي نذهب إلى الخارج».

ذهبا إلى الشرفة، ووقفا في الهواء البارد.

همست: «أنا أفضل الآن. أشكرك».

نفض إريك الثلج عن حافّة الشرفة، ووضعت سيمونا إحدى يديها على المعدن البارد.

قالت: «سيتحسّن كلّ شيء عمّا قريب. قريبًا».

أغلقت عينيها وترنّحت ساقاها، فأسرع إريك لالتقاطها.

همس إريك: «سيمونا كيف تشعرين؟».

حدّقت إليه: «لا أحد يصدّقني حين أقول إنّي متعبة».

«أنا متعب أيضًا. أنا أصدّقك».

«أنت تتناول أقراصك، أليس كذلك؟».

استدار إريك بعيدًا.

اكفهرّ وجه سيمونا. شعر إريك بالدموع الساخنة تنساب على وجنتيه. لم تعد لديه أيّ دفاعات داخليّة. كان كلّ شيء يبدو مجرّدًا وواضحًا، ربّما لأنّه توقّف عن تناول الأقراص.

قال وشفتاه ترتعشان: «كلّ ذلك الوقت، وفكرة واحدة تحتلّ رأسي، لا يمكن أن يكون ميتًا».

وقفا هناك في سكون، يمسك أحدهما بالآخر. تساقط الثلج بغزارة عليهما. حلّقت طائرة رماديّة من بعيد مصدرة زئيرًا مدوّيًا. حين نقر جونا على النافذة، قفز كلاهما. فتح إريك الباب وخرج جونا ثمّ تنحنح.

«اعتقدت انّكما قد ترغبان في معرفة أنّنا قد تعرّفنا على الجثّة التي وجدت في منزل ليديا».

«من كان؟».

«لم يكن طفل ليديا... بل صبيًّا اختُطف من عائلته منذ ثلاثة عشر عامًا تقريبًا».

أومأ إريك وانتظر. تنهّد جونا بعمق.

«أظهرت العيّنات التي قمنا بفحصها أنّ الطفل قد عاش هناك لفترة من الوقت، ربّما ثلاثة أعوام قبل أن يُقتل».

لم يتحدّث أيّ منهم. واصل الثلج سقوطه الرقيق عليهم. كانت المحرّكات تهدر من بعيد.

«إذن فقد كنت على حقّ يا إريك. لقد كان لدى ليديا طفل محتجز في قفص، وكانت تظنّ أنّه ابنها فعلًا».

«نعم»، أجابه إريك بصوت غير مسموع.

«لقد قتلت الفتى حين أدركت ما قالته تحت التنويم-الذي حصل بسببك».

«تصوّرت حقًّا بأنّي كنت مخطئًا. لقد تقبّلت ذلك»، قال إريك وهو ينظر للمشهد الشتائيّ.

سأل جونا: «ألهذا السبب توقّفت؟».

أجابه: «نعم».

مسحت سيمونا جبهتها بيد مرتعشة، وقالت بصوت خفيض: «لقد حظيت باهتمام ليديا ثانية حين خالفت وعدك، فوضعت بنيامين تحت ناظريها».

همس إريك: «لا. لا بدّ من أنّها كانت تراقبنا طوال الوقت».

«أُطلق سراح ليديا من أولّيروكِر قبل شهرين. لقد أخذت وقتها لبناء علاقة مع بنيامين ثمّ صعّدت الأمر—ربّما حين شعرت بأنّك قد خالفت وعدك».

فكّر جونا في أنّ ليديا كانت تعدّ يواكيم ساميولسون مسؤولًا عن الإجهاض الذي تسبّب لها بالعقم، ولهذا فقد أخذت ابنه. ثمّ أجبرت

ليديا على قتل يووان بسبب تنويم إريك المغناطيسيّ لها، ولهذا فقد أخذت بنيامين حين شرع إريك بممارسة التنويم مجدّدًا.

كان وجه إريك كئيبًا وقاسيًا وفاقدًا للعاطفة. فتح فمه ليقول إنّه ربّما أنقذ حياة إيڤلين عند مخالفته لوعده، ولكنّه توقّف حين شاهد شرطيًّا يتّجه إليهم.

قال الشرطيّ بسرعة: «يجب أن نغادر. ستقلع الطائرة خلال عشر دقائق».

سأل جونا الشرطيّ إن تحدّث مع الشرطة في «دوروتِيّا».

أجاب الشرطيّ: «أجل. لم يكن هناك تواصل مع الدوريّة التي ذهبت إلى المنزل».

«لمَ لا؟».

«لا أعرف، لكنّهم قالوا إنّهم يحاولون الاتّصال بهم منذ ساعة تقريبًا».

«ما هذا بحقّ الجحيم! يجب أن يقوموا بإرسال الدعم».

«ذلك ما قلته ولكنّهم أرادوا الانتظار».

حين قطعوا المسافة القصيرة نحو الطائرة، شعر إريك بالارتياح والهدوء للحظة. لقد كان على حقّ طوال الوقت.

رفع نظره إلى الثلج الذي كان يدور في الهواء، رقيق وثقيل في الوقت نفسه. استدارت سيمونا فجأة وأمسكت بيده.

98

يوم الخميس، 17 ديسمبر

رقد بنيامين على الأرض وهو يصغي إلى صرير الرجلين المقوّستين للكرسيّ الهزّاز. كانت مفاصله تؤلمه بشكل سيّئ جدًّا، والريح تصفّر فوق السقف القصديريّ. سمع صوت صرير الزنبرك الضخم لباب الشرفة، ثمّ صوت خطوات ثقيلة في الرواق. ضرب ماريك الأرض بقدميه. رفع بنيامين رأسه ولكنّ طوق الكلب سحبه من رقبته.

«استلق!»، قالت ليديا الجالسة على الكرسيّ الهزّاز.

أنزل رأسه إلى الأرض وهو يشعر بملمس الشعيرات الخشنة لنسيج السجّادة على وجنته. كانت تفوح برائحة الغبار.

قال يوسي: «يحلّ الأحد الرابع لمجيء المسيح هذا الأسبوع. سوف نقوم بخبز بعض بسكوت الزنجبيل».

«إنّ أيّام الآحاد للتأديب، لا لشيء آخر»، قالت ليديا ثمّ واصلت تأرجحها.

ضحك ماريك على شيء ما، ثمّ توقّف فورًا.

قالت ليديا: «واصل ضحكك! هيّا».

«لم يكن شيئًا مهمًّا».

قالت بهدوء: «أريد أن تكون عائلتي سعيدة».

قال ماريك: «ونحن كذلك».

الأرض باردة والريح تعصف بالجدران وبنيامين ما زال مرتديًا بيجامته. فكّر في اليوم الذي وصلوا فيه إلى هنا. كانت الأرض مغطّاة بالثلج. قاده ماريك عبر ركام من المركبات أمام المنزل، حافلات قديمة، سيّارات واقفة على دعائم. مشى على الثلج وقدماه العاريتان تلسعانه. بدا وهو يمشي بين المركبات الكبيرة المغطّاة بالثلج وكأنّه يمشي في

خندق. كانت المصابيح مضاءة داخل المنزل. خرج يوسي من المنزل إلى الشرفة حاملًا على كتفه بندقيّته لصيد الظبيان. بدا خائر القوى حين رأى ليديا. لم يكن يتوقّعها، ولم يكن مرحّبًا بها، لكنّه لن يتمكّن من طردها بعيدًا. كلّ ما تمكّن من فعله هو الإذعان لإرادتها ودعوتها إلى منزله مثل حيوان مطيع. هزّ رأسه حين أخذ ماريك البندقيّة منه. سمعوا صوت خطوات داخل المنزل وخرجت آنبريت. غمغم يوسي بأنّها صديقته، ويتعيّن على ليديا السماح لها بالبقاء. حين رأت آنبريت طوق الكلب حول رقبة بنيامين، تحوّل لون وجهها إلى الأبيض، وحاولت العودة إلى الداخل. لكنّ ماريك أوقفها حين حشر حافّة البندقيّة خلال فتحة الباب، وسأل مبتسمًا إن كان بإمكانه الدخول.

سألت آنبريت بصوت مرتعش: «هلّا تحدّثنا عن طعام الميلاد؟».

قال يوسي: «إنّ السمك والجبن أمران ضروريّان».

تنهّدت ليديا بضيق. نظر بنيامين إلى الأعلى، نحو مروحة السقف الذهبيّة. كان ظلّ أذرعها المعدنيّة يبدو مثل وردة رماديّة على السقف.

قال يوسي: «يجب على الصبيّ أن يتناول كريات اللحم».

قالت ليديا: «سنرى».

بصق ماريك داخل وعاء الزهور، ونظر إلى الخارج نحو العتمة قائلًا: «بدأت أشعر بالجوع».

قال يوسي: «لدينا الكثير من لحم الغزال والأيل في المجمّدة».

التفّ ماريك حول الطاولة، وتناول سلّة الخبز، ثمّ اقتطع جزءًا من عيدان الخبز، ووضعه في فمه.

حين نظر بنيامين للأعلى، جذبت ليديا الطوق. أخذ يسعل وعاد للاستلقاء على الأرض، لقد كان جائعًا ومتعبًا.

قال: «سأحتاج إلى دوائي قريبًا».

قالت ليديا: «ستكون بخير».

«أنا أحتاج إلى حقنة لمرّة واحدة في الأسبوع، وقد مرّ الآن أكثر من أسبوع منذ...».

«اصمت!».
«سوف أموت إن لم...».
سحبت ليديا الطوق بقوّة، وجعلت بنيامين يئنّ من الألم. أخذ يبكي، فجذبته بعنف أكثر حتّى تجعله يصمت.
فتح ماريك التلفاز. صدرت خشخشة تبعها صوت بعيد، كان برنامجًا رياضيًّا. بحث ماريك بين المحطّات، لكنّه لم يحصل على صورة، ولهذا فقد أطفأه.
«كان عليّ جلب التلفاز من المنزل الآخر».
قال يوسي: «لا توجد قنوات كابيل هنا».
سأل ماريك: «لماذا لا يعمل الصحن اللاقط».
أجاب يوسي: «لا أعرف. يمكن للرياح أن تصير قويّة جدًّا وتحرّكه عن موقعه».
«قم بإصلاحه إذن».
«قم بذلك بنفسك».
قالت ليديا: «توقّفا عن الجدال».
غمغم يوسي: «لا يوجد شيء سوى الهراء في التلفاز على أيّة حال».
قال ماريك: «أحبّ برنامج 'دعنا نرقص' التلفزيونيّ».
سأل بنيامين: «هل أستطيع الذهاب إلى الحمّام؟».
قالت ليديا: «بإمكانك التبوّل خارجًا».
أجاب: «حسنًا».
قالت ليديا: «خذه يا ماريك».
أجابها: «بإمكان يوسي فعل ذلك».
قال يوسي: «بإمكانه الذهاب وحده. لن يتمكّن من الهرب. إنّها خمس درجات تحت الصفر و...».
قاطعته ليديا: «اذهب معه. سأعتني بآنبريت ريثما تعود».
شعر بنيامين بالدوار حين وقف على قدميه. أخذ يوسي الطوق من ليديا. كانت ركبتا بنيامين متيبّستين، وتصاعدت أمواج الألم إلى فخذيه

حين شرع بالمسير. صارت كلّ خطوة لا تُحتمل، لكنّه صرّ على أسنانه كي يمنع نفسه من إصدار أيّ صوت. لم يرغب في إزعاج ليديا.

كانت هناك بعض شهادات الديبلوم معلّقة على الجدران، والغرفة مضاءة بمصباح من النحاس مثبّت على الجدار، ذي غطاء زجاجيّ يغلّفه الصقيع. على الأرض البلاستيكيّة البيضاء هناك كيس بلاستيكيّ يحمل علامة متجر «آي سي إي» مع عبارة «الجودة والاهتمام والخدمة».

قال يوسي وهو يُسقط الطوق: «أحتاج إلى التغوّط. انتظر على الشرفة حين تعود».

وهو ممسك بمعدته اختفى يوسي في الحمّام وأقفل الباب خلفه. نظر بنيامين إلى الخلف ورأى كتفي آنبريت العريضتين عبر صدع في الباب، وسمع ماريك يتحدّث عن البيتزا اليونانيّة.

كان معطف ليديا الواقي من المطر الأخضر معلّقًا على خطّافٍ في الرواق. فتّش بنيامين في جيوبه ووجد مفاتيح المنزل ومحفظة ذهبيّة وهاتفه المحمول. أخذ قلبه ينبض بسرعة أكبر حين رأى أنّ هناك طاقة كافية في البطّاريّة لإجراء مكالمة واحدة على الأقلّ.

زحف عبر الشرفة، ومرّ قرب المخزن، ثمّ خرج إلى البرد المخدّر للحواس. كان الاستقبال ضعيفًا. مشى وهو حافي القدمين لمسافة قصيرة على الممشى المعبّد نحو مخزن الحطب. تمكّن خلال الظلمة من رؤية هياكل السيّارات والحافلات القديمة المغطّاة بالثلوج. كانت يداه متيبّستين وترتعشان من البرد. أوّل رقم عثر عليه هو رقم هاتف والدته الخليويّ. اتّصل بها ووضع الهاتف على أذنه. سمعه يرن في اللحظة التي فُتح بها باب المنزل وخرج يوسي. نظر أحدهما إلى الآخر. لم يحاول بنيامين إخفاء الهاتف. ربما توجّب عليه الهرب، ولكنّه لم يعرف إلى أين قد يذهب. مشى يوسي نحوه بخطى سريعة، كان وجهه شاحبًا وقلقًا.

قال بصوت مرتفع: «هل انتهيت؟».

نظر يوسي في عينيّ بنيامين وكأنه يحاول إفهامه شيئًا، ثمّ أخذ

الهاتف منه، وواصل سيره نحو مخزن الحطب في اللحظة التي خرجت فيها ليديا من المنزل.

سألت: «ما الذي تفعلانه؟».

قال يوسي وهو يخبّئ الهاتف في معطفه: «أنا أجلب المزيد من الحطب فقط».

قال بنيامين: «لقد انتهيت».

سمحت ليديا لبنيامين بالعودة إلى المنزل.

حين دخل يوسي إلى مخزن الحطب، نظر إلى الهاتف ورأى كلمة ماما تومض على الشاشة الشاحبة الزرقاء. رغم البرد، تمكّن من شمّ رائحة الخشب ونسغ الأشجار. كان المخزن مظلمًا تمامًا وكان الهاتف هو مصدر الضوء الوحيد. وضعه يوسي على أذنه في اللحظة التي أجاب فيها شخص ما.

قال صوت رجل: « مرحبًا. مرحبًا!».

سأل يوسي: «هل هذا إريك؟».

«لا، إنّه...».

«اسمي هو يوسي، هل بإمكانك إيصال رسالة إلى إريك؟ الأمر مهمّ جدًّا. نحن هنا في منزلي أنا وليديا وماريك و...».

تمّت مقاطعة يوسي حين صرخ شخص ما على الجانب الآخر من الخطّ. أخذ الخطّ يتقطّع. سعل أحدهم، بكت امرأة، ثمّ صمت كلّ شيء، وانتهى الاتّصال.

نظر يوسي إلى الهاتف، وحين همّ بالاتّصال بشخص آخر، ماتت البطّاريّة. تلاشت الشاشة لحظة تأرجح باب المخزن منفتحًا، ودلفت ليديا إلى الداخل.

قالت: «تمكّنت من رؤية هالتك عبر الشقوق في الباب، لقد كانت زرقاء ساطعة».

وضع يوسي الهاتف في جيبه ثمّ أخذ يملأ السلّة بالخشب.

قالت ليديا: «عُد إلى الداخل. بإمكاني فعل هذا».

قال: «شكرًا». ثمّ غادر مخزن الحطب.

رأى في طريق العودة إلى المنزل البلّورات الجليديّة وهي تلتمع على الثلج حين كان الضوء الساطع من النوافذ يتساقط عليها. كانت الأرض تتهشّم تحت قدميه. سمع صوت حركة مفاجئة خلفه، ثمّ صوت أزيز ولهاث جعله يفكّر في كلبه. حين كان كاسترو جروًا صغيرًا، كان يلاحق الفئران تحت الثلج حين يكون رقيقًا. كان يوسي يبتسم مع نفسه إذ أوقعته ضربة على مؤخّرة رأسه أرضًا. كاد أن يسقط على بطنه، ولكنّ الفأس العالقة في رأسه جذبته إلى الخلف. وقف هناك وذراعاه تتدلّيان على جانبيه. هزّت ليديا الفأس كي تحرّره. شعر يوسي بالدم يتدفّق على رقبته وظهره. جثا على ركبتيه ثمّ تهاوى إلى الأمام. شعر بالثلج على وجهه. رفس بساقيه، وانقلب على ظهره وهو يحاول النهوض ثانية. تشوّش بصره بسرعة، لكنّه تمكّن في لحظات وعيه الأخيرة من رؤية ليديا وهي ترفع الفأس عاليًا فوقه.

99

صباح الأحد، 20 ديسمبر

الأحد الرابع قبل الميلاد

قرفص بنيامين منحنيًا إلى جوار الجدار خلف التلفاز وهو يشعر بالدوار، غير قادر على التركيز في أيّ شيء. لكنّ أسوأ شيء كان عطشه. كان أقوى من أيّة مرّة شعر فيها بالعطش طوال حياته. كان الأمر أشبه بالاختناق، مثل حنجرة مليئة بالقروح المفتوحة. لم يكن جوعه بهذا السوء، لقد تمّ تجاوزه تمامًا بالعطش وبألم مفاصله. لم يكن يعلم كم مضى من الوقت على وجوده على أرض هذا المنزل وهو لا يفعل أيّ شيء.

أصغى بنيامين لصوت الثلج على السطح. تذكّر الطريقة التي دخلت فيها ليديا إلى حياته. كانت تركض خلفه ذات يوم حين كان عائدًا إلى المنزل من المدرسة قبل شهرين.

نادته وهي تعطيه قبّعته الصوفيّة: «لقد نسيت هذه».

توقّف ثمّ شكرها. نظرت إليه نظرة غريبة وقالت: «أنت بنيامين، أليس كذلك؟».

سألها كيف تعرف اسمه. مسّدت على شعره وأخبرته بأنّها هي من أنجبته: «ولكنّي أسميتك كاسبر. لقد رغبت أن يكون اسمك كاسبر».

أعطته رداءً صغيرًا أزرق محاكًا يدويًا وهمست: «لقد صنعت لك هذا حين كنت في بطني».

أخبرها بأنّ اسمه هو بنيامين بيتر بارك، ولا يمكن أن يكون طفلها، وهو يشعر بالأسف لأجلها. حاول أن يتكلّم معها بهدوء ولطف. أصغت إليه ثمّ هزّت رأسها بحزن.

قالت: «اسأل والديك. اسألهما إن كنت طفلهما حقًّا. إنّهما لن

يخبراك بالحقيقة، ولكنّك ستتمكّن من معرفة أنّهما يكذبان. لم يستطيعا الحصول على أطفال. لقد كانا خائفين من فقدانك، ولكنّك لست طفلهما حقًّا. أنت طفلي. بإمكاني أن أخبرك عن ماضيك الحقيقيّ».

قال: «ولكنّي لست متبنّى».

قالت: «علمت ذلك. علمت أنّهما لن يخبراك».

فكّر في الأمر ثمّ أدرك أنّ ما تقوله قد يكون صحيحًا، لأنّه شعر بأنّه مختلف منذ فترة طويلة جدًّا.

ابتسمت له ليديا وقالت: «لا يمكنني إثبات أيّ شيء لك. عليك فقط أن تثق بحدسك الخاصّ، وسوف تدرك مع الوقت صحّة ذلك».

افترقا ولكنّه رآها في اليوم التالي. ذهبا إلى مقهى وتحدّثا مطوّلًا. أخبرته أنّها قد أُجبرت على عرضه للتبنّي ولكنّها لم تنسه أبدًا، وكانت تفكّر فيه كلّ يوم منذ اللحظة التي أُخذ فيها منها، وأنّها افتقدته في كلّ دقيقة من حياتها.

أخبر بنيامين آيدا بكلّ شيء، واتّفقا على عدم إخبار إريك وسيمونا بخصوص هذا حتّى تتسنّى له الفرصة للتفكير جيّدًا في الأمر. أراد أن يتعرّف على ليديا أوّلًا، ويفكّر إذا كان يرغب في أن تكون والدته. أخذت ليديا تراسله على بريد آيدا الالكترونيّ. أرسلت له صورة قبر العائلة.

قالت: «أريدك أن تعرف من تكون. هنا دفنت أشقّاءك يا كاسبر. يومًا ما سنذهب هناك معًا. أنا وأنت فقط».

كان بنيامين قد شرع بتصديقها فعلًا. رغب في أن يصدّقها. لقد كانت قصّتها مثيرة للحماسة. بدا غريبًا بالنسبة إليه أن يشعر بكونه مميّزًا ومحبوبًا إلى هذه الدرجة. كانت تعطيه أشياء، ذكريات قديمة من طفولتها، كتبًا، نقودًا، كاميرا. هو بدوره أعطاها رسومات وأشياء كان يحتفظ بها منذ طفولته. لقد تمكّنت حتّى من إيقاف ذلك الفتى ويلورد عن مضايقته. أعطته في يوم ما ملاحظة كتبها ويلورد يقسم فيها بأنّه لن يقترب من بنيامين وأصدقائه ثانية. لن يتمكّن والداه من فعل أمر مماثلٍ

لهذا. أخذ يفكّر في أنّ والديه -الشخصين اللذين صدّقهما طوال حياته- كانا كاذبين. وجد نفسه منزعجًا لأنّهما لم يتحدّثا إليه يومًا، ولم يُظهرا له أنّه يعني أيّ شيء لهما.

لقد كان غبيًّا بشكل لا يصدّق.

أخذت ليديا تتحدّث عن القدوم إلى منزله وقضاء الوقت معه هناك. أرادت مفاتيحه. لم يفهم حقًّا لماذا أرادتها. أخبرها أنّه سيسمح لها بالدخول حين تقرع الجرس، ثمّ غضبت عليه. قالت إنّه يتعيّن عليها تأديبه إن لم يُطع أوامرها. تذكّر كيف كان عاجزًا عن الكلام. قالت إنّها أعطت عصا تأديب لوالديه حين كان صغيرًا جدًّا كدلالة على توقّعها أن يقوما بتربيته على أحسن وجه. ثمّ خطفت المفاتيح من حقيبة ظهره، وقالت إنّها هي من تقرّر متى تستطيع زيارة طفلها.

أدرك عندئذ أنّها مجنونة.

كانت تنتظره في اليوم التالي. مشى نحوها وبهدوءٍ شديد، وطالبها باستعادة مفاتيحه، وأخبرها بأنّه لا يريد رؤيتها مرّة ثانية.

قالت: «آه يا كاسبر! بالطبع بإمكانك أخذ مفاتيحك».

أعادتها له، وحين ابتعد، لحقت به. توقّف ثمّ سألها إن كانت لم تفهم بأنّه لا يريد رؤيتها بعد الآن.

نظر بنيامين إلى جسده. رأى كدمة كبيرة تنتشر فوق ركبته. سوف تنهار والدته إذا رأت هذا، فكّر.

كان ماريك واقفًا ينظر من النافذة كالعادة. سعل ثمّ بصق على النافذة، حيث يمكنه رؤية جسد يوسي وهو يستلقي على الثلج في الخارج. كانت آنبريت تجلس على الطاولة، وتبذل قصارى جهدها كي لا تبكي، فراحت تبلع ريقها وتتنحنح وتسعل. حين خرجت ورأت أنّ ليديا قد قتلت يوسي، صرخت حتّى قام ماريك بتوجيه البندقيّة نحوها قائلًا إنّه سيطلق النار إذا لم تتوقّف عن العويل.

لم يكن هناك من أثر لليديا. اتّكأ بنيامين على الجدار، وقال بصوت أجشّ: «ماريك هناك شيء عليك معرفته».

نظر ماريك إلى بنيامين بعينين سوداوين كحبوب الفلفل، ثمّ استلقى على الأرض، وأخذ يؤدّي تمارين الدفع.

صرخ: «ما الذي ترغب فيه أيّها الهراء الصغير؟».

ابتلع بنيامين ريقه فلسعته حنجرته. قال كاذبًا: «لقد أخبرني يوسي بأنّ ليديا سوف تقتلك. تقتله أوّلًا ثمّ آنبريت ثمّ أنت».

واصل ماريك تمارين الدفع ثمّ توقّف متنهّدًا: «مضحك جدًّا».

قال بنيامين: «ذلك ما قاله. إنّها تريدني أنا فقط. تريد أن تبقى وحدها معي. ذلك صحيح».

«بالفعل؟».

«نعم. أخبرني يوسي بما تنوي فعله، وأنّها سوف تبدأ بقتله، والآن هو...».

ثار ماريك: «اصمت!».

سأل بنيامين: «هل ستجلس فقط وتنتظر دورك؟ إنّها لا تهتمّ بك. هي تعتقد أنّنا سنشكّل عائلة أفضل وحدنا، أنا وهي فقط».

سأل ماريك: «هل قال لك يوسي حقًّا إنّها سوف تقتلني؟».

«أقسمَ بأنّها ستفعل...».

ضحك ماريك بصوت مرتفع وتوقّف بنيامين عن الكلام.

قال مبتسمًا: «سمعت فعلًا كلّ الأشياء التي يقولها الآخرون لتجنّب الألم. كلّ تلك الوعود والخدع الصغيرة والصفقات».

استدار ماريك إلى النافذة ثانية. تنهّد بنيامين وأخذ يفكّر في شيء آخر ليقوله حين دخلت ليديا. كان فمها مزمومًا ونحيفًا، ووجهها شاحبًا، وكانت تحمل شيئًا خلف ظهرها.

«إنّه الأحد ثانية»، أعلنت بملل وأغلقت عينيها.

همست آنبريت: «إنّه الأحد الرابع قبل الميلاد».

قالت ببطء: «أريد أن نفكّر في الأسبوع الفائت. قبل ثلاثة أيّام غادرنا يوسي. لم يعد بين الأحياء. إنّ روحه الآن في إحدى السماوات السبع.

سوف يتمّ تمزيقه إلى أشلاء عقابًا له على خيانته، وذلك عبر تجسّده بشكل حيوان أو حشرة لآلاف المرّات».

توقّفت.

سألت بعد مدّة: «هل كنتم تفكّرون جيّدًا؟».

أومأ الجميع وابتسمت ليديا بسعادة.

«كاسبر! تعال إلى هنا»، قالت بصوت منخفض.

حاول بنيامين أن ينهض وهو يبذل جهده كي لا يتجهّم وجهه من الألم، ولكنّ ليديا سألته: «هل تسخر منّي بوجهك هذا؟».

همس: «لا».

«نحن عائلة. يحترم أحدنا الآخر».

قال وهو يوشك على الانتحاب: «نعم».

ابتسمت ليديا وأخرجت الشيء الذي كانت تخبئه خلف ظهرها.



100

صباح الأحد، 20 ديسمبر

الأحد الرابع قبل الميلاد

أظهرت ليديا لبنيامين مقصًّا كبيرًا ذا نصلٍ عريض: «إذن ليست لديك مشكلة في مواجهة عقوبتك؟»، قالت بهدوء حين وضعت المقصّ على الطاولة.

«ولكن لا يمكنك ذلك. أنا طفل»، قال بنيامين وهو يترنّح.

صرخت: «قف بهدوء! لماذا لا يكفي أبدًا؟ لماذا لا تفهم أبدًا أبدًا؟ أنا أعاني. أنا أفعل كلّ شيء أستطيعه كي أجعل هذه العائلة صالحة ونقيّة. أريد أن ينجح الأمر فقط».

كان بنيامين يبكي وهو مطرق الرأس–كان ينشج بعمق وبقوّة.

«نحن عائلة، ألسنا كذلك؟».

قال: «نعم. نعم نحن كذلك».

«إذن لمَ تتصرّف بهذه الطريقة؟ تتسلّل خلف ظهورنا وتخوننا وتخدعنا وتسرق منّا وتقول أشياء مريعة وتُفسد كلّ شيء. لماذا تفعل بي هذا؟ تحشر أنفك فيما لا يخصّك وتثرثر وتنشر الأكاذيب؟».

قال بنيامين: «لا أعرف. أنا آسف».

التقطت ليديا المقصّ. كانت تلهث الآن، وكان وجهها متعرّقًا ووجنتاها ورقبتها محمرّة.

قالت بسعادة: «سوف تُعاقَب ثمّ سنتجاوز جميعًا هذا الأمر».

نظرت إلى آنبريت وماريك.

قالت: «آنبريت! تعالي إلى هنا».

اتّجهت آنبريت، التي كانت تجلس وتحدّق إلى الجدار، نحوها بحذر. بدت قلقة وذقنها ترتعش.

قالت ليديا: «اقطعي أنفه».

تحوّل وجه آنبريت إلى اللون الأحمر. نظرت إلى ليديا ثمّ إلى بنيامين، ثمّ هزّت رأسها.

صفعتها ليديا بقوّة على وجهها، ثمّ أمسكت بذراعها وجذبتها نحو بنيامين: «كان كاسبر يدسّ أنفه في أماكن لا تعنيه، ولهذا سوف يفقده الآن».

دعكت آنبريت وجنتها وهي تبدو شاردة تمامًا ثمّ التقطت المقصّ. التمع النصل أمام بنيامين. نظر إلى وجه المرأة القلق، ورأى عينيها وفمها ترتعش، ثمّ أخذت يداها ترتجفان.

زأرت ليديا: «افعلي ذلك».

أمسكت آنبريت بالمقصّ أمام بنيامين وهي تبكي بصوت مرتفع الآن.

انتحب بنيامين: «أنا مصاب بالهيموفيليا. سوف أنزف حتّى الموت إذا فعلتِ ذلك. أنا مصاب بالهيموفيليا».

ارتجفت يدا آنبريت وهي تحرّك المقصّ أمامه ثمّ أسقطته على الأرض.

«لا أستطيع»، أجهشت بالبكاء، «لا أستطيع فعل ذلك. إنّ المقصّ يؤلم يديّ. لا أتمكّن من الإمساك به».

«هذه هي العائلة»، قالت ليديا بصوت حازم حين انحنت بمشقّة لتناول المقصّ، «سوف تطيعينني وتحترمينني. هل تفهمين ذلك؟».

«لقد قلت فقط إنّ المقصّ يؤذي يديّ. إنّه كبير جدًّا كي...».

«اخرسي!» قاطعتها ليديا وهي تضربها على وجهها بالمقص. تأوّهت آنبريت واتّكأت على الجدار واضعة إحدى يديها على شفتها النازفة.

قالت ليديا لاهثة: «إنّ يوم الأحد مخصّص للتأديب».

«لا أستطيع»، توسّلت آنبريت، «أرجوك... لا أستطيع».

قالت ليديا بنفاد صبر: «تعالي هنا».

هزّت آنبريت رأسها وهمست بشيء ما.

«ما الذي قلته؟ هل قلت عنّي عاهرة؟».

«لا لا»، انتحبت آنبريت وهي تمدّ يدها، «سأفعل ذلك، سأقطع أنفه. سوف أساعدك. إنّه لا يؤذي إلى هذه الدرجة. ستتجاوزه بسهولة».

ناولتها ليديا المقصّ مع نظرة رضا. ذهبت آنبريت نحو بنيامين. ربّتت على رأسه، وهمست له بسرعة: «لا تخف. اركض فقط. اركض بعيدًا بأسرع ما تستطيعه».

نظر بنيامين إليها بذهول، محاولًا أن يقرأ النظرة في عينيها المذعورتين وفمها المرتعش.

رفعت آنبريت المقصّ، ولكنّها استدارت نحو ليديا وهاجمتها. لم تكن الضربة قويّة. رأى بنيامين ليديا وهي تتجنّب الضربة. أمسك ماريك برسغ آنبريت، وسحب ذراعها حتّى خلع مفصلها. صرخت آنبريت من الألم. صار بنيامين خارج الغرفة حين التقطت ليديا المقصّ عن الأرض ووجّهته نحو صدر آنبريت. راحت آنبريت تهزّ رسها يمينًا ويسارًا وهي تحاول الهرب.

حين تجاوز بنيامين الشرفة وخرج إلى البرد القارص للأدراج الأماميّة، تمكّن من سماع آنبريت تصرخ وتسعل.

مسحت ليديا الدم عن وجنتيها، ونظرت حولها باحثة عن الفتى.

مشى بنيامين بسرعة على المعبر الفارغ.

التقط ماريك البندقيّة عن الجدار، ولكنّ ليديا أوقفته.

قالت: «هذا درسٌ جيّد. ليس لدى كاسبر حذاء، وهو يرتدي بيجامته فقط، سوف يعود راكضًا إلى والدته حين يشعر بالبرد».

قال ماريك: «أو سوف يموت».

حاول بنيامين أن يتجاهل الألم وهو يركض بين صفّ المركبات. كان عطشًا جدًّا لدرجة أنّه كان يأكل الثلج وهو يركض. لم يشعر بقدميه أبدًا. راح ماريك يصرخ عليه من داخل المنزل. عرف الفتى أنّه لن يستطيع

التغلّب على ماريك. إنّه صغيرٌ وضعيف جدًّا. كان خياره الأفضل هو الاختباء في الظلمة في مكان ما، ثمّ يشقّ طريقه نحو البحيرة حين تهدأ الأمور قليلًا، قد يعثر على أحد ما يصطاد السمك هناك.

توجّب على بنيامين أن يتوقّف لالتقاط أنفاسه. أصغى إلى وقع الخطوات في إثره. ثمّ نظر إلى الغابة المعتمة وأخذ يتحرّك ثانية.

سوف يبتعد أكثر. ارتعش جسده بأكمله من الألم والبرد. انحنى ثمّ حشر نفسه تحت غطاءٍ كبير يغلّف قاطرة. زحف تحته إلى المركبة المجاورة ثمّ توقّف. أدرك أنّه يقف بين حافلتين قديمتين. وجد نافذة مفتوحة في إحدى الحافلات، فحاول أن يتسلّق فوق العجلات وينزلق إلى الفتحة. تجوّل في العتمة داخل الحافلة حتّى وجد كدسًا من الملابس البالية على أحد المقاعد وأحاط نفسه بها.

101

صباح الأحد، 20 ديسمبر

الأحد الرابع قبل الميلاد

إنّها العاشرة صباحًا، ولكن ضوء الصباح بالكاد يُرى. أضاءت المصابيح الكاشفة الممرّ الكونكريتيّ لمطار «ڤيلهلمينا». بعد رحلة استغرقت ساعة ونصف، وصلت طائرتهم ببطء الآن إلى محطّتها الأخيرة، بناية مطليّة بالأحمر وسط أرض مسطّحة بيضاء.

كانت صالة الوصول دافئة، وعلى نحو غير متوقّع مريحة. انبعثت موسيقى الميلاد من مكبّرات الصوت، وفاحت رائحة القهوة من مكانٍ يبدو مزيجًا من كشك الصحف ومكتب الاستقبال والمقهى. هناك مجموعة من المواد المصنّعة يدويًا والتي تحمل طابعًا نرويجيًا معلّقة خارج المتجر، سكاكين للزبدة، وأكواب خشبيّة، وحقائب ظهر.

أخرج جونا هاتفه بينما إريك يشير نحو حافلة صغيرة لنقل المسافرين تقف عند المخرج المقفر. هزّ جونا رأسه وبدا متضايقًا بشكل متزايد من الشخص الذي كان يحادثه. تمكّن إريك وسيمونا من سماع صوت أجشّ يتحدّث على الطرف الآخر من الخطّ. حين أنهى جونا المكالمة كان من المستحيل التكهّن بمعنى النظرة التي ارتسمت على وجهه. بدت عيناه جامدتين كالجليد.

سأل إريك: «ماذا هناك؟».

مدّ جونا رقبته لينظر خارج الشبّاك.

قال وهو يبدو مشوّشًا: «لقد فقدوا الاتّصال مع رجال الشرطة الذين ذهبوا إلى المنزل».

قال إريك بهدوء: «ذلك لا يبشّر بالخير».

«سأتّحدث مع المركز».

انتحت سيمونا بإريك جانبًا: «لا يمكننا أن نجلس هنا فقط وننتظرهم».

أجاب جونا: «لن نفعل. سنحصل على سيّارة، يجب أن تكون قد وصلت الآن».

تنهّدت سيمونا: «يا إلهي! كلّ شيء يستغرق وقتًا طويلًا بشكل سخيف».

قال جونا بنظرة حادّة: «إنّ المسافات مختلفة هنا».

رفعت سيمونا كتفيها. توجّهوا إلى المخرج، وعندما عبروا الباب واجههم برد مختلف وأكثر جفافًا.

وقفت سيّارتان باللون الأزرق الداكن أمامهم. ترجّل منهما رجلان يرتديان بزّة الإنقاذ الجبليّة البرتقاليّة اللون.

«جونا لينا؟»، سأل أحدهما.

أومأ جونا.

«لقد أخبرونا أن نزوّدك بسيّارة».

سأل إريك بقلق: «قوّات الإنقاذ الجبليّة؟».

«أين الشرطة؟».

انتصب أحد الرجلين في وقفته وقال باقتضاب: «لا يوجد فرق كبير بينهما هنا، الشرطة والجمارك والإنقاذ الجبليّ، نحن نساعد بعضنا البعض دومًا».

أضاف الرجل الآخر: «ولا يتوفّر العديد من الأشخاص هنا بسبب العطلات...».

وقفوا صامتين هناك. بدا إريك يائسًا الآن. فتح فمه ليقول شيئًا ما، ولكنّ جونا سبقه: «هل سمعتم أيّ شيء عن الدوريّة التي ذهبت إلى المنزل؟».

أجاب أحدهما: «ليس منذ الساعة السابعة صباحًا».

«كم يستغرق الوقت للوصول إلى هناك؟».

«إذا كنت متّجهًا إلى ʻسوتميʼ يجب أن تستعدّ لبضع ساعات».

أضاف الآخر: «ساعتان ونصف. هذا يعتمد على الوقت من العام».

«أيّ سيّارة سنأخذ نحن؟»، سأل جونا بنفاد صبر وهو يشرع بالمسير إلى إحداها.

قال أحد الرجلين: «لا فرق».

قال جونا: «أريد التي تحتوي على وقود أكثر».

قال أحدهما: «لديّ خمسة وأربعون لترًا في سيّارتي».

«أنت أكثر منّي بعشرة إذن».

قال جونا وهو يفتح باب السيّارة: «حسنًا».

دخلوا إلى السيّارة الدافئة، وأخذ جونا المفاتيح، ثمّ سأل إريك أن يقوم بضبط جهاز الـ «جي بي أس».

«انتظرا»، نادى جونا الرجلين وهما على وشك الدخول إلى السيّارة الثانية.

توقّفا.

«الدوريّة التي ذهبت إلى المنزل هذا الصباح، هل كانت من وحدة الإنقاذ الجبليّ أيضًا؟».

«نعم. صحيح».

توجّهوا إلى الشمال الغربيّ نحو «ڤوليخُن» ثمّ انعطفوا يمينًا إلى الطريق السريع 45. وفقًا لجهاز الـ «جي بي أس» بعد عشرة كيلومترات سيصلون إلى طريق متعرّج يأخذهم طوال الثمانين كيلومترًا المتبقّية إلى «كليمفيال» و«دايمادالين».

قادوا بصمت. لاحظوا حين صارت «ڤيلهلمينا» خلفهم وهم على الطريق إلى «سوتمي» أنّ السماء تصبح أفتح لَونًا. إنّه نور غريب رقيق يبدو وكأنّه ينير الأفق أمامهم. تمكّنوا من رؤية حدود الجبال والبحيرات حولهم.

قال إريك: «المكان يصير مضيئًا أكثر».

قالت سيمونا: «ولكن، لا يجب أن يحدث هذا قبل عدّة أسابيع».

قال جونا: «إنّ الثلج يمتصّ ضوء الغيوم».

أسندت سيمونا جبهتها إلى نافذة السيّارة. مرّوا قرب غابة مغطّاة بالثلج، وموشحة بمناطق بيضاء شاسعة حيث كانت الأشجار قد سقطت، وبحيرات داكنة، ومستنقعات كانت تنتشر مثل حقول داكنة واسعة. مرّوا بعلامات تحمل أسماء مثل «جيتنيم»، «ترولكلينتن» ونهر «لانسيلِه». تمكّنوا في العتمة من رؤية جرف ينحدر إلى البحيرة. كان جميلًا ويحبس الأنفاس. كانت بحيرة « ميڤاتنِه» عارية الضفاف ومتجمّدة، وتلتمع برقّة في النور الجليديّ.

بعد ساعة ونصف من القيادة في اتّجاه الشمال الغربيّ أصبح الطريق أضيق حين كان ينحدر نحو «بورياخون» وهي بحيرة كبيرة جدًّا. باتوا قريبين إلى الحدود النرويجيّة الآن، وأخذت الأراضي تتحوّل إلى جبال عالية مسنّنة. ومضت مصابيح سيّارة كانت تتّجه نحوهم. وقفوا إلى جانب الطريق ووقفت السيّارة الأخرى ثمّ تراجعت نحوهم.

«وحدة الإنقاذ الجبليّة»، قال جونا حين رأى العلامة على السيّارة التي تماثل سيّارتهم.

أنزل جونا النافذة، فامتصّ الهواء النقيّ البارد كلّ الدفء من السيّارة.

«هل أنتم الأشخاص من ستوكهولم؟»، صرخ نحوهم أحد الرجال في داخل السيّارة بلكنة فنلنديّة قويّة.

«نعم نحن»، ردّ جونا باللغة الفنلنديّة، «إنّ أبناء العاصمة لا يعرفون أيّ شيء».

ضحكا معًا، وانتقل جونا إلى اللغة السويديّة: «هل أنتم الأشخاص الذين ذهبتم إلى المنزل؟ لم يتمكّنوا من الاتّصال بكم».

قال الرجل: «مشكلة في اللاسلكي. هذا هدرٌ للوقود. لا يوجد أيّ شيء هناك».

«لا شيء؟ ولا أيّ علامة على حركة في المنزل؟».

هزّ الرجل رأسه.

«لقد تفحّصنا طبقات الجليد».

سأل إريك: «ماذا؟».

«أثلجت أربع مرّات منذ الثاني عشر من ديسمبر، وقد بحثنا عن أدلّة بين الطبقات المختلفة من الجليد».

قال جونا: «عمل جيّد».

«ولهذا فقد استغرقنا وقتًا طويلًا جدًّا».

«إذن لم يكن أيّ أحد في الأعلى هناك؟»، سألت سيمونا.

هزّ الرجل رأسه نافيًا.

«ليس قبل الثاني عشر من الشهر كما قلت».

«اللعنة»، قال جونا بهدوء.

«هل ستأتون معنا إذن؟».

هزّ جونا رأسه نافيًا: «قطعنا كلّ هذا الطريق من ستوكهولم، لن نرجع أدراجنا الآن».

رفع الرجل كتفيه لامباليًا.

«حسنًا، تفضّلوا».

لوّح الرجلان لهما ثمّ واصلا سيرهما.

قادوا في صمت. كان جونا وإريك وسيمونا جميعًا يفكّرون في شيء واحد: إنّ هذه الرحلة قد تكون خطأً قاتلًا. ربّما تمّ تضليلهم لسلوك الاتّجاه الخاطئ نحو عالم بلّوري شفّاف، بينما يتمّ احتجاز بنيامين في مكان مختلف تمامًا وهو عاجز من دون أدويته، وقد يكون ميّتًا الآن.

حلّ بعد الظهر، ولكن في أقصى الشمال، عميقًا في غابات «ڤاستربوتين»، بدا الأمر أشبه بمنتصف الليل.

102

منتصف نهار الأحد، 20 ديسمبر

الأحد الرابع قبل الميلاد

استقبلهم هواء جليديّ ساكن ورقيق حين وصلوا إلى منزل يوسي. مشوا المسافة المتبقّية على الجليد. أخرج جونا مسدّسه. كان يفكّر كم مرّ من الوقت منذ أن شاهد ثلجًا حقيقيًّا وشعر بلسعة البرد الجافّ على أنفه.

كانت هناك ثلاثة مبانٍ مرتّبة بشكل حرف U، والثلج قد غطّى السطوح بغطاء متموّج أبيض، كما تجمّع عند الأطراف وعلى النوافذ الصغيرة. نظر إريك حوله. كانت آثار عجلات سيّارة فريق الإنقاذ الجبليّ واضحة على الجليد وكذلك آثار أقدامهم حول المبنى.

«يا إلهي!»، همست سيمونا وهي تتقدّم بسرعة إلى الأمام.

قال جونا: «انتظري!».

«لا أحد هنا. إنّه فارغ. نحن...».

قاطعها جونا: «يبدو فارغًا. ذلك كلّ ما نعرفه».

انتظرت سيمونا وهي ترتعش حين مشى جونا على الثلج نحو المباني. توقّف عند إحدى النوافذ الضيّقة المستطيلة. انحنى للأمام ونظر إلى الداخل، إلى صندوق خشبيّ وبعض السجّادات البالية على الأرض. وُضعت الكراسي فوق مائدة الطعام وتمّ تفريغ المجمّدة وتُركت مفتوحة.

نظرت سيمونا إلى إريك. كان يتصرّف بشكل غريب وهو يتجوّل بسرعة هنا وهناك على الثلج ثمّ يقف وسط الفناء وبين المباني وينظر حوله. أوشكت أن تسأله ما الأمر حين أوضح بصوت مرتفع: «ليس هذا هو المكان».

قال جونا بيأس: «لا يوجد أحد هنا».

قال إريك بصوت مرتعش: «أعني أنّ هذا ليس المنزل المسكون».

«ما الذي تقوله؟».

«إنّه المكان الخطأ. إنّ لون منزل يوسي المسكون أخضر فاقع. سمعته وهو يصفه. هناك مخزن عند الشرفة، سطوح من القصدير ذات مسامير صدئة وصحن لاقط على السطح وفناء مليء بالسيّارات القديمة والحافلات والجرّافات...».

أشار جونا بيده: «هذا هو عنوانه الرسميّ».

«حسنًا، إنّه المكان الخطأ».

خطا إريك بضع خطوات نحو المبنى ثانية، ثمّ نظر بشكل جادّ إلى سيمونا وجونا وقال بحزم: «هذا ليس المنزل المسكون».

لعن جونا وأخرج هاتفه النقّال، ثمّ لعن ثانية حين تذكّر عدم وجود إشارة إرسال.

«حسنًا، لن نعثر على أيّ أحد لنسأله هنا. علينا إذن العودة، حتّى نحصل على الإشارة مجدّدًا».

وهو يعود إلى السيّارة، تراجعوا نحو الطريق. وحين كانوا على وشك الانطلاق، رأت سيمونا خيالًا داكنًا بين الأشجار. كان يقف بسكون تامّ يراقبهم وذراعاه تتدلّيان إلى جوار جسده.

صرخت: «هناك! هناك أحد ما».

103

منتصف نهار الأحد، 20 ديسمبر

الأحد الرابع قبل الميلاد

كانت الغابة على الجانب الآخر من الطريق كثيفة ومعتمة، والأشجار تترنّح تحت ثقل الثلوج. خرجت سيمونا من السيّارة رغم أنّ جونا طلب منها الانتظار. انعكست مصابيح السيّارة على نوافذ المنزل وحاولت سيمونا الاستفادة من الضوء للرؤية ما بين الأشجار. لحق إريك بها.

همست: «رأيت أحدًا ما».

أخرج جونا مسدّسه وتبعهما. حين توجّهت سيمونا بسرعة نحو حافّة الغابة، لمحت الرجل ثانية، أبعد قليلًا بين الأشجار.

صرخت: «مرحبًا! انتظر!».

ركضت لبضع خطوات، لكنّها توقّفت حين رأت وجهه. كان رجلًا مسنًّا ذا وجه كثير التجاعيد. كان قصيرًا جدًّا -بالكاد يصل إلى صدرها- ويرتدي معطفًا سميكًا متيبّسًا وبنطال جينز، ويمسك بهاتف خليوي أخضر اللون بيده، قبل أن يضعه في جيبه.

قالت سيمونا: «آسفون على إزعاجك».

أجاب بشيء لم تتمكّن من فهمه ثمّ نظر إلى الأسفل وغمغم بشيء ما. كان إريك وجونا يقتربان بحذر، وقد أعاد الأخير هاتفه إلى سترته.

«يبدو أنّه يتحدّث الفنلنديّة»، قالت سيمونا.

قال جونا: «انتظرا!». وتوجّه إلى الرجل.

سمع إريك جونا يقول اسم يوسي وهو يتقدّم ويشير نحو السيّارة. تحدّث الفنلنديّة بصورة واضحة وهادئة. أومأ الرجل المسنّ ببطء. أخرج علبة سجائر ثمّ أرجع رأسه إلى الخلف وكأنه ينظر أو يصغي إلى شيء ما. بعد أن هزّ سيجارته ونظر إليها، سأل جونا سؤالًا بصوت

رقيق. هزّ رأسه بحزنٍ ورمق إريك وسيمونا بنظرة تعاطف. حين قدّم لهما علبة السجائر، فكّر إريك أن يأخذ واحدة. شكره واستخدم الولّاعة التي قدّمها له.

كسر الرجل الفلتر من سيجارته وأشعلها. سمعته سيمونا يشرح شيئًا مطوّلًا لجونا. كسر غصنًا من إحدى الأشجار وأخذ يرسم على الثلج. انحنى جونا ثمّ أشار وسأله شيئًا ما. أخرج دفتر الملاحظات من جيبه ونقل تلك الخريطة. همست سيمونا شاكرةً ثمّ توجّهوا إلى السيّارة. استدار الرجل القصير وأشار نحو الأشجار، ثمّ اختفى في المعبر الطويل المؤدّي إلى الغابة.

مشوا بسرعة إلى السيّارة. كانوا قد تركوا الأبواب مفتوحة، ما جعل المقاعد باردة جدًّا، حتّى أنّها لسعت ظهورهم وأفخاذهم.

أعطى جونا لإريك الخريطة التي نقلها من رسمة الرجل المسنّ، وقال: «إنّه يتحدّث لغة خاصّة من الأوميا–سامي، لذلك لم أفهم معظم ما قاله. تحدّث عن أرض عائلة كوريك».

«لكنّه يعرف يوسي؟».

«نعم، إن فهمت بشكل صحيح، فلدى يوسي منزل آخر. إنّه كوخ للصيد في مكان أبعد داخل الغابة، حيث من المفترض أن تكون هناك بحيرة إلى اليسار، ثمّ مكان تنتصب فيه ثلاث صخور تذكاريّة. إنّ جرّافة الجليد لا تذهب لأبعد من تلك النقطة. سيتوجّب علينا المشي شمالًا من هناك حتّى نصل إلى المخيّم القديم».

نظر جونا إلى سيمونا وإريك بابتسامة ساخرة: «قال الرجل المسنّ إنّنا لو مشينا على جليد ’جوتشارنن‘ سنكون قد ابتعدنا كثيرًا». أبطأوا السير بعد أربعين دقيقة ووقفوا أمام ثلاث صخور. انتصبت متألّقة تحت ضوء مصابيح السيّارة لعدّة ثوان ثمّ اختفت.

أوقف جونا السيّارة عند حافة الغابة، وقال إنّ من الأفضل أن يحاول تمويهها. قطع بعض الأغصان ولم يكن لديه الوقت لفعل المزيد. حدّق إلى السماء المرصّعة بالنجوم ثمّ انطلق بأقصى سرعته يتبعه الآخران.

كانت هناك طبقة جافّة رقيقة فوق أكوام الثلج الناعمة العميقة. تحرّكوا بأقصى هدوء يستطيعونه. كانت إرشادات الرجل المسنّ جيّدة. رأوا بعد كيلومتر ونصف مخيّمًا قديمًا، وحين انعطفوا عن الطريق، أدركوا أنّ أشخاصًا مشوا عليه سابقًا. رأوا الدخان يخرج من مدخنة المنزل في الأسفل. كان الضوء المتسرّب من النوافذ يضيء الجدران الخضراء بلون الحبق.

هذا هو منزل يوسي، فكّر إريك، هذا هو المنزل المسكون.

كان الفناء الواسع مليئًا بالمركبات المغطّاة بالثلج، والتي كوّنت متاهة غريبة.

مشوا بهدوء نحو المنزل، يشقّون طريقهم خلال المعبر الضيّق بين السيّارات والحافلات والجرّارات والمحاريث والدرّاجات الناريّة.

شاهدوا فجأة خيال شخص عبر النافذة. لم يتمكّن إريك من التحمّل أكثر، وأخذ يركض نحو المنزل. تبعته سيمونا وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة. مشوا على الجليد نحو المعبر. كانت هناك جرّافة ومزلجة من الألمونيوم تستند إلى جدار المنزل. سمعوا صوت صراخ مكتوم ثمّ صوت ضربات سريعة منتظمة. نظر أحد ما من النافذة. كسر أحد الأغصان عند حافّة الغابة، وأغلق باب مخزن الحطب بقوّة.

104

مساء الأحد، 20 ديسمبر

الأحد الرابع قبل الميلاد

اختفى الشخص الذي كان واقفًا عند النافذة، وكلّ ما تمكّنوا من رؤيته هو الثلج المتطاير في الهواء. فُتح الباب وتسبّب الضوء المفاجئ لسيمونا وإريك بالدوار. كان أحد ما يوجّه مصباحًا كاشفًا نحوهما. قاما بتغطية عينيهما بأيديهما كي يتمكّنا من الرؤية.

صرخ إريك: «بنيامين!».

نزل شعاع الضوء إلى الأرض، ورأى إريك أنّ من تقف أمامه هي ليديا. كانت تحمل مقصًّا كبيرًا في يدها. أضاء النور المنبعث من مصباحها شكلًا ما على الثلج. إنّه يوسي. وجهه متجمّد وأزرق مائل للرماديّ وعيناه مغلقتان. هناك فأس تخرج من صدره، ويغطّي الدم المتجمّد جسده. وقفت سيمونا بصمت إلى جوار إريك، وتمكن من سماع صوت تنفّسها السريع المرتعب. لقد رأت الجثّة أيضًا. أدرك في تلك اللحظة أنّ جونا لم يكن معهما. خمّن إريك أنّه قد سلك طريقًا آخر، وأنّ بإمكان جونا التسلّل نحو ليديا من الخلف إذا شتّت هو انتباهها لوقتٍ كافٍ.

قال إريك: «ليديا! من الجيّد رؤيتك ثانية».

وقفت ساكنة تنظر إليهما فقط، من دون أن تتفوّه بكلمة. التمع المقصّ في يدها وهو يتأرجح بإهمال. أضاء النور المنبعث من المصباح الكاشف أرض المعبر الرماديّة.

أوضح إريك بهدوء: «لقد أتينا لنأخذ بنيامين».

قالت ليديا: «بنيامين! من يكون؟».

قالت سيمونا وهي تبتلع نصف كلماتها: «إنّه ابني».

حاول إريك أن يشير إليها بالبقاء هادئة، وهي ربّما رأت ذلك لأنّها تراجعت خطوة إلى الخلف وحاولت السيطرة على لهاثها.

قالت ليديا ببطء: «لم أرَ أبناء أيّ أحد. إنّه ابني أنا فقط».

قال إريك: «ليديا، أصغي إليّ. إذا استطعنا أخذ بنيامين فسوف نذهب من هنا وننسى كلّ ما حصل. أنا أعدك. لن أقوم بتنويم أيّ أحد مغناطيسيًّا».

«ولكنّي لم أره»، كرّرت ليديا وهي تنظر إلى المقصّ، «هنا ابني كاسبر فقط».

«دعينا نعطِه دواءه فقط»، توسّل إريك وهو يلاحظ أنّ صوته أخذ يرتعش.

كانت ليديا في موقع ممتاز الآن، فكّر بحماسة، إنّها تدير ظهرها للمنزل، وكلّ ما يحتاج جونا إلى فعله هو التسلّل للمنزل من الخلف ثمّ السيطرة عليها.

«أريدكما أن ترحلا الآن»، قالت باقتضاب.

اعتقد إريك أنّه تمكّن من رؤية شخص ما يتحرّك بالقرب من المركبات متّجهًا إلى المنزل. انتابته موجة من الارتياح. ظهرت نظرة حذرة على وجه ليديا. رفعت المصباح ووجّهته نحو مخزن الحطب ثمّ نحو الجليد.

قال إريك: «إنّ كاسبر يحتاج إلى الدواء».

أنزلت ليديا المصباح الكاشف ثانية. أتى صوتها قاسيًا وباردًا: «أنا والدته وأنا أعرف ما الذي يحتاج اليه».

أجاب إريك بسرعة: «أنتِ على حقّ بالتأكيد، أنتِ على حقّ. ولكن لو سمحت لنا بإعطاء كاسبر بعض الدواء... بإمكانك تربيته وتأديبه، إنّه يوم الأحد بعد كلّ شيء و...».

تقدّم شخصان من حافّة المنزل، جونا في المقدّمة وهو يمشي بتشنّج، وماريك خلفه مصوّبًا بندقيّة صيد إلى ظهره.

ابتسمت ليديا وتجاوزت المعبر وخطت بضع خطوات في الثلج.

قالت ببرود: «أطلق النار عليهم». ثمّ أشارت نحو سيمونا: «هي أوّلًا».

«هناك طلقتان فقط في البندقيّة»، أجاب ماريك.

قالت: «افعل ذلك كما تشاء ما دمت ستفعله».

قال إريك: «ماريك، لقد أوقفوني عن العمل. تمنّيت لو تمكّنت من مساعدتك».

ثارت ثائرة ماريك: «اخرس!».

«لقد بدأتَ بالكلام عمّا حصل في المنزل الكبير في زينتشكا-دوبويسكي».

«بإمكاني أن أريك ما حدث»، قال وهو ينظر إلى سيمونا بعينين ثاقبتين لامعتين.

قالت ليديا بنفاد صبر: «افعل ذلك فقط».

قال ماريك لسيمونا: «استلقي على الأرض، واخلعي بنطالك».

لم تتحرّك. وجّه ماريك البندقيّة نحوها، ولكنّها تراجعت قليلًا. تقدّم إريك للأمام، فصوّب ماريك نحوه بسرعة.

قال ماريك: «سأطلق النار على بطنه، ثمّ بإمكانه مشاهدتك وأنت تحظين بالمرح».

قالت ليديا: «افعلها فقط».

«انتظر!»، قالت سيمونا وشرعت في فتح بنطالها.

بصق ماريك على الثلج وتقدّم خطوة نحوها. بدا غير واثق تمامًا ممّا سيفعله. حدّق إلى إريك ولوّح بالبندقيّة نحوه ثانية. بدت عينا سيمونا منكسرتين. وجّه البندقيّة نحوها أوّلًا، نحو رأسها ثمّ إلى بطنها.

قال إريك: «لا تفعلي هذا».

أنزل ماريك البندقيّة ثانية واقترب من سيمونا. بينما تراجعت ليديا.

قال ماريك بهدوء: «أمسكي بالبندقيّة».

تقدّمت ببطء. ارتفع صوت طقطقة من جهة المركبات المغطّاة

بالثلج، تبعه صوت ضجّة هادرة. إنّه محرّك عاد إلى العمل. أنيرت أضواء ساطعة تحت طبقة الثلج، وأضيئت الأرض تحت أقدامهم فجأة بلون أبيض ضبابيّ. أخذ محرّك ما يزأر ويهدر، وأخذ الثلج يتحرّك، حين شرعت حافلة قديمة مغلّفة بغطاء من القنّب تتحرّك خارج الغطاء المتجمّد وتتّجه نحوهم.

105

مساء الأحد، 20 ديسمبر

الأحد الرابع قبل الميلاد

تحرّك جونا بسرعة مذهلة حين استدار ماريك لينظر إلى الحافلة، وأمسك بأسطوانة البندقيّة. تمسّك ماريك بها، ولكنّه أُجبر على التقدّم للأمام. لكمه جونا بقوّة على صدره، وحاول أن يركل ساقيه، لكنّ ماريك لم يسقط. ضربت أسطوانة البندقيّة جبهة جونا ثمّ انزلقت على فروة رأسه. كانت أصابع ماريك باردة جدًّا، ففقدت قبضته السيطرة على السلاح. طار في الهواء وسقط أمام ليديا. أسرعت سيمونا إليه، ولكنّ ماريك أمسك بها من شعرها وسحبها إلى الخلف.

علقت الحافلة عند شجرة صنوبر صغيرة وراح محرّكها يزأر. تطايرت أبخرة العادم مع الثلج في الهواء. استمرّ بابها الأماميّ يفتح ويغلق مصدرًا أزيزًا متصاعدًا. هدر المحرّك بصوت أعلى ثانية. كانت عجلاتها تدور وتُصدر سلاسل الجليد صريرًا وصخبًا.

«بنيامين!»، صرخت سيمونا، «بنيامين».

بدا وجه بنيامين القلق واضحًا من خلال الزجاج الأماميّ للحافلة، كان أنفه ينزف. ركضت ليديا نحو الحافلة ممسكة ببندقيّة ماريك وتبعها إريك. دفعت ليديا الباب وصرخت بشيء على بنيامين، ثمّ ضربته بفوّهة البندقيّة ودفعته بعيدًا عن مقعد السائق. لم يتمكّن إريك من الوصول إلى هناك في الوقت المناسب. رأى الحافلة وهي تنحدر إلى الخلف، ويرتفع أحد جانبيها بحدّة، ثمّ تنزلق نحو المنحدر صوب البحيرة. صرخ إريك على ليديا بأن تتوقّف، وهرع خلفها على الطريق الذي شقّته الحافلة في الجليد.

لم يكن ماريك ليترك شعر سيمونا. راحت تصرخ وهي تحاول أن

ترخي قبضته. تحرّك جونا إلى الجانب بسرعة. خفض كتفه وأدار جسده ثمّ وجه قبضته المغلقة نحو الأعلى ضاربًا ماريك بكلّ قوّته تحت إبطه. تراخت ذراعه إلى الخلف وكأنّها كُسرت. تحرّرت سيمونا أخيرًا، لتتحرّك وتهرب بعيدًا ثمّ رأت المقصّ يستقرّ على الثلج.

هجم ماريك بيده السليمة، لكنّ جونا تجنّب الضربة، ووضع ثقل جسده على كوعه، ثمّ ضرب ماريك عند الرقبة متسبّبًا في كسر عظم الترقوة. سقط ماريك على الأرض وهو يصرخ. ولكن حين أسرعت سيمونا إلى المقصّ، ركلها ماريك على بطنها، وأمسك بالمقصّ ملوّحًا به في الهواء على شكل قوس بيده السليمة. صرخت سيمونا حين رأت وجه جونا يتقلّص من الألم حين اخترق النصل فخذه الأيمن. تناثر الدم على الثلج، ولكنّ جونا استمرّ واقفًا على قدميه. كان يمسك بالأصفاد في يده ثمّ استخدمها لضرب ماريك فوق أذنه اليسرى ضربة قويّة. وقف ماريك ساكنًا وهو يحاول قول شيء ما ويحدّق إلى الأمام. كان الدم يتدفّق من أذنه وأنفه ويتنفّس بصعوبة. اندفع جونا صوبه ضاربًا إيّاه على معدته ثمّ مقيّدًا يديه خلف ظهره.

لهث إريك ليلتقط أنفاسه حين أسرع في أثر الحافلة. في الظلمة، كانت المصابيح الخلفيّة تتألّق أمامه بينما حزمة الضوء الصادرة من المصابيح الأماميّة تسطع للأمام على الغابة. علت ضجّة كبيرة حين اصطدمت إحدى المرايا الجانبيّة بشجرة ما.

أَمِلَ إريك أن يساعد البرد ابنه، لأنّ كون درجة الحرارة تحت التجمّد قد تقلّل درجة حرارة جسده وتتسبّب في زيادة كثافة دم بنيامين قليلًا، إلى الدرجة التي تسمح له بالبقاء على قيد الحياة بالرغم من إصابته.

كانت الأرض تنحدر بشدّة خلف المنزل. تعثّر إريك بشيء ما تحت الجليد، لكنّه نهض ثانية. كانت الحافلة تبدو مثل ظلّ بعيد. خيال محاط بألق ضبابيّ.

توقّفت الحافلة ثمّ رآها وهي تنعطف وتتّجه نحو الجليد. صرخ على ليديا أن تتوقّف.

علق أحد الحبال من حاجز الميناء بغطاء الحافلة وسحبه عن سطحها.

استطاع إريك حين اقترب من الجرف أن يشمّ رائحة الديزل، كانت الحافلة قد توغلت لمسافة عشرين مترًا وسط البحيرة.

انزلق على المنحدر. واصل الركض بالرغم من انقطاع أنفاسه.

توقّفت الحافلة. سيطر الذعر على إريك حين رأى المصابيح الخلفيّة وهي تميل إلى الأعلى

كشخص يرفع عينيه.

تصدّع الجليد وصدر عنه صوت هدير وزئير مهول. علقت الحافلة هناك. كانت العجلات تدور بالاتّجاه المعاكس، ولكنّها هشّمت الجليد أكثر وحسب.

انتزع إريك طوق النجاة من موقعه على الجرف، وأخذ يركض نحو البحيرة، وقلبه يتسارع في صدره. كان هناك صوت تصدّعٍ متكرّر وأصوات تناثر المياه بينما الجليد يتحطّم.

تخيّل إريك أنّه يستطيع رؤية وجه أبيض وسط المياه المتلاطمة داخل الحافلة.

صرخ: «بنيامين!».

غمرت الأمواج الجليد وجعلته زلقًا جدًّا. ربط الحبل المثبت على طوق النجاة حول خصره ثمّ شدّه بقوّة حتّى لا ينفلت، ورماه إلى المياه الداكنة. لكنّه لم يستطع رؤية أيّ أحد هناك الآن. كان المحرّك يهدر والوميض الأحمر للمصابيح الخلفيّة ينتشر بين طبقات الجليد المتصدّعة ومقدّمة الحافلة تغرق. اختفت المصابيح الأماميّة تحت الماء، وبقي سطحها هو الجزء الوحيد فوق الماء. توقّف المحرّك فجأة وبدا الصمت غريبًا جدًّا بعد كلّ ذلك الصخب. استمرّ الجليد بالتهشّم والتصدّع والمياه القاتمة تموج بالفقّاعات.

رأى إريك أنّ بنيامين وليديا ما زالا داخل الحافلة. مالت الأرضيّة بشدّة، وحاولا التحرّك إلى المؤخّرة. تمسّك بنيامين بمقبض اليد. غمرت المياه سطح الحافلة الأماميّ تقريبًا. أسرع إريك نحو ثغرة في الجليد وقفز منها إلى سطح الحافلة. استطاع سماع سيمونا تصرخ من

بعيد. زحف إريك نحو الفتحة الموجودة على سطح الحافلة. وقف هناك وركلها بقوّة فتطايرت الشظايا على الأرضيّة والمقاعد ونزل هو إلى الداخل متدلّيًا من ذراعيه. وضع قدميه على حافّة أحد المقاعد وأكمل نزوله إلى الأسفل. بدا بنيامين مذعورًا. لم يكن يرتدي شيئًا سوى بيجامته والدم يقطر من أنفه، ولديه كدمة على وجنته.

صرخ: «أبي!».

استدار إريك ليرى إلى ماذا يحدّق بنيامين. رأى ليديا تقف في مؤخّرة الحافلة وقد علت وجهها نظرة حاسمة. كانت تمسك بالبندقيّة والدم يتدفّق من فمها. مقعد السائق تحت الماء الآن. ترنّحت الحافلة وانحدرت الأرضيّة أكثر. تسرّب الماء خلال الحواجز المطّاطيّة التي تغلّف الباب.

صرخ إريك: «يجب أن نخرج من هنا».

هزّت ليديا رأسها ببطء.

قال من دون أن يحيد ببصره عن ليديا: «بنيامين، تسلّق فوقي ثمّ اخرج من فتحة السطح».

لم يُجب بنيامين، ولكنّه فعل ما قاله له إريك، شقّ طريقه نحوه بصعوبة. تسلّق على أحد المقاعد ثمّ على ظهر إريك وكتفيه. حين وصل إلى الفتحة، رفعت ليديا البندقيّة وأطلقت النار. شعر إريك باهتزاز عنيف في كتفه أطاح به أرضًا، لكنّه لم يشعر بالألم حتّى وقف ثانية على قدميه ورأى الدم يتدفّق من ذراعه. تدلّى بنيامين من الفتحة. توجّه إريك نحوه ودفعه للأعلى بيده السليمة. استطاع رؤية ليديا وهي ترفع البندقيّة نحوه ثانية. كان بنيامين على السطح حين أطلقت الرصاصة الثانية. أخطأت ليديا الهدف. مرّت الرصاصة قرب ورك إريك، وحطّمت نافذة كبيرة خلفه متسبّبة في تدفّق الماء المتجمّد إلى الحافلة بسرعة. تصاعدت وتيرة الأحداث الآن. حاول إريك الوصول إلى فتحة السطح، ولكنّ الحافلة ترنّحت جانبًا، وانتهى بهما الأمر تحت الماء.

106

مساء الأحد، 20 ديسمبر

الأحد الرابع قبل الميلاد

جعلت الصدمة التي تسبّب بها الماء البارد إريك يفقد وعيه لبضع ثوانٍ. حين استعاد وعيه، رفس ساقيه بجنون، وارتقى للسطح، وملأ رئتيه بالهواء. أخذت الحافلة تغوص في المياه الداكنة. انقلبت، ووجد نفسه تحت الماء ثانية. كانت أذناه تطنّان، وكان محاطًا ببرد لا يُحتمل. خلال النافذة، تمكّن من رؤية المصابيح الأماميّة وهي تنير أعماق البحيرة. كان قلبه يخفق بسرعة في صدره، وشعر بوجهه ورأسه يتجمّدان. استطاع رؤية ليديا تحت الماء وهي تتشبّث بمقبض اليد في مؤخّرة الحافلة. تمكّن من رؤية الفتحة في السطح والنافذة التي تحطّمت بفعل الطلقة. عرف أنّ الحافلة تغرق. عليه أن يسبح إلى الخارج. ليست هناك لحظات لتضييعها. عليه أن يقاتل، ولكنّ ذراعيه لا يعملان. شعر بأنّه منعدم الوزن، ولا يتمكّن من الإحساسِ بساقيه. حين حاول الحركة، افتقر إلى التناغم.

تنبّه إريك لكونه محاطًا بغيمة من الدماء من الجرح في كتفه.

التقت عيناه بعيني ليديا. كانا معلّقين في الماء البارد ينظر أحدهما إلى الآخر.

كان شعر ليديا يتطاير في الماء وفقّاعات صغيرة تخرج من أنفها مثل حبّات من اللؤلؤ.

احتاج إريك إلى أن يتنفّس -كانت حنجرته تضيق- ولكنّه قاوم رغبة رئتيه بالاستنشاق. كان صدغاه ينبضان وضوء أبيض يومض في رأسه.

انخفضت درجة حرارة جسده جدًّا، حتّى أنّه أوشك على فقدان وعيه. كان هناك صوت رنين ثاقب وصاخب يتزايد في أذنيه.

فكّر إريك في سيمونا وبنيامين. شعر وكأنّه في حلم، طاف في الماء المتجمّد. أدرك فجأة بأنّه سيموت، فتقلّصت معدته من الخوف.

كان قد فقد كلّ إحساس بالاتّجاه، وبجسده، وبالنور، وبالعتمة. الماء يبدو دافئًا الآن، وحتّى ساخنًا. عرف أنّ عليه فتح فمه قريبًا والاستسلام فقط، تاركًا رئتيه تمتلآن بالماء وسامحًا للنهاية بأن تأتي. شعر بالحبل حول خصره يُجذب. لقد نسي أنّه قام بربط طوق نجاة حول نفسه. لا بدّ من أنّه عالق الآن في شيء ما. راح يُسحب بقوّة إلى أحد الجوانب. لم يستطع فعل أيّ شيء. لم تتبقّ لديه أيّة قوّة. انزلق جسده المتراخي حول أحد الأعمدة ثمّ نحو الأعلى باتّجاه الفتحة في السطح. ضرب مؤخّرة رأسه بشيء ما. فقد فردة حذائه. وأخيرًا، صار في الخارج. في الماء المظلم. راقب الحافلة حين كان يُحمل نحو الأعلى وهي تغوص للأسفل من دونه. بالكاد استطاع رؤية ليديا داخل ذلك القفص المضيء، وهي تتّجه بهدوء نحو أعماق البحيرة.



107

يوم الخميس، 24 ديسمبر

حين وصلت المروحيّة إلى المستشفى في «أوميا»، كان إريك يعاني من انخفاض شديد في درجة الحرارة، ولكنّ جرح الرصاصة لم يكن خطيرًا. كانت الرصاصة قد مرّت مباشرة عبر عضلة كتفه وخدشت العظم فقط. وُضع بعد العمليّة الجراحيّة في غرفة واحدة مع بنيامين الذي أُدخل لغرض مراقبته ومعالجته من الجفاف. لم يكن قد عانى من أيّ نزف خطير، وقد تعافى بسرعة. أخذ يسأل بعد يوم واحد في المستشفى عن موعد عودتهم إلى المنزل. كان إريك وسيمونا في البداية رافضين لتلك الفكرة، ويفضّلان بقاءه في المستشفى لفترة أطول. بسبب حالته الصحّيّة أوّلًا، ولكي تتسنّى له الفرصة للقاء مستشار نفسيّ يساعده على مواجهة الظروف التي مرّ بها ثانيًا.

بدا الاختصاصيّ النفسيّ الذي اختارته المستشفى مشغولًا، ولم يظهر أنّه يقدّر حجم الخطر الذي تعرّض له بنيامين. بعد أن تحدّث مع بنيامين لخمس وأربعين دقيقة، أعلن أنّ الفتى في حالة ممتازة نظرًا لهذه الظروف، وأنّ على إريك وسيمونا تركه ليتعامل مع كلّ شيء بطريقته الخاصّة.

غير أنّهما عرفا أنّ بنيامين بحاجة إلى المساعدة. تمكّنا من رؤيته يغوص في ذكرياته، التي لم يكن من السهل تجاوزها... كانا قلقين من عزمه على دفنها في داخله.

قال إريك: «أنا أعرف مجموعة من الأطبّاء النفسيّين الجيّدين. سوف أتحدّث إليهم حال وصولنا إلى المنزل».

«حسنًا».

واصل إريك: «ماذا عنكِ؟ كيف تشعرين؟».

«لقد سمعت عن ذلك المنوّم المغناطيسيّ الذي...».

«عليك أن تحذري منه».

«أعلم»، ابتسمت سيمونا.

قال بعد برهة: «جدّيًا، مع ذلك علينا جميعًا أن نجد طريقة نتعامل بها مع كلّ ذلك».

أومأت ثمّ بدأت تفكّر.

قالت بحنان: «بنيامين الصغير».

استلقى إريك في الفراش إلى جوار بنيامين ثانية، وجلست سيمونا على كرسيّ قربهما. نظرا إلى ابنهما وهو يرقد هناك، شاحبًا ونحيلًا. حدّقا إلى وجهه وكأنّه قد ولد لتوّه.

سأله إريك بلطف: «إذن، كيف تشعر؟».

أدار بنيامين رأسه جانبًا ونظر خارج النافذة. كانت العتمة في الخارج تحيلها إلى مرآة مشوّشة بينما الرياح تعصف بها.

108

يوم الخميس، 24 ديسمبر

سمع بنيامين صوت الطلقة الثانية بعد أن تسلّق على سطح الحافلة. تسبّب ذلك في انزلاقه، وأوشك على السقوط في الماء. رأى في تلك اللحظة سيمونا وهي تقف عند حافّة الفجوة الجليديّة. صرخت بأنّ الحافلة ستغرق، وعليه أن يعبر على الجليد. شاهد بنيامين طوق النجاة في المياه المتلاطمة السوداء خلف الحافلة، فقفز نحوه وتمسّك به، ثمّ وضعه حوله واستعان به ليسبح وسط الجليد. سحبته سيمونا إلى خارج الماء، خلعت معطفها ودثّرته به وأخبرته أنّ المروحية في طريقها إلى هنا.

صرخ بنيامين: «ما زال أبي في الأسفل هناك!».

راحت الحافلة تغرق بسرعة، فقّاعات الهواء الكبيرة تتكسّر على السطح. وقفت سيمونا وشاهدت شظايا الجليد وهي تستقرّ ثانية في المياه الهائجة.

مشت عائدة على الجليد وهي تحتضن بنيامين بقوّة. فجأة انتفض جسده وتمّ سحبه من بين ذراعيها. كان الحبل المربوط إلى طوق النجاة يُسحب فوق الجليد إلى ما تحت الماء، وبنيامين يُسحب إلى الخلف.

حاول المقاومة ولكنّ قدميه العاريتين كانتا تنزلقان على الجليد وهو يصرخ. تمسّكت سيمونا به وانزلقا معًا بالقرب من الفجوة.

صرخ بنيامين على سيمونا: «إنّه أبي! لقد ربط الحبل حول خصره».

ارتسمت نظرة من الثبات والعزيمة على وجهها. أمسكت بطوق النجاة. أحاطته بكلتا ذراعيها، وحاولت أن تثبّت كعبيها في الجليد. تقلّص وجه بنيامين من الألم حين تواصل سحبهما نحو الماء. كان الحبل مشدودًا جدًّا لدرجة أنّه أصدر صوتًا أشبه بصوت المنشار على الجليد. قُلبت الآية فجأة. الحبل ما زال ثقيلًا، ولكنّهما تمكّنا من

التحرّك إلى الخلف بعيدًا عن المياه، ثمّ لم تعد هناك مقاومة تشدّهما أبدًا. لقد سحبا إريك عبر الفتحة في سطح الحافلة وهو الآن يطفو على السطح. تمكّنت سيمونا بعد عدّة ثوانٍ من سحبه نحو الجرف الجليديّ. رقد هناك على وجهه، وهو يبصق ويسعل، بينما بقعة حمراء تنتشر تحته.

حين وصلت الشرطة وسيّارة الإسعاف إلى كوخ يوسي، وجدوا جونا مطروحًا على الجليد مع ضمادة مؤقّتة موضوعة على فخذه إلى جوار ماريك الصارخ، وجثّة يوسي المتجمّدة تقبع هناك عند أسفل الأدراج والفأس عالقة في صدره. عثرت الشرطة ووحدة الإنقاذ الجبليّة على ناجٍ آخر داخل المنزل، إنّها صديقة يوسي، آنبريت، والتي كانت قد اختبأت داخل الخزانة في غرفة النوم.

كانت تنزف من جرح على وجهها، حين عثروا عليها مختبئة خلف أكوام الملابس مثل طفلة صغيرة. نقلها المسعفون إلى سيّارة الإسعاف لإجراء الإسعافات الطارئة.

غطس غوّاصو الشرطة بعد يومين إلى البحيرة كي يستعيدوا جثّة ليديا. كانت الحافلة تستقرّ على دواليبها الستّة على عمق أربعة وستّين مترًا، وكأنّها قد توقّفت للتوّ كي تلتقط الركّاب. دخل أحد الغوّاصين عبر الباب الأماميّ وأضاء مصباحه الكاشف على المقاعد. كانت البندقيّة تستقرّ على الأرض في نهاية الممرّ، حين وجّه الضوء للأعلى فقد وجد ليديا. كانت تطوف في الأعلى وظهرها لصيق بسطح الحافلة ورأسها وذراعاها يتدليّان إلى الأسفل، وبشرة وجهها قد أخذت ترتخي وتتقشّر وشعرها الأحمر يتأرجح برفق مع التيّار. بدا فمها مسترخيًا، وقد أغلقت عينيها وكأنّها نائمة فقط.

لم تكن لدى بنيامين أيّة فكرة عن مكان احتجازه في الأيّام الأولى من اختطافه. ربّما احتفظت به ليديا في منزلها أو في منزل ماريك. كان مخدّرًا ولا يفهم ما يجري حوله. ربّما قاموا بإعطائه جرعات أخرى حين أخذ يصحو. كانت الأيّام الأولى مجرّد فراغ وتيه كامل.

استعاد وعيه في صندوق السيّارة حين كانوا يتّجهون إلى الشمال،

ووجد أنّ هاتفه ما زال مربوطًا إلى عنقه. اختطفوه في منتصف الليل، ولم يخطر في ذهنهم أنّه يحتفظ بهاتفه معه حين ينام. استطاع الاتّصال بإريك، ولكنّهم تمكّنوا من سماع صوته من داخل السيّارة وأخذوا الهاتف منه.

ثمّ حلّت الأيّام الطويلة المريعة. تمكّن إريك وسيمونا من جعله يذكر أجزاء منها فقط. لم يعرفا أكثر من كونه أجبر على الاستلقاء أرضًا في كوخ يوسي مع طوق كلب حول عنقه. وبالنظر إلى وضعه حين وصل إلى المستشفى، فإنّه لم يأكل أو يشرب أيّ شيء لعدّة أيّام. كانت إحدى قدميه مصابة بقضمة صقيع ولكنّها قابلة للشفاء. أخبرهما أنّه تمكّن من الهرب بمساعدة يوسي وآنبريت، ثمّ صمت لفترة قبل أن يواصل، أنقذه يوسي حين كان يحاول الاتّصال بالمنزل وساعدته آنبريت على الهروب إلى الثلج فقطعت ليديا أنفها. زحف بنيامين بين السيّارات القديمة، ثمّ اندسّ في إحدى الحافلات المغطّاة بالثلج عبر نافذة مفتوحة، وهناك لفّ نفسه بملاءة بالية منعته ربّما من التجمّد حتّى الموت. غفا على مقعد السائق، واستيقظ بعد عدّة ساعات حين سمع صوت والديه.

همس بنيامين: «لم أعرف إن كنتُ على قيد الحياة أم لا».

ثمّ سمع صوت ماريك وهو يهدّدهما، وأدرك أنّه كان يجلس على مقعد سائق الحافلة، وهو يحدّق إلى مفاتيح التشغيل. من دون أن يفكّر فيما يفعله، أدار المفتاح وسمع صوت المحرّك وهو يضجّ بالحياة، ثمّ قاد إلى الموقع الذي ظنّ أنّ ماريك كان واقفًا فيه.

صمت بنيامين ثانية وكانت الدموع تتدلّى من أهدابه.

109

يوم الخميس، 24 ديسمبر

بعد يومين في المستشفى في «أوميا»، صار بنيامين قويًّا كفاية كي يبدأ بالمشي ثانية. ذهب مع إريك وسيمونا لرؤية جونا، الذي كان يرقد في العناية الخاصّة بمرضى العمليّات الجراحيّة. كان فخذه قد جُرح بشدّة حين طعنه ماريك بالمقصّ، ولكنّ الأطبّاء قالوا إنّه سيعود إلى طبيعته بعد عدّة أسابيع من الراحة. جلست امرأة جميلة إلى جواره. كان شعرها مصفّفًا بشكل جديلة تتدلّى على إحدى كتفيها. كانت تقرأ له بصوت مرتفع حين دخلوا إلى هناك. قدّمت نفسها باسم: ديسا صديقة جونا منذ عدّة أعوام.

«نحن في نادٍ للقراءة وأريد التأكّد من كونه يتابع معنا»، قالت ديسا بلكنة فنلنديّة سويديّة وهي تضع الكتاب جانبًا.

لاحظت سيمونا أنّها تقرأ كتاب فيرجينيا وولف «إلى الفنار».

قالت ديسا مبتسمة: «سأقوم باستئجار شقّة صغيرة من أحد أفراد وحدة الإنقاذ الجبليّة».

قال جونا لإريك: «سوف نخصّص مرافقًا من الشرطة في 'آرلاندا' لكم».

اعترضت سيمونا وإريك على ذلك. شعرا بأنّهما بحاجة إلى أن يكونا وحدهما مع ابنهما. لم يرغبا في مقابلة أيّ ضابط شرطة لفترة من الوقت.

حين سُمح لبنيامين بالخروج، تدبّرت سيمونا تذاكر العودة إلى المنزل، ثمّ ذهبت إلى المقهى. ولكن، للمرّة الأولى كان مقهى المستشفى مغلقًا. خارج أبوابه، كانت هناك طاولة عليها إبريق من عصير التفّاح وبعض المقرمشات. حين ذهبت إلى الخارج، وحاولت العثور

على مقهى في مكان ما، اكتشفت أنّ الأماكن مقفرة. هناك هدوءٌ رقيق يخيّم على المدينة. توقّفت عند محطّة الحافلات، وانتظرت هناك لبرهة وهي تحدّق إلى الطرقات المغطّاة بالثلج. تمكّنت من بعيد من رؤية النهر. كان ماؤه الأسود اللامع مرصّعًا بالجليد الأبيض.

شعرت عندئذ فقط بالاسترخاء. لقد انتهى كلّ شيء، فكّرت، لقد استعادا بنيامين.

حين وصلوا إلى مطار «آرلاندا»، رأوا مرافق الشرطة الذي أرسله جونا في انتظارهم إلى جوار مجموعة من الصحفيّين مع كاميراتهم ومكبّرات الصوت. توجّهوا من دون أن يقولوا كلمة إلى مخرج آخر واستقلّوا سيّارة أجرة. سافرت سيمونا وإريك وبنيامين إلى ستوكهولم تحت السماء الداكنة. كان الهواء مثقلًا بالمطر، والمدينة قد غُمرت بوهج أرجوانيّ، والمصابيح تتدلّى من أشجار عيد الميلاد وعلى طول حافّات الشرفات، وواجهات المحال مزيّنة بالأقزام وبالنجوم.

اعتمر سائق سيّارة الأجرة الذي أقلّهم إلى فندق «بيرجر يارل» قبّعة قزم. لوّح لهم بملل حين انطلق مبتعدًا. رأوا أنّه قد وضع ملصقًا بلاستيكيًّا لسانتا على علامة سيّارة الأجرة على السطح.

نظرت سيمونا إلى ردهة الاستقبال وإلى النوافذ المعتمة لمطعم الفندق. قالت سيمونا: «يبدو غريبًا أن تمكث في فندق وأنت على مبعدة مئات الأمتار عن المنزل، ولكنّي حقًّا لا أرغب في العودة إلى شقّتنا مرّة أخرى».

قال إريك: «بالطبع لا».

«أبدًا».

قال بنيامين: «وكذلك أنا».

سأل إريك: ت «ما الذي سنفعله؟ نشاهد فيلمًا؟».

قال بنيامين بهدوء: «أنا جائع».

كانوا يقفون ببلادة خارج الفندق. شرعوا بالسير نحو شارع «تول» ثمّ شارع «أودن»، ثمّ توقّفوا عند التقاطع مع «سي بوليڤارد» ونظروا

حولهم. ارتدى بنيامين كنزة من مفقودات الشرطة، كانت كبيرة عليه، كما اعتمر قبّعة صوفيّة اشترتها له سيمونا من المطار مع زوج من القفّازات الصوفيّة. بدت منطقة «فازاستان» في ستوكهولم مهجورة وفارغة. بدا كلّ شيء مغلقًا-محطّة القطارات، موقف الحافلات والمطاعم، كلّها ساكنة وصامتة. نظر إريك إلى ساعته، إنّها الرابعة عصرًا، هناك امرأة تسرع عبر شارع «أودن» وهي تحمل حقيبة كبيرة.

قالت سيمونا: «إنّها عشيّة الميلاد! اليوم عشيّة الميلاد».

نظر بنيامين إليها بذهول.

قال إريك مبتسمًا: «ذلك يفسّر لمَ كان الجميع يتمنّى لنا ميلادًا مجيدًا».

سأل بنيامين: «ما الذي سنفعله؟».

قال إريك مشيرًا: «على الأقلّ هناك مكان واحد مفتوح».

سألت سيمونا: «سنتناول عشاء الميلاد عند ماكدونالندز؟».

أخذت تمطر، وتساقطت عليهم قطرات جليديّة رقيقة حين كانوا يسرعون نحو مطعم الوجبات السريعة. كانت بناية قبيحة ذات سقف منخفض محشورة تحت منارة «مكتبة ستوكهولم المركزيّة» الصفراء. وقفت امرأة في الستينيّات من عمرها خلف طاولة الاستقبال. لم يكن هناك من زبائن آخرين.

«أفضّل كأسًا من النبيذ»، قالت سيمونا، «ولكنّي لا أفترض أنّ هناك فرصة لذلك».

قال إريك: «مخفوق الحليب».

«فانيلا، أم فراولة، أم شوكولاتة؟»، سألت المرأة بجفاء.

كانت سيمونا على حافّة الانهيار، ولكنّها أجبرت نفسها على ألّا تضحك، وقالت بشكل جادّ: «فراولة بالتأكيد، فراولة».

«أنا أيضًا»، أضاف بنيامين.

أدخلت المرأة طلبهم إلى الماكينة بحركات سريعة غاضبة.

سألت: «هل هذا كلّ شيء؟».

قالت سيمونا لإريك: «أحضر تشكيلة من الوجبات. سوف نذهب للجلوس».

توجّهت هي وبنيامين إلى الطاولات الفارغة.

همست مبتسمة لبنيامين: «الطاولة إلى جوار النافذة».

جلست إلى جوار ابنها وهي تحتضنه بقوّة وتشعر بالدموع تنساب على وجنتيها.

سألت: «هل تشعر بالبرد؟».

لم يجبها بنيامين. مال نحوها فقط، وتركها تقبّله على رأسه.

وضع إريك صينيّة على الطاولة، ثمّ ذهب وجلب الأخرى قبل أن يجلس.

«جميل»، قال بنيامين وهو يعدّل جلسته.

أعطاه إريك لعبة «الوجبة السعيدة» قائلًا: «ميلادًا مجيدًا».

«شكرًا يا أبي»، قال وهو ينظر إلى اللعبة المغلّفة بالبلاستيك.

نظرت سيمونا إلى طفلها. رغم أنّه نحيل إلى درجة مخيفة، هناك شيء آخر أيضًا، فكّرت، يبدو وكأنّه مهموم من شيء ما. يبدو منطويًا على نفسه مثل انعكاس صورة على نافذة معتمة.

حين رأت إريك يمدّ يده كي يداعب وجنة بنيامين أخذت تبكي ثانية. أدارت وجهها ثمّ اعتذرت. راقبت كيسًا بلاستيكيًّا تدفعه الرياح نحو النافذة من مكبّ القمامة.

اقترح إريك: «هل نحاول أكل أيّ شيء؟».

بينما بنيامين يفتح شطيرة البرغر، رنّ هاتف إريك، نظر إلى الشاشة ورأى أنّ المتّصل هو جونا.

أجاب: «ميلادًا مجيدًا يا جونا».

قال جونا: «إريك، هل عدت إلى ستوكهولم الآن؟».

«نحن نتناول عشاء عيد الميلاد».

«هل تتذكّر حين أخبرتك أنّنا ستتمكن من العثور على ابنك؟».

«نعم أتذكّر».

«كانت لديك شكوكك وقتئذ حين...».

قال إريك: «نعم».

«ولكنّي علمت أنّ هذا سينتهي بشكل جيّد»، واصل جونا بلكنته الفنلنديّة المعتادة.

«لم أعتقد ذلك».

قال جونا: «أعلم. لقد لاحظت. لذلك هناك شيء يتوجّب عليّ قوله لك».

«أها».

قال: «ما الذي قلته؟».

«ما الذي تقصده؟».

«كنت على حقّ أليس كذلك؟».

أجاب إريك: «نعم».

«ميلادًا مجيدًا»، قال جونا وأنهى المكالمة.

حدّق إريك أمامه دهشًا ثمّ استدار نحو سيمونا. نظر إلى بشرتها الشفّافة وفمها الممتلئ. كانت خطوط القلق حول عينيها قد تعمّقت مؤخّرًا. ابتسمت له ثمّ استدار كلاهما لينظرا إلى بنيامين.

حدّق إريك إلى ابنه لفترة طويلة. آلمته حنجرته لمحاولته عدم البكاء. كان بنيامين يتناول البطاطس المقلية وقد اعتلت وجهه نظرة جادة وهو غارقٌ في أفكاره، وعيناه فارغتان. كان تائهًا في ذكرياته. مدّ إريك ذراعه السليمة واعتصر أصابع ابنه، فنظر بنيامين إليه.

«ميلادًا مجيدًا يا أبي»، قال بنيامين مبتسمًا، «تفضّل خذ بعض البطاطس المقليّة».

«ماذا لو أخذنا بقيّة الطعام معنا وذهبنا لزيارة الجدّ؟»، قال إريك.

سألت سيمونا: «حقًّا؟».

«كم يبدو الأمر ممتعًا وأنت محتجز في المستشفى؟».

ابتسمت له سيمونا ثمّ طلبت سيّارة أجرة. ذهب بنيامين إلى موظّفة الاستقبال، وطلب كيسًا لوضع الطعام.

حين كانت سيّارة الأجرة تمرّ ببطء إلى جوار «أودين بلازا»، رأى إريك صورة عائلته تنعكس على النافذة، ثمّ سقطت فوق شجرة عيد ميلاد تنتصب في الميدان. مرّوا قرب الشجرة وكأنّهم يرقصون حولها. كانت تقف هناك طويلةً ومتينة مع مئات الأضواء اللامعة التي تمتدّ للأعلى نحو النجمة اللامعة.

رواية بوليسيّة مشوّقة، تبدأ بجريمة مروّعة في حقّ أب وأمّ وابنتهما الصغيرة، حيث يقوم الجاني بتقطيع أجسادهم إلى أشلاء، ويُعثر على الابن المراهق جريحًا بشكل خطير، بينما لا يوجد أثر للابنة الكبرى. يطلب المحقّق جونا لينا مساعدة الطبيب النفسي، إريك ماريا بارك، الذي اعتزل التنويم المغناطيسي قبل 10 سنوات، خوفًا على حياة الابنة الشابّة التي يعتقد أن القاتل أراد إبادة عائلتها بأسرها. يوافق الطبيب على تنويم الناجي من المجزرة ليعرفِ ما حدث ومَنْ هو الجاني. ينجح التنويم في معرفة الجاني، ولكن سلسلة من المشاكل والمصائب تلاحق الطبيب مذّاك، إذ يثور الإعلام والرأي العام ضدّ تنويمه لفتى قاصر مصاب بشكل بليغ، ويتمّ اختطاف ابنه المراهق من البيت، وهو مصاب بالهيموفيليا، ويمكن لأي نزف بسيط أن يودي بحياته.

لارش كيبلير هو الاسم المستعار للزوجين ألكساندرا كويلو أندوريل وألكسندر أندوريل، اللذين كتبا سابقًا روايات بشكل منفرد. أمّا سلسلة جونا لينا التي يتشاركان كتابتها فقد باعت أكثر من 12 مليون نسخة في أربعين لغة. وفي فبراير 2020 أُعلن أن رواية المنوّم المغناطيسي هي الأكثر مبيعًا خلال العقد الأخير في السويد، وتحوّلت إلى عمل سينمائي سويديّ يحمل العنوان نفسه.

ولدت ألكسندرا في الجنوب السويديّ، وانتقلت إلى ستوكهولم سعيًا لتحقيق حلم أن تكون ممثلة، قبل أن تقرّر أن تصير كاتبة. وقد نالت روايتها الأولى [Stjärneborg] جائزة كاتابولت السويديّة لأفضل رواية أولى عام 2003.

بدأ ألكسندر حياته الأدبية في عمر 22 سنة، مع إصدار رواية عاطفية، ثمّ كتب الكثير من السيناريوات والنصوص الإذاعية والروايات والمسرحيات. اختار الزوجان اسم لارش تكريمًا للمحقّق البوليسي ستيغ لارشون، لأنّه ألهمهما كتابة الرواية البوليسيّة، وهما يعيشان حاليًا في العاصمة السويديّة ستوكهولم.


ISBN 978-614-472-193-3

